

الدكتور ياسين أحمد العيسى

المعجم الدلالي

لألفاظ القدرة والتمكين في القرآن الكريم



الجزء الثاني

الأمة

المعجم الدلالي

لألفاظ القدرة والتمكين
في القرآن الكريم

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

حقوق الطبع محفوظة

نشر وتوزيع

الأمة

جدة

هاتف: ٢٦٨٧٧٠١٤ ١ ٩٦٦ + جوال ٥٥٤٢٤٧١٩ ٥٥٤٢٤٧١٩ ٩٦٦ +

المعجم الدلالي

لألفاظ القدرة والتمكين في القرآن الكريم

الجزء الثاني

تأليف

الدكتور ياسين أحمد العيسى

قدم له وأشرف على إخراجه

الدكتور عطية أحمد الوهيبي

١٢ ربيع الثاني ١٤٣٣هـ - ٥ شباط ٢٠١٢م

حرف الزاي

■ (زبر)

من دلالات المادة (زبر) في اللغة: الإحكام. تقول: زَبَرْتُ البئر، إذا طَوَيْتَهَا بالحجارة^(١). وتعني قطعة الحديد يقال لها زُبْرَة^(٢). وأسد مَزْبَرَانِيّ، أي: ضخم الزُبْرَة^(٣). والزَّبِير: الداهية^(٤).

وقيل: أَخَذَ الشَّيْءَ بِزُوبَرِهِ: أي كُلَّهُ^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (١١) مرة. دلت الصيغة «زَبَر» على القطع الحديدية الدالة على المتانة والصلابة.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى على لسان ذي القرنين: «أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ» [الكهف: ٩٦]، أي: قَطِّعْهُ الكبيرة، أي: ناولوني، وفي قراءة بمعنى

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٤/٣ (زبر).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

جيئوني بقطع الحديد، والباء محذوفة، وإعطاء الآلة من الإعانة بالقوة^(١).
والحديد: معدن من معادن يكون قطعاً كَالْحَصَى ودون ذلك وأكبر وفيها
صلابة^(٢).



■ (زبن)

من دلالات المادة (زبن) في اللغة دلالتها على الدَّفع. يقال: ناقة زُبُون،
إذا زَبِنَتْ حَالِبَهَا^(٣). والحرب تزِينُ النَّاسَ، إذا صَدَمْتَهُمْ^(٤). ورجلٌ ذو زُبُونَةٍ،
إذا كان مانعاً لجانبه دَفُوعاً عن نفسه^(٥). والزَّبَانِيَّةُ سُمُوا بذلك، لأنَّهُم يدفعون
أهل النَّارِ إلى النَّارِ^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (مَرَّة) واحدة؛ دلت الصيغة المعرفة ﴿الزَّبَانِيَّةَ﴾
على صنف من الملائكة موكلين بعذاب الكافرين.

تجلَّت هذه الدلالة في سياق التهديد: ﴿سَدْعُ الزَّبَانِيَّةِ﴾ [العلق: ١٨]، ليجروه
إلى النار. و(سندع الزبانية) جواب الأمر التعجيزي، أي: فإن دعا نادية دَعَوْنَا
لهم الزبانية، ففعل: (سندع) مجزوم في جواب الأمر، ولذلك كتب في
المصحف بدون واو، وحرف الاستقبال لتأكيد الفعل. والزبانية الذين يزبنون
الناس، ويدفعونهم بشدة، والمراد بهم ملائكة العذاب^(٧).

(١) ينظر: البيضاوي: ٢٣/٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٦/١٦.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٦/٣ (زبن).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٥٢/٣٠، ٤٥٣.



■ (زجا)

دلت مادة (زجا) في اللغة على السُّوقِ والدَّفْعِ الرَّفِيقِ، فالبقرة: تُزْجِي ولدها^(١)، والريح تُزْجِي السَّحَابَ، أي: تَدْفَعُهُ وَتَسُوقُهُ سَوْقًا رَفِيقًا^(٢) وَمِنْهُ: أَرْجَيْتُ الشَّيْءَ، إِزْجَاءً، أي: ذَافَعْتُ بِقَلِيلِهِ^(٣). ومن المجاز قولهم: «أَرْجَيْتُ أَيَّامِي وَرَجَيْتُهَا، أي: ذَافَعْتُهَا بِقُوَّةٍ قَلِيلٍ»^(٤).

أما في القرآن: فقد وردت (٣) مرات. دلت الصيغة «يُزْجِي» على السوق الدال على قدرة الله. قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنْ أَسْمَاءٍ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَرٍ فَيُمْسِكُ بِدُرٍّ مِنْ شَاءٍ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَافِقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ» [النور: ٤٣]. يسوقه حيث تشاء مشيئته^(٥). قوله: «يُزْجِي سَحَابًا». ينشئه شيئاً بعد شيء، أو أنه تعالى يغيره من سائر الأجسام لا في حالة واحدة، فعلى الوجه الأول يكون نفس السحاب محدثاً، ثم إنه سبحانه يؤلف بين أجزائه، وعلى الثاني يكون المحدث من قبل الله تعالى تلك الصفات التي باعتبارها صارت تلك الأجسام سحاباً، وفي قوله: «ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ» دلالة على وجودها متقدماً متفرقاً، إذ التأليف لا يصح إلا بين موجودين. ثم إنه سبحانه يجعله ركاماً وذلك بتركيب بعضها على بعض، وهذا مما لا بد منه؛ لأن السحاب إنما يحمل الكثير من الماء إذا كان بهذه الصفة، وكل ذلك من عجائب خلقه ودلالة ملكه واقتداره^(٦).

(١) ينظر: تهذيب اللغة: ١١/١٥٥، وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٨/٣ (زجى).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) تهذيب اللغة: ١١/١٥٥ (زجا).

(٥) ينظر: معاني القرآن: ٢/٢٥٦.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ١٣/٢٤.

وعلى أية حال فإن السحاب من صنع الله، فهو خالقه، ومزجيّه، ومؤلف بينه، وجاعله ركائماً بقدرته، خالق الأسباب وخالق المسببات، وخالق الطبائع، وجاعل الطبائع مؤثرة في الأحوال، فهو سبحانه المزجي، لأنه هو الذي خلق الطبائع المحركة، فهو على وجه القطع والثبوت القادر الحكيم والخالق المبدع.

ووجه الاستدلال بهذه الأشياء على القدرة والحكمة ظاهر بَيِّن^(١)، وخالقه سبحانه خصائص في الجماد بحيث تسير على السير الذي قدره لها سيراً لا يتغير دليل على عظيم قدرته سبحانه. هذه الخصائص المخلوقة بقدرة قدير حكيم جعلت الجماد أهدى من فريق الكافرين الذين لهم عقول وأفهام لا يهتدون بها إلى معرفة الخالق القدير، ولو أنهم نظروا في دلالات قدرته تعالى وتفكروا في آثارها ونظروا في أدلتها نظر متفكر يعي ما يرى لأدركوا عظم القدرة وسعة العلم ووحدانية التصرف.

وفي الآية الكريمة أطلق الإجزاء على دنو بعض السحاب من بعض بتقدير الله تعالى الشبيه بالسوق حتى يصير سحاباً كثيفاً، وتجمعه بعضه إلى بعض عبر عنه بالتأليف بين أجزائه (ثم يؤلف بينه) ودخلت (بين) على ضمير السحاب لأن السحاب ذو أجزاء^(٢). ودنو السحاب بعضه من بعض لا يكون إلا بسوق هذا إلى هذا حتى يكون التأليف بين المسوقين.

وإذا كان القدير يزجي خلقاً من خلقه في السماء، فإنه يزجي خلقاً من خلقه على الماء. كل ذلك بقدرة قادر على الكمال وحده: ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [الإسراء: ٦٦]

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٤/٢٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦١، ٢٦٠/١٨.



يسير لكم سفنكم في البحر^(١)، ويجريها على الماء بقدرته^(٢). ففي قوله: ﴿يُزَيِّجُ لَكُمْ الْفَلَكَ﴾ تذكير لكم بنعمه عليكم في أحوال ركوب البحر، فهو تسيير للفلك على وجهه لتبتغوا من فضل الله بما أودع في البحر من منافع كثيرة، والخطاب في قوله: ﴿رَبُّكُمْ﴾ وفي قوله: ﴿إِنَّهُ كَاتِبُكُمْ﴾ عام في حق الكل، والمراد من الرحمة، منافع الدنيا ومصالحها^(٣). فلم يخص فئة من الناس، بل المقصود الجميع المؤمن والكافر. لذا نجد الكافرين أكثر من غيرهم انتفاعاً بالبحر، ولقد هيا الله سبحانه لهم الأسباب ليكون ذلك حجة عليهم يوم القيامة.

وافتح الآية بالمسند إليه معرفاً بالإضافة ومستحضراً بصفة الربوبية لاستدعاء إقبال السامعين لسماع الخبر المهم حيث إن الافتتاح بما يترقب منه ويُنتظرُ خيرٌ عظيمٌ لكونه من شؤون الإله القدير الحق الخالق المدبر تدبير اللطيف الرحيم. وجيء بالجملة الاسمية لدالتها على الدوام والثبات. وبتعريف طرفيها للدلالة على الحصر، أي: ربكم هو الذي يزجي لكم الفلك لا غيره ممن تعبدون باطلاً، وهو الذي لا يزال يمن عليكم ويفضل. وجيء بالصلة فعلاً مضارعاً للدلالة على تكرار ذلك وتجده. فتوافرت في هذه الآية على إيجازها معانٍ كثيرة. وفي ذلك حد الإعجاز، شبه تسخير الفلك في سيرها في الماء وعلى الماء بإزجاء الدابة المثقلة بالحمل^(٤).



(١) ينظر: جامع البيان: ١٢٢/١٥.

(٢) ينظر: الكشف: ٦٥٢/٢.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١١/٢١.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٨/١٥.

■ (زجر)

تدل المادة (زَجَرَ) في اللغة على المَنع. زَجَرُهُ يَغْنِي مَنَعُهُ وَنَهَاةُ كَارِذَجَرَةٍ فَانْزَجَرَ. وَالزَّجْرُ هُوَ الطَّرْدُ بِصَوْتٍ، يُقَالُ: زَجَرْتُهُ فَأَنْزَجَرَ^(١).

أما في القرآن: فقد وردت (٦) مرات. دلت الصيغة «زَجَرٌ» على الصوت القوي. تجلت دلالة الصوت القوي في إخبار القرآن عن تلك الصيحة الواحدة يوم القيامة التي يبعث من شدتها كل ميت ينظر ما حوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الصافات: ١٩]. يعني صيحة واحدة تصيهم^(٢).

وإنما سميت الصيحة زجرة لأنها تزجر كزجر الإبل والخيول عند السوق^(٣). فهي صيحة هائلة شديدة تقوم لقوتها الأموات من قبورها مزجورين^(٤).

(فإنما): «جواب شرط مقدر تقديره: إذا كان ذلك فما (هي) إلا زجرة واحدة» وهي لا ترجع إلى شيء، إنما هي مبهمة موضحها خبرها. ويجوز: فإنما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية^(٥).

و«الضمير في قوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ ضمير على شريطة التفسير، والتقدير: فإنما البعث زجرة واحدة»^(٦). وقيل: «ضمير القصة والشأن وهو لا معادله إنما تفسره الجملة التي بعده»^(٧). ولا يبعد أن تكون تلك الصيحة قد سميت

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٧٨، وينظر: القاموس المحيط: ٣٩/٢ (زجره).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧٢/١٥، وينظر: التفسير الكبير: ١٢٩/٢٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٢٩/٢٦.

(٥) الكشف: ٣٧/٤.

(٦) التفسير الكبير: ١٢٩/٢٦.

(٧) التحرير والتنوير: ١٠٠/٢٣.



زجرة ذلك لزجرها الموتى عن الرقود في القبور، وتحثهم على القيام منها، والصورورة إلى الموقف الرهيب^(١). «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنْظَرُونَ» [الزمر: ٦٨].

قوله: «وَجِدَّةٌ»: تأكيد لما تفيد صيغة الفعلة من معنى المرة لدفع توهم أن يكون المراد من الصيحة الجنس دون الوجود، لأن وزن الفعلة يجيء لمعنى المصدر دون المرة^(٢).

وقوله: «فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنْظَرُونَ» دل فاء التفرع على تعقيب المفاجأة، ودل حرف الفجأة على السرعة في حصول الحدث. وكني عن الحياة الكاملة التي لا اندهاش يخالطها بالنظر في قوله: «يُنْظَرُونَ» لأن النظر لا يكون إلا مع تمام الحياة.

واللافت للذهن أن النظر اختير من بين بقية الحواس لمزيد الاختصاص بالمقام وهو التعريض بما حل بهم من البهت لهول الموقف، وشدة الأمر^(٣). وللعاقل أن يتصور شدة هذه الزجرة وقوتها التي تبعث من في القبور، ومن ثم له أن يتصور القوة التي خلقتها على هذه الحال.



■ (زحزح)

رَزَحَهِ مَبَالِغَةً فِي الْإِبْعَادِ^(٤).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٢٩/٢٦.

(٢) التحرير والتنوير: ١٠٠/٢٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠٠/٢٣.

(٤) ينظر: تهذيب الصحاح، ١٧٨/١.

أما في القرآن فقد وردت مرتين. دلت الصيغة المبنية للمجهول «زُحِرَجَ» على الجذب بقوة وأشعرت بالتمكين.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الحتم واليقين: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَجَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، الفاء في قوله: «فمن زحرج» للتفريع على (توفون أجوركم)، والمعنى: أبعد حيث جُذِبَ بسرعة حتى لا يقع في النار.

والجمع بين «زحرج عن النار وأدخل الجنة» مع أن في الثاني غنية عن الأول، للدلالة على أن دخول الجنة يشتمل على نعمتين عظيمتين: النجاة من النار، ونعيم الجنة.

فالصيغة «زُحِرَجَ» دلت على النجاة من النار ودخول الجنة، وهو فوز عظيم ذكره القرآن في الآية نفسها، وهو التمكين والإقدار في الآخرة^(١).

٢ ٢ ٢

■ (زحف)

من دلالات المادة (زحف) في اللغة دلالتها في صيغة من صيغها على الجماعة يتقدمون صوب الخصم. إذ الرَّحْفُ: الجماعة يزحفون إلى العدو^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة. دلت الصيغة «زَحَفًا» على الكثرة الموحية بالقدرة.

تجلّت الدلالة على الكثرة المشعرة بالقدرة باستعمال القرآن الصيغة (زَحَفًا) في سياق النهي عن التولي يوم الزحف. قال تعالى: ﴿يَكَايُنْهَا الَّذِينَ

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ١٨٨/٤، ١٨٩.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٩/٣ (زحف).



ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْآذِبَارَ ﴿١٥﴾ [الأنفال: ١٥]، أي: كثيري العدد، والكثرة في الغالب تؤدي إلى القدرة والقوة. أي: إذا لقيتموهم للقتال وهم كثر وأنتم قليلون فلا تفروا خوف قوتهم وقدرتهم^(١). ويطلق الزحف على الجيش الكثير العدد^(٢).



■ (زخرف)

«الزُّخْرُف: الزَّيْنَةُ»^(٣). ويقال «الزُّخْرُف الذهب»^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرات. دلت الصيغة المنكرة «زُخْرُفٍ» على الذهب الدال على القدرة المادية.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى على لسان المعاندين: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ حُلَالَهَا نَفَجِيرًا * أَوْ تَنْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَت عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَكِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣] من ذهب، وقد قرئ به، وأصله الزينة^(٥). «حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴿كالذهب^(٦)، والذهب قوّة وقدرة مادية.



(١) ينظر: الكشف، ١٩٩/٢.

(٢) وينظر التحرير والتنوير، ٢٨٧/٩.

(٣) مقاييس اللغة، ٥٥/٣ (الزُّخْرُف).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: البياضوي، ٥٨١/١.

(٦) ينظر: التفسير الكبير، ٥٩/١١.

■ (زرب)

الزَّرَائِي: الثَّمارق، واحدها زَرْيَّةٌ^(١).

أما في القرآن فقد وردت (مرة) واحدة. دلت الصيغة الجمعوية المنكرة ﴿وَزَّرَائِي﴾ على البُسْطِ الدالة على تمكين أصحابها وقدرتهم.

تجلَّت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الوصف وصف الجنة لأصحاب الوجوه الناعمة: ﴿وُجُوهُ يُومِئُونَ نَاعِمَةً * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَفِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَارٌ مَقْشُوفَةٌ * وَزَّرَائِي مَبْنُوءَةٌ﴾ [الغاشية: ٨-١٦]^(٢)، أي: بُسْطٌ فاخرة^(٣). لمن يستحقها من المنعمين فهي تمكين وإقدار لهم.

٢ ٢ ٢

■ (زرع)

تدل المادة (زرع) من بين ما تدل عليه على تنمية الشيء. فالزَّرْع معروف ومكانه المُزْدَرَعُ^(٤). والزَّرْع طرح البذر في الأرض^(٥). والزَّرْع اسم لما نبت^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (١٤) مرة. دلت الصيغة المعرفة ﴿الزَّرْعُونَ﴾ على إنبات النبات بقدرته.

(١) ينظر: تهذيب الصحاح، ٦٠/١.

(٢) الغاشية ٨ - ١٦.

(٣) ينظر: البيضاوي، ٥٩٢/٢.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة، ٥٠/٣ (زرع).

(٥) المصدر نفسه، ٥١/٣ (زرع).

(٦) المصدر نفسه، ٥١/٣ (زرع).



تجلّت الدلالة على قدرة الله في إنبات النبات من الأرض في قوله تعالى وفي سياق الاستفهام الإنكاري: ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٥]. أي: المنبتون. إنه الانتقال إلى دليل آخر على إمكان البعث وصلاحيّة قدرة الله له بضرب آخر من ضروب الإنشاء بعد العدم.

وجملة: (أنتم تزرعون) بيان لجملة: (أفأرى ما تحرثون) كما تقدم في: ﴿ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ [الواقعة: ٥٩] والاستفهام في: (أنتم تزرعون) إنكاري كالذي في قوله: ﴿ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾.

والقول في موقع (أم) من قوله: ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ كالقول في موقع نظيرتها في قوله: ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٩]. أي: أن (أم) منقطعة للإضراب.

وكذلك القول في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ مثل ما في قوله: ﴿ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ [الواقعة: ٥٩].

وكذلك القول في نفي الزرع عنهم وإثباته لله تعالى يفيد معنى قصر الزرع، أي: الإنبات على الله تعالى، أي: دونهم، وهو قصر مبالغة لعدم الاعتداد بزرع الناس.

ويؤخذ من الآية إيماء لتمثيل خلق الأجسام خلقاً ثانياً مع الانتساب بين الأجسام البالية والأجسام المجددة منها بنبات الزرع من الحبة التي هي منتسبة إلى سنبله زرع أخذت هي منها فتأتي هي بسنبلة مثلها^(١).



(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٩٣/٢٧، ٢٩٤.

(زرى)

الزاء والراء والحرف المعتل يدلُّ على احتقار الشيء والتهاون به^(١). يقال زَرَيْتَ عليه، إذا عَيْتَ عليه^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (مرّة) واحدة. دلت الصيغة المضارعية ﴿تَزِدْرِي﴾ على قدرة المزدري وضعف المزدري.

تجلّت هذه الدلالة في سياق طويل تحاور فيه نوح ﷺ مع قومه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ إِلَهِم * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ آتِيَنَّاكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنَّا بِآدَى الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ * قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِئِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْهُمْ كُفْرَهُمْ وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ * وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُّكَلَّفُوا رِيبَهُمْ وَلَكِنْ كَفَيْتَ أَرْكَكُمْ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ * وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طُرِئْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ (هود: ٢٥-٣١)، أي: تحتقر أعينكم، دلالة على قوة المزدري وضعف المزدري^(٣).

وقيل: استردلتموهم لفرهم^(٤)، معناه: أن المستردل للفقراء غني متمكن، لأنه بالقرينة العقلية لا يحتقر المرء أمثاله أو نفسه.

٢ ٢ ٢

(١) مقاييس اللغة، ٥٢/٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٧/٩.

(٤) ينظر: البيضاوي، ٤٥٤/١.



■ (زعم)

زَعَمَ بالشَّيءِ، إذا كَفَّلَ به^(١). وتعني السَّيادة. فالزَّعامة، هي السَّيادة؛ لأنَّ السَّيِّدَ يُزَعِّمُ بالأُمُورِ، أي: يتكفَّلُ بها^(٢).

ويقال: الزَّعامة حَظُّ السَّيِّدِ مِنَ المَغْنَمِ^(٣)، ويقال هي أَفْضَلُ المَالِ^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (١٧) مرة. دلت الصيغة «زَعِيمٌ» على الكفيل المشعر بالقدرة.

تجلَّت الدلالة على الكفيل في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢]، أي: كفيل^(٥)، والكفيل لو لم تكن به قدرة ما قُبِلَتْ كفالته فـ (أنا به زعيم) كفيل أؤديه إلى من رده^(٦).

وتجلَّت الدلالة على القدرة باستعمال القرآن الصيغة المنكرة «زَعِيمٌ» في موضع آخر من القرآن، قال تعالى في سياق التهكم: ﴿سَلَّمْتُ أَيْهَمُ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٤٠]، فالاستفهام في قوله: ﴿سَلَّمْتُ أَيْهَمُ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ مستعمل في التهكم زيادة على الإنكار عليهم. وقد جعل الزعيم أحداً منهم وهو الكفيل القادر زيادة في التهكم وهو أن جعل الزعيم لهم واحداً منهم لعزتهم ومنافستهم لكبراء الله تعالى^(٧).



(١) ينظر: مقاييس اللغة، ١٠/٣ (زعم).

(٢) المصدر نفسه، ١١/٣ (زعم).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، ٩٧/١٢.

(٦) ينظر: البياضوي، ٤٩١/١.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير، ٨٩/٢٩.

■ (زفر)

من دلالات المادة: الدلالة على الحمل الثقيل: يقال: شاهدت الشيخة وعلى ظهرها زفر من الأفرار: أي: حمل ثقیل تزفر منه^(١). ودلت على الصوت يخرج من صدر صاحبه يشعر بالضيق الشديد: سمعته له زفير^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرات. دلت الصيغة «وَزَفِيرًا» المعطوفة على «تَغِيظًا» على الغليان له صوت يوحى بشدة الحرارة.

قال تعالى: «بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا» [الفرقان: ١١-١٢]، أي: إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها^(٣). وقيل: إذا رأتهم زبانية جهنم تغيطوا وزفروا غضباً من الكفار شهوة لعذابهم^(٤).

روي «إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا وترعد فرائصه حتى إن إبراهيم عليه السلام يجثو على ركبتيه ويقول: نفسي نفسي»^(٥).



■ (زفف)

دلت المادة من بين ما تدل عليه على خِفة في كل شيء. يقال: زَفَّ الظِّلِيمَ زَفِيفًا، إذا أسرع^(١). ومنه زُفَّتِ العَرُوسُ إلى زوجها^(٢). وزَفَّ

(١) ينظر: أساس البلاغة، ٤٠/١ (زفر).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: الكشف، ٢٦٠/٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التفسير الكبير، ٥٦/٢٤.

(٦) ينظر: مقاييس اللغة، ٤/٣ (زف).

(٧) المصدر نفسه.



القوم في سيرهم: أَسْرَعُوا^(١). وَالزَّفَافَةُ: الريح الشديدة لها زفرقة، أي: خِفَّةٌ^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (مرة) واحدة.

تجلّت الدلالة على ما يشير بالسرعة الموحية بقدره المسرّع إلى من يطلب لحسابه ومعاقبته.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْتُفُونَ﴾ [الصفات: ٩٤]، يسرعون، أي: يجرون بسرعة. والسرعة هنا من باب الشعور بالقدرة على إبراهيم المتهم عندهم بتحطيم آلهتهم. وقيل: يحملون غيرهم على الزيف وهو السرعة سرعة الخطوة ومقاربة المشي، كأنهم حملوا دوابهم على الإسراع رغبة في الانتقام انتقام ذي قدرة^(٣) من الخصم.

٢ ٢ ٢

■ (زقم)

من دلالات المادة دلالتها على الابتلاع. يقال: الازدقام الابتلاع^(٤). ويقال: تَزَقَّم فلانُ اللَّبَنَ، إذا أفرط في شُرْبِهِ^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرات. دلت الصيغة المعرفة ﴿الزَّقُومُ﴾ على القدرة قدرة الله تعالى خالقها.

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التفسير الكبير، ١٢٩/٢٦.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة، ١٦/٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.



تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ سَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الصافات: ٦٢]، إنها شجرة ثمرها نزل أهل النار، وانتصاب نزلاً على التمييز أو الحال، وفي ذكره دلالة على أن ما ذكر من النعيم لأهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل، ولهم وراء ذلك ما تقصر عنه الأفهام، وكذلك الزقوم لأهل النار، وقوله: ﴿الزَّقُّومُ﴾ شجرة صغيرة الورق ذفر مُرّة تكون بتهامة، سميت به الشجرة الموصوفة.

قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ [الصافات: ٦٣]، أي: محنة وعذاباً لهم في الآخرة، أو ابتلاء في الدنيا، فإنهم لما سمعوا أنها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر؟ ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الإحراق^(١).

وكان هذه الشجرة المخصوصة بالذكر في الآية قادرة بحرارتها الشديدة على أن تذيبهم أشد العذاب عندما يريدون أن يأكلوا منها ليخففوا من غائلة جوعهم.



(زكى)

تدل المادة (زكى) على نماء وزيادة^(٢). ويقال: الطَّهارة زكاة المال. قال بعضهم: سُميت بذلك لأنها مما يُزجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه^(٣).

(١) ينظر: البيضاوي، ٢٩٥/٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، ١٧/٣ (زكى).

(٣) المصدر نفسه.



وقال بعضهم: سُمِّيَتْ زَكَاةٌ لأنها طهارة^(١). ومن الثَّمَاءِ زَرَعُ زَالِكٍ بَيْنَ الزَّكَاةِ^(٢).
وَرَجُلٌ زُكَاةٌ: حَاضِرُ الثَّقَلِ كَثِيرُهُ^(٣). وَالزُّكَاةُ: الْمَوْسِرُ^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٥٩) مرّة. دَلَّتِ الصِّيغَةُ المضارعية ﴿يُزَكِّي﴾
على الحمل على التوبة من الإثم.

تَجَلَّتْ هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق المَنِّ والتفضل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١]، أي: يحمله على التوبة وقبولها. وهذا يدل على قدرة الله
محول القلوب ومصرفها حيث يشاء^(٥).

وتجَلَّتْ الدلالة نفسها في قوله تعالى: ﴿تَرَى إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ
يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩]، تنبيه على أن تركيته تعالى هي المعتمد بها دون
تركية غيره، أي: إن ثناء الله على العبد هو الثناء الصحيح.

لأنه ينطوي على معرفة مطلقة بالمخلوقين، فيعطي كل واحد حقه من
الثناء أو الذم، ولا يظلم الله أحداً أبداً. فثناؤه سبحانه مبني على قدرة مطلقة
هي التي تقود إلى ذلك الحكم الذي لا يضاهيه حكم أبداً.



(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه. ١٨/٣ (زكي).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: البيضاوي، ١١٩/٢.

(زلف)

تدور مادة (زَلَفَ) في اللغة حولَ اِنْدِفَاعٍ وَتَقَدُّمٍ في قربٍ إلى شيءٍ... مِنْ ذَلِكَ اِزْدَلَفَ النَّاسُ: تَقَدَّمُوا^(١). وَهِيَ فِي الْمَعْنَى الدَّرَجَةُ وَالْمَنْزِلَةُ. فَالزَّلَفُ وَالزَّلْفَةُ هُمَا: الدَّرَجَةُ وَالْمَنْزِلَةُ^(٢). و«لِفَلَانٍ عِنْدَ فُلَانٍ زُلْفَى، أَي: قُرْبَى»^(٣). و«الْمَزَالِفُ: الْمَرَاقِي»^(٤). وَسَمِيتَ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا تُزْلَفُ مِنْ يَزْقَى إِلَيْهَا: فَتُذْنِبُهُ لِمَا يَرِيدُ الصُّعُودَ إِلَيْهِ»^(٥).

أما في القرآن: فقد وردت (١٠) مرات. دلت على التقريب. قال تعالى: ﴿وَأَزْلَفِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠]. أَي: «قربت وأدنيت ليدخلوها»^(٦). فالجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها نظر المشتاق إلى المشوق يغتبطون أنهم المحشورون إليها^(٧). «وإنما يفعل الله تعالى ذلك ليكون سروراً معجلاً للمؤمنين»^(٨). إن المتقين يجدون الجنة حاضرة فلا يتجشمون عناء السوق إليها، وذلك فضل يؤتيه المؤمنين الذين أيقنوا بألوهيته وتفردته في القدرة على المحاسبة والجزاء^(٩). هذا حديث عن مشهد وديع رضي جميل تقرب الجنة من المتقين، حتى تترأى لهم من قريب مع الترحيب والتكريم^(١٠).

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢١/٣ (زلف).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢١/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٨٢ (زلف).

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٢١/٣ (زلف).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٨٢، وينظر: عمدة الحفاظ: ١٤٤/٢ (ز ل ف).

(٥) ينظر: عمدة الحفاظ: ١٤٤/٢ (ز ل ف).

(٦) ينظر: تفسير غريب القرآن: ص ٣١٨.

(٧) ينظر: الكشف: ٣١٢/٣.

(٨) التفسير الكبير: ١٥٢/٢٤.

(٩) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥١/١٩.

(١٠) ينظر: في ظلال القرآن: ٥٦٠/٢٦.



والجنة موجودة قبل ورود المتقين إليها، فإزلافاً لهم سواء أكان قبل حشرهم للحساب على مقربة منها تكريماً لهم عن كلفة المسير إليها، أم بتمكينهم من الوصول قريباً منها بقدرته التي لا يعجزها شيء في الأرض أو في السماء، فإن ذلك دليل على عظيم قدرة الله وواسع منه وكرمه وعطائه.

وتعددت مواضع خبر تقرب الجنة من المتقين يوم القيامة، تكريماً لهم. قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ سُورَتْ * وَإِذَا الْبُحُورُ أُنْفِلَتْ﴾ [التكوير: ١٢-١٣] أي: «قربت وأدנית»^(١).

قوبل تسعير النار وإيقادها بقوله: ﴿سُورَتْ﴾ مبالغة في الإشعار بالجنة دار النعيم التي قربها الله بقدرته من أهلها، أي: جعلها قريبة من محشرهم حتى لا يكون تعب للوصول إليها تكريماً وفضلاً وإحساناً من الرب جل جلاله لعباده الذين عبدوه في الدنيا فجزاهاهم الجزاء الأوفى في الآخرة.

وتقديم المسند إليه في قوله: ﴿وَإِذَا الْبُحُورُ أُنْفِلَتْ﴾ والمفتتح بـ (إذا) والإخبار بالمسند الفعلي مع إمكان القول وإذا أزلت الجنة. إن ذلك التقديم لإفادة الاهتمام بذلك الخبر العظيم المجعول علامة للبعث، وتحفيز المؤمنين للزيادة في القربى إلى التقدير الذي بقدرته إثابة المؤمنين وتكريمهم وبقدرته تعذيب الكافرين وتحقيرهم^(٢).



(١) القرآن الكريم بهامشه كتاب نزاهة القلوب: ص ٥٠٣، وينظر: التفسير الكبير: ٧١/٣١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٠/٣٠.

■ (زلق)

الْمَزْلَقَةُ وَالْمَزْلَقُ: الموضع لا يُثْبِتُ عليه^(١). لشدّة زلاقتّه. وقيل: زَلَقَ الرَّجُلُ رأسه: حَلَقَهُ^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرتين. دلت الصيغة المضارعية الجمعية المتصدرة باللام «لَيَزِلُّنَّكَ» على ما يشعر بقدره.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: «وَلَن يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَزِلُّنَّكَ بِأَبْصَرِهِمُ الْقَمَمَ: ٥١»، أي: يزلون قدمك، أو يهلكونك كأنه لديهم قدرة عليك من قوّة حسدّهم لك. وكأنّ المعنى: كادوا بحسدّهم لك يقدرّون عليك ويتمكنون منك^(٣).

«العين تدخل الرجل القبر وتدخل الجمل القدر»^(٤).



■ (زلل)

«الزَّلْزَلَةُ فِي الْأَصْلِ: استرسال الرّجل من غير قصد، يقال: زَلَّتْ رِجْلٌ تَزِلُّ»^(٥). والمكان الزَّلِيقُ يدعى مَزِلَّةً^(٦). «والتزلزل: الاضطراب وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلل فيه»^(٧). وَزَلَّ للحركة المعتادة، أما زلزل فهي للحركة الشديدة العظيمة^(٨).

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ٢٢/٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: البيضاوي، ٥١٩/٢.

(٤) صحيح الجامع رقم الحديث (٤١٤٤).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٨١ (زل).

(٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٨١ (زل).

(٧) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٨١ (زل).

(٨) ينظر: الخصائص: ٣٥٢/٣ (زل).



أما في القرآن: فقد وردت (٦) مرات في (٤) مواضع دالة على الاضطراب العنيف. قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]. أي: إذا اضطربت بقدرة الله^(١)، وتحركت حركة شديدة، حتى يتكسر كل شيء عليها^(٢). فبزُلزَلتها تصبح الجبال تراباً، والأرض أشبه بسفينة موبقة في البحر يضربها الموج، فتذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان لهول الموقف^(٣). ومعنى زلزالها: «زلزالها الذي تستوجه في الحكمة ومشينة الله، وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده. أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه^(٤). وليس المراد من الإخبار عن زلزالها حركتها، بل المراد: حركتها واضطرابها، والدليل أنه تعالى يخبر عنها في جميع السورة كما يخبر عن المختار القادر، وهذا أدخل في التهويل، لأنه إذا اضطرب الجماد واهتز لأوائل القيامة، فالإنسان أولى أن يضطرب، أو ما آن لك أيها العاقل أن تضطرب وتتيقظ من غفلتك فتهاب وتخاف ذلك اليوم فترشده وتهتدي وتؤوب إلى ربك. وقريب من هذا وصف الجماد بالخشوع والتصدع من خشية الله الباري القادر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ١٣].

ولشدة هذه الحركة وصفت من الجليل القدير بالعظم فقال: ﴿إِنَّا زَلَزَلْنَا السَّاعَةَ زَلْزَعًا عَظِيمًا﴾ [الحج: ١]. وقوله: ﴿زَلَزَلْنَا﴾ أي: القدر اللائق بها في

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٨٢، وينظر: النكت والعيون تفسير الماوردي أبي الحسن علي حبيب الماوردي البصري حققه: خضر محمد خضر. راجعه: الدكتور عبد الستار أبو غدة، ط ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، طباعة مطابع مقهوي - الكويت. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التراث الإسلامي: ٤/٤٦٩.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٥/٤٧٨.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/١٩٨.

(٤) الكشف: ٤/٧٧٥.



الحكمة، أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه، أي: أنه وجد من الزلزلة كل ما يحتمله المحل. أو (زلزالها) الموعود أو المكتوب عليها إذا عوملت معاملة الحي، تقريره ما روي أنها تنزل من قوة وشدة صوت إسرافيل على أساس أنه قدرت تقدير الحي^(١).

وافتح الكلام بظرف الزمان (إذا) مع إطالة الجمل المضاف إليها الظرف تشويق إلى متعلق الظرف وليس المقصود هو الوقت وقت صدور الناس لرؤية الأعمال بل الإخبار عن وقوع ذلك الحدث الرهيب، الذي فيه الجزاء، وتنزيل وقوع البعث منزلة الأمر اليقيني الذي لا ريب فيه، فهو حدث محقق الوقوع، فيكون توقيته كناية تحقق الوقوع. وزلزلة الأرض مقدمة لإهلاك من عليها ومن ثم يأتي البعث والنشور. فإذا تحركت هذا التحرك الشديد حتى يخيّل للناس خروجها من حيزها، اضطربت واضطرب كل من عليها من المخلوقات حتى الجبال فيها تصير هباء منبثاً، ولما كان معنى زلزل زلق الرجلين، وأريد الإشعار بزيادة هذا الزلزل ضاعف القرآن الفعل للدلالة بالتضعيف على شدة الفعل^(٢).

وبناء (زلزلت) بصيغة النائب عن الفاعل لأنه معلوم الفاعل وهو الله تعالى. وانتصب (زلزالها) على المفعول المطلق المؤكد لفعله إشارة إلى هول ذلك الحدث العظيم، أي: الزلزال، والمعنى: إذا زلزلت الأرض زلزلاً. وإضافة (زلزالها) إلى ضمير الأرض لإفادة تمكنه منها وتكرره حتى كأنه عرف بنسبته إليها لكثرة اتصاله بها^(٣).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٥٨/٣٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٩٠/٣٠.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٩١/٣٠.



وأخبر القرآن عن هذه الزلزلة في موضع آخر منه فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا أَلْتَّاسُفُ﴾ [الحج: ١]. قيل: هي كائنة في الدنيا^(١). و«الزلزلة شدة الحركة»^(٢). وهذا التكرير إشارة إلى تكرير معنى الاضطراب والزلل^(٣). أو زلزالها المعهود المخبر عنه من قبل الأنبياء والمرسلين ذلك الزلزال العظيم المهول. والآية (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) في موضع السبب والعلّة للأمر بالتقوى كما يفيد حرف التوكيد في مقام خطاب لاخيّارٍ للسامع فيه ولا تردد.

والتعليل يقتضي أن لزلزلة الساعة الدالة على عظيم قدرة الله أثراً في الأمر بالتقوى، وهو أنه وقت لحصول الجزاء على التقوى وعلى العصيان.

وإضافة (زلزلة) إلى (الساعة) على معنى (في) والمعنى: الزلزلة التي تحدث وقت حلول الساعة، أي: زلزلة لا أمل بالحياة بعدها في الدنيا، وإنما زلزلة مشعرة بقيام الساعة وموت الخلائق إلى أن يأذن الله بالبعث من جديد. وجوز أهل التأويل أن تكون الزلزلة في الدنيا، أو في وقت الحشر. وغلب الكثير من أهل التأويل حمل الزلزلة على الحقيقة. وهي حاصلة عند الإشراف على نهاية نظام العالم الدنيوي، فإضافتها إلى الساعة إضافة حقيقية.

(١) ينظر: جامع البيان: ١٠٩/١٧، وينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي. هامش تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف: علاء الدين البغدادي: ٢٩٨/٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٣/١٢، وينظر: هامش تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تأليف: أبي البركات النسفي: ٢٩٨/٣.

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٨٢.



والإتيان بلفظ (شيء) للتهويل بتوغله في التنكير ولتذهب نفس السامع فيه كل مذهب ممكن، فلا يتصور أمراً محدداً، وكل أمر مهول مخيف مفرع لهو جائر الحصول، ولو تعين الحدث وعلمت حيثياته لخف أمره مهما كان صعباً. فالأمر المجهول تحار له النفوس وتشتد وطأته عليها. فالمعنى: أن زلزلة الساعة غير معروفة إلا أنها شيء مهول عظيم، وهذا من المواقع التي يحسن فيها موقع كلمة (شيء). قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾، استعارة في الموضع للقوي الشديد. والمقام مقام إفادة بأنه شديد الإخافة وشديد الهول وشديد الشر بمن يقع فعله عليه^(١).



■ (زلم)

الْأَزْلَمُ الْجَدْعُ يقال: إِنَّهُ الدَّهْرُ^(٢)، ويقال إِنَّ الْأَسَدَ يُسَمَّى الْأَزْلَمَ الْجَدْعُ^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مرتين. دلت الصيغة المعرفة الجمعية المتصدرة بالباء ﴿يَلْأَزْلَمُ﴾ على ما يشعر بالقدرة.

تجلّت هذه الدلالة في سياق المحرمات. قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّتُكُمْ وَأَدُلُمُ الْإِنْتِزِيرِ وَمَا أَهْلُ لَعْنٍ إِلَّا لَعْنُ اللَّهِ يَدُهُ وَالْمُنْخَنَقَةُ وَالْمُفَوَّذَةُ وَالْمُتَرَدِّدَةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّيِّئُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْلَقِيسُوا يَلْأَزْلَمُ﴾ (المائدة: ٣)، أي: ثلاثة أقداح. مكتوب على أحدها: أمرني ربي. وعلى الآخر: نهاني ربي. والثالث غُفْل، فإن خرج الأمر مضوا على ذلك، وإن

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٧/١٧، ١٨٨.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، ١٩/٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.



خرج الناهي تجنبوا عنه، وإن خرج الغُفْل أجلوها ثانياً، فصار معنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم لهم بالأزلام^(١).

أي: إنهم كانوا يعتقدون أن في الأزلام قدرة ترشد إلى ما يشتهون وما فيه خيرهم، وتمنع وتحول بين وقوع الأذى بهم، فتأمرهم بالكف والانتها. لذا كانوا ينفذون ما تأمرهم به تلك الأقداح.

وكانت لهم أزلام أخرى عند كل كاهن من كهانهم، ومن حكامهم، وكان منها عند (هُبَل) في الكعبة سبعة قد كتبوا على كل واحد شيئاً من أهم ما يعرض لهم في شؤونهم كتبوا على أحدها العقل في الدية، إذا اختلفوا في تعيين من يحمل الدية منهم، وأزلام لإثبات النسب، مكتوب على واحد «منكم» وعلى واحد «من غيركم»، وفي آخر «مُلْصَق».

وكانت عندهم أزلام لإعطاء الحق في المياه إذا تنازعوا فيها. وبهذا استقسم عبد المطلب حين استشار الآلهة في فداء ابنه عبد الله من التَّذْر الذي نذره أن يذبحه إلى الكعبة بعشر من الإبل، فخرج الزلم على عبد الله فقالوا له: أرض الآلهة فزاد عَشراً حتى بلغ مائة من الإبل فخرج الزلم على الإبل فنحرها^(٢).



(زمر)

من دلالات المادة (زمر) في اللغة دلالتها في إحدى صيغها على الجماعة. فالزُّمْرَةُ: الجماعة^(٣).

(١) ينظر: البضاوي، ٢٥٥/١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ٩٧/٦، ٩٨.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، ٢٤/٣ (زمر).

أما في القرآن فقد وردت مرتين. دلت الصيغة «زُمَرًا» على الجماعة الفائزة والفوز قدرة.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَسَيَقُ الَذِيكَ اَنُتَقُوا رَهْمَ إِلَى الَجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ١٧٣]، قيل: في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة: الشهداء، والزهاد، والعلماء، والقراء وغيرهم. وهؤلاء قد مكنوا من دخول أعلى درجات الجنة إذ إن (حتى) هي التي تُحَكِّي بعدها الجمل، والجمل المحكية بعدها هي الشرطية، إلا أن جزاءها محذوف، وإنما حذف لأنه صفة ثواب أهل الجنة، فدلّ بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف، وقيل: حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها، أي: مع فتح أبوابها. وقيل: أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها. وأما أبواب الجنة، فمتقدم فتحها بدليل قوله: ﴿حَتَّى عَدْنِ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠]، فلذلك جيء بالواو، كأنه قيل: حتى إذا جاؤوها وقد فتحت أبوابها. فإن قلت: كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ السوق؟ قلت: المراد بسوق أهل النار: طردهم إليها بالهوان والعنف، كما يفعل بالأسرى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، والمراد بسوق أهل الجنة: سوق مراكبهم، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين، وحثها إسراعاً بهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمن يشرف ويكرّم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين. معنى هذا أن زمر أهل الجنة في منتهى التكريم والإعزاز. إذ هم يتمتعون بقدرة وتمكين^(١).

إذا أطلق السوق على طريقة المشاكلة، والمشاكلة من المحسنات، وهي عند التحقيق، من قبيل الاستعارة التي لا علاقة لها إلا المشابهة الجُمليّة التي تحمل عليها مجانسة اللفظ. وجعلهم زُمَرًا بحسب مراتب التقوى^(٢).

(١) ينظر: الكشف، ١٤٩/٤، ١٥٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ١٣٧/٢٤.



■ (زَمْهَرِيرًا)

يقال: ازمهَرت الكواكب؛ وذلك أنه إذا اشتد البرد زهَرت إذا وأضاءت^(١).

أما في القرآن فقد وردت (مرّة) واحدة. دلت الصيغة المنكرة «زَمْهَرِيرًا» على الهواء البارد الشديد البرودة.

تجلّت هذه الدلالة في سياق نفي أن يكون في الجنة ما يؤدي قاطنيها. قال تعالى: «مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا» [الإنسان: ١٣]، أي: يمتزّ عليهم هواء لطيف لا حارّ محم ولا بارد مؤذ^(٢). معناه: أن الزمهرير هو هواء بارد مؤذ يدل على شدّة برودته وقوّة تأثيره.



■ (زَنْجَبِيل)

الزنجبيل معروف^(٣). والزَّجْبِيل: الخَمَرُ^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (مرّة) واحدة. دلت الصيغة المنكرة «زَنْجَبِيلًا» على تمكين المنعمين في الجنة.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار عن جزاء الصابرين الجنة والحريـر وأصنافاً كثيرة ذكرها سبحانه. قال تعالى: «وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَائِبُهُمْ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَنْزِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِتَابِعٍ مِّن فِضَّةٍ وَآكَوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ مَدْرُوهَا لَقِيرًا *

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ٥٥/٣.

(٢) ينظر: البيضاوي، ٥٥٣/٢.

(٣) ينظر: تهذيب الصحاح، ٦٥٧/٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.



وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَمَشًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ [الإنسان: ١٢-١٧]، أي: اسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار. أو اسم العين التي يشرب بها المقربون صرفاً وتمزج لسائر أهل الجنة. أو هي عين في الجنة يوجد فيها طعم الزنجبيل. وقيل: إنَّ فيه معنى الشراب الممزوج بالزنجبيل. والمعنى: كأنَّ فيها زنجبيلًا^(١).

ولأنَّ الزنجبيل ذُكِرَ على أنه واحد من النعم التي سيتنعم بها أهل الإيمان فهو أعظم من أن يحيط بفوائده ولذا نذره بشر، فالعقل يعجز عن وصف ما في الجنة من أسباب النعيم، فدلَّت الصيغة (زنجبيلًا) على التمكن.



(زهد)

الرَّهَادُ: الأرض التي تسيل من أدنى مطر^(٢).

وقالوا: «خُذْ رَهْدًا مَا يَكْفِيكَ»، أي: قَدَّرَ ما يكفيك^(٣).

وقيل: زَهَدَتِ النَّحْلُ، وذلك إذا خَرَصَتْهُ^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (مرّة) واحدة. دلت الصيغة الجمعية المعرفة ﴿الرَّاهِدِينَ﴾ على قدرة الزاهد وهوان المزهود فيه.

تجلَّت هذه الدلالة في سياق طويل يتحدث عن يوسف وإخوته: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلرَّاسِخِينَ * إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَهُ أَيُّكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٤٢/١٩.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، ٣٠/٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.



الْجَبِّ يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ • قَالُوا يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ • أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ • قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ • قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَيْرُونَ • فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ، وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَى إِلَيْهِ لَتُبْنَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ • وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ • قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ وَيَرْكَبُنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْنَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ • وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ، بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ • وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبْشَرُنِي هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ • وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ • (يوسف: ١٠-٢٠، أي: الراغبين عنه، والضمير في (وكانوا) إن كان للإخوة فظاهر، وإن كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه، لأنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه، وإن كانوا مبتاعين فلائهم اعتقدوا أنه أبق^(١).

وفي الحالات كلها فإن الزاهدين جماعة، والجماعة قدرة وتمكين على أنه أي: المزهود فيه في كل الأحوال موقفه الضعف.

٢ ٢ ٢

❧ (زهر)

الزاء والهاء والراء أصلٌ واحدٌ يدل على حُسنٍ وضياء وصفاء^(٢). من ذلك الزُهْرَةُ: النجم^(٣)، ومنه الزَّهْر، وهو نور كل نبات^(٤)؛ يقال: أزهر

(١) ينظر: البيضاوي، ٤٧٩/١.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، ٣١/٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

النَّبات^(١). وكان بعضهم يقول: السُّور الأبيض، والزَّهر الأصفر^(٢)، وزهرة الدُّنيا: حُسْنُهَا^(٣). والأزهر: القمر^(٤). ويقال: زَهَرَتِ النَّارُ: أضاءَتْ^(٥)، ويقولون: زَهَرَتْ بِكَ نَارِي^(٦). ويقال: ازدهرتُ بالشَّيءِ، إذا احتفظتَ به^(٧). لأنه إذا احتفظ به فكأنه من حيث استحسنته^(٨).

أما في القرآن فقد وردت (مرّة) واحدة. دلت الصيغة المنكرة المفردة ﴿زَهَرَةً﴾ على البهجة المشعرة بالقدرة.

تجلّت هذه الدلالة في سياق النهي: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١]، أي: زينة الحياة وبهجتها بما يروق العين بسبب جمال المنظر. وهو تمكين لأولئك الأزواج في هذه الدنيا مما تحبه نفوسهم وتشتهيه وتسعد به وتلتذ وتقوى^(٩).



■ (زوج)

تدل المادة (زوج) في اللغة وفي بعض صيغها على مقارنة شيءٍ لشيءٍ^(١٠). من ذلك: الزَّوْجُ زوج المرأة. والمرأةُ زوجَ بعلها^(١١).

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

(٧) ينظر: المصدر نفسه.

(٨) ينظر: المصدر نفسه.

(٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٦٢/١١.

(١٠) ينظر: مقاييس اللغة، ٣٥/٣ (زوج).

(١١) المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (٨١) مرّة. دلت الصيغة الجمعية ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ المسبوقة بالواو على التمكين والقدرة إذ إنّ من يمكن من الزواج بالهور العين لهو في منتهى القدرة. ولا يحصل على مثل هذا التكريم إلا من رضي الله عنه، ومن رضي الله عنه فاز ونجح واقتدر وتمكن بتمكين الله له.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الإخبار: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّةٍ وَبَعِيرٍ * فَتُكْهِمُونَ بِمَاءِ أُنْهَمُ رُبُّهُمْ وَوَقَعْتُمْ رُبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كَلُّوا وَأَسْرَبُوا هَيْتًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ (النور: ١١-٢٠). إشارة إلى النعمة الرابعة وفيها أيضاً ما يدل على كمال الحال: فالله سبحانه هو المزوج وهو يتولى الطرفين يزوج عباده الذين رضي عنهم بإمائه. ومن يكون كذلك لا يفعل إلا ما فيه راحة العباد والإماء. وقوله (وزوجناهم بحور) ولم يقل وزوجناهم حوراً مع أن لفظة التزويج يتعدى فعله إلى مفعولين بغير حرف يقال: زوجتكها قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ (الأحزاب: ٣٧) وذلك إشارة إلى أن المنفعة في التزويج لهم وإنما زوجوا للذمتهم بالهور لا للذة الحور بهم، وذلك لأن المفعول بغير حرف يعلق الفعل به، كذلك التزويج تعلق بهم ثم بالهور، لأن ذلك بمعنى جعلنا ازدواجهم بهذا الطريق وهو الحور. ولم يقتصر الأمر على التزويج بالزوجات بل وصفهن بالحسن واختار الأحسن من الأحسن، فإن أحسن ما في صورة الآدمي وجهه، وأحسن ما في الوجه العين، ولأن الحور والعين يدلان على حسن المزاج في الأعضاء ووفرة المادة في الأرواح، أما حسن المزاج فعلامته الحور، وأما وفرة الروح فإنّ سعة العين بسبب كثرة الروح^(١).

(زود)

«الزاء والواو والذال أصلٌ يدلُّ على انتقالٍ بخيرٍ، من عملٍ أو كسبٍ»^(١)
 قيل: كلُّ مَنْ انتقل معه بخيرٍ من عملٍ أو كسبٍ فقد تزوَّد^(٢). وتعني تأسيس
 الزاد، ويقال له الزُّود وهو الطعام يُتَّخَذُ للشُّفر^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٨) مرات. دلَّت صيغة الأمر المصدرة بالواو
 ﴿وَكَزَّوْذُوا﴾ على الأمر بفعل ما يوصل إلى القدرة والتمكين في الآخرة.

تجلَّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾
 [البقرة: ١٩٧]. وهو معطوف على قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾
 باعتبار ما فيها من الكناية عن الترغيب في فعل الخير، والمعنى: وأكثرُوا من
 فعل الخير يرضى عنكم الله فيمكنكم من جنته نعيمه^(٤). فالتزود مستعار
 للاستكثار من فعل الخير استعداداً ليوم الجزاء شبه بإعداد المسافر الزاد
 لسفره بناءً على إطلاق اسم السفر والرحيل على الموت^(٥). أي: لما ثبت أن
 خير الزاد التقوى فاشتغلوا بتقواي يا أولي الألباب، يعني: إن كنتم من أرباب
 الألباب الذين يعلمون حقائق الأمور وجب عليكم بحكم عقلكم ولبكم أن
 تستغلوا بتحصيل هذا الزاد لما فيه من كثرة المنافع كتخليصك من عذاب
 متيقن دائم ويوصلك إلى لذات باقية خالصة عن شوائب المضرة، آمنة من
 الانقطاع.

٢ ٢ ٢

(١) مقاييس اللغة: ٣٦/٣ (زود).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٦/٣ (زود).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣١/٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.



■ (زول)

قال ابن فارس: «الزاء والواو واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تَنَحِّي الشيء عن مكانه»^(١). يقال: زَالَ الشيءُ زوالاً، وزَالَتِ الشمسُ عن كِبِدِ السماءِ نزولُ، ويقال: أَزَلُّهُ عن المكانِ وَزَوَّلْتُهُ عَنْهُ»^(٢). «والزَّوَالُ يقالُ في شيءٍ قد كَانَ ثابتاً قَبْلُ»^(٣).

أما في القرآن: فقد وردت (١٠) مرات. دلت الصيغة ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ على القطع والتفريق الدال على قدرة الله في سياق الحديث عن الحشر يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِنَّا نَكُنُّوهُمْ﴾ [يونس: ٢٨]. قطعنا ما كان بينهم من صلة في الدنيا^(٤). قيل: «ليست من زُلْتُ؛ إنما من زِلْتُ ذا من ذا؛ إذا فرقت أنت ذا من ذا. وقال: (فزيلنا) لكثرة الفعل. ولو قُلَّ لقلت: زِلْ ذا من ذا؛ كقولك: مِرْ ذا من ذا»^(٥).

قال الزمخشري: «ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم. والوصل التي كانت بينهم في الدنيا. والوصل التي كانت بينهم في الدنيا. أو فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف»^(٦).

قفوا حيث أنتم ولا بد أن يكونوا قد جمدوا في أماكنهم. فالأمر يومئذ للنفاذ، ثم فرق بينهم وبين شركائهم، وحجز بينهم في الموقف بقدرته

(١) معجم مقاييس اللغة: ٣/٣٨، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٨٧، وينظر: عمدة الحفاظ: ١٥٤/٢ (زول).

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٣/٣٨، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٨٧ (زول).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٨٧، عمدة الحفاظ: ١٥٤/٢ (زول).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨/٣٣٣.

(٥) معاني القرآن: ١/٤٦٢.

(٦) الكشف: ٢/٣٢٢.



القاهرة، فوضع المربوبين موقف المجادل عن نفسه طلباً للنجاة والبراءة ممن أشركوهم بالله جل جلاله، وفي ذلك الوقت ينكشف الموقف عن إله واحد يرجع إليه الجميع، وما سواه باطل وزاهق^(١).

وعطف (فزيلنا) بفاء التعقيب لإفادة حصول ذلك في عقب وقت الأمر باللبث. ولما كانت الفاء تقتضي الترتيب الزمني في حصول معطوفها إثر المعطوف عليه وكان المقصود هنا أن التزييل حصل مقارناً لإلزامهم المكان غَبَرَ عن فعل التزييل بصيغة الماضي لإفادة تحقيق وقوع التزييل كقوله: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ (وَزَيْلٌ): مضاعف (زال) المتعدي. يقال: زاله عن موضعه يزيله بمعنى أزاله فجعلوه يائي العين للتفرقة بينه وبين زال القاصر الذي هو واوي العين، فَزَيْلٌ فعل للمبالغة في الزيل، مثل: فَرَّقَ مبالغة في فرق. والمعنى: وقع بينهم تفريق قوي بحيث انقطعت جميع الوصل التي كانت بينهم. والتزييل هنا مجازي فيشمل اختلاف القول. وتعليق التزييل بالأصنام باعتبار خلق معناه فيها حين أنطقها الله بما يخالف زعم عبادها^(٢). في ذلك اليوم الذي يتم فيه تقطيع الصلات، وتهدم كل أسس العلاقات الباطلة والقائمة على التزييف، وتنقسم فيه عرى التواصل والتلاقي الحسي والمعنوي بين التابع والمتبوع، ولم يبق من صلة حتى لو كانت أوهى من خيط العنكبوت بين هؤلاء الكافرين والمشركين والمنافقين. عندها يدرك هؤلاء قدرة الله جليلة واضحة، يدركونها عملياً حيث نفذ فيهم قضاؤه وقدره.

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ١١/١٧٨٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١١/١٥١.



■ (زيت)

الزيتون معروف، الواحدة زيتونة^(١).

أما في القرآن فقد وردت (٧) مرات. دلت الصيغة المنكرة ﴿زَيْتُونَا﴾ على نوع من الشجر ثمره ينتج الزيت المفيد لمن يدهن به ويستعمله غذاءً.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الدعوة إلى التفكير المفضي إلى معرفة الله حقاً: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ ﴿وَعَبًّا وَقَنْبًا﴾ ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ [عبس: ٢٤-٢٩]، أي: الثمر الذي يعصر منه الزيت المعروف بفوائده^(٢).

واستعمل القرآن في موضع منه الصيغة المفردة المنكرة ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ ليدل على ما فيها من نفع قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجْجَةٍ الزُّجْجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرٍ مُبَارَكٍ زَيْتُونَةٍ﴾ (النور: ٣٥)، وصفها أي: الزيتونة بأنها مباركة لما فيها من كثرة النفع فإنها يُستفَعُّ بحبها أكلًا وبزيتها طعاماً، ويستنار بزيتها، ويدخل في أدوية وإصلاح أمور كثيرة، وينتفع بحطبها وهو أحسن حطب، لأن فيه المادة الدهنية. قال تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾^(٣)، وينتفع بجودة هواء غاباتها^(٤).

وتجلّت الدلالة نفسها في سياق آخر من القرآن: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَخْرُجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ [الأنعام: ١٩٩].

(١) ينظر: تهذيب الصحاح، ١/١٠٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ٣٠/١٣٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ١٨/٢٤٠.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ١٨/٢٤٠.

ذُكِرَا في مقام التذكير بعجيب صنع الله تعالى ومِيتِهِ، فدل ذلك على أنهما من نعم الله العظيمة على الخلق، يتمكن بهما الإنسان ويقوى مادياً وصحياً^(١).

٢٠ (زيد)

تدور مادة (زيد) في اللغة حول الكثرة. زاد الشيء يزيده زيداً وزيادة بمعنى نما وكثر^(٢). ويقال: شيء كثير الزيادة، أي: كثير الزيادات^(٣). ولِلْأَسَدِ زَيْدٌ يَتَزَيَّدُ فِيهِ، وَصَوْلَةٌ يَتَزَيَّدُ فِيهَا^(٤). وَالزِّيَادَةُ تَعْنِي التَّمَوُّ. وَكَذَلِكَ الزُّوَادَةُ^(٥). وَالْمَزِيدُ يَعْنِي الزِّيَادَةُ^(٦).

أما في القرآن: فقد وردت (٦٢) مرة في (٦١) موضعاً دالة على الازدياد بأسباب القوة. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحٍ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرَبِّ زَيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]. «هذا في الأجنحة التي جعلها الله لجبريل وميكائيل»^(٧). والزيادة في خلق الملائكة والرسول. من الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت^(٨)، والأولى أنها الزيادة في الخلق عموماً حسب ما تقتضي مشيئة الخالق وحكمته، فالآية مطلقة تتناول كل ما يزيده سبحانه في الخلق، من طول

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٤٠٢/٧.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٠/٣، وينظر: الصحاح: ٤٧٨/١ (زيد).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٠/٣ (زيد).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: الصحاح: ٤٧٨/١، ٤٧٩ (زيد).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) معاني القرآن: ٣٦٦/٢.

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٦١/٤.



قامة، واعتدال صورة، وتمام أعضاء، وقوة في الجسم، ورجاحة عقل، وسداد رأي، وقوة قلب، وسماحة نفس، وذلاقة لسان، ولباقة في التكلم، وتأن وترو في الأمور وما لا يحاط به من وصف^(١). يفعل ما يشاء، يزيد في الخلق ما يشاء، وينقص ما يشاء^(٢). لقد بين سبحانه في الآية كمال قدرته وهو يبين نفوذ مشيئته ونفاذ أمره^(٣). فيقول: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرِيلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ١٢].

قوله (يزيد) مستأنف استئنافاً بيانياً، لأن ما ذكر من صفات الملائكة يثير عجب السامع عن هذه الصفات العجيبة، ولابد من جواب تسكن إليه النفس المتعجبة، فكان الجواب بهذا الاستئناف أن مشيئة الله لا تنحصر ولا توقت. ولكل جنس من المخلوقات مقوماته وما يمتاز به عن غيره من الأجناس، فالمراد بالخلق: جميع المخلوقات، أي: يزيد الله في بعضها ما ليس في خلق آخر. من ذلك زيادة قوة بعض الملائكة على بعض. وقد يكون قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ صفة ثانية للملائكة، أي: أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في خلقهم ما يشاء، كأنه قيل: مثنى وثلاث ورباع وأكثر، وعليه فالمراد بالخلق ما خلقت عليه الملائكة من أن بعضهم له أجنحة تزيد على ما سواها من الملائكة. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تعليل لقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾، وفي هذا تعريض بالمنكرين لرسالة محمد ﷺ^(٤).

ومن الزيادة الدالة على قدرته تعالى: أن جعل طالوت يزيد عن بني إسرائيل ضخامة في البدن لحكمة يشاؤها تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ

(١) ينظر: الكشف: ٥٧٨/٣.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٣/٢٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥١/٢٢.



عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ، بَسَّطَهُ فِي الْعِلْمِ وَالْجَسَمِ ﴿البقرة: ٢٤٧﴾. أي: زاده طولاً وتامماً في الخلق^(١). «أعطاه من العلم والجسم قدراً يزيد على ما أعطى أهل زمانه»^(٢). فهو واسع ممتد، وامتداده أعظم في النفوس وأهيب في القلوب^(٣). بين تعالى أنه، أي: طالوت أهل للملك، وقرر ذلك بأنه حصل له وصفان: العلم والقدرة، وهذان الوصفان أشد مناسبة ليكون ملكاً. فالعلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية، والمال والجاه ليسا كذلك، ثم إن العلم والقدرة من الكمالات الحاصلة لنفس الإنسان على حين أن المال والجاه أمران منفصلان عنه. والعلم والقدرة لا يمكن سلبهما عن الإنسان، والمال والجاه يمكن سلبهما عن الإنسان، والقوي الشديد على المحاربة يكون الانتفاع به في حفظ مصلحة المملكة وفي دفع شر الأعداء أتم من الانتفاع بالرجل النسيب الغني، وعليه فإن إسناد الملك إلى العالم القادر، أولى من إسناده إلى النسيب الغني^(٤). كما احتج بنو إسرائيل قائلين: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ ﴿البقرة: ٢٤٧﴾. فالزيادة في القدرة الممنوحة لطالوت دلت على قدرة المانع سبحانه.

واستعمل هود عليه السلام أسلوب الترغيب في دعوته قومه إلى الله تعالى، فقال: ﴿وَتَقَوِّمُوا أَسْتَفْعِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَبَرُوا إِلَيْهِ يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ٥٢). والمفسرون في تأويل الزيادة في الآية على وجوه: الأول: يزيدكم أولاداً لأنهم قوة. والثاني: يزيدكم قوة في النعمة التي لكم. والثالث: «ويزدكم قوة في أبدانكم»^(٥). فزيادة القوة

(١) ينظر: القرآن الكريم بهامشه كتاب نزهة القلوب: ص ٣٥.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٨٦.

(٣) ينظر: الكشف: ٢٨٨/١.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٨٨، ١٨٧/٦.

(٥) معاني القرآن وإعرابه: ٥٧/٣.



بكثرة العدد وصحة الأجسام وسعة الأرزاق من نتائج التوبة إلى الله والعودة إليه بالعبودية له وتوحيده دون شركاء وأنداد. لذا رغب هود عليه السلام قومه بهذه النعم ليتوبوا.

وقوله: ﴿إِلَى قَوْمِكُمْ﴾ متعلق بـ (يزدكم). وتعديته بـ (إلى) لتضمينه معنى يضم. وهذا وعد لهم بصلاح الحال في الدنيا^(١).



❏ (زيع)

تدل مادة (زيع) في اللغة على المِيل والانحرافِ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ^(٢)
يقال: زَاعَتِ الشَّمْسُ تَزِيعُ زَيْعاً إِذَا مَالَتْ^(٣). زَيْعُ الْعُودِ وَأَقَامَ زَيْعُهُ
وَاعْوَجَّاجُهُ^(٤). وَزَاعَ عَنْهُ وَأَزَاعَ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَقَوْمٌ زَائِعُونَ وَزَاغَةُ^(٥).

أما في القرآن: فقد وردت (٩) مرات في (٨) مواضع. دلت الصيغة ﴿أَزَاعَ﴾ على قدرة الله في التحكم في القلوب.

يبين القرآن دلالة القدرة الإلهية على إمالة قلوب الكافرين والفاسقين عن الهدى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصفا: ٥].

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٩٦/١٢، ٩٧.

(٢) ينظر: أساس البلاغة: ٤١٥/١ (زيع).

(٣) ينظر: المصباح المنير: ٢٦١/١ (زاغت).

(٤) ينظر: أساس البلاغة: ٤١٥/١ (زيع).

(٥) المصدر نفسه.



أي: فلما زاغوا عن الحق منع ألطافه عنهم^(١). وأمال قلوبهم عن الحق والهدى وأضلهم جزاء ما عملوا لما سبق في علمه أنهم فاسقون^(٢).

فهم لما تركوا الأمر باحترام رسولهم ﷺ وتركوا طاعة ربهم، خلق الله الضلالة في قلوبهم عقوبة على فعلهم^(٣). لما فارقوا الاستقامة عاملهم ربهم بذلك^(٤). فمخالفة أمر رسولهم جلبت لهم الإزاغة، فلم ينفكوا عن الضلال بعد تمكن الزيغ في قلوبهم^(٥). فالله سبحانه بيده الهداية وبيده الإزاغة، فمن كتب له الهداية بقدرته نجا من العقوبة وفاز بالمشوبة، ومن أزاعه عن الهدى هلك، ولو أن الكافرين يستحقون الهداية لهداهم؛ ولو أنهم أطاعوا رسولهم لمكنهم من الهداية، ولكانوا من الفائزين الناجين من عقاب الله. فلأنهم مالوا عن الحق أمال قلوبهم عن الهدى والحق، لأنه سبحانه مقلب القلوب يصرفها كيف يشاء.

وإزاغة القلوب من دلائل قدرة الله فهو القادر على ذلك، لذا نجد المؤمنين يدعون ربهم ألا يزيغ قلوبهم عن الهدى بعد أن هداهم للإيمان. قال تعالى على لسان المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَوْحَاهُ﴾ [آل عمران: ٨]. ربنا لا تبلنا ببلايا تزيغ لها قلوبنا^(٦). ولا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا^(٧). ولا تكلفنا من العبادات ما لا نأمن معها

(١) ينظر: الكشف: ٥١٢/٤.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٣١٣/٢٩.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨٣/١٨.

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٨٧.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧٩/٢٨.

(٦) ينظر: الكشف: ٣٣٤/١.

(٧) الكشف: ٣٤٤/١.



الزيف^(١). لأن قلب الإنسان صالح لأن يميل إلى الإيمان وصالح للميل إلى الكفر، ويمتنع ميله إلى أحدهما إلا عند حدوث داعية وإرادة يحدثها الله تعالى، فإن كانت تلك الداعية داعية الكفر، خذله وأزاعه وصدّه ثم ختم على قلبه، وطبعه بمطابع الكفر، وإن كانت الداعية داعية الإيمان وفقه، وأرشدّه، وهداّه، وسدّدّه، وثبّتّه، وعصمه من الذنوب؛ لذا كان ﷺ يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(٢) ولما آمن الراسخون في العلم بكل ما أنزل الله تعالى من الآيات المحكمات والمتشابهات تضرعوا إليه سبحانه وتعالى في أن لا يجعل قلوبهم تميل إلى الباطل بعد أن جعلها تميل إلى الحق^(٣).

فلو لم تكن الإزاعة منه سبحانه، وهو على ذلك لقادر لما جاز أن يدعى في دفع ما لا يجوز عليه فعله^(٤).

وما ينقاس على العبيد والمخلوقين لا ينقاس على الخالق. فالخالق يفعل ما يريد بخلقه، ولا يجوز الاعتراض على ما يفعل؛ لأنه الأعلّم بما خلق، وفعله الحق والعدل، ولا يسأل عما يفعل، وهو المتصرف في خلقه، وموازينه تعالى لا تحيط بها موازين، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء. (والله لا يهدي القوم الفاسقين)؛ أي: سبق في علمه أنه فاسق فلم يهده^(٥)، فالآية:

(١) التفسير الكبير: ١٩٤/٧.

(٢) الجامع الصحيح سنن الترمذي: ٤٤٨/٤، المعجم الكبير. المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني م (٣٦٠). مكتبة العلوم والحكم. الموصل سنة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م ط ٢. حققه حمدي بن عبد المجيد السلفي: ٢٦١/١، وينظر: المستدرک على الصحيحين: ٣٥٧/٤.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٩٣/٧، ١٩٤.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٤.

(٥) المصدر نفسه.



دعاء علمه النبي ﷺ تعليمًا لأمته؛ لأن الموقع المحكي موقع عبرة ومثار هواجس الخوف من سوء مصير الذين في قلوبهم زيغ. فما هم إلا من عقلاء البشر، لا تفاوت بينهم وبين الراسخين في الإنسانية، ولا في سلامة العقول والمشاعر، فما كان ضلالهم إلا عن حرمانهم التوفيق، واللفظ، ووسائل الاهتداء. فزيغ القلب يتسبب عن عوارض تعرض للعقل: من خلل في ذاته، أو دواع من الخلطه أو الشهوة، أو ضعف الإرادة، تحول النفس عن الفضائل المتحلية بها إلى رذائل كانت تهجس في النفس. ولا يدري المؤمن العاقل الحكيم المهذب: أية ساعة تحل به أسباب الشقاء، وكذلك لا يدري الشقي أية ساعة تحل به أسباب الإقلاع عما هو متلبس به من تغير خلق، أو خلق. قال تعالى: ﴿وَنَقْلُ آبْدَانِهِمْ وَأَبْصَرُهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠]. ولذا نجد القرآن يقرن الثناء بالتحذير، والبشارة بالإنذار. فبيده سبحانه منح دواعي الخير، وبيده منع دواعي الزيغ والشر. فمن أراد له الشقاء خلى بينه وبين دواعي الزيغ والشر فيهلك^(١). ولذا كان دعاء المؤمنين ربهم القادر على الإزاعة ألا يزيغهم بعد أن هداهم للإيمان.



(زين)

تدل المادة (زين) في اللغة على الحسن. فالزَيْن نقيض الشَيْن^(٢). يقال: زَيَّت الشيء تزيينًا^(٣). وَأَزْيَنْتِ الْأَرْضُ وَأَزْيَنْتِ وَازدانت إذا حَسَّنَهَا عَشْبَهَا^(٤).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦٩/٣، ١٧٠.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤١/٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (٤٦) مرة. دلت الصيغة ﴿زَيْنًا﴾ على القدرة.

تجلّت الدلالة على قدرته تعالى في تزيينه سبحانه السماء الدنيا بالكواكب. قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصفات: ٦]. والنور والضوء أحسن الصفات وأكملها، فهو المنظر العجيب في الليلة الظلماء حين تظهر هذه الجواهر الزواهر مشرقة لامعة ومتلألئة على ذلك السطح الأزرق البهي الجميل، إنه حقاً لخلق يشي ويشعر بالقدرة الخالقة العظيمة^(١).



(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٢٠/٢٦.

حرف السين

﴿سأل﴾

السين والهمزة واللام كلمة واحدة. يقال: سأل يسأل سؤالاً^(١). ورجل سؤلة: كثير السؤال^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (١٢٩) مرة. دلت الصيغة الجمعية ﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ على ما يدل على الاقتدار والإشعار بذلك.

تجلت هذه الدلالة في سياق التذكير بمن الله وفضله قال تعالى: ﴿وَمَا سَأَلْتُمُوهُ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

قوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ تأكيد للتذييل وزيادة في التعميم، تنبيهاً على أن ما آتاهم الله كثير، منه معلوم، وكثير منه لا يحيطون بعلمه أو لا يتذكرونه عند إرادة تعداد النعم.

والمعنى: آتاكم قدرات كثيرة تتقوون بها، فهي نعم لا حصر لها، منها ما يحصى ومنها ما يغفل عنها. فالإنسان لا يسأل إلا ما يقويه وينفعه. أعطاكم

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ١٢٤/٣ (سأل).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

بعضاً من جميع مرغوباتكم الخارجة عن اكتسابكم بحيث شأنكم فيها أن تستقدروا الله إياها، وذلك مثل توالد الأنعام، وإخراج الثمار والحب، ودفع العوادي عن جميع ذلك: كدفع الأمراض عن الأنعام، ودفع الجوائح عن الثمار والحب^(١).

وتجلت الدلال على قدرة السائل على المسؤول في سياق القسم والتهديد والوعيد: قال تعالى: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَتَّكِنَنَّهَا أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢].

ووصف الرب مضافاً إلى ضمير النبي صلى الله عليه وآله وسلم إيماء إلى أن في السؤال المقسم عليه حظاً من التنويه به، وهو سؤال الله المكذبين عن تكذيبهم إياه سؤال رب يغضب لرسوله ﷺ والسؤال مستعمل في لازم معناه وهو عقاب المسؤول^(٢) لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُنَازِلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

٢ ٢ ٢

■ (سَام)

تدُلُّ هذه المادة في اللغة على الملل، يقال: «سَيِّمَ الشَّيْءَ وَمِنْهُ كَفَرِيحٌ، سَامًا وَسَامًا وَسَامَةً، وَسَامَةً وَسَامًا: مَلًّا، فَهُوَ سَوْوَمٌ، وَأَسَامَتُهُ»^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرات: دلت، الصيغة المنفية «يَسْتَمُونَ» على الجد الدال على القدرة.

تجلت هذه الدلالة في سياق النهي عن السجود لغير الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَلَيْلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥٩/١٢)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٦٩/١٣).

(٣) القاموس المحيط مادة (سَام).



خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧-٣٨].

أي: لا يملون السجود، معناه: أنهم في نشاط دائم ورغبة في إدامة السجود وشغف بحب الله وانقطاع له، وهذا من أعلى مراتب القدرة، لأن القدرة على الطاعة أشرف قدرات العبد وأعلىها مرتبة^(١).

❦ ❦ ❦

❦ (سبب)

السَّبَب: الحَبْلُ، وكلُّ شيء يُتَوَصَّلُ به إلى غيره^(٢). والسَّبَب: المَفَازة^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (١١) مرة. دلت الصيغة (بسبب) على ما يؤدي إلى التمكين.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار عن ذي القرنين: ﴿وَسَتَلَوْنَا عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَانَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ﴾ [الكهف: ٨٣-٨٤] أي: ما يتوصل به إلى الشيء من علم أو مقدرة أو آلات التسخير^(٤).

وتجلت الدلالة على ما يوصل إلى القدرة والتمكين في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرَوْا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ [ص: ١٠]. أي: إن كان لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فكان لهم شيء من ذلك

(١) ينظر: البيضاوي (٣٥٤/٢)

(٢) ينظر: تهذيب الصحاح: ٦١/١ (سبب).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢٤/١٦)



فليصعدوا إن استطاعوا في أسباب السماوات ليخبروا حقائق الأشياء فيتكلموا عن علم في كنه الإله وصفاته وفي إمكان البعث وعدمه وصدق الرسول ﷺ أو ضده وليفتحوا خزائن الرحمة فيفيضوا منها على من يعجبهم ويحرموا من لا يرمقونه بعين استحسان. والتعريف في «الْأَسْبَابِ» لعهد الجنس لأن المعروف أن لكل محل مرتفع أسباباً يصعد بها إليه^(١).

وتجلت الدلالة نفسها في سياق الطلب إذ أمر فرعون وزيره هامان أن يبني له صرحاً يصل من خلاله إلى إله موسى.

قال تعالى على لسانه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ آبَنِي صَرِمًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابِ ۝ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] أي: إلى طرق السماوات، وجيء بهذا الأسلوب من الإجمال ثم التفصيل للتشويق إلى المراد بالأسباب وتفضيماً لشأنها وشأن عمله لأنه أمر عجيب^(٢).

٢ ٢ ٢

■ (سبح)

تدل مادة (سبح) في اللغة على العوم في الماء. فالسَّبَاحَةُ هي العَوْمُ في الماء^(٣). ومن دلالاتها الصلاة: سُبْحَةٌ^(٤). وتعني التنزيه. فمن يُسَبِّحُ الله فقد نَزَّهَهُ، إذ التَّسْبِيحُ تَنْزِيهُهُ اللهُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ^(٥). ومن المجاز: الْخَيْلُ حَسَنَةٌ مَدَّ اليدين في الْجَزْيِ سَابِجٌ^(٦).

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢١٧/٢٣)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٤٦/٢٤).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٢٥/٣، ١٢٦، وينظر: الصحاح: ٣٧٢/١ (سبح).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (٩٢) مرة في (٩١) موضعاً. دلت الصيغة ﴿زَمْهَرِيرًا﴾ (يَسْبَحُونَ) على الجريان. تجلت دلالة الجريان الدال على القدرة في سياق الإخبار أن الشمس والقمر يجريان كل في فلك يسبحون. قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]. ولأهل التأويل في قوله تعالى: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ وجوه: فمن قائل: يجرون في مدارات مخصوصة، أي: القمر والشمس والنجوم^(١). ولولا ذلك النظام في الجريان لتحطم الكون، كل له مسار يجري فيه. وقيل: يدورون^(٢). وهذا يومئ إلى أن الجريان ليس على استقامة على طول الخط بل جريان في مسارات دائرية وهذا الدوران ينتج عنه الليل والنهار. والقرآن حمل (يسبحون) على من يعقل لوصفها بالجريان والسباحة والإدراك والسبق^(٣). «إن جريان النجوم السيارة والمتغيرة والثابتة مثل المركبات الفضائية في الفضاء منذ مليارات السنين دون.. خطراً ودون انحراف.. ومناوراتها العجيبة إنما يدل على أن هناك رباً مهيباً وعظيماً مطلقاً يحيط علمه وقدرته بالكون كله وحكمته نافذة فيه»^(٤).

وقيل: إن للشمس والقمر والنجوم أجراماً تسبح فيها، لذا فإن حركاتها تختلف بحسب اختلاف أجرامها، ولهذه الكواكب والشموس والأقمار أيضاً عروض ورجوع واستقامة وبطء وسرعة. ولا يبعد من قدرة الله خلق مثل ذلك الأشياء، فبقدرته الله وجدت، والله موجدوها وموجد أجرامها، وموجد حركتها، وعرضها وطولها وبطئها، وسرعتها، وقربها، وبعدها^(٥).

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ص ٣١٨.

(٢) ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر: ص ٢٢٧.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٠٨٣/٢.

(٤) أسرار النجوم - حسين دميقران. ترجمة: باب علي الطاهر حميد. ط. أولى ١٩٨٨. مطبعة

الحوادث. بغداد: ص ٢٩.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٧٧/٢٦.



وقال المنجمون: الكواكب أحياء بدليل أنه تعالى قال: ﴿يَسْبَحُونَ﴾، وهذا الإطلاق لا يكون إلا على العاقل. ولا عبرة بما يقول السحرة. فالأصنام خوطبت على لسان إبراهيم عليه السلام في القرآن خطاب العاقل^(١): ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [الصفات: ٩٢]. وقوله: ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ مِثْلَ مَا يَخْلُقُ﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وكما هو معلوم أنها حجارة، أو خشب أو غير ذلك مما لا يعقل. والآية الكريمة التي تتحدث عن سباحة الشمس والقمر، الدالة على انفراده تعالى بالخلق والتدبير وكمال القدرة. هي زيادة في التعليم والعبرة أن للشمس سيراً لا يلاقي سير القمر، وأنَّ للقمر سيراً لا يلاقي سير الشمس، ولا يمر أحدهما بطرائق مسير الآخر، وأن الذي يظهر للناس من مشاهدات الشمس والقمر في جو واحد وفي حجمين متقاربين ليس إلا من تخيلات الأبصار. فأبعاد فلك الشمس تفوت أبعاد فلك القمر بمئات الملايين من الأميال، فبين سبحانه أنه بقدرته نظم أمر سباحة الشمس والقمر على صورة يستحيل معها اتصال إحدى الكرتين بالأخرى لمدى البعد الهائل بين المدارين. وقوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ عطف على قوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠]. والواو عاطفة ترجيحاً لجانب الإخبار بهذه الحقيقة على جانب التذليل، وإلا فحق التذليل^(٢) وما أضيف إليه (كلّ) محذوف، وتنوين (كلّ) تنوين عوض عن المضاف إليه المحذوف، فالتقدير: وكل الكواكب. وزيدت قرينة السياق تأكيداً بضمير الجمع في قوله تعالى: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ والمذكور الشمس والقمر وهما اثنان لا أكثر، وبهذا التعميم صار الكلام بمعنى التذليل^(٣).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٧٨، ٧٧/٢٦.

(٢) التذليل: (وهو تعقيب الجملة بجملة تشمل على معناها للتوكيد). الإيضاح في علوم

البلاغة: ص ٣٠٧.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣/٢٣، ٢٥.



وجيء بضمير (يسبحون) ضمير جمع مع أن المذكور في الآية الشمس والقمر لغرض إفادة التعميم، فذلك يشمل الشمس والقمر وجميع الكواكب، وهي حقيقة علمية سبق بها القرآن^(١). ويقسم الجليل ببعض مخلوقاته العظيمة الدالة على عظمة قدرته. قال تعالى: ﴿وَالَّتِي حَتَّ سَبْعًا﴾ [النّازعات: ٣]. أي: الملائكة جعل نزولها من السماء كالسباحة^(٢). وقيل: (الملائكة تسبح في الأبدان لإخراج الروح كما يسبح الغواص في البحر لإخراج شيء منه)^(٣). وحمل المعنى على النجوم تسبح في مساراتها^(٤). وقيل: (السفن)^(٥).

إنها الملائكة تسبح في مضيها وتسرع فتسبق إلى ما أمرت به، فتدبر بأمر الله أمور عباده كما رسم لها الجليل^(٦). والقسم بالمخلوقات العظيمة يراد به تحقيق ما بعده من الخبر، وفي هذا القسم تهويل المقسم به^(٧). فجاز أن يكون المراد بـ﴿وَالَّتِي حَتَّ سَبْعًا﴾ الملائكة السائرة في أجواء السموات وآفاق الأرض. وقوله: ﴿سَبْعًا﴾ مصدر مؤكد لإفادة التحقيق، والتنوين للتعظيم^(٨).

وسواء أكانت السابحات ملائكة، أم نجوماً تسبح في مساراتها، أم خيلاً تسبح لقتال المشركين والكافرين فإنها تدل على قدرة الله الخالق الذي جعلها بهذه القدرة، فمكّنها من فعل ما تفعل.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣/٢٣، ٢٥، ٢٦.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ٢٣٠/٣.

(٣) فتح القدير: ٣٧٣/٥.

(٤) ينظر: مجاز القرآن: ٢٤٨/٢.

(٥) معاني القرآن وإعرابه: ٢٧٧/٥.

(٦) ينظر: الكشاف: ٦٧٩/٤.

(٧) والتهويل يكون للتخويف. ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٩٢/١.

(٨) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٣/٣٠.

(سبط)

تدل المادة (سبط) في اللغة على امتداد شيء. يقال: أَسْبَطَ الرَّجُلُ إسباطاً، إذا امتدَّ وانبسط^(١). والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب^(٢). أما في القرآن فقد وردت (٥) مرات. دلت الصيغة الجمعـية «أَسْبَاطًا» على الأمم العظيمة والجماعات كثيرة العدد.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار عن بني إسرائيل: قال تعالى: «وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا أُمَمًا» [الأعراف: ١٦٠] بمعنى: وقطعناهم أمماً لأن كل سبط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد^(٣)، كأنه قال سبحانه: جعلناهم قدرات متعددة، كل قدرة لها سماتها وميزاتها.

**(سبع)**

أَرْضٌ مَسْبُوعَةٌ، بالفتح: ذات سبع^(٤). ويقال: سَبَعْتُ الْقَوْمَ أَسْبَعُهُمْ إذا أخذت سبع أموالهم^(٥). وقيل: هو سُبَاعِي الْبَدَنِ، إذا كان تَامَ الْبَدَنِ^(٦). والسَّبْع: واحدٌ من السَّبَاع^(٧). ويقال: سَبَعْتُهُ، إذا وَقَعَتْ فِيهِ، كأنه شبه نفسه بسبع في ضرره وعضبه^(٨). وَسَبَعَتِ الذَّنَابُ الْغَنَمَ، إذا فرستها وأكلتها^(٩).

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ١٢٨/٣ (سبط).

(٢) ينظر: تهذيب الصحاح: ٤٥٤/٢ (سبط).

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٣٦/٨).

(٤) ينظر: تهذيب الصحاح: ٤٩١/٢ (سبع).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ١٢٨/٣ (سبع).

(٦) ينظر: المصدر السابق.

(٧) ينظر: المصدر السابق.

(٨) ينظر: المصدر السابق.

(٩) ينظر: المصدر السابق.



أما في القرآن فقد وردت (٢٨) مرة. دلت الصيغة المعرفة «السَّبْعُ» على الحيوان القوي المفترس.

تجلت هذه الدلالة في سياق التحريم. قال تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالذَّمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ» (المائدة: ٣).

أي: بهيمة أكلها حيوان مفترس يفترس الحيوان كالأسد والنمر والضبع والذئب وغيره من الحيوانات المفترسة^(١).

السَّبْعُ (سبغ)

«السين والباء والغين أصل واحد يدلُّ على تمام الشيء وكماله»^(٢). يقال: «أسبغت الأمر، وأسبغ فلان وضوءه»^(٣). ويقال: «أسبغ الله عليه نعمة»^(٤) «ورجل مُسْبِغ، أي: عليه درعٌ سابغة»^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (مرتين). وقد دلت الصيغة «وَأَسْبَغَ» على إضفاء النعمة الواسعة.

تجلت الدلالة على النعم الكثيرة الوفيرة المشعرة بقدرة المنعم باستعمال القرآن الصيغة المعطوفة على نعمة التسخير الشامل تسخيره سبحانه ما في

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٩٢/٦).

(٢) مقاييس اللغة: ١٢٩/٣ (سبغ).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

السموات والأرض لهذا الإنسان: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [القمان: ٢٠] الظاهرة وهي ما في الأعضاء من السلامة (والباطنة) وهي ما في القوى، فإن العضو الظاهر فيه قوة ظاهرة وقوة باطنة، ألا ترى أن العين والأذن شحم وغضروف ظاهر، واللسان والأنف لحم وعظم، وفي كل واحد معنى باطن من الإبصار والسمع والذوق والشم، وكذلك كل عضو، وقد تبطل القوة ويبقى العضو قائماً، وهكذا يكون الاستدلال بنعمة الآفاق وبنعمة الأنفس على قدرة الباري سبحانه.



■ (سبق)

تدل مادة (سبق) في اللغة على التقدم إلى الأشياء كأن يتقدم شيء إلى شيء، أو يتقدم شيء على شيء^(١). يقال: «سَبَقَ يَسْبِقُ سَبْقًا»^(٢). «والاستِيقَابُ: التَّسَابُقُ»^(٣).

أما في القرآن: فقد وردت (٣٧) مرة في (٣٦) موضعاً. دلت الصيغة ﴿يَسْبِقُونَ﴾ المنفية على القدرة والغلبة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ [الواقعة: ٦٠-٦١] أي: «إنا قادرون على ذلك لا تغلبونا عليه، وأمثالكم جمع مثل: أي: أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق، وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها، يعني: أنا نقدر على الأمرين جميعاً»^(٤).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٢٩/٣ (سبق).

(٢) معجم مقاييس اللغة: ١٢٩/٣ (سبق).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٩٥ (سبق).

(٤) الكشف: ٤٥٣/٤.



قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ «وما نحن بمغلوبين عاجزين عن خلق أمثالكم وإعادتكم بعد تفرق أوصالكم»^(١).

قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾.

عطف بالواو عطف الجمل، فيكون جملة مستقلة مقصوداً لذاته، لأن مضمونه يفيد النتيجة، ويفيد تعليماً اعتقادياً، فيحصل الإعلام به تصريحاً وتعريضاً، فالصريح منه التذكير بتمام القدرة، وأنه سبحانه لا يغلبه غالب، ولا تضيق قدرته عن شيء، وأنه قادر على تبديلهم خلقاً آخر يماثل خلقهم في الدنيا، ويفيد التعريض بالتهديد والاستئصال والاستبدال والتعويض منهم بأمة أخرى: ﴿إِنْ نَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (فاطر: ١٦-١٧) ولو جيء بالفاء لضاقت دلالة الكلام^(٢). فالمعنى: ومما نحن بمغلوبين ويتعلق (على أن نبدل أمثالكم) بمسبوقين، لأنه يقال: غلبه على كذا، إذا حال بينه وبين نواله، وأصله: غلبه على كذا، أي: تمكن من كذا دونه. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ ويكون الوقف على قوله: ﴿أَمْثَلَكُمْ﴾.

وجائز أن يكون (على أن نبدل أمثالكم) في موضع الحال من ضمير «قدرنا» أي: قدرنا الموت على أن نحبيكم فيما بعد إدماجاً لإبطال قولهم: ﴿أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا أَوْثَانًا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (المؤمنون: ٨٢)، فتكون (على) بمعنى (مع) وتكون حالاً مقدرة. ويكون متعلق (مسبوقين) محذوفاً دالاً عليه المقام، أي: ما نحن بمغلوبين فيما قدرناه من خلقكم وإماتتكم، ويكون الوقف على (مسبوقين)^(٣).

(١) التفسير الكبير: ١٧٩/٢٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣١٦/٢٧.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٣١٦/٢٧، ٣١٧.

ويتحدث القرآن عن فئة من الناس سبابة للخير مكنهم الله بقدرته من فعل ما يرضيه فكانوا مثلاً يُحْتَذَى في القدرة على فعل الخيرات، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة: ١٠-١١) أي: المخلصون المحرزون قصب السبق إلى ما دعاهم الله إليه وتحملوا المشاق في طلب مرضاة الله تعالى^(١). ولا يكون إلا بفضل من الله وتمكين منه ووصفهم بالسبق يقتضي أنهم سابقون أمثالهم من أهل الإحسان المعبر عنهم بأصحاب الميمنة، فهم سابقون إلى الخير ممكنون من فعله. والسبق في الآية مستعمل على سبيل الاستعارة. فيجوز أن يكون «السابقون» مستعملاً في المبادرة والإسراع إلى الخير في الدين كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَالَّذِينَ سَبَقُوا الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ (النوبة: ١٠٠)، وجائز أن يكون مستعملاً في المغالبة في تحصيل الخير. كقوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزَنِ ۖ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ الثانية يجوز كونه خبراً عن (السابقون) الأولى لأنه يدل على وصفهم بشيء لا يكتنه كنهه بحيث لا يفي به التعبير بعبارة غير تلك الصفة التي هي أقصى ما يسعه التعبير، فإذا ابتغى السامع تصور صفاتهم فلا بد له من تدبر حالهم.

ويجوز أن يكون تأكيداً للأولى، فمآل (والسابقون السابقون) هو التعجيب من حالهم، وطريقه هو الكناية ولكن بين الكناتيتين فرقاً بأن إحداها كانت من طريق السؤال عن الوصف، والأخرى من طريق تعذر التعبير بغير ذلك الوصف. فصار المعنى: أن حالهم بلغت منتهى الفضل والرفعة بحيث لا يجد المتكلم خبراً يخبر به عنهم أدل على مكانتهم من اسم (السابقون)، فهذا الخبر أبلغ في الدلالة على شرف قدرهم من الإخبار بـ (ما) الاستفهامية التعجبية في قوله: ﴿مَا أَحْصَى الْيَمِينُ﴾ مع ما في اشتقاق



لقبهم من (السبق) من الدلالة على بلوغهم أقصى ما يرومه الطامحون. وحَذَفُ متعلق (السابقون) في الآية القصْدُ منه جعل وصف «السابقون» بمنزلة اللقب لهم، حتى يفيد العموم، أي: أنهم سابقون في كل ميدان تتسابق فيه النفوس الزكية، فهؤلاء هم السابقون إلى الجهاد في سبيل الله لمصاحبتهم الرسل والأنبياء، وصحبة الرسل تحتاج إلى دفاع عن شرائعهم ووقوف بقوة في وجه أعداء الرسالات^(١).

وتأخير (السابقون) في الذكر عن أصحاب اليمين فيه تشويق السامعين إلى معرفة صنفهم بعد أن ذُكِرَ الصنفان الآخران من الأصناف الثلاثة ترغيباً في الاقتداء. قال تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ [الواقعة: ٨-١٠].



■ (سبيل)

السَّبِيلُ، بالتحريك: المَطَرُ حين يخرج من السَّحَابِ ولم يَصِلْ بعدُ إلى الأرض^(٢).

والسَّبِيلُ: السُّبُلُ^(٣). وقد أُسْبِلَ الزَّرْعُ، أي: خَرَجَ سُبُلُهُ^(٤). والسَّبِيلُ: الطريق^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (٥) مرات. دلت الصيغة الجمعـية المنكرة (سَبَائِلَ) على شجرة الحب الكثير المفضي إلى القدرة والتمكن المادي.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/٢٨٦، ٢٨٧.

(٢) ينظر: تهذيب الصحاح: ٢/٦٥٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.



تجلت هذه الدلالة في سياق سوق المثل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ يَأْتِي حَبَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. أسند الإنبات إلى الحبة لما كانت من الأسباب، كما يسند إلى الأرض والماء، والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى، والمعنى: أنه يخرج منها، أي: من الحبة ساق يتشعب لكل منه سبع شعب، لكل منها سنبلة فيها مئة حبة^(١)، أي: أن المنفق ستكون مئوبته عظيمة كثيرة تشبه كثرة الحب الذي يتكاثر وأصله حبة ليكون حبا كثيرا يقتدر به ويتنفع، والنفقات والصدقات كذلك ينتفع بمئوبتها بعد أن ينميها الله ويكثرها، فيقوى بها المؤمن ويتمكن وترتفع درجاته عند الله.



﴿ستر﴾

تدل المادة على الستر. يقال: سترت الشيء سترًا^(٢). وأستار الكعبة: جدرانها وجوانبها، وهي أربعة^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرات. دلت الصيغة «سِتْرًا» على الجبال والأشجار التي تستر من يستتر بها من حرارة الشمس الحارقة.

تجلت هذه الدلالة في سياق الحديث عن ذي القرنين. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنبَعَ سَبًّا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٨٩-٩٠].

(١) ينظر: البيضاوي (١٣٨/١)

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١٣٢/٣ (ستر).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.



أي: ليس هناك جبل أو شجر تمنع من وقوع شعاع الشمس^(١). فالجبال والشجر يتمكن بها الإنسان ويقوى.

﴿سجد﴾

من دلالات المادة قولهم: دراهم الإسجاد: دراهم كانت عليها صور، فيها صور ملوكهم، وكانوا إذا رأوها سجدوا لها^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٩٢) مرة. دلت الصيغة الجمعية المعرفة ﴿الْمَسْجِدَ﴾ على بيوت الله التي يتمكن المصلون فيها والجالسون من الراحة والطمأنينة فتقوى نفوسهم وتسكن وكأن المسجد منبع الاستقرار النفسي والقدرات.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

أي: بيوت الله مختصة به فلا تعبدوا فيها غيره^(٣).

وأشرف هذه البيوت على الأرض المسجد الحرام. لذا كان حرص المشركين على ألا يدخله الرسول ﷺ بعد أن هاجر إلى المدينة حتى لا يقتدر المسلمون بالصلاة فيه ويتمكنوا من إبراز شعائهم فيه، فتكسر شوكة أهل الشرك وتخور عزائمهم، وفي المقابل تقوى عزيمة المسلمين وتشتد. قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الفتح: ٢٥].

(١) ينظر: التفسير الكبير (١١/١٦٩).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/١٣٤.

(٣) ينظر: البضاوي: ٥٣٥/٢.

والساجد لله قوي بالله عزيز به، منيع لا يخاف غيره. قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ﴾ [الزمر: ١٩].

أي: وضع جبهته على الأرض خَضُوعاً لله متقاداً لأوامره، وفي ذلك عزته وقوته واقتداره، ويقتدر المؤمنون بالصلاة وتسكن قلوبهم بها وتقوى. ففيها راحة القلوب، والسجود مظهر من أعظم مظاهرها، لذا لا يملون من ابتغاء رضوان الله بها والتقوى بطاعة الله. قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ [النح: ٢٩]. أي: مشغلون بالصلاة في أكثر أوقاتهم يبتغون تمكين الله لهم وإقذارهم برضاه سبحانه عنهم^(١).

٧ ٧ ٧

(سجر)

دلت مادة (سجر) في اللغة على الملء. فالملؤ: سَجَرُ السَّيْلِ الآبار والوديان، أي: ملؤها^(٢). وَقِيلَ لِلْبَحْرِ مَسْجُورٌ وَمَسْجَرٌ^(٣). وَسَجَرْتُ النَّوْرَ سَجْرًا أَوْقَدْتُهُ^(٤)، وَسَجَرَةٌ بِالمِسْجَرَةِ وهي المسعر^(٥). و«السَّجَرُ: تهيج النار»^(٦).

أما في القرآن: فقد وردت (٣) مرات. فدلت الصيغة ﴿يُسْجَرُونَ﴾ على إيقاد الجحيم الإيقاد اللاتق بالكافرين ليطرحوا فيها وذلك في سياق الحديث عما يلقون من أفانين العذاب. قال تعالى: ﴿ إِذِ الْأَغْلُلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ

(١) ينظر: البيضاوي: ٤١٣/٢

(٢) ينظر: أساس البلاغة: ٤٢٣/١ (سجر).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) أساس البلاغة: ٤٢٣/١ (سجر).

(٥) ينظر: أساس البلاغة: ٤٢٤/١ (سجر).

(٦) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٧٩ (سجر).



يُسْحَبُونَ ﴿٦٠﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٦١﴾ [إغافر: ٧١-٧٢] أي: «أنهم في النار فهي محيطة بهم، وهم مسجرون بالنار مملوءة بها أجوافهم»^(١). وقيل: يطرحون فيها فيكونون وقودها^(٢). أي: إنهم بعد سحبهم وجرحهم في مهانة وقد قيدوا بالأغلال ينتهي بهم المطاف إلى ماء حار وإلى نار موقدة^(٣).

و(ثم) عاطفة قوله: ﴿فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ على قوله: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ في الْحَمِيمِ، وشأن (ثم) إذا عطفت الجمل أن تكون للتراخي الرتبي، وذلك أن احتراقهم بالنار أشد في تعذيبهم من سحبهم عليها، فهو ارتقاء في وصف التعذيب والانتقام من الكافرين الذي أجمل بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، والسجر بالنار حاصل بعد السحب سواء أكان بتراخ أم بدونه^(٤). وإسناد ضميرهم إسناد مجازي، لأن الذي يسجر هو المكان المخصص لهم في جهنم، فأريد بإسناد المسجور إليهم المبالغة في تعلق السجر بهم، وهو استعارة تبعية^(٥). بتشبيههم بالتنور في استقرار النار بباطنهم^(٦)، كما قال تعالى: ﴿يُضْهِرُّ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج: ٢٠].

(١) الكشف: ١٧٤/٤، وينظر: التفسير الكبير: ٨٨/٢٧.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٣٣/١٥.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٣٠٩٧/٢٤.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٣/٢٤.

(٥) الاستعارة التبعية: «هي أن لا يكون معنى التشبيه داخلاً دخولاً أولياً، وهي... ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها وكالحروف.... تقع في الأفعال والصفات والحروف فإنها لا توصف فلا تحتل الاستعارة بأنفسها وإنما المحتمل لها في الأفعال والصفات مصادرها وفي الحروف متعلقات معانيها فتقع الاستعارة هناك ثم تسري في هذه الأشياء وذلك أن الاستعارة تعتمد التشبيه، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفاً، وإنما يصلح للموصوفيه الحقائق كما في (جسم أبيض) و(بياض صاف) دون معاني الأفعال والصفات المشتقة منها الحروف»، معجم المصطلحات البلاغية: ١٤٨/١، ١٤٩.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٣/٢٤.

■ (سَجَل)

السَّجَل: الدَّلُو العظيمة^(١). والمَسَاجِلَة: المفاخرَةُ. يريد كل واحدٍ غلبة صاحبه^(٢). والشَّيْءُ المُسَجَّل، وهو المبذول لكلِّ أحد، كأنَّه قد صُبَّ صَبًّا^(٣). والسَّجِيل: الشديد^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرات. دلت الصيغة المنكرة «سَجِيل» على الصلابة.

تجلت هذه الدلالة في سياق يتحدث عن إهلاك قوم لوط. قال تعالى: «فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِيلٍ مَّنْصُورٍ» [هود: ٨٢]. قيل: حجر وطنين في غاية الصلابة. وقيل: الشديد من الحجارة. وقيل: حجارة من جهنم. وقيل: جبال مخصوصة^(٥). وكلها تدل على القوَّة والصلابة.

٢ ٢ ٢

■ (سَجَن)

من دلالات المادة المشعرة بالقدرة قولهم: سَجَنه يسَجَنه سَجْنًا، أي: حبسه^(٦). وَسَجَنَهُ تَسْجِينًا شَقَقَهُ^(٧). وَسَجَا الليل، إِذَا اذْلَهَمَ^(٨). والسَّجَّين: الصُّلْب الشديد من كل شيء^(٩).

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ١٣٦/٣ (سجل).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التفسير الكبير (٣٩/٩).

(٦) ينظر: لسان العرب: ٦٤/١٧ (سجن)، والقاموس المحيط: ٢٣٣/٤ (سجنه).

(٧) ينظر: القاموس المحيط: ٢٣٣/٤ (سجنه).

(٨) ينظر: مجمل اللغة لابن فارس: ٤٨٧/٢ (سجن).

(٩) ينظر: مجمل اللغة لابن فارس: ٤٨٧/٢ (سجن)، لسان العرب: ٦٥/١٧ (سجن).



أما في القرآن فقد وردت (١٢) مرة. دلت الصيغة المكتنفة من جانبها بالمؤكدات على قدرة امرأة العزيز على إنزال العقوبة الشديدة بيوسف عليه السلام إن لم يستجب لطلبها. تجلّى ذلك في سياق التهديد والوعيد: ﴿وَلَكِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ لِّئَسْجَنَ وَلِيَكُونَ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]. والمراد أن يوسف عليه السلام إن لم يوافقها على ما دعته إليه سيودع السجن ويحل به الصغار، ومعلوم أن التواعد بالصغار له تأثير عظيم في نفس من هو رفيع القدر عظيم الشأن^(١). وهذا يدل على قدرة امرأة العزيز وتمكنها من إلحاق العقوبة بيوسف عليه السلام إن لم يمثل أمرها. قال تعالى في سياق الخبر: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لِيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥].

فزوجها ظهر له براءة يوسف عليه السلام فلا جرم لم يتعرض له، إلا أنه بدا له في سجنه أخف الأضرار، لأن البداء عبارة عن تغير الرأي عما كان عليه في الأول، فصار المعنى: ثم بدا لهم سجنه^(٢).



■ (سجّو)

«سَجَا اللَّيْلُ، إِذَا ادْلَهَمَّ وَسَكَنَ»^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة. دلت الصيغة الماضوية ﴿سَجَى﴾ على طول الليل وكيف أنه يغطي كل مكان.

تجلت هذه الدلالة في سياق القسم قسمه سبحانه بالضحى والليل:

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٣٣/١٨

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٣٥/١٨، ١٣٦

(٣) مقاييس اللغة: ١٣٧/٣ (سجّو).



﴿وَالْضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١-٢]، أي: طال وامتدَّ^(١)، وغطى كل شيء بظلامه^(٢). دلالة على قدرة الله.



■ (سحب)

قال ابن فارس: «السينُ والحاءُ والباءُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جرَّ شيءٍ مبسوطٍ ومَدَّه. تقول: سَخَبْتُ ذَيْلِي بِالْأَرْضِ سَخْبًا. وَسَمَّي السَّحَابَ سَحَابًا تشبيهاً له بذلك، كَأَنَّهُ يَنْسَحِبُ فِي الْهَوَاءِ انْسِحَابًا»^(٣).

أما في القرآن: فقد دلت على السحب في النار.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨]. «والسحب الجبر، وهو في النار أشد من ملازمة المكان لأن به يتجدد مماسة نار أخرى فهو أشد تعذيباً. وجعل السحب على الوجوه إهانة لهم»^(٤). وهم من فرط ضعفهم وقوة من يسحبهم مستسلمون للسحب على الوجوه في النار، لقد كانت في مقابل القوة التي اعتزوا بها في الدنيا مستكبرين على سواهم من المؤمنين قوة أعظم قهرتهم بسحبهم على الوجوه بعنف وقوة وشدة في النار^(٥).

قوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ ظرف القول، أي: يوم يسحبون يقال لهم: ذوقوا، فيما أن يكون منصوباً بعامل مذكور أو مفهوم غير مذكور، فعلى الاحتمال الأول إما أن يكون العامل سابقاً وهو معنى كائن ومستقر غير أن ذلك صار

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٩٥/٣٠).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (٢٠٨/١٦).

(٣) معجم مقاييس اللغة: ١٤٢/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٩٩ (سحب).

(٤) التحرير والتنوير: ٢١٥/٢٧.

(٥) ينظر: في ظلال القرآن: ٣٤٣٦/٢٧.



منسياً. وإما أن يكون العامل متأخراً وهو قوله: ﴿ذُوقُوا﴾، والتقدير: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ يوم يسحب المجرمون، والخطاب على هذا الأساس مع من خوطب بقوله: ﴿أَكْفَاكُ حَيْرٌ مِّنْ أَوْلَٰئِكَ أَتَىٰ لَّكَ بَرَاءَةٌ﴾ (الفر: ٤٣) وإما أن المفهوم هو القول لهم يوم يسحبون ذوقوا، وهذا هو المشهور^(١).

«والسحب: العجر، وهو في النار أشد من ملازمة المكان لأن به يتجدد مماسة نار أخرى فهو أشد تعذيباً. وجعل السحب على الوجوه إهانة لهم»^(٢).
ويخبر القرآن في موضع آخر منه عن سحب بالسلاسل يوم القيامة ولكن هذه المرة لأناس مغلولين في أعناقهم. قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (غافر: ٧١).

قوله: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ * في الْحَمِيمِ ﴿ حال من ضمير (أعناقهم)، والسحب يجمع بين إيلام المسحوب وإهانته^(٣).



(سحت)

قال ابن فارس: «السينُ والحاءُ والتاءُ أصلٌ صحيحٌ منقاسٌ. يقال: سُحِتَ الشَّيْءُ، إذا اسْتُؤْصِلَ، وأُسْحِتَ. يقال: سَحَتَ اللهُ الْكَافِرَ بِعَذَابٍ، إذا اسْتَأْصَلَهُ»^(٤). «وَمَالٌ مَّسْحُوتٌ وَمُسْحَتٌ»^(٥). و«رَجُلٌ مَسْحُوتُ الْجَوْفِ، إذا كَانَ لَا يَشْبَعُ، كَأَنَّ الَّذِي يَبْلُغُهُ يُسْتَأْصَلُ مِنْ جَوْفِهِ، فَلَا يَبْقَى»^(٦).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٧٢/٢٩.

(٢) التحرير والتنوير: ٢١٥/٢٧.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٣/٢٤.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ١٤٣/٣ (سحت)، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٩٩ (سحت).

(٥) معجم مقاييس اللغة: ١٤٣/٣ (سحت).

(٦) المصدر نفسه.

أما في القرآن فقد دلت الصيغة «فَسُحِّرْكُمْ» على الاستئصال.

تجلت هذه الدلالة في سياق التحذير من افتراء الكذب على الله. قال تعالى: «قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ» (اض: ٦٦). أي: «فيهلككم»^(١)، ويستأصلكم^(٢). فهو الهلاك بالاستئصال^(٣) وكلها بمعنى يشعر بقدرة الله وعقابه لمن يعصيه. «يعذبكم عذاباً مهلكاً مستأصلاً»^(٤) ومن القراء من قرأ برفع الياء: (فيسحيتكم) من الإسحات، ومنهم من قرأ بفتحها: (فيسحيتكم)^(٥) مضارع سحته: إذا استأصله، فكأنه قال: (من افتري على الله كذباً) حصل له أمران: عذاب الاستئصال في الدنيا أو عذاب شديد في الآخرة. وهو معنى قوله: «فَسُحِّرْكُمْ بِعَذَابٍ»، وفي كلام موسى ﷺ دلالة على أنه لا يقول على الله تعالى ما لم يأمره به لأنه يعلم أنه يستأصله بعذاب ويعلم خيبة وخسران من يفترى على الله تعالى، والذي يعلم ذلك لا يقدم عليه^(٦). فالذي يقدر على استئصال من يعصيه لهو قادر.

٢ ٢ ٢

(سحر)

من دلالات المادة (سحر) في اللغة على الخَدْع وشبهه، قال قوم: (هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال: هو الخديعة)^(٧). «وَالسَّاحِرُ: الْعَالِمُ»^(٨).

(١) مجاز القرآن: ٢٠/٢.

(٢) ينظر: القرآن الكريم بهامشه كتاب نزهة القلوب: ٢٠/٢.

(٣) ينظر: عمدة الحفاظ: ١٧٧/٢.

(٤) التفسير الكبير: ٧٣/٢٢.

(٥) السبعة في القراءات: ص ٤١٩.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٠/١٦.

(٧) ينظر: مقاييس اللغة: ١٤٢/٣ (سحر).

(٨) تهذيب الصحاح: ٢٨٧/١ (سحر).



أما في القرآن فقد وردت (٦٣) مرة، أشعرت الصيغة ﴿سَحَرُوا﴾ بالقدرة على التضليل والتخييل.

تجلت دلالة التخييل والقدرة على الاحتيال بسحر يجعل الناس يخالون الجبال والأخشاب حيات تملأ الأرض مما يبعث الرهبة في القلوب. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ۖ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٥-١١٦]. والمراد أنهم تخيلوا أحوالاً عجيبة مع أن الأمر في الحقيقة ما كان على وفق ما تخيلوه، إذ وقعوا تحت تأثير قدرة السحرة على التخييل والشعوذة. فقلوه: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ أي: قلبوها عن صحة إدراكها بقدرتهم على التمويه. وجعلوها متأثرة بالسحر بما ألقوا من التخييلات والشعوذة. وتعدية فعل (سحروا) إلى (أعين) مجاز عقلي، لأن الأعين آلة إيصال التخييلات إلى الإدراك، وهم إنما سحروا العقول، ولذلك لو قيل: سحروا الناس لأفاد ذلك. ولكن تفوت نكتة التنبيه على أن السحر إنما هو تخييلات مرئية تدل على قدرة محدثها على التخييل^(١).

وعزز أهل التخييل تخيلات السحر بأمور أخرى تثير خوف الناظرين، ليزداد تمكن التخييلات من القلوب بالتمويه، والصباح، والتعجب، والسين والتاء في: (واسترهبوهم) للتأكيد، أي: أرهبوهم رهباً شديداً، وكل ذلك يدل على قدرة السحرة على الإيهام الإيهام الناظرين حتى يصير في نظرهم ما ليس حقيقة حقيقة.

واستعمل القرآن صيغة المبالغة ﴿سَحَّارٍ﴾ للدلالة على التمكن والقدرة على السحر، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَزِفَةً وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الدَّائِنِ حَشِيرِينَ ۖ يَأْتُواكَ

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٤٨/٩).

يَكْثُرُ سَحَابٌ عَظِيمٌ ﴿ [الشعراء: ٣٦-٣٧] . جاؤوا بكلمة الإحاطة وبصيغة المبالغة ليطيئوا قلبه وليسكنوا بعض قلقه لإشعاره بعظيم القدرة والانتصار.



■ (سحق)

من دلالات المادة السَّحَق. قال الراغب: السَّحَقُ تفتيت الشيء. يقال: سَحَقْتُهُ فَأَسْحَقُ^(١).

أما في القرآن فقد وردت (١٩) مرة في (١٨) موضعاً. دلت الصيغة ﴿فَسَحَقًا﴾ المتصلة بالدعاء على الدعاء بالإبعاد عن الرحمة.

تجلت دلالة الدعاء بالإبعاد باستعمال القرآن الصيغة ﴿فَسَحَقًا﴾ الدالة على قدرة المُبْعِد وهوان المُبْعَد، فمن يقرب من رحمة الله يعز، ومن يبعد عن رحمة الله يهلك.

لذا كان الدعاء على الكافرين بالإبعاد عن رحمة الله لأن إبعادهم ينذر بهلاكهم.

قال تعالى في سياق الاعتراف والندامة: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۚ فَاعْرِضُوا بِذَنبِهِمْ فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠-١١].

أي: فبعداً لهم اعترفوا أو جحدوا، فإن ذلك لا ينفع النادمين على ما قدموا. وسحقاً منصوب على المصدر، أي: أسحقهم الله سحقاً، أي: باعدهم الله من رحمته بماعدة^(٢).

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٢٢٥ (سحق).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (٦٥/٣٠).



(سخر)

تدل مادة (سخر) في اللغة على المقهور المُدَبَّر لا يملك لنفسه خلاصاً من القهر يقال له: مُسَخَّرٌ^(١). والرجل يُسَخَّرُ لعمل غيره. يقال: رَجُلٌ سُخْرَةٌ إذا سُخِّرَ في العَمَلِ^(٢) والمُسَخَّرُ من غَيْرِ أَجْرٍ مَسْخَرَةٌ^(٣). وَسُفُنٌ سَوَاجِرُ: طَيِّبَةُ الرِّيحِ^(٤). وما ذلَّ وانقاد أو تهيأ للشَّخص على إرادته فقد سُخِّرَ له^(٥). ودلت على القهر. قيل: سَخَرَهُ يعني كَلَّفَهُ ما لا يريد وقهره^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (٤٢) مرة في (٣٧) موضعاً. دلت الصيغة ﴿سَخَرَهَا﴾ على التسليط الدال على القدرة، فقد سخر سبحانه على قوم عاد ريحاً شديدة لها صرصرة، باردة.

قال تعالى: ﴿سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]. أي: سلط عليهم الريح^(٧).

وذكر الرازي أن ذلك إنما حصل بتقدير الله وقدرته، فإنه لولا هذه الدقيقة لما كان منه التخويف والتحذير من العقاب^(٨).

والتسخير في أساسه الغصب على عمل، واستعير لتكوين الصرصر تكويناً متجاوزاً الحد المتعارف عليه في قوة جنسها فكانها مكرهة عليه^(٩).

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٤٧/٥ (سخر).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٤٤/٣ (سخر).

(٣) ينظر: شمس العلوم: ٨٤/٥ (سخر).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٤٤/٣ (سخر).

(٥) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٤٧/٥ (سخر).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ينظر: الكشف: ٥٨٨/٤.

(٨) ينظر: التفسير الكبير: ١٠٤/٣٠.

(٩) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٧/٢٩.



وتتجلى قدرة الله في تمكينه الطير من الطيران في جو السماء، وكل من لديه بصيرة يستدل بذلك على القدير الذي مكنها من شيء عجيب. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النحل: ١٧٩). أي: «إن في تسخير الله الطير، وتمكينه لها الطيران في جو السماء لعلامات ودلالات على أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنه لا حظ للأصنام والأوثان في الألوهية»^(١). فهي مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية لذلك^(٢).

إنه الدليل على كمال القدرة، إذ لولا خلق الطير على هذا الوجه الذي يمكنه من السباحة في الفضاء وخلق الجو خَلْقَةً يمكن الطيران فيه لما تمكن الطير من الطيران، فلقد أعطى الطير جناحاً يسطه مرة ويقبضه أخرى مثل ما يعمل السباح في الماء، وخلق الهواء خلقة لطيفة رقيقة يسهل بسببه خرقه والنفاذ فيه، ولولا ذلك لما كان الطيران ممكناً^(٣).

والمراد من كونها مسخرة أنها في أنفسها أجرام ثقيلة، والمعلوم أن الجرم الثقيل يهوي بالطبع إلا أن قدرة الله تعالى غالبه على جميع الطبائع والخواص، فهو بقدرته يرفع الثقيل إلى فوق، وينزل الخفيف إلى تحت من غير أن يشق عليه ذلك الفعل ومن غير أن يتعب بسببه^(٤).

لقد كان موقع هذه الآية موقع التعليل والتدليل على عظيم قدرة الله وبديع صنعه وعلى لطفه بمخلوقاته. لقد نبه سبحانه فيها على لطف يشاهدونه أجلى مشاهدة وهو أسطع برهاناً وأكثر بياناً على قدرة الله.

(١) جامع البيان: ١٥٣/١٤.

(٢) الكشف: ٦٠٠/٢.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٩٣/٢٠.

(٤) ينظر: أسرار التنزيل وأنوار التأويل: ص ٥٦٥.



لطف بها اقتضاه ضعف بنيانها، إذ هي عادمة وسائل الدفاع عن حياتها، فجعل لها ما يعوضها بسرعة الانتقال مع الابتعاد عن تناول ما يعدو عليها من البشر والدواب. فلأجل هذا لم تعطف على الجملة التي سبقتها، لأنها ليس في مضمونها نعمة على بشر، ولكنها آية وبرهان على قدرة الله، بخلاف نظيرتها في سورة الملك^(١). ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتٍ﴾ [الملك: ١٩] فإنها عطف على آيات دالات على قدرة الله تعالى، ولذلك المعنى عقبته هذه وحدها بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩].

وتسخيره سبحانه البحر للإنسان ليتصرف فيه تسخير يدل على عظيم قدرة الله وعظيم فضله. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤] وتسخير الله البحر للناس، يعني تصديره لهم نافعاً حيث يستخرجون منه السمك وقد وصفه الله بالطراوة؛ لأن الفساد يسرع إليه، فيسارع إلى أكله خيفة ذلك، ويستخرجون منه ما يزينون به من زينة، وتمخر السفن فيه للتجارة وغيرها، كل ذلك بقدرة الله وفضله^(٢). أي: تمكين منه سبحانه البشر من التصرف فيه وتذليله^(٣).

ولو لم يسخر البحر ويذل، ويكبح جماحه، فأنى للإنسان أن يمتطيه، ولكنه التسخير والتمكين والفضل والمنة منه سبحانه على هذا المخلوق المكرم.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٤/١٤.

(٢) ينظر: الكشف: ٥٧٤/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٨٥/١٠.

وفي ذكر الطري فريد فائدة، ذلك لأنه لو كان السمك كله مالحاً، لما عرف به من قدرة الله تعالى ما عرف بالطري فإنه لما خرج من البحر المالح الشديد الملوحة حيوان في غاية العذوبة والطلاوة على أنه إنما لا يفعل الطبيعة، بل بقدرة الله وحكمته الذي أظهر الضد من الضد^(١).

وقوله: ﴿وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾ معترضة بين الآيات المتعاطفة مع إمكان العطف لقصد مخالفة الأسلوب للتعجيب من تسخير السير في البحر باستحضار الحالة العجيبة بواسطة فعل الرؤية الذي يستعمل في التعجيب كثيراً بصيغ كثيرة، نحو: ولو ترى، وأرأيت، وماذا ترى، واستعمال فعل الرؤية في أمثاله يفيد الحث على معرفة قدرة الله وعظيم نعمة تسخير البحر، فهذا النوع من النظم نظم الكلام لإفادة هذه الدلالة، ولولا ذلك لكان الكلام: وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وتبتغوا من فضله في فلك مواخر^(٢).

ومن الآيات الدالات على عظيم قدرة الله أن سخر الليل والنهار يتعاقبان خلفه لئلا ينام الناس ومعاشهم وإنضاج الثمار، وكذلك ذلل الشمس والقمر والنجوم دائبة الجريان ولها أثرها في حياة العباد ليكون الضوء والحرارة، وليعلم الناس عدد السنين والحساب، وليهتدوا في ظلمات البر والبحر، إن في هذه الآيات الباهرات لدلالات واضحة لقوم يستعملون عقولهم، ويتفكرون في خلق الأجرام السماوية والسفلية مما يستدل به على وحدانية الله وقدره الخالق^(٣).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٦/٢٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٩/١٤.

(٣) ينظر: التفسير الفريد للقرآن المجيد. د. محمد عبد المنعم الجمال. ص: ١٦٤٦.



والله القادر يفعل ما يفعل بتسخيره الملك والشيطان، إذ هما مسخران
بقدره الله في قلب القلوب، كما أن الأصابع مسخرة لك أيها الإنسان في
قلب الأجسام.

والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان
صالحاً متساوياً ليس يترجح أحدهما على الآخر^(١).

٢ ٢ ٢

■ (سخط)

«السَّخَطُ والسُّخْطُ: خلاف الرِّضَا»^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرات. دلت الصيغة المصدرة بالباء
﴿سَخَطَ﴾ على العقوبة الحالة بمن يعصي الله.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ سَخَطِ
مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢]. وسخطه: عقابه. وعقابه لمن
يعصيه من المخلوقات جنها وإنسها يدل على قدرته سبحانه. وقوله: ﴿وَمَأْوَهُ
جَهَنَّمُ﴾ أي: إن الذي باء بسخط الله جزاؤه جهنم^(٣). ويمكن القول: إن الذي
يبوء بسخط الله إنما يبوء بقدره الله المنتقمة من العصيين.

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي م (٥٥٥) هـ. وبذيله
كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار
لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي م (٨٠٦) هـ دار المعرفة للطباعة
والنشر - بيروت. لبنان: ٢٧/٣.

(٢) تهذيب الصحاح: ٤٥٤/٢ (سخط).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٤١٣/٣)

(سدد)

من دلالات المادة (سدد) الاستقامة فالسَّداؤ، بالفتح: الاستقامة والصَّواب، وكذلك السَّدَدُ. تقول: سَدَدْتُ من القول^(١). «السَّدُّ والسَّدُّ: الجبل والحاجز»^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (١٠) مرات: دلت الصيغة «سَدًا» على المانع القوي المتين الصلب.

تجلت الدلالة على المانع والحاجز القوي المتين الصلب المسخر لحجز ما هو خطير. باستعمال القرآن الصيغة «سَدًا» في سياق الطلب من ذي القرنين أن يجعل سدًا عاليًا منيعاً يمنع يأجوج ومأجوج من اجتياح الذين لا يكادون يفقهون قولاً. قال تعالى في سياق خبر ذي القرنين وبناء السد: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۖ قَالُوا يَدَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْعِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۖ﴾ [الكهف: ٩٣-٩٤].

أي: مصداً يصدّهم عنا نظيره الرَّدْمُ إلا أن الردم أكثر من السَّد في معنى الصد، وكلاهما يدل على الحاجز المتين القوي الذي يحول بين قوة وقوة أو جهة وجهة، أو شيء وشيء. والسياق هنا يدل على أن السد لا بد فيه من توافر مواصفات منها: الارتفاع، والمتانة والقوة والصلابة، بحيث يصعب تسلقه، ويصعب ثقبه أو هدمه والواقع يدل على ذلك، فلو أنه غير هذا لتسلفته يأجوج ومأجوج أو ثقبته على ما تمتلك من قوة وكثرة عدد، وتنوع في القدرات، إذ منهم العمالقة، ومنهم الأقزام، ولا يحيط بهم عدٌّ.

(١) ينظر: تهذيب الصحاح: ٢٢٣/١ (سدد)

(٢) ينظر: المصدر نفسه.



فالذي حجزهم ومنعهم من الوصول إلى غيرهم على قوتهم وكثرة عددهم وفساد أخلاقهم أقوى منهم إنه السد الذي مكن الله سبحانه ذا القرنين من تشييده وبنائه ليكون آية. بني السد بإحضار زبر الحديد حتى إذا صارت تسد ما بين الجبلين إلى أعلاهما، بوشر بوضع المنافخ عليها حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي، فالتصق بعضه ببعض، وصار جبلاً صلباً، وهذا إعجاز قاهر، لأن الزبر الكثير إذ نفخ عليه حتى صار كالنار لم يجرؤ أحد على الاقتراب منه، والنفخ عليه لا يجدي نفعاً إلا مع القرب، فكأنه تعالى: صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين. قيل: بعد ما بين (السدين) مائة فرسخ^(١). وتقرير القرآن لحقيقة عدم قدرة يأجوج ومأجوج على الارتقاء على ظهر السد وعدم قدرتهم على ثقبه أو نقبه فيه دلالة على أنه حاجز عظيم صفته العلو والمتانة. قال تعالى: ﴿فَمَا أَسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧].



■ (سدر)

السادر المتحيز^(٢). والسَّادر: هو الذي لا يبالي ما صَنَعَ، ولا يهتم بشيء^(٣). وسَدَرَت المرأة شعرها إذا أرسلته^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرات. دلت الصيغة ﴿سَدَرَةً﴾ المضافة إلى ﴿الْمُنَنِ﴾: ﴿سَدَرَةُ الْمُنَنِ﴾ على المكان العظيم عند الله الذي تؤمه الملائكة المقربون.

(١) ينظر: التفسير الكبير (١٧٢/٢١، ١٧٣).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١٤٨/٣ (سدر).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ * ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ * ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٤-١٦] أي: التي ينتهي إليها عمل الخلائق وعلمهم. روي أنها في السماء السابعة. وقوله سبحانه: (عندها جنة المأوى) تعظيم لتلك السدرة. وقوله: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتننها نعت، ولا يحصيها عد، وقيل: يغشاها الجَمُّ الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها^(١).

٢ ٢ ٢

﴿سرب﴾

من دلالات (سرب) في اللغة، دلالتها في صيغة من صيغها على القطيع من الطَّيِّاء المنتشر في مكانٍ واسع، يقال: السَّرْبُ والسَّرْبَةُ، وهي القطيع من الطَّيِّاء والشاء^(٢). والسَّرْبُ بفتح السين، أصله في الإبل^(٣). ومنه تقول العرب للمُطْلَقَةِ: «اذهبي فلا أُنْذِه سَرْبِك»، أي: لا أَرُدُّ إيلك، لتذهب حيث شَاءَتْ^(٤). فالسَّرْبُ في هذا الموضع: المال الرُّاعِي^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرات. دلت الصيغة ﴿سَرْبًا﴾ على قدرة الله تعالى.

تجلت هذه الدلالة في سياق الحديث عن موسى ويوشع بن نون ولقائهما بالخضر عليه السلام وقصة الحوت المشوي الذي عادت له الحياة بقدرة

(١) ينظر: البيضاوي (٤٣٩/٢).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١٥٥/٣ (سرب).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) مقاييس اللغة: ١٥٥/٣ (سرب).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ١٥٥/٣ (سرب).



الله وسرب في البحر. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ [الكهف: ٦١]. نسي موسى ﷺ أن يطلب الحوت ويتعرف حاله، ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياة الحوت ووقوعه في البحر. روي: أن موسى ﷺ رقد، فاضطرب الحوت المشوي، ووثب في البحر معجزة لموسى أو الخضر.

وقيل: توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء على الحوت فعاش ووثب في الماء.

أي: فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكاً بعد أن كان مشوياً مُعْدَاً للأكل، فهذا السَّرْبُ المعجز بعد الموت يدل على قدرة الله^(١).

٢ ٢ ٢

﴿سربل﴾

«(السَّرْبَال): القميص»^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (ثلاث) مرات. دلت الصيغة ﴿وَسَرَّيْلَ﴾ على الدروع التي تلبس اتقاء ضربات السيوف.

تجلت هذه الدلالة في سياق التفضل والمن. قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنُتًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَّيْلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ﴾ [النحل: ٨١] جعل السراويل على قسمين: ما يكون واقياً من الحر والبرد. والآخر: ما يُتَقَى به عند البأس

(١) ينظر: البضاوي (١٧/٢).

(٢) مقاييس اللغة: ١٦٢/٣ (السربال).

والحرب^(١). والمعروف أن الدروع تصنع من الحديد الصلب المتين، فيتمكن لابس الدرع من اتقاء ضربات الخصم بالسيوف الحادة المتينة.

٢ ٢ ٢

(سرج)

«السين والراء والجيم أصلٌ صحيح يدل على الحسن والزينة والجمال. من ذلك السَّراج، سُمِّي لضياءه وحُسنه. منه السَّرج للدَّابة، هو زينته. ويقال: سَرَجَ وجهه، أي: حَسَنه، كأنه جعله له كالسَّراج»^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرات: دلت الصيغة «سِرْجًا» على الشمس الدالة على قدرة الله.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]. يعني الشمس^(٣)، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]. وقرأ حمزة والكسائي: (سُرْجًا) وهي الشمس والكواكب الكبار^(٤). وإنَّ هذا السراج العظيم الذي يسطع الكون بنوره لهو سراج دال على قدرة الله.

٢ ٢ ٢

(سرح)

من دلالات المادة (سرح) في اللغة دلالتها على تطليق المرأة. يقال:

(١) ينظر: التفسير الكبير (٩٦/١٠).

(٢) مقاييس اللغة: ١٥٦/٣ (سرح).

(٣) ينظر: البيضاوي (١٤٦/٢).

(٤) ينظر: البيضاوي (١٤٦/٢).



وتسريح بإحسان، أي: تطلقها^(١). وتدللّ على شجر طويل عظيم، إذ السَّرْح: شَجَرٌ طَوَالٌ عِظَامٌ، الواحدة سَرْحَةٌ^(٢). وتدلل على الذئب إذ السَّرْحان: الذئب^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٨) مرات. دلت صيغة الأمر: «سَرِّحُوهُنَّ» على القدرة.

تجلت الدلالة على القدرة قدرة الرجل على إمساك زوجته أو تسريحها في سياق التقابل الدلالي بين الإمساك والتسريح الدالين على القدرة.

قال تعالى: «وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» [البقرة: ٢٣١].

أي: «فإذا يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة... وإما أن يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار»^(٤). وقوله: «وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا».

النهى عن إمساكهن للإضرار بهن يدل على أن الرجل لديه القدرة وعنده الإمكانية أن يلحق الضرر بزوجته المطلقة، وذلك بإمساكها لغرض الإضرار، لذا كان النهي عن الإمساك من أجل الإضرار، كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها، ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الإمساك ضراراً. وكما أن لديه القدرة على أن يلحق بها الضرر بالإمساك مع الإضرار فإنه يقدر على أن يلحق بها الإضرار مع التسريح. لذا: كان الأمر من لدن القدير أن يكون التسريح

(١) ينظر: تهذيب الصحاح: ١٨٠/١ (سرح).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) الكشف: ٢٧٣/١.

بإحسان، وفي ذلك دلالة على أن الذي بيده التسريح بإحسان أو التسريح مع الإضرار قادر.

نظير ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَاكَ يُمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِحُ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وفيه تخيير للرجال بعد علمه كيف يطلقون، بين متقابلين: إما أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بواجبهن، وإما أن يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم^(١).

ففي التقابل الدلالي بين الإمساك والتسريح، والأمر الإلهي أن يكون الإمساك بالمعروف، والتسريح بإحسان دلالة على أن الرجال لديهم القدرة على أن يفعلوا غير ما أمروا به كأن يكون إمساكهم وتسريحهم ضراراً إن شاؤوا، فأمروا بما تقدم من المعروف والإحسان في الإمساك والتسريح.



■ (سرد)

«الشرد: اسمٌ جامعٌ للدروع وما أشبهها من عمل الجَلْق»^(٢). «والزَّراد، إنما هو الشَّرَاد»^(٣). «والمشرد: المخرز»^(٤).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة. دلت الصيغة المعرفة المسبوقة بفعل الأمر «وَقَدِّرْ» على النسج، والنسج إذا كان في الحديد فإنه يدل على التمكن في هذه الصنعة وقوة المنسوج وقوة المالك لهذا النوع من الدروع المنسوجة.

(١) ينظر: الكشف: ٢٧٠/١.

(٢) مقاييس اللغة: ١٥٧/٣ (سرد).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.



تجلت هذه الدلالة في سياق الأمر إذ أمر تعالى نبيه داود فقال: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرَدِ﴾ [سبأ: ١١].

أي: وقدر في النسيج بحيث يكون تناسب في خلق الدروع أو قدر مساميرها. وكل ذلك يدل على تمكين داود ﷺ.

دليله: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]. أي: جعلنا الحديد في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء^(١).

٢ ٢ ٢

■ (سردق)

(السُّرَادِق): الغبار^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (مرة) واحدة. دلت الصيغة ﴿سُرَادِقُهَا﴾ على الحاجز الذي يحجز الكافرين عن رؤية غير النار.

تجلت هذه الدلالة في قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

أي: حاجزاً يحيط بهم من جميع الجهات، والمراد أنه لا مخلص لهم منها ولا فرجة يتفرجون بالنظر إلى ما وراءها من غير النار بل هي محيطة بهم من كل الجوانب.

وقيل: المراد: الدخان الذي وصفه الله في قوله: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠]. وقيل: هذه الإحاطة بهم إنما تكون قبل

(١) ينظر: البيضاوي (٢٥٧/٢).

(٢) مقاييس اللغة: ١٦٢/٣.



دخولهم جهنم، فيغشاهم هذا الدخان، ويحيط بهم كالسرادق حول القسطة^(١).

وسواء أكان هذا الحاجز من دخان أم غيره، فهو معد لعقاب الكافرين كلون من ألوان عذابهم الذي لا يحاط بوصفه، ولا نستطيع أن ندرك ماهية تأثيره في نفوس المعذبين في الآخرة.



■ (سرر)

أسررت الشيء: أخفيته، وأسررته: أعلنته^(٢). والسُرُّ: خالص الشيء^(٣). ومنه السُّرور؛ لأنه أمرٌ خالٍ من الحزن^(٤). وسَرَازة الوادي وسِرُّه: أجوده^(٥). والسَّرير، وجمعه سُرُر وأسِرَّة. والسَّرير: خفض العيش؛ لأن الإنسان يستقر عنده وعند دَعته^(٦). وسرير الرأس: مستقرُّه^(٧). والسُّرُور العالم الفطن، وأصله من السَّر، كأنه اطلع على أسرار الأمور^(٨). وسِرَّ النسب، وهو محضه وأفضله^(٩).

أما في القرآن فقد وردت (٤٤) مرة: دلت الصيغة «وَسُرُورًا» على السرور في القلب، وهذا من التمكين.

(١) ينظر: التفسير الكبير (١٢١/١١).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٦٩/٣ (سر).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه: ٧٠/٣ (سر).

(٩) المصدر نفسه.



تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَهُ وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

أي: سروراً في القلب^(١). والتنكير في (سروراً) للتعظيم والتفخيم. معنى ذلك أن الله مكنهم من رضوانه فاستبشروا واطمأنوا.

وتجلت الدلالة على الفوز بالثواب والأمن من العذاب في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبَهُ، يَبْمِينِيهِ * فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَّسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الإنشقاق: ٧-٩].

أي: يرجع إلى أهله فائزاً بالثواب آمناً من العذاب^(٢). وهذا غاية التمكين.



■ (سرع)

تدور مادة (سرع) في اللغة حول الدلالة على خلاف البطء^(٣). فالسرير: خلاف البطيء^(٤). يقال: «لسرعان ما صنعت كذا، أي: ما أسرع ما صنعت»^(٥). «وسرعان القوم: أوائلهم»^(٦). و«السروعة: الرابية من الرمل»^(٧). يقال: «سرع فهو سريع، وأسرع فهو مسرع»^(٨).

(١) ينظر: التفسير الكبير (٢٤٨/١٥)

(٢) ينظر: التفسير الكبير (١٠٧/١٦).

(٣) معجم مقاييس اللغة: ١٥٢/٣، وينظر: عمدة الحفاظ: ١٩٢/٢ (سرع).

(٤) معجم مقاييس اللغة: ١٥٣/٣ (سرع).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) عمدة الحفاظ: ١٩٢/٢ (سرع).

(٧) عمدة الحفاظ: ١٩٣/٢ (سرع).

(٨) المصدر نفسه.



أما في القرآن: فقد وردت (٢٣) مرة، ودلت الصيغة «سَرِيعٌ» في قوله تعالى: «وَاللَّهُ سَرِيعٌ الْحِسَابِ» [البقرة: ٢٠٢] على أنه لا يحتاج سبحانه إلى عدٍ أو عقد أو إعمال فكر كما يفعل الحسبة^(١). ولهذا قال تعالى وقوله الحق: «وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيسِينَ» [الأنبياء: ٤٧]. فإله عالم بما لعبيده وما عليهم، ولا يحتاج إلى تذكر أو تأمل، ولا إلى وقت، فهو يعلم ما للمحاسب وما عليه^(٢). «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ» [يس: ٨٢]. وهو سبحانه لا يشغله شأن عن شأن^(٣). وحسابه مخلوقاته أسرع من لمح البصر^(٤).

وقوله: «وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيسِينَ» عطف على قوله: «وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ» [الأنبياء: ٤٧]. ومفعول (كفى) محذوف دل عليه قوله تعالى: «فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا»، والتقدير: وكفى الناس نحن في حال حسابهم. أي: أنه كفاهم نحن أنهم لا يتطلعون إلى حاسب آخر عدله كعدلنا. وهذا تأمين للناس من أن يجازى أحد منهم بما لا يستحقه. وفي هذا تحذير من العذاب وترغيب في الثواب.

وضمير الجمع في قوله تعالى: «حَسِيسِينَ» مُرَاعَى فيه ضمير العظمة من قوله تعالى: «بِنَا»، والباء مزيدة للتوكيد، وأصل التركيب: كفيْنَا الناس، وهذه الباء تدخل بعد فعل (كفى) في الغالب تدخل على فاعله في الأكثر كما في قوله: «وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا» [النساء: ١٦٦].

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٣٥/٢.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٣٥/٢.

(٣) ينظر: عمدة الحفاظ: ١٩٢/٢.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٣٥/٢.



وانتصب (حاسبين) على الحال أو التمييز لنسبة «كفى»^(١). والغرض من (كفى بنا حاسبين) التحذير أكثر مما هو ترغيب في الثواب، والله أعلم، لأن المحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتهه عليه شيء، وفي القدرة بحيث لا يعجزه شيء، حرّي بالعاقل أن يكون شديد الخوف منه^(٢).

واستعمل القرآن في موضع منه الصيغة «أَسْرَعُ» للدلالة على قدرته تعالى على الحساب المعجز. قال تعالى: «ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ» [الأنعام: ٦٢]. أي: «يحاسب الخلق بنفسه دفعة واحدة، لا يشغله كلام عن كلام»^(٣). وقيل: يأمر ملائكته حتى إن كل واحد من الملائكة يحاسب واحداً من عباد الله، لأن الله لو حاسب بنفسه لتكلم مع من لا يستحق هذا الفضل^(٤) والله قال «وَلَا يُكَلِّمُهُمُ» [البقرة: ١٧٤]. وسواء أكان حساب المخلوقات العاقلة ذات التكليف منه سبحانه أو بتمكينه ملائكته من ذلك، وبالصورة التي ذكرها سبحانه بقوله (وهو أسرع الحاسبين) فهو دليل على عظيم قدرته ومطلق إحاطته.

قوله: «أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ» تذييل ولذلك ابتدئ بأداة الاستفتاح المؤذنة إلى أهمية الخبر. والعرب يجعلون التذييلات مشتملة على اهتمام أو عموم أو كلام جامع.

وقدم المجرور في قوله: «لَهُ الْحُكْمُ» للاختصاص، أي: له لا لغيره، فإن كان المراد من الحكم جنس الحكم فقصره على الله إما حقيقي للمبالغة لعدم الاعتداد بحكم غيره، وإما إضافي للرد على المشركين، أي: ليس

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٦/١٧، ٨٧.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٧٧/٢٢، ١٧٨.

(٣) التفسير الكبير: ٢٠/١٣.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٠/١٣.

لأصنامكم حكم معه، وإن كان المراد من الحكم الحساب، أي: الحكم المعهود يوم القيامة، فالقصر حقيقي. وربما نرجح هذا الاحتمال بقوله عقبه: (وهو أسرع الحاسبين) أي: ألا له الحساب، وهو أسرع من يُحَاسِبُ فلا يتأخر جزاؤه^(١).

فالذي له الحكم لا غيره وهو المخصوص بذلك، والذي له حساب الخلائق، هو أسرع من يحاسب ولا يتأخر جزاؤه.

٢ ٢ ٢

■ (سرف)

من دلالات المادة (سرف) في اللغة دلالتها في صيغة من صيغها على تعدي الحد. تقول: في الأمر سَرَفٌ؛ أي: مجاوزةُ القدر^(٢). والسَّرَف: الضَّرَاوة^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٢٣) مرة. دلت الصيغة المعرفة ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾ على التكبر والعتو والشر.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي إِسْرَافٍ مِنْ أَعْدَابِ الْمُهِينِ * مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣٠-٣١] في العتو والشر. وهو خبر ثان، أي: كان متكبراً مسرفاً، أو حال من الضمير في عالياً، أي: كان رفيع الطبقة من بينهم^(٤).

(١) التحرير والتنوير: ٢٨٠/٧.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١٥٣/٣ (سرف).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: البياضوي (٣٨٣/٢).



وتجلت الدلالة نفسها في موضع آخر من القرآن. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَمَكَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨٣] في الكبر والعنو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء وجاء كبره في غلبته وقدرته إذ قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَمَكَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾.

أي: لغالب فيها^(١).

وتجلت الدلالة على الإسراف في القتل في سياق النهي: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]. أي: أن يقتل من لا يستحق قتله، أو قتل غير القاتل. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾.

أي: أوجب القصاص له وأمر الولاة بمعاونته^(٢). فالصيغة اكتنفت بقرائن أكسبتها الزيادة في الدلالة على التمكين والقدرة.



■ (سرق)

«السين والراء والقاف أصل يدلُّ على أخذ شيء في خفاء وسِرِّ. يقال: سَرَقَ يَسْرِقُ سَرَقَةً. والمسروق سَرَقٌ»^(٣). «واستَرَقَ السَّمْعَ، إِذَا تَسَمَّعَ مَخْفِئًا»^(٤). أما في القرآن فقد وردت (٩) مرات. دلت الصيغة «أَسْرَقَ» على الحيلة لسرقة أخبار السماء المشعرة بالقدرة والتمكين، فقبل البعثة المحمدية كانت

(١) ينظر: البيضاوي (٤٤٤/١).

(٢) ينظر: البيضاوي (٥٧٠/١).

(٣) مقاييس اللغة: ١٥٤/٣ (سرق).

(٤) المصدر نفسه.

الشياطين قادرة على اختلاس أخبار السماء بما تسمعه من حديث الملائكة، فتأتي بالقليل الذي تسمعه، فتلقيه إلى الكهان، فيخلطون معه الكثير من الأخبار الكاذبة، فيوهمون الناس أنهم يعلمون الغيب.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ۖ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۖ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ أَلْسَمَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦-١٨].

قيل: كانت الشياطين لاتحجب عن السماوات، فكانوا يدخلونها ويسمعون أخبار الغيب من الملائكة فينقلونها إلى الكهنة، فبوادة موسى منعوا من سموات ثلاث، فلما ولد المصطفى ﷺ منعوا من جميع السماوات، فالشيطان إذا أراد الاستراق بعد مولده ﷺ يرمى بشهاب و(إلا في الآية لا تحمل على الاستثناء بدليل أن إقدامهم على استراق السمع لا يخرج السماء من أن تكون محفوظة منهم إلا أنهم ممنوعون من دخولها، وإنما يحاولون القرب منها، فلا يصح أن يكون استثناء على التحقيق، فوجب أن يكون معناه: لكن من استرق السمع. وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ أَلْسَمَ﴾ أي: يريد الخطفة اليسيرة، وذلك لأن المارد من الشياطين يعلو فيرمى بالشهاب فيحرقه ويقتله^(١).

فالمسترقون للسمع أيأ كان استراقهم قبل أن تتبعهم الشهب يكونون قد فعلوا أفعالاً تدل على أن الله مكنهم وقدرهم على أفعال لا يقدر عليها البشر. فالصيغة (استرق) دلت على القدرة والتمكين.

٢ ٢ ٢



■ (سرمد)

(السَّرمَد): الدائم، والميم فيه زائدة، وهو من سَرَدَ، إذا وصل، فكأنَّه زمان متصل بعضه ببعض^(١).

أما في القرآن فقد وردت مرتين. دلت الصيغة «سَرَمَدًا» على طول المدة الدالة على قدرة الله تعالى.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرَمَدًا إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ لَيْلٌ تُكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» [القصص: ٧٢]. نبه القرآن على أن الليل والنهار نعمتان وقدرتان يتعاقبان على الزمان، لأن المرء في الدنيا وفي حال التكليف مدفوع إلى أن يتعب لتحصيل ما يحتاج إليه، ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار، ومعلوم أن الإنسان لا يمكنه إنجاز أعماله إلا بالراحة والسكون في الليل، فلا بد منهما والحالة هذه.

فبين تعالى أنهما قدرتان شاءت هما قدرته. والسرمد معناه: الدوام المتصل^(٢). وديمومة النهار لا يقدر على فعلها إلا الله، ولو أنه سبحانه شاء جعل النهار أبداً طويلاً ممتداً إلى يوم القيامة فيعسر على الإنسان العيش من غير ليل يسكن فيه.



■ (سرو)

من دلالات المادة (سرو) في اللغة دلالتها في صيغة من صيغها على السَّخاء. فالسَّرو: سخاءً في مروة^(٣).

(١) مقاييس اللغة: ١٦٠/٣ (السرمد).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (١٢/١٣، ١٣).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ١٥٤/٣ (سرو).



أما في القرآن فقد وردت (٨) مرات. دلت الصيغة الماضوية «أَسْرَى» على الانتقال من مكان إلى آخر انتقالاً مشعراً بالقدرة والتمكين.

تجلت الدلالة على الانتقال من مكان إلى مكان انتقالاً دالاً على القدرة والتمكين باستعمال القرآن الصيغة «أَسْرَى».

قال تعالى في سياق التنزيه: «سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا» [الإسراء: ١].

أي: تنزيه الذي نقل نبيه محمداً ﷺ بقدرته وتمكينه في بعض ليله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أي: من مكة إلى الشام. وتنكير (ليلاً) يدل على معنى البعضية^(١).

فقدرة الله جليلة حين مَكَّنَ عبده محمداً ﷺ من قطع المسافة التي تحتاج إلى مسير أربعين ليلة في بضع ليلة.

٢ ٢ ٢

(سطا)

السين والطاء والحرف المعتل أصلٌ يدلُّ على قهرٍ وغلبة. قولهم: سطا عليه يَسْطُو، وذلك إذا قَهَرَهُ ببطشٍ وَغَلَبَهُ^(٢). وَفَرَسَ ساطِ، إذا سَطَا على سائر الخَيْلِ^(٣). وَسَطَا الراعي على الشَّاةِ، إذا مات ولدها في بطنها فَسَطَا عليها بإخراجه منها^(٤). وتعني الكثرة والعلو. سطا الماء، إذا ارتفعَ وَعَلَا وَكَثُرَ^(٥).

(١) ينظر: الكشف (٦٢٢/٢).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٧١/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤١٠ (سطا).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٧١/٣ (سطا).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٧٢/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤١٠ (سطا).

(٥) المصدر نفسه.



أما في القرآن: فقد دارت حول البطش. دلت الصيغة «يَسْطُوتُ» على البطش في سياق يتحدث عن وجوه الذين كفروا حين يتلى القرآن وما يبدو عليها من سوء. قال تعالى مصوراً حالهم عند تلاوة القرآن عليهم: «وَإِذَا نَتَلَىٰ عَلَيْهِمُ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُوتُ يَسْطُوتُ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمُ ءَايَاتُنَا» [الحج: ٧٢]. وهم مشركو أهل مكة. «كانوا إذا سمعوا الرجل من المسلمين يتلو القرآن كادوا يفرطون عليه»^(١). فهم أصحاب سطوة أرادوا البطش بسطوة على النبي ﷺ وأصحابه وبالذين يتلون عليهم القرآن^(٢). وقيل: يشتمون ويضربون فهم يتناولونهم بالمكروه وذلك بالشتم والضرب^(٣). وَحَمَلُ المعنى على البطش أولى لأن السطوة في اللغة البطش، وأهل مكة وجاروها لا يكتفون بالشتم بل يعذبون المؤمنين منهم آل ياسر عذبوهم حتى الموت^(٤)، ويكيدون المكائد بالرسول ﷺ ليتخلصوا منه^(٥)، أو يكفوه عن دعوته، ولو اقتصرنا على الشتم لكان ذلك تساهلاً منهم لكنهم يكادون يهمون بالوثوب على المؤمنين تعظيماً لإنكار ما خوطبوا به، لذا نجد القرآن يحكي عظيم تمردهم على النبي والمؤمنين. وأمر تعالى نبيه ﷺ أن يقابلهم بوعيد فقال: «قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِّنْ ذَٰلِكُمْ أَنْتَارُ» [الحج: ٧٢]. قوله: «مِنْ ذَٰلِكُمْ» يعني من غيظكم على الناس وسطوكم عليهم^(٦). فقاربتم أن تصلوا على الذين يتلون الآيات من شدة الغيظ والحنق من سماع كتاب الله يتلى.

(١) ينظر: مجاز القرآن: ٥٤/٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤٣٨/٣.

(٣) ينظر: تفسير غريب القرآن: ص ٢٩٥.

(٤) ينظر: خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر. الشيخ أحمد محمد عساف، دار إحياء العلوم، بيروت، ط ٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م: ص ٤٨.

(٥) ينظر: خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر: ص ٩٢.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ٦٨/٢٣.

قوله: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ في موضع بدل الاشتمال لقوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ لأن الهم بالسطو مما يشتمل عليه المنكر^(١). ويشعر حالهم ذاك وحال المؤمنين، أن المشركين كانوا في حالة قدرة وقوة تفوق قوة المؤمنين في ذلك الوقت، ولولا خوفهم من أن ينتصر لبعض المؤمنين بحكم العصبية التي هي أقوى عندهم من عامل الدين، لكانوا قد فعلوا ما يطفئ غيظهم وحنقهم لكن ذلك الخوف من أن يقتتلوا فيما بينهم حجبهم بقدرة الله عن إلحاق الهلاك بالمؤمنين، وغيظ قلوبهم لا يطفئه إلا تغييب المؤمنين بالإهلاك أو تغييب الإيمان في صدورهم بإعادتهم إلى الشرك. ولا شيء أقل من ذلك. فالصيغة (يسطون) دلت على ذلك.



■ (سطح)

السين والطاء والحاء أصل يدلُّ على بسط الشيء ومده. من ذلك السَّطْح معروف. وَسَطَحَ كُلُّ شَيْءٍ: أعلاه الممتدُّ معه^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة. دلت الصيغة ﴿سُطِّحَتْ﴾ على انبساط الأرض الدال على قدرة الله تعالى.

تجلت قدرة الله في انبساط الأرض. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خَلَقَ • وَإِلَى الْمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ • وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ • وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِّحَتْ﴾ (الغاشية: ١٧-٢٠). سطحت حتى صارت مهاداً بقدرة الله.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٣٥/١٧.

(٢) مقاييس اللغة: ٧٢/٣ (سطح).



قيل: أفلا ينظرون إلى أنواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الله تعالى فلا ينكروا اقتداره^(١). فالأرض مهدها الله لهم فكانت فراشهم وممشاهم ومكان جلوسهم واضطجاعهم سواها لهم بقدرته، والمراد بالأرض أرض كل قوم لا مجموع الكرة الأرضية.

وبنيت الصيغة (سطحت) للمجهول للعلم بفاعل ذلك وهو القدير تعالى^(٢).



(سطر)

تدل المادة (سطر) على القطع بالسيف. يقال: سطر فلان فلاناً بالسيف سَطْرًا إذا هو قَطَعَهُ به كأنه سَطَّرَ مَسْطُورًا، ومنه قيل لِسَيْفِ الْقَصَابِ سَاطُورٌ^(٣).

«وَالْمُسَيِّطُ وَالْمُضَيِّطُ الْمُسَلَّطُ عَلَى الشَّيْءِ لِيُشْرِفَ عَلَيْهِ»^(٤). يقال: سَيَّطَرَ يُسَيِّطِرُ وَتَسَيَّطَرَ يَتَسَيَّطِرُ فَهُوَ مُسَيَّطِرٌ وَمُتَسَيَّطِرٌ. وَسَطَرَهُ: صَرَعَهُ^(٥). وَالْمُسَيَّطِرُ: الرَّقِيبُ الْحَفِيفُ، وَقِيلَ: الْمَتَسَلِّطُ^(٦).

أما في القرآن: فقد وردت (١٦) مرة. دلت الصيغة «الْمُهَيَّطُونَ» على القهر والغلبة. قال تعالى: «أَمْ هُمُ الْمُهَيَّطُونَ» [الطور: ٣٧]. أي: المتسلطون المتجبرون

(١) ينظر: البضاوي: ٥٩٢/٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/٣٠٦.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٢٨/٦ (سطر).

(٤) لسان العرب: ٢٨/٦ (سطر).

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٠٩، ٤١٠، وينظر: لسان العرب: ٢٩/٦ (سطر).

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٧٣/٣، وينظر: لسان العرب: ٢٩/٦ (سلط).



الذين يقهرون ولا يقهرون^(١). والذين هم غالبون يدبرون أمر الربوبية، وينون الأمور على إرادتهم ومشيتهم، فيقهرون من يريدون^(٢). وقيل: لستم أنتم بخزنة ولا بكتبة الخزائن المسطين عليها؛ لأنه لا سيطرة لكم على الخزائن ولا أنتم بالمتصرفين في الملك وبيدكم مفاتيح الخزائن^(٣) ولا أنتم بالمحاسبين للخلائق، بل الله هو الملك المتصرف الفعال لما يريد والمحاسب والمعطي لكل جزاءه حسب ما كسبت يمينه فلا مصيطر على الكون سواء^(٤).

قوله: ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ «إنكار لأن يكون لهم تصرف في عطاء الله تعالى ولو دون تصرف مثل تصرف الوكيل والخازن وهو ما عبر عنه بالمصيطرون»^(٥).

والمخلوق لا سيطرة له وهو تحت قهر الله وجبروته، والله خزائن السماوات والأرض، وبيده مفاتيحها وهو المحاسب المتصرف، والكل تحت سيطرته وقهره، وهو فعال لما يريد.



■ (سعد)

من دلالات المادة (سعد) في اللغة دلالتها على الخير والسرور «فالسَّعْدُ: اليُمْنُ في الأمر»^(٦). «والسَّعْدَان: نبات من أفضل المرعى»^(٧). ودلت على

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧٥/١٧.

(٢) ينظر: الكشف: ٤٠٣/٤، ٤٠٤.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢٦١/٢٨.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٦١/٢٨.

(٥) التحرير والتنوير: ٧١/٢٧.

(٦) مقاييس اللغة: ٧٥/٣ (سعد).

(٧) المصدر نفسه.



التَّقْوِي: يقال لمساعد الإنسان ساعد، لأنه يتقوى به على أمره^(١). ولهذا يقال: ساعده على أمره؛ إذا عاونه، كأنه ضم ساعده إلى ساعده^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (مرتين). دلت الصيغة «وَسَعِيدٌ» على وجوب الجنة للمحسن وتمكنه من الخلود فيها.

تجلت دلالاته على التمكن من الخلود في الجنة في سياق الخبر الصادق. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]. والسعيد هو «الذي وجبت له الجنة لإحسانه»^(٣). ومن وجبت له الجنة كان من أهل السعادة يرفل بنعيم الله الأبدي ويتقلب في موطن فضله، فالشقاء والسعادة مراتب كثيرة تتفاوت في قوة الوصف. والسعادة هي الأحوال الحسنة الخيرة الملائمة للمتصف بها. والسعيد الذي هو في نعمة ورخاء^(٤).



(سعر)

السين والعين والراء أصل واحد يدل على اشتعال الشيء وانقاده وارتفاعه^(٥). من ذلك السَّعِير سَعِير النار^(٦). واستعارها: توقُّدها^(٧). والمسعر:

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) الكشف: ٤١٣/٢.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦٤/١٢، ١٦٥.

(٥) مقاييس اللغة: ٧٥/٣ (سعر).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

الخشب الذي يُسْعَر به^(١). والسُّعَارُ: حَزَّ النار^(٢). وَسَعَرْتُ النَّارَ وَأَسْعَرْتُهَا، فهي مُسْعَرَةٌ ومُسْعُورَةٌ^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (١٩) مرة. دلت الصيغة «سَعَرْتُ» على النار الموقدة إيقاداً عظيماً.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: «وَإِذَا أُلْجِئُ سَعَرْتُ» [التكوير: ١٢]. وتسعيها إيقادها أعظم إيقاد لتكون عقاباً لمن حق عليه العذاب^(٤).

وتجلت الدلالة على النار الموقدة الإيقاد العظيم في قوله تعالى: «لَإِنَّ اللَّهَ لَنَنَّ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا» [الأحزاب: ٦٤]. أي: ناراً شديدة الاتقاد^(٥). وفي ذلك دلالة على عظيم القدرة.

٢ ٢ ٢

(سَع)

تدل المادة (سَع) في اللغة على ذهاب الشيء^(٦). يقال: تَسَعَّسَ الشَّهْرُ، إذا ذهب أكثره^(٧).

أما في القرآن فقد وردت (٣٠) مرة: دلت الصيغة المعرفة «السَّاعَةُ» على وقت البعث والحشر.

(١) المصدر نفسه: ٧٦/٣ (سعر).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٥٠/٣٠).

(٥) ينظر: البيضاوي (٢٥٣/٢).

(٦) ينظر: مقاييس اللغة: ٥٧/٣ (سَع).

(٧) ينظر: المصدر نفسه.



تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٣١]. أي: ساعة البعث والحشر^(١). أي: يوم القيامة وما فيه من أحداث تُدُلُّ على قدرة الله تعالى.

❦ ❦ ❦

(سعى)

من دلالات المادة (سعو) في اللغة دلالتها في صيغة من صيغها على الكرم والجود. قالوا: «والمَسْعَاءُ في الكرم والجود»^(٢). «والسَّعَاية في أخذ الصدقات»^(٣). «وسَّعَاية العبد إذا كُوتِبَ: أن يسعى فيما يُفكُّ رقبته»^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (سعى) مرة. دلت الصيغة المضارعية ﴿تَسْعَى﴾ على المشي بسرعة وخفة حركة. قال تعالى في سياقٍ يأمر فيه الجليل القدير نبيه موسى ﷺ أن يلقي عصاه التي في يده ليظهر له أنه مؤيد من ربه: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَىٰ﴾ ﴿فَالْقَنَآءُ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [طه: ١٩-٢٠]. أي: تمشي بسرعة وخفة حركة^(٥)، فهي في سرعة حركتها كأنها الجان^(٦). ووصف الحية بـ(تسعى) لإظهار أن الحياة فيها كانت كاملة بالمشي الشديد القوي، والمشي الشديد القوي يُخَصُّ به الرجال دون النساء^(٧). دلالة على قوة حركتها وشدة مشيها.

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٩٠/٧)

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٧٤/٣ (سعو).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: الكشاف (٥٦/٣)

(٦) ينظر: التفسير الكبير (٢٨/٢٢).

(٧) ينظر: التحرير والتنوير (٢٠٧/١٦)

وتجلت دلالة السرعة في الصيغة «سَعِيًّا» في موضع من القرآن. قال تعالى: في سياق الحوار بين الجليل القدير ونبيه إبراهيم عليه السلام إذ طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيُطْمِئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعِيًّا» [البقرة: ٢٦٠].

أي: يأتينك ساعيات مسرعات في طيرانهن بقوة أو في مشيهن على أرجلهن^(١).

قادرات على الطيران أو المشي كما كن قبل الذبح. قيل: إن مجيء الطيور عدواً أو مشياً على أرجلهن، أبلغ في الحجة لأن السعي هو الاشتداد في الحركة.



■ (سفر)

السين والفاء والراء أصل يدلُّ على الانكشاف والجلء^(٢). من ذلك السَّفر، سَمِيَ بذلك، لأنَّ النَّاسَ ينكشفون عن أماكنهم^(٣). ويقال: سَفَرٌ بَيْنَ القومِ سفارة، إذا أصلح^(٤)، وأسفر الصبح، وذلك انكشاف الظَّلام^(٥). ووجه مُسَفِّرٌ، إذا كان مشرقاً سروراً^(٦).

(١) ينظر: الكشف (٣٠٥/١).

(٢) مقاييس اللغة: ٨٢/٣ (سفر).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (١٢) مرة. دلت الصيغة «تُسْفَرُ» على الإضاءة المشعرة بالتمكين.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الإخبار: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ تُسْفَرُ» (عبس: ٣٨) مضيئة^(١) وفي ذلك دلالة على تمكين الله عباده المؤمنين في ذلك اليوم على حين تكون وجوه الكافرين مغبرة من هول ما ينتظرهم من عقاب.

ولا يستبشر الإنسان حتى كأن وجهه يضيء من البشر إلا وهو يحس بالقدرة والتمكين، وأي قدرة وتمكين للإنسان المؤمن أعظم من رضا الله عليه إذ في ذلك اليوم إما نعيم أبدي وإما عذاب دائم. ويستحيل بالقرينة العقلية أن تسفر وجوه في ذلك اليوم إلا بعد إحساسها برضوان الله عليها، ومعنى ذلك سعادة أزلية ناجمة عن قدرة وتمكين.

❦ ❦ ❦

■ (سفع)

تدل المادة (سفع) في اللُّغة على الأَخْذِ بِشِدَّةٍ^(٢) وعلى الْقَبْضِ. سَفَعْتُ الشيءَ قَبَضْتُهُ قَبْضًا شَدِيدًا^(٣). وتعني اللَّطْمَ. سَفَعَ الطَّائِرُ صَرِيَّتَهُ، لَطَمَهَا^(٤)، وَسَفَعْتُ وَجْهَهُ بِالْعَصَا^(٥). يُقَالُ: «اسْفَعَا يَدَيْهِ فَأَقِيمَاهُ، أَي: خُذَا يَدَيْهِ»^(٦).

(١) ينظر: البضاوي (٥٧٠/٢)، (٥٧١).

(٢) ينظر: عمدة الحفاظ: ٢٠٢/٢ (س ف ع).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٨٤/٣، وينظر: عمدة الحفاظ: ٢٠٢/٢ (س ف ع).

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٨٤/٣ (سفع).

(٦) معجم مقاييس اللغة: ٨٤/٣ (سفع).

أما في القرآن فقد وردت مر واحدة دارت حول الجر بقدره.

دلت الصيغة: ﴿لَتَنفَعَا﴾ في سياق التهديد والوعيد على الجر من الناصية إلى النار. قال تعالى متوعداً أبا جهل بن هشام لقوله: إن رأيت محمداً يصلي توطأت عنقه^(١)، فنزل قوله تعالى: ﴿لَا يَنْ تَزِيهِ لَتَنفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥]. لَتَجُزَّئُهُ من ناصيته إلى النار^(٢). وقيل: «نأخذن بناصيته إلى النار»^(٣). أي: لنأخذن بناصيته ونجذبته بشدة ولنسحب به إلى النار^(٤). ولنلطمن وجهه^(٥). وقيل: «لنسودن وجهه»^(٦). وقيل: «لنسمنه»^(٧) من قوله تعالى ﴿سَيَسْمُهُ عَلَى الْفَرْطُورِ﴾ [النجم: ١٦] وقيل: «لنذله»^(٨).

واحتمل أهل التأويل أن يكون هذا السفع إلى النار في الآخرة وأن يكون المراد منه في الدنيا^(٩). وحمله على الآخرة أولى لأن عذاب الآخرة أشق وأعظم، وأخذه بناصيته إلى جهنم لا يعادله أي عذاب في الدنيا لأنه ينتهي ببرهة وجيزة.

واللام في قوله: ﴿يَنْ تَزِيهِ لَتَنفَعَا﴾ موطئة للقسم، وقوله: ﴿لَتَنفَعَا﴾ جواب القسم، وأما جواب الشرط فمحذوف دل عليه جواب القسم.

وقوله: ﴿لَتَنفَعَا﴾ لنأخذنك الأخذ الذي لا يترك لك تمكناً من الإفلات

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣/٣٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٤٥/٥.

(٣) القرآن الكريم بهامشه كتاب نزهة القلوب: ص ٥١٥.

(٤) ينظر: الكشف: ٧٦٩/٤.

(٥) التفسير الكبير: ٢٣/٣٢.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) التفسير الكبير: ٢٣/٣٢.

(٩) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣/٣٢.



كناية^(١) عن أخذه إلى العذاب، وفيه إذلال أيُّ إذلالٍ لأنهم كانوا لا يقبضون على شعر الرأس إلا لضربه أو جزه، وأكد القرآن ذلك السفح بالباء المزيدة الداخلة على المفعول لتأكيد اللصوق.

وقوله: ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾ بدل من الناصية، وتنكيرها لاعتبار الجنس، أي: هي من جنس ناصية كاذبة خاطئة.

قوله: ﴿خَاطِئَةٌ﴾ اسم فاعل من خطئ من باب علم، إذا فعل خطيئة، أي: إثماً، ووصف الناصية بالكاذبة والخاطئة مجاز عقلي^(٢). والمعنى: كاذب صاحبها خاطئ صاحبها، أي: آثم. ومحسن هذا المجاز أن فيه تخيلاً بأن الكذب والخطأ باديان من ناصيته، فكانت الناصية جديرة بالسفع الدال على قدرة الله أخذ الجبارين من نواصيتهم إلى النار^(٣).



(سفك)

تدل مادة (سفك) في اللغة على الصَّبِّ. يقال: سفك فلانٌ دمَ فلانٍ، أي: صبَّه^(٤).

أما في القرآن فقد وردت مرتين. دلت الصيغة الماضية المعطوفة على الإفساد في الأرض من قتل وإراقة دماء.

(١) (الكتابة لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ، كقولك: «فلان طويل النجاد»،

أي: طويل القامة). الإيضاح في علوم البلاغة: ص ٤٥٦.

(٢) المجاز العقلي: «هو المجاز الإسنادي ومجاز التركيب والمجاز الحكمي». معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢١٣/٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٥٠/٣٠.

(٤) المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٣ (سفك).

تجلت هذه الدلالة في سياق الاستفهام والحوار. قال تعالى على لسان الملائكة: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. أي: يقتل بعضهم بعضاً.

وقد أخذ الله من بني إسرائيل العهد ألا يقتل بعضهم بعضاً فقال في سياق الخبر: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]. أي: لا يفعل القتل بعضهم ببعض جعل غير الرجل نفسه. إذا اتصل به أصلاً أو ديناً. وقيل: إذا قتل غيره فكأنه قتل نفسه^(١)، أي: لا يستعمل أحدكم قدرته فيقتل غيره ويجري دمه لأنه يتمكن منه ويقدر عليه.

❦ ❦ ❦

■ (سفن)

السين والفاء والنون أصل واحد يدل على تنحية الشيء عن وجه الشيء، كالْقَسْرِ^(٢).

والسفينة بمعنى فاعلة؛ لأنها تسفن الماء، كأنها تقشره^(٣). والسَّفَان: ملاح السفينة^(٤). والسَّفَن: الحديد التي ينحُث بها^(٥). ويقال: سفنت الريح التراب عن وجه الأرض^(٦).

(١) ينظر: الكشف/١٦١/١

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٧٩/٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (٤) مرات. دلت الصيغة المعرفة «السَّفِينَةُ» على ما يستقله الناس في البحر ليتمكنوا من اجتياز الماء إلى مكان آخر على اليابسة.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى على لسان الخضر عليه السلام مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٩].

وتجلت دلالة «السَّفِينَةِ» على القدرة في سياق قرآني يتحدث عن نوح المرسل إلى قومه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ آلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمِيرَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ [العنكبوت: ١٤-١٥].

أي: ومن أركب معه من أولاده وأتباعه^(١). والقرينة (فأنجيناه) التي سبقت الصيغة (السفينة) أشعرت أن السفينة كانت وسيلة التمكن من النجاة، فهي إذاً قدرة أقدر الله بها نوحاً عليه السلام، فتمكن هو ومن آمن معه من البقاء على قيد الحياة، فنجوا من الغرق بفضل الله وقدرته.



(سقر)

السين والقاف والراء أصلٌ يدل على إحراق أو تلويع بنار. سَقَرْتُهُ الشَّمْسُ، إذا لَوَّحْتَهُ. ولذلك سُمِّيَتْ سَقَرٌ^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرات. دلت الصيغة «سَقَرٌ» على حرّ النار.

(١) ينظر: البيضاوي: ٢٠٥/٢

(٢) مقاييس اللغة: ٨٦/٣ (سقر).



تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار: ﴿يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُخْرًا مِّنْ سَفَرٍ﴾ [القمر: ٤٨]. أي: ذوقوا حرَّ النار وشدتها^(١)، ذوقوا حر جهنم الملتهية^(٢).



(سقط)

قال ابن فارس: «السينُ والقافُ والطاءُ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الوقوع. من ذلك سَقَطَ الشيءُ يَسْقُطُ سُقُوطاً»^(٣). «وَسَقَطَ النَّارُ: مَا يَسْقُطُ مِنْهَا مِنَ الرَّنْدِ»^(٤). والسَّيْفُ إذا سقط من وراء الصَّريَّةِ يَقْطَعُهَا حتى يجوز إلى الأرض يدعى السَّقَاطُ^(٥). وتدل على العَثَرَةُ والزَّلَّةُ والْوَقْعَةُ الشَّدِيدَةُ. قيل: «السَّقْطَةُ: الْوَقْعَةُ الشَّدِيدَةُ»^(٦).

أما في القرآن: فقد وردت (٨) مرات ودلت على السقوط الدال على القدرة.

دلت المادة في إحدى صيغها على التساقط المتلاحق الموحى بالكثرة والدال على القدرة في سياق الحديث عن مريم عليها السلام حين أسقطت النخلة رطبها الجنية في غير وقت ولا أوان. قال تعالى: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجَنَاحِهَا سَقُوطًا لِّكَ رُطْبًا غَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]. «فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في

(١) ينظر: البيضاوي (٤٤٩/٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢١٦/٢٧).

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٨٦/٣ (سقط).

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٨٦/٣، وينظر: معجم متن اللغة: ١٧١/٣.

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٨٦/٣، وينظر: معجم متن اللغة: ١٧٢/٣.

(٦) معجم متن اللغة: ١٧١/٣.



الشتاء»^(١) ومن القراء من قرأ: (تَسَاقُطُ) بفتح التاء مشددة السين. وقرأ آخرون: (تَسَاقُطُ) بفتح التاء مخففة السين^(٢). ولم يقرأ أحد من السبعة بالياء. ومن القراء العشرة من قرأ بالياء: (يَسَاقُطُ)^(٣). ذكر أن قوة اللفظ لقوة المعنى^(٤) «ومن جعل (يساقط) بالياء فالمعنى على الجذع، ومن جعله بالتاء فالمعنى على النخلة وهي ساكنة إذا كانت في موضع المجازات وموضع (يساقط) في موضع يسقط عليك رطباً جنياً»^(٥).

ومشيئة الله لا يمنعها مانع، ولا يدفعها دافع، ولا يقف في وجهها حائل، فالذين لم تقدمهم بصائرهم في معرفة ما بين أيديهم من الآيات الدالات على القدرة وما خلفهم من السماء والأرض الدالات على عظيم قدرة الله، فإن الله متى شاء يسقط عليهم كسفاً من السماء.

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأًا خَفِيفَ بِهِمُ الْأَرْضُ أَوْ تُسْقَطُ عَنْهُمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [سبأ: ٩]. قرئ: (يَسْأًا وَيُخْصِفُ وَيُسْقِطُ) بالياء؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١] وبالنون لقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ [سبأ: ١٠]. أي: إن الله قادر على كل شيء من البعث وقادر أن ينزل عقوبته^(٦). وإنَّ القادر على خلق الكون أرضه وسمائه وما تحويانه

(١) جامع البيان: ٧١/١٦.

(٢) ينظر: التبصرة في القراءات السبع لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، حققه: الدكتور محيي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط١، الكويت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م: ص ٢٥٦.

(٣) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٤) ينظر: الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني. تحقيق محمد علي النجار. وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٩٠. ط٤: ٢٦٧/٣، ٢٦٨، ٢٦٩.

(٥) مجاز القرآن: ٥/٢.

(٦) ينظر: الكشف: ٥٥٣/٣.

لقادر على عقاب المحجم عن النظر في الدلائل والمعجزات وعدم الاعتبار بالآيات الدالات على القدرة. فكل شيء ملك لله، وكيف يأمنون إسقاط جزء من السماء فوق رؤوسهم أو صواعق من عنده ينزلها عليهم فتهلكهم. فخلق السموات والأرض من الدلائل على كمال قدرته تعالى. وتهديده سبحانه بجعل عين نافعهم ضارهم بالخسف والكسف بقدرته^(١) قادر على الوفاء به، وقوله: «إِنْ نَشَأْ نُخَفِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا» اعتراض^(٢) بالتهديد بالعقوبة، فمناسبة التعجيب الإنكاري بما يذكرهم بقدرة صانع تلك المصنوعات العظيمة على عقاب الذين أشركوا معه غيره والذين أنكروا واسع قدرته وكذبوا رسوله ﷺ ولم يخطر في عقولهم تذكر الأمم التي كانت قبلهم، فأصابهم الله بشيء من الكائنات الأرضية كالخسف أو شيء من الكائنات السماوية بإسقاط كسف من الأجرام السماوية مثل ما أصاب قارون من الخسف وما أصاب أصحاب الأيكة من سقوط الكسف^(٣).

وكسوف الشمس والقمر: هو استتارهما بعارض مخصوص، وبه شبه كسوف الوجه والحال، ف قيل: كاسف الوجه وكاسف الحال، قيل: كسفت الثوب أكسفه كسفاً: إذا قطعتة قطعاً، وقيل: كسفت عرقوب الإبل، كسحت لا غير^(٤).

وإذا كانت هذه هي ماهية الكسف فكيف بالكافرين المنكرين قدرة الله لو أنه عجل عقابهم بهذا النوع من العقوبة أن يسقط عليهم كسفاً من السماء فتهلكهم بقدرته.

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٦/٢٤٥، ٢٤٦.

(٢) الاعتراض هو: «أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى، بجملته أو أكثر لا محل لها من الإعراب». الإيضاح في علوم البلاغة: ص ٣١٣، ٣١٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٣/٢٢، ١٥٤.

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٧١١.



قرأ الجمهور: «نخسف» و«نسقط» بنون العظمة^(١). وقرئت بياء الغائب على الالتفات من مقام التكلم إلى مقام الغيبة (يُسْقِطُ)^(٢).

وفي كلتا القراءتين تَمَّ إسناد الفعل إلى التقدير سبحانه، وفيه دلالة على عظيم القدرة ومطلق الإرادة والمشیئة.



■ (سقف)

السَّمَاءُ سَقْفٌ^(٣). والأُسْقَفُ من الرِّجَالِ، وهو الطويل المنحني؛ يقال: أُسْقِفُ بَيْنُ السَّقْفِ^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرات. دلت الصيغة المعطوفة على ما قبلها «وَالسَّقْفِ» دلت على السماء. وهي من أعظم الدلائل على قدرة الله.

تجلت الدلالة على قدرة الله في سياق القسم بالسماء. فقال تعالى: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥]. أي: والسماء المرفوعة. وجعل سبحانه السماء سَقْفًا مَحْفُوظًا لا تقع بقدرة. فقال: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

أي: محفوظة عن الوقوع بقدرته ومحفوظة من الفساد والإخلال إلى الوقت المعلوم.

(١) ينظر: إتحاف فضلاء البشر: ص ٣٥٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٤/٢٢.

(٣) مقاييس اللغة: ٨٧/٣ (سقف).

(٤) المصدر نفسه.

وتجلت الدلالة على قدرة الكافرين المادية في الدنيا في سياق يتحدث عن تلك القدرة: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُثْبِتَ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣].

أي: لولا الخشية على المؤمنين الفتنة لكان أعطى الله الكافرين أو لبعضهم قدرة مادية إلى الحد الذي تكون فيه سقف منازلهم ومعارجها من فضة.

لكن تلك القدرة الممنوحة لهم ليست تكريماً بل هي استدراج لهم وحجة عليهم ليكونوا أخزى من غضب الله عليهم وليكونوا أهلاً بحق لعذاب جهنم.



■ (سقى)

السَّقْيُ والسَّقْيَا في اللغة: أن يعطي السَّاقِي المُسَقَّى ما يَشْرَبُ^(١). والإِسْقَاءُ: أَنْ يجعل له ذلك يَشْرَبُهُ كيف شاء^(٢). «فالإِسْقَاءُ أبلغ من السَّقْيِ، لأن الإِسْقَاءَ هو أن تجعل له ما يُسَقَّى منه ويشرب، تقول: أسقيته نهراً»^(٣). يقال: «سقاكم الله تعالى الغيث والدرَّ وأسقاكم»^(٤). ومن المجاز قولهم: سقى قلب فلان العداوة^(٥). والموت يُشْرَبُ، يقال: تَسَاقَوْا كأس الموت^(٦). دلالة على اقتدار بعضهم على بعض وإهلاكهم.

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤١٥ (سقى).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤١٥ (سقى).

(٤) أساس البلاغة: ٤٤٨/١ (سقى).

(٥) ينظر: أساس البلاغة: ٤٤٨/١ (سقى).

(٦) المصدر نفسه.



أما في القرآن: فقد دلت الصيغة «شَفِّيكُرُ» على قدرته تعالى إسقاء الناس اللبن السائغ اللذيذ من بطون الأنعام هذا الإسقاء المشعر بقدرة عظيم رحيم ساقه القرآن في سياق التذكير بالفضل والمنة المستوجبين الشكر والتفكر بعظيم القدرة، فمن بين فرث ودم يخرج شراب لذيذ مفيد، يعطي الإنسان دابته حفنة من شعير، أو هشيم تستقر في جهازها الهضمي فإذا بها بقدرة القدير تعالى تتحول إلى ذلك الشراب الذي يخرج من بين فرث ودم من غير تغيير للون أو طعم، فلو أن أمم الأرض تجمعت بمصانعها وآلاتها، ثم تضافرت على أن تخرج من شعير أو هشيم لبناً لما استطاعت حتى لو تهياً لمصانعها الحديثة أكواظ من طعام تأكله الأنعام فإنها لا تقدر، وتقدر هذه البهيمة الضعيفة التي لا عقل لها بما أعد الله في بطنها من معمل لا يأبه به هذا الإنسان المتبجح بعقله وعلمه وقدرته. لكن القدير القوي مكن هذه المخلوقة الضعيفة من صنع ما عجز الإنسان عنه بما أوتي من قوة وعقل. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً شَفِّيكُرُ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]. أي: «دلالة على قدرة الله ووحدانيته وعظمته»^(١). قيل: «يقال لما كان من يدك إلى فيه سقيته، فإذا جعلت له شرباً أو عرضته لأن يشرب بفيه.. قلت أسقيته»^(٢). وقوله: «شَفِّيكُرُ» «هو استئناف، كأنه قيل: كيف العبرة، فقيل نسقيكم»^(٣). قوله: ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ «أي يخلق الله اللبن وسيطاً بين الفرث والدم يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله.

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٠/٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الكشف: ٥٩١/٢، وينظر: تفسير القرآن الكريم، للخطيب الشربيني المسمى بالسراج المنير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، أعيد طبعه بالأوفست: ٢٤٢/٢.

فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل^(١). وسئل أحد الصالحين عن الإخلاص فقال: «تمييز العمل من العيوب، كتمييز اللبن من بين فرث ودم»^(٢). وفي الآية إضمار، والتقدير: «نسقيكم مما في بطونه اللبن إذ ليس كلها ذات لبن»^(٣).

قوله: ﴿شَقِيقَكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ واقع موقع البيان لجملة ﴿وَلَا يَكُفُّ فِي الْأُتْرَافِ لَعِبَةً﴾. و(من) في قوله تعالى «مما في بطونه» ابتدائية؛ لأن اللبن يفرز عن العلف الذي في البطون. ووقع البيان بـ(نسقيكم) دون أن يقال: تشربونه أو نحوه، إدماجاً للمنة مع العبرة.

إنه إفراز ليس هو بدم؛ لأنه ألين من الدم، ولأنه لم يخلق ليبقى في عروق الضرع كبقاء الدم في العروق، وهو شبيه بالفضلات في لزوم التخلص منه، لكنه ليس كالفضلة، فهو إفراز طاهر نافع مغذ، وليس فيه قذارة ولا ضرر منه، وهو صالح للتغذية، ولا كغيره من الإفرازات المضرة كالبول وغيره.

وموقع (من بين فرث ودم) موقع الصفة لـ(لبناً)، قدمت عليه للاهتمام بها لأنها موضع العبرة، فكان لها الاهتمام الزائد، وبالتقديم صارت حلاً؛ ولأن اللبن يحصل في الضرع لا في البطن جعل مفعولاً لـ(نسقيكم)؛ وجعل (مما في بطونه) تبييناً لمصدره لا لمورده، فليس اللبن موجوداً في البطون، ولذلك كان (مما في بطونه) متقدماً في الذكر ليظهر أنه متعلق بفعل (نسقيكم) وليس وصفاً لـ(لبناً).

(١) الكشف: ٥٩١/٢، ٥٩٢، وينظر. الجامع لأحكام القرآن: ١٠/١٢٣، ١٢٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٦٦٠/٢٠.



وقد أحاط بالأوصاف المذكورة للبن في قوله تعالى: ﴿خَالِصًا سَافَاً
لِّلشَّارِبِينَ﴾. فخلوصه نزاهته مما اشتمل عليه البول والشغل، وسوغه للشاربين
سلامته مما يشتمل عليه الدم من المضار لشاربه فلذلك الشارب يتجهمه.

وهذا الوصف العجيب الفريد من معجزات القرآن العلمية، إذ هو وصف
لم يكن للعرب يومئذ معرفة بدقائق تكوينه، ولا أن يأتي على وصفه بما لو
وصف به العالم الطبيعي، لم يكن لأحد أن يصفه بأوجز من هذا الوصف
وأجمع منه.

وإفراد ضمير الأنعام في قوله تعالى: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ مراعاة لكون اللفظ
مفرداً لأن اسم الجمع لفظ مفرد، إذ ليس من صيغ الجموع فقد يراعى اللفظ
فيأتي ضميره مفرداً، وقد يراعى المعنى فيعامل معاملة الجموع^(١) كما في
قوله تعالى: ﴿تَشْقِيكَرَّ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: ٢١].



■ (سكب)

من دلالات المادة (سكب) في اللغة دلالتها على الفرس الواسع الخطو
السريع، يقال: فرسٌ سكبٌ؛ أي: سريع^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة. دلت الصيغة ﴿مَسْكُوبٍ﴾ على الماء
الجاري في غير أخدود. وهذه صفة ماء الجنة.

تجلت هذه الدلالة في سياق يتحدث عن أصحاب اليمين وتمكين الله
لهم في الآخرة. قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ *
وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: ٢٧-٣١].

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ١٤/١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢.

(٢) مقاييس اللغة: ١/٦٣ (سكب).

أي: ماء جار في غير مجرى أو أخدود، لأن الماء المسكوب يكون جارياً في الهواء ولا نهر في الهواء، كذلك الماء في الجنة^(١). وقيل: ماء يسكب لهم أين شاءوا وكيف شاءوا بلا تعب^(٢). وقيل: جَزِيُهُ بقوة يشبه السكب وهو ماء أنهار الجنة^(٣). وكل التأويلات تدل على تمكين الله المؤمنين في الآخرة وإثابته لهم على ما كان منهم في الدنيا من طاعة وامتنال أمره تعالى.

٢ ٢ ٢

■ (سكر)

من دلالات المادة (سكر) في اللغة كثرة الشراب. يقال: سَكِر سُكْرًا، ورجلٌ سَكِير، كثير السُّكْرِ^(٤). والسُّكْر: حَبْسُ الماء^(٥). وليلة ساكرة، فهي الساكنة التي هي طلقَّة، التي ليس فيها ما يؤذي^(٦). والسُّكْر: الشُّراب^(٧). وحكى ناسٌ سكره إذا خَنَقَه^(٨). والبعير: يُسَكَّر الآخر بذراعه حتى يكاد يقتله^(٩).

أما في القرآن الكريم فقد وردت (٧) مرات: دلت الصيغة «سَكْرَةٌ» على الشدة الدالة على القدرة.

(١) ينظر: التفسير الكبير (١٦٥/١٥).

(٢) ينظر: البيضاوي (٤٦١/٢).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠٠/٢٧).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٨٩/٣ (سكر).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه.



تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]. أي: شدة الموت الذاهبة بالعقل، أي: وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر أو الموعود الحق، أو الحق الذي ينبغي أن يكون بقدرة الموت، وقرئ: (سكرة الحق بالموت) على أنها لشدتها اقتضت الزهوق أو لاستعقابها له كأنها جاءت به. وقيل: سكرة الحق: سكرة الله، وإضافتها إليه للتهويل، وقرئ: (سَكَرَاتُ الْمَوْتِ)^(١). إنها تولد الاختلال في المزاج الذي يحجب الإدراك، فيختل العقل وتعتربه الغيبوبة، وتغلق أبواب كل معرفة، فيصبح صاحب السكرة كالسكران أو أشد بعداً عن العقلانية، فهي سكرة لا طمع في امتداد الحياة بعدها^(٢). إذاً فسكرة الموت تطيح بعقل من تحل به بقدرة الله.



(سكن)

تدور مادة (سَكَنَ) في اللغة حول ما هو خلاف الاضطراب والحركة^(٣). يقال: «سَكَنَ الشيءُ، يَسْكُنُ سُكُونًا فَهُوَ سَاكِنٌ»^(٤) وقيل: «السُّكُونُ ثُبُوتُ الشَّيْءِ، بَعْدَ تَحَرُّكِهِ»^(٥) والسَّكَنُ: النَّازِلُ لِأَنَّ النَّازِلَ لَهَا يَسْكُنُ^(٦). والسَّكِينُ: لِأَنَّهُ يُسْكَنُ حَرَكَةُ الْمَذْبُوحِ بِهِ^(٧). «وَالسَّكَنُ: كُلُّ مَا سَكَنْتَ إِلَيْهِ مِنْ مَحْبُوبٍ»^(٨). وَالسَّكِينَةُ: الْوَقَارُ^(٩).

(١) ينظر: البيضاوي (٤٢٢/٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠٦/٢٦).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٨٨/٣ (سكن).

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٨٨/٣ (سكن).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤١٧، وينظر: عمدة الحفاظ: ٢٠٨/٢.

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٨٨/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤١٧ (سكن).

(٧) المصدر نفسه.

(٨) معجم مقاييس اللغة: ٨٨/٣، وينظر: عمدة الحفاظ: ٢٠٨/٢ (س ك ن).

(٩) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٨٨/٣ (سكن).



أما في القرآن: فقد وردت (٦٩) مرة. دلت الصيغة «يُسْكِنُ» على قدرة الله في إسكان الرياح، فتبقى السفن رواكد على ظهر الماء من غير جريان. قال تعالى: «إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ» [الشورى: ٣٣].

هذه السفن العظيمة التي تكون في هيئتها كأنها الجبال تحمل الأثقال والأوزان الهائلة تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح على أسرع الوجوه، وعند سكون الرياح تقف. والمعروف أن محرك الرياح ومسكنها هو الله تعالى، إذ لا يقدر أحد على تحريكها من البشر ولا على تسكينها، وذلك دليل على وجود الإله القادر العظيم، وهذه الأثقال على ظهرها، ومع هذا الثقل العظيم تبقى على وجه الماء بقدرة الله على حين أن حصة صغيرة لو ألقيت في البحر لاستقرت في باطنه خلال لحظات، ومعنى هذا فإن الإرادة الإلهية شاءت ذلك، ومتى شاءت القدرة الإلهية شيئاً فإنه كائن لا محالة، فمن عظيم نعماء الله تعالى وفضله أن سخر البحر للإنسان، وجعل فيه منافع له، فكان جريان السفن بقدرته، وإذا شاء أوقفها بقدرته، إذ يسكن الرياح فتبقى واقفة على ظهره من غير جريان أو مسير^(١).

ومن دلائل القدرة الإلهية إسكان الماء النازل من السماء في الأرض لا يغور فيها، قال تعالى: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ» [المؤمنون: ١٨] أي: «جعلناه ثابتاً فيها لا يزول»^(٢)، أي: باقياً لا يغور في الأرض من غير فائدة منه.

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٧٦/٢٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ١٠/٤، وينظر: الكشف: ١٧٥/٣.



قوله: ﴿فَأَشْكَّتْهُ﴾ تنبيه منه سبحانه على أن الله قادر على إيجاده بقدرته وقادر على تغويره عذاباً وعقوبة في حال العصيان ونكران النعمة^(١). فالقادر على إنزاله قادر على رفعه وإزالته^(٢).

والإسكان: جعل الشيء في مسكن، والمسكن: محل القرار اسم مكان مشتق من السكون. وأطلق الإسكان على الإقرار في الأرض على طريق الاستعارة.

والإقرار على نوعين: إقرار قصير، مثل: إقرار المطر في القشرة الظاهرة من الأرض عقب نزول المطر بحسب كمية المطر النازل، وبحسب رخاوة الأرض وشدة الحرارة أو شدة البرد، وهو ما ينبت به النبات بقدرته الله. والنوع الآخر إقرار طويل وهو تجمع المياه التي تنزل من السماء مطراً أو ثلجاً داخل الأرض لتكون منه العيون التي تنبع بنفسها أو تفجر بالحفر آباراً.

وقوله: ﴿وَلَا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾ معترضة بين الآية وما تفرع عليها.



(سلب)

تدور مادة (سَلَبَ) في اللغة حول أَخَذِ الشَّيْءِ بِخِفَّةٍ واختطاف^(٣). يقال: «سَلَبْتُهُ ثَوْبَهُ سَلْباً»^(٤). والسَّلْبُ والسَّلِيبُ. الْمَسْلُوبُ^(٥). وَالْفَرْسُ

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤١٧، وينظر: عمدة الحفاظ: ٢٠٨/٢.

(٢) ينظر: الكشف: ١٧٥/٣، وينظر: التفسير الكبير: ٩٠/٢٣.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٩٢/٣ (سلب).

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٩٢/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤١٩ (سلب).

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٩٢/٣ (سلب).

يَقَالُ عَنْهُ سَلِيبٌ إِذَا كَانَ خَفِيفَ نَقْلِ الْقَوَائِمِ^(١). وَرَجُلٌ سَلِيبٌ الْيَدَيْنِ بِالطَّعْنِ^(٢).

أما في القرآن: فقد دلت المادة في إحدى صيغها على «نزع الشيء من الغير على القهر»^(٣). ففي سياق المثل المضروب والأمر بالاستماع له تجلت دلالة النزع على القهر. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَجَعُوا لَهُ^(٤) إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ^(٥) وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّلَبِ وَالْمَلَّابِ^(٦)﴾ [الحج: ١٧٣]. فمن دلائل وحدانية الخالق أن المعبودين من دون الله لا يقدرون على خلق ذبابة ولو اجتمعوا، كما أنه ليس بمقدورهم استنقاذ تافه حقير من الذباب سلبهم إياه^(٧). لقد وصف المشركون بالألوهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها تماثيل يستحيل عليها أن تقدر على أقل مما يقدر عليه مخلوق صغير حقير إنه الذباب. والدليل على عجز هذه الآلهة وانتفاء قدرتها أن هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدرُوا، فالذباب أفدر منهم، لأن الذباب حيوان، وهم جماد وهو غالب والآلهة المعبودة من دون الله مغلوبة. قيل: كانت تطلّى آلهتهم بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون الأبواب عليها، فيدخل الذباب من بعض الكوى فيأكله^(٨). فالذي يعجز أن ينفع نفسه أو يدفع عنها ضرر ذبابة فهو على نفع غيره أو الدفع عنه أعجز^(٩)، فالذباب حين يقع على آلهتهم فيأكل ما عليها من

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤١٩، وينظر: عمدة الحفاظ: ٢٠٩/٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤٣٨/٣.

(٥) ينظر: الكشف: ١٦٧/٣.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ٦٩/٢٣.



طعام، فإنها جامدة لا حراك فيها، وكما أنها عاجزة عن إيجاد أضعف الخلق وعاجزة عن دفع أضعف المخلوقات فكيف توسم بالألوهية؟ لقد شبهت هذه الأصنام في عجزها وضعفها بما هو دون هيئة أضعف المخلوقات^(١).



(سلح)

«السين واللام والحاء السِّلَاح، وهو يُقَاتَلُ به»^(٢). وفرقوا بين السِّلَاح والجُنَّة، فقالوا: «السِّلَاح ما قُوتِلَ به، والجُنَّة ما اتَّقِيَ به»^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرات في موضع واحد. دلت الصيغة «أَسْلِحَهِكُمْ» على آلة الحرب التي يتمكن المحارب من دفع خصمه بها. قال تعالى في سياق تعليم الرسول ﷺ والمؤمنين ماذا يتصرفون إن كانت الحرب قائمة أو كانوا في حالة خوف من العدو وأرادوا الصلاة: «وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَهُمْ فَلِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً» [النساء: ١٠٢]. أي: (يأخذون من السلاح، ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما)^(٤).

فالسلاح قدرة يستعملها المحارب. وقوله: «وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَهُمْ» كأنه يقول سبحانه: وليأخذوا ما يقدرون به الدفع عن أنفسهم، والحذر والسلاح

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٤٠/١٧.

(٢) مقاييس اللغة: ٩٤/٣ (سلح).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الكشف: ٥٤٨/١.



كلاهما يمكنان المحارب من دفع الخصم أو العدو، والعدو لا يدفع إلا بقوة تدفعه وتمنعه من الوصول إلى ما يريد من قهر وإذلال للخصم، والعدو يتمنى زوال قدرة عدوه وقوته وأهم عوامل منعه وتمكينه (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم). أي: تغفلون عن عنصر قدرتكم وعامل قوتكم وهو سلاحكم.

فأشعرت الصيغتان (أسلحتهم) و(أسلحتكم) واللذان أُسْنِدَ فيهما السلاح إلى ضميري جمع الغائب والخطاب على أنهما عاملا قدرة وتمكين.



■ (سلخ)

تدل مادة (سلخ) في اللغة على الكشط. «السَّلْخُ كَشَطُ الإِهَابِ»^(١). «وكل شيء ينفلق عن قِشْرِهِ، يقال عنه: «انْسَلَخَ»^(٢).

وتعني الخروج من الشهر. يقال: «سَلَخْنَا الشَّهْرَ، أي: خَرَجْنَا مِنْهُ، فَسَلَخْنَا كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْهُ عَنْ أَنْفُسِنَا جُزْءاً مِنْ ثَلَاثِينَ جُزْءاً، حَتَّى تَكَامَلَتْ لَيَالِيهِ فَسَلَخْنَاهُ عَنْ أَنْفُسِنَا كُلَّهُ»^(٣).

أما في القرآن: فقد وردت مادة (سلخ) (٣) مرات مشعرة بدلالة النزع والكشط. أوحى الصيغة «سَلَخُ» زنة (نَفَعْلُ) بقدرة الله في سياق قرآني يتحدث عن لو أرادوا الإيمان، لكان يكفيهم من عجائب قدرة الله في خلقه سلخ النهار من الليل، أي: على سبيل تقديم الحجة والبرهان. قال تعالى:

(١) تهذيب اللغة: ١٧٠/٧، وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٩٤/٣، وينظر: الصحاح: ٤٢٣/١ (سلخ).

(٢) تهذيب اللغة: ١٧٠/٧ (سلخ).

(٣) تهذيب اللغة: ١٧٠/٧، وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٩٤/٣، وينظر: الصحاح: ٤٢٣/١ (سلخ).



﴿وَأَيُّ لَهِمُّ آيَلٌ سَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧]. أي: نسلخ النهار من الليل، فلا يبقى شيء من ضوء النهار في الليل. وذلك من الدلائل على توحيد الله وقدرته^(١). وقيل: أزلنا ضوء النهار عن مكان الليل فلم يبق شيء من النهار موضع الليل^(٢). وقيل: معناه تمييزه منه فانسلاخ النهار من الليل إذا أتى آخر النهار ودخل أول الليل^(٣). فالليل في نفسه آية، والشيء تتبين بضده منافعه ومحاسنه، ولهذا لم يذكر القرآن الليل في موضع منه إلا وذكر آية النهار فيكون الليل والنهار آيتين دالتين على قدرته^(٤). وقيل: نصرف النهار فإذا ذهب أقبل الليل^(٥)، وسلخ شيء عن شيء كأن يسلم جلد شاة عن جسدنا وهو يحتاج إلى قدرة خاصة كأن يكون السالخ عالماً بكيفية السلخ، ولديه قدرة، فماذا يمكن أن يقال في سلخ النهار من الليل بحيث لا تبقى ذرة من ضوء في جسد الليل إلا والتحققت بجسم النهار.

ومن أهل التأويل من يذهب إلى أنه لا يوجد تداخل بين الليل والنهار والعلاقة بينهما علاقة تعاقب. قيل: «ومن الدلالة لهم على قدرته تبارك وتعالى العظيمة خلق الليل والنهار، هذا بظلامه وهذا بضياءه، وجعلهما يتعاقبان يجيء هذا فيذهب هذا، ويذهب هذا فيجيء هذا»^(٦). وهذا التأويل له ما يؤيده من الذكر الحكيم. قال تعالى: ﴿يُغَشِّي آيَلُ النَّهَارِ بِظُلْمِهِ حَبِيبًا﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وكأن الواحد منهما يجري خلف الآخر يريده فلا يلحق به. إلا أن الصيغة (نسلخ) لا توحى بذلك، ولا يوجد في القرآن مالا فائدة من

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٨٧/٤، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٦/١٦.

(٢) ينظر: الكشف: ١٥/٤.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٧٠/٢٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥٤٨/٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم: ٥٤٨/٣.



ذكره. لذا فالليل والنهار متداخلان، يطول أحدهما فيقصر الآخر. ولما كان مفعول (نسلخ) في الآية هو النهار، وعُدِّي السِّلْخ إلى ضمير «الليل» بـ(من) فصار المعنى: الليل آية لهم في حال إزالة غشاء نور النهار عنه فيبقى عليهم الليل، فشبّه النهار بجلد الشاة الذي يغطيها كما يغطي النهار ظلمة الليل في الصباح. وشبه كشف النهار وإزالته بسِّلْخ الجلد عن الشاة. فصار الليل بمنزلة الجسم المسلوخ المزال عنه جلده^(١).

وجميع التأويلات تشعر أن الليل والنهار من الآيات الدالات على قدرته تعالى، فلا الليل بمغن عن النهار، ولا النهار بمغن عن الليل، وفي كليهما أسرار القدرة، فإذا كان الليل آية فكيف لا يكون النهار آية؟ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]. وفي التعبير بالفعل المضارع (نسلخ) الدال على التجدد، ما يدل على أن عملية السِّلْخ مستمرة، وفي ذلك دلالة على عظم قدرة الله تعالى.

❦ ❦ ❦

■ (سلسبيل)

السَّلْسَبِيلُ: اللِّينُ الذي لا خُسُونَةَ فيه والخَمَرُ وَعَيْنٌ في الجَنَّةِ^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة. ودلت الصيغة «سَلْسَبِيلًا» على عين عظيمة يقتدر بها المؤمنون ويتمكنون في الجنة.

تجلت هذه الدلالة باستعمال القرآن «سَلْسَبِيلًا»، وذلك في سياق طويل يتحدث عن جزاء الأبرار في الجنة: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/٢٣.

(٢) القاموس المحيط مادة (سل).



عَلَى الْأَرَاكِ لَمْ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَائِيَّةٌ عَلَيْهِمْ يَلْبُلُهُمَا وَدَلَّتْ قُطُوفُهَا نَدْلِيلًا *
وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَاقِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابُ كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا
كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا شَمْسٌ سَلْسِيلًا [الإنسان: ١٢-١٨]. أي: الشراب اللذيذ
الطيب الطعم. قيل: (سلسبيلًا) لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم،
تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنة.

وقيل: سَلْسِلَةٌ منقاد ماؤها حيث شاؤوا. وقيل: عين شريفة فَسَلَّ سَيْلًا
إليها^(١).



(سلسل)

السَّلْسَلُ: الماء العَذْبُ أو البَارِدُ وَتَسْلَسَلِ الماءُ: جَرَى فِي حُدُودٍ^(٢).
وَالسَّلْسَلَةُ: اتِّصَالُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ وَيُكْسَرُ وَبِالْكَسْرِ: دَائِرٌ مِنْ حَدِيدٍ وَنَحْوِهِ^(٣).
وَسَلْسِلُ الْبَزْقِ وَالسَّحَابِ: مَا تَسْلَسَلَ مِنْهُ وَاحْدَتُهَا: سِلْسِلَةٌ وَسِلْسِلٌ
بِكَسْرِهِمَا^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرات. دلت الصيغة المنكرة المفردة
المؤنثة «سِلْسِلَةٍ» على خلق حديدية قوية متصلة اتصالاً متيناً قوياً أعدت
لأهل الشمال يلفون بها.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، فَيَقُولُ يَنْتَنِي لَرٍّ
أُوتِ كِتَابِيَّةٌ * وَلَرٍّ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ * يَلْتَنِيهَا كَانَتْ الْقَائِيَّةُ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ * هَلَكَ عَنِّي

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤٢/١٩، ١٤٣.

(٢) ينظر: القاموس المحيط مادة (سل).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

سُلْطَنِيَّةٌ • خَذُوهُ فَعُلُوهُ • ثُمَّ لَنَجْجِمَنَّ سَلْوَهُ • ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿
[الحاقة: ٣٢-٣٥]. أي: سلسلة طويلة قوية يلف بها أهل الشمال^(١).

وتجلت الدلالة نفسها في قوله تعالى في موضع آخر من القرآن: ﴿إِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤].

ووردت الدلالة نفسها في سياق آخر فيه تهديد ووعيد: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [إِذِ الْأَغْلُلُ فِيهِ أَعْتَقَتْهُمْ
وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ] [غافر: ٧٠-٧١]. والسلاسل المذكورة: حلق من حديد متصلة
بعضها ببعض اتصالاً محكماً قوياً لا انفصام لها يوثق بها أعداء الله الذين
كذبوا رسل الله.

٢ ٢ ٢

■ (سلط)

السين واللام والطاء أصل واحد، وهو القوَّة والقهر^(٢). من ذلك السَّلاطَة،
من التسلط وهو القَهْر^(٣). ولذلك سُمِّي السُّلْطَان سلطاناً^(٤). والسلطان:
الحُجَّة^(٥). والسَّليط من الرجال: الفصيح اللسان الذَّرب^(٦). والسَّليطة: المرأة
الصَّخَّابة^(٧).

(١) ينظر: البيضاوي (٥٢٣/٢)

(٢) مقاييس اللغة: ٩٥/٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.



أما في القرآن: فقد وردت (٣٩) مرة لتدل في بعض صيغها على القوة وتمكين الخصم من خصمه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٠]. أي: لمكنهم من قهركم^(١). ولو شاء لقوى قلوبهم على قتالكم ولتسلطوا عليكم، وفي هذا دلالة على أنه تعالى قد يسلط على المؤمنين غيرهم ويقويهم عليهم لحكمة يشاؤها^(٢).

وعلى تأويل من يستبعد تسليط غير المؤمن على المؤمن يكون المعنى: ولو شاء الله لسلطهم عليكم بتقوية قلوبهم ليدفعوا عن أنفسهم إن أقدمتم على مقاتلتهم على سبيل الظلم^(٣). وقيل: إنه تعالى أخبر أنه لو شاء لفعل، وهذا لا يفيد إلا أنه تعالى قادر على ذلك، ولا يفعل ذلك، وليس في الآية دليل على مشيئته ذلك أو إرادته له^(٤).

واستعمل القرآن في موضع منه الصيغة «سُلِّطَ» منفية في سياق التنصل من الإغواء تدليلاً على عدم القدرة على ذلك، إنما كان على سبيل التزيين، فحصلت الاستجابة لا على سبيل القهر بل على سبيل الاختيار. قال تعالى على لسان إبليس محاوراً من أغواهم يوم القيامة: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] أي: ما كان لي عليكم من قدرة أأزكم بها وأقهركم على الشرك^(٥). ما كان من تسلط وقهر فأقصركم على الكفر والمعاصي وأحملكم عليها^(٦) غير أنني دعوتكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني فاستجبتم لإضلائي وتزييني. إنه استثناء منقطع، أي:

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٢٠.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣٠/١٠، ٢٣١.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣١/١٠.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣١/١٠.

(٥) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ص ٥٠٤.

(٦) الكشف: ٥٢٩/٢.



لكن دعوتكم، وقيل: (إلا) في الآية استثناء حقيقي، لأن قدرة الإنسان على حمل الغير على عمل من الأعمال أحياناً يكون بالقسر والقهر، وأحياناً أخرى يكون بتقوية الدواعي في القلب بإلقاء الوسوس إليه، فهذا نوع من أنواع التسلط^(١). نظير ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [النحج: ٤٢]، أي: إنك لا تقدر أن تغويهم^(٢).

وجعل القرآن لولي المقتول سلطاناً يقهر به القاتل. قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لُولِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: ٣٣] أي: قدرة وتسليطاً للقصاص منه^(٣). فهو إن شاء قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية^(٤).

وينفي القرآن أن يكون لإبليس قدرة وقهر على الذين آمنوا. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩] أي: ليس له تسلط أو ولاية على أولياء الله تعالى^(٥). والمعنى: أنه لا حول عن معصية الله تعالى إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيقه^(٦). قال تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. نعم إنه لا حول لمخلوق ولا قدرة له على شيء إلا بتمكين الله وتوفيقه.

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١١٢/١٩.

(٢) ينظر: قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعه. تأليف: جميل بن خميس السعدي،

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، طبع دار جريدة عمان للصحافة والنشر: ٢٦٤/١٠.

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٢٠، وينظر: الكشف: ٦٣٨/٢.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٥/١٠.

(٥) ينظر: الكشف: ٦٠٩/٢.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ١١٧/٢٠.



(سلف)

السين واللام والفاء أصلٌ يدلُّ على تقدُّمٍ وسبقٍ. من ذلك السَّلَفُ: الذين مضَوْا. والقَوْمُ السَّلَافُ: المتقدمون^(١). والسَّلُوفُ: الناقَةُ تكون في أوائل الإبل إذا وَرَدَتْ^(٢). وتدل على التسوية. أسْلَفْتُ الأرضَ للزَّرْع، إذا سَوَّيْتُهَا^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٨) مرات. دلت الصيغة الجمعية «أَسْلَفْتُمْ» على عمل ما أفضى إلى القدرة والتمكين.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: «فَأَمَّا مَنْ أَوْفَتْ كُنْبُهُ بِبَيْبِهِ، فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَفْرَأُوا كُنْبِي» * «إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِي» * «فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ» * «فِي جَنَّةٍ عَلَيْهِمْ قُطُوفُهَا دَائِمَةٌ» * «كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» [الحاقة: ١٩-٢٤].

أي: بما قدمتم من الأعمال الصالحة^(٤) في أيام الدنيا الماضية. وقوله: «بِمَا أَسْلَفْتُمْ» يدل على أنهم استحقوا ذلك الثواب بسبب عملهم، وذلك يدل على أن العمل موجب للثواب، ويفهم أيضاً لو كانت الطاعات فعلاً لله تعالى لكان قد أعطى الإنسان ثواباً لا على فعل فعله وذلك محال^(٥). فالطاعات في الدنيا أفضت وقادت صاحبها إلى القدرة، أي: أن الذي قدموه في الدنيا قَدَّرهم وقوَّاهم في الآخرة، إذا ما أسلفوا من الأعمال قدرة لهم فيما بعد. أي: في الآخرة.



(١) مقاييس اللغة: ٩٥/٣ (سلف).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٩٦/٣ (سلف).

(٤) البيضاوي (٥٢٢/٢).

(٥) ينظر: التفسير الكبير (١١٤/١٥).

■ (سلق)

من دلالات المادة (سلق) في اللغة. دلالتها في صيغة من صيغها على الأذى باللسان. يقال: سَلَقَهُ بالكلام سلفاً، أي: آذاه^(١). وتدل على الخطيب البليغ يقال له مسلاق^(٢). «والسَلَق، بالكسر: الذئب»^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة. ودلت على الغلبة.

تجلت الدلالة على الغلبة غلبة الألسنة البذيئة في سياق يتحدث عن المنافقين يفضح زيفهم ويكشف حالهم. قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْرَجِهِمْ هَلُمْ وَإِنَّا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ [الأحزاب: ١٨-١٩].

قوله ﴿سَلَقُوكُمْ﴾ أي: غلبوكم بالألسنة، وأذوكم بكلامهم قائلين: نحن من قاتل وبنا كان الانتصار مطالبين بالخط الأوفر من الغنائم^(٤)، فالإيذاء كان بقدرتهم على الكذب، فهم على حظ أوفر منه.

وقيل: كانت أصواتهم قوية وكان صياحهم شديداً يلومون غيرهم من المؤمنين، لأنهم أشاروا عليهم ولم يؤخذ بمشورتهم، إذ إنهم نبهوا لخطر العدو الشديد^(٥). ووصف الألسن أنها حداد وحداد جمع حديد يشعر هذا الوصف بدلالة (سلقوكم) على الشدة في القول وشدة الملامة.

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: تهذيب الصحاح: ٥٨٠/٢ (سلق).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٥/٢٠٣.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٩٨/٢١).



(سلك)

من دلالات المادة (سَلَك) في اللغة. الدلالة على الطَّرِيقِ المَعْبُورِ. فالسُّلُوكُ النَّقَاطُ فِي الطَّرِيقِ^(١). يُقَالُ: «سَلَكْتُ الطَّرِيقَ»^(٢). وَالْحَيْظُ إِذَا وَضِعَ فِي الْإِبْرَةِ فَقَدْ سُلِكَ فِيهِ^(٣). وَالسُّلُكُ مَا سُلِكَ فِيهِ مِنْ دُرٍ وَغَيْرِهِ^(٤). وَالسَّانُ يُسَلِّكُ فِي الْمَطْعُونِ، أَي: يُشَكُّ فِيهِ فَيَتَفَدُّ^(٥). «وَالطَّعْنَةُ السُّلُكَةُ»^(٦). وَقِيلَ: ذَهَبَتْ فِي سِلْكِ خَفِيِّ^(٧). وَهَذَا كَلَامٌ دَقِيقُ السُّلُكِ، أَي: خَفِي^(٨).

أما في القرآن: فقد وردت مادة سلك (٩) مرات. دلت الصيغة «فَأَسْلُكُوهُ» على السلك في السلاسل. قال تعالى: ﴿ثُرَىٰ فِي سَيْلِهِ دَرَعُهُا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَأَسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢]. «ذكر أنها تدخل في دبر الكافر، فتخرج من رأسه، فذلك سلكه»^(٩).

وحمل المعنى على اللوي. إذ تلوي السلسلة على جسد الكافر حتى تلتف عليه أجزاؤها، وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة، وجعلها القرآن سبعين ذراعاً إرادة الوصف بالطول، كما قال تعالى: ﴿إِنْ سَتَعَفَرَ لَكُم سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠]. والمراد مرات كثيرة، لا حصر لها بسبعين لأنه لو كان كذلك لاستغفر الرسول لهم سبعين ولكن المقصود هو الكثرة التي لا تتحدد بعدد، لأنها كلما طالت كان الإرهاق أشدَّ. والمعنى في تقديم

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٢١، وينظر: المصباح المنير: ٢٨٦/١ (سلك).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٢١ (سلك).

(٣) ينظر: أساس البلاغة: ٤٥٤/١ (سلك).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: أساس البلاغة: ٤٥٤/١، وينظر: المصباح المنير: ٢٨٦/١ (سلك).

(٦) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٢١، ٤٢٢ (سلك).

(٧) ينظر: أساس البلاغة: ٤٥٤/١ (سلك).

(٨) المصدر نفسه.

(٩) معاني القرآن: ١٨٢/٣.

السلسلة على السلك: نظير تقديم الجحيم على التصلية. أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، كأنها أفضع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم^(١).

و(ثم) من قوله: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ للتراخي الرتبي بالنسبة لمضمون الجملة قبلها لأن مضمون ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ أعظم من مضمون ﴿فَنُتُوهُ﴾. ومضمون ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ دل على إدخاله الجحيم، فكان إسلاكه في تلك السلسلة أعظم من مطلق إسلاكه الجحيم.

«واقترن فعل (اسلكوه) بالفاء إما لتأكيد الفاء التي اقترنت بفعل (فغلوه)، وإما للإيذان بأن الفعل منزل منزلة جزاء شرط محذوف، وهذا الحذف يشعر به تقديم المعمول غالباً كأنه قيل: مهما فعلتم به شيئاً فاسلكوه في سلسلة، أو مهما يكن شيء فاسلكوه. والمقصود تأكيد وقوع ذلك والحث على عدم التفريط في الفعل وأنه لا يرجى له تخفيف»^(٢).

ويحذر القرآن الكريم من الإعراض عن الله ﷻ، لأن الإعراض عنه جزاؤه الإدخال في العذاب الشديد. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]. «يدخله عذاباً شاقاً»^(٣). ومن القراء من قرأ: (نسلكه) بنون العظمة، أي: ندخله (عذاباً)^(٤) والأصل: نسلكه في عذاب»^(٥). ثم حذف الجار وأوصل الفعل، كقوله: ﴿وَأَخْذَارَ مَوْسَى قَوْمَهُ﴾ [الاعراف: ١٥٥] أو يكون معنى نسلكه، أي: ندخله، يقال: سلكه وأسلكه^(٦).

(١) ينظر: الكشف: ٥٩٢/٤.

(٢) التحرير والتنوير: ١٣٨، ١٣٧/٢٩.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ص ٤٣٢.

(٤) ينظر: التيسير في القراءات السبع، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، صححه:

أوتويرتزل، استانبول، مطبعة الدولة، ١٩٣٠، لجمعية المستشرقين الألمانية: ص ٢١٥.

(٥) الكشف: ٦١٦/٤.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ١٦٢/٣٠.



واستعمل السلك في الآية في معنى شدة وقوع الفعل. والمعنى: نعذبه عذاباً لا مصرف عنه^(١).

وعلى قراءة: (نسلكه) بنون العظمة فيه التفات^(٢).



■ (سلم)

السَّلْمُ، بالكسر: السَّلَام^(٣). والسَّلْمُ: الصُّلْحُ، يفتح ويكسر^(٤). والسَّلَامُ: اسم من أسماء الله تعالى^(٥). وقلْبُ سليم، أي: سالم^(٦). والتَّسْلِيمُ: السَّلَامُ^(٧). وأسلم أمره إلى الله، أي: سلم^(٨).

أما في القرآن فقد وردت (١٥٧) مرة. ودلت الصيغة «سَلِيمُونَ» على التمكين.

تجلت دلالة التمكين والقدرة باستعمال القرآن الصيغة «سَلِيمُونَ» في سياق خبر الذين يُدْعَوْنَ إلى السجود يوم القيامة فلا يقدرُونَ، ذلك لأنهم لم يكونوا ليسجدوا في الدنيا إذ أمروا بذلك. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَلِيعَةً أَنْصَرُمُ رَعَفُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ [القلم: ٤٢-٤٣]. لما خصص عدم الاستطاعة بالآخرة دلَّ ذلك على

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣٩/٢٩، ٢٤٠.

(٢) والالتفات: «هو التعبير عن معنى بطريق التكلم أو الخطاب أو الغيبة بعد التعبير عنه، أي:

عن المعنى بطريق آخر». الإيضاح في علوم البلاغة: ص ١٥٧.

(٣) ينظر: تهذيب الصحاح: ٢٤٧/٢، ٢٤٨ (سلم).

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

(٧) ينظر: المصدر نفسه.

(٨) ينظر: المصدر نفسه.



أنهم كانوا في الدنيا يستطيعون لأنهم قادرون، ففي الآخرة سلبت منهم القدرة على السجود، لأن السلامة مفقودة ويحال بينهم وبين الاستطاعة لتزداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا حين دعوا إلى السجود وهم سالموا الأطراف والمفاصل^(١). وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى التَّجْوِدِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ معترض بين ما قبله وما تفرع عنه، أي: كانوا في حياتهم يدعون إلى السجود لله وحده وهم سالمون من مثل حالهم يوم المحشر. والواو للحال وللإعراض. وقوله: ﴿وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ حال من ضمير «يدعون». أي: وهم قادرون لا علّة تعوقهم عنه في أجسادهم ولا مرض بخلاف حالهم يوم القيامة فإنهم مُلْجَؤُونَ لعدم السجود^(٢). وتجلت الدلالة على القدرة في سياق التعجيز والإنكار أن يكون للكافرين قدرة على الصعود إلى السماء لاستماع أخبارها من الملائكة وعلم الغيب. قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ نَكُنْ سَمْعُكُمْ فِي الْقِيَامِ مُسْمِعُهُمْ بِشَاطِئِنِ ثُبِينِ﴾ [الطور: ٣٨]. أي: أم لهم قدرة يستعملونها ليسمعوا كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب. أي: هل لهم قوة الاستماع من السماء حتى يعلموا أنه ليس برسول وكلامه ليس بمرسل إليه^(٣).

٢ ٢ ٢

■ (سلوى)

من دلالات المادة (سلوى) في اللغة دلالتها على رغد العيش^(٤). يقول الرجل لصاحبه: سقيتني منك سلوةً وسلواناً، أي: طيبت نفسي وأذهلتها عنك^(٥).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٩٦/٣٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٩٩/٢٩.

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٢٦٢/٢٨).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٩٢/٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (٣) مرات. دلت الصيغة المعرفة ﴿وَالسَّلَوَىٰ﴾ على نوع من الغذاء أنعم الله به على بني إسرائيل ومكنهم وقواهم.

تجلت هذه الدلالة في سياق سوق المنن والنعم على بني إسرائيل رغم ما كانوا عليه من قسوة قلوب: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسَ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْقَةُ وَأَنْتُمْ تُنْظَرُونَ﴾ * ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَمَلَكُكُمْ تَشْكُرُونَ * وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٧]. قيل: كان ينزل عليهم المنُّ مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع، وتبعث الجنوب عليهم السماني^(١)، قوله: ﴿وَالسَّلَوَىٰ﴾ أي: طير يأكلونه، وقيل: العسل^(٢). والطيور اللذيذة اللحم والمشوية بحيث كانت كثيرة العدد تُوجَدُ في كل مكان يوجد فيه أصحاب القلوب القاسية، فمتى جاع أحدهم أخذ ما يشاء من هذه الطيور، فيذبحها ويشويها ويأكلها، فيقتدر بأكلها ويقوى جسمه ويتمكن. وعلى القول الثاني: أن (السلى) هي العسل، ومعروف أن العسل مفيد للأجسام وقوة لها.

٢ ٢ ٢

■ (سمع)

تقول: سَمِعْتُ الشَّيْءَ سَمْعًا^(٣). وَالسَّمْعُ: الذكر الجميل^(٤). يقال: قَدْ ذَهَبَ سَمْعُهُ فِي النَّاسِ، أي: صِيتُهُ^(٥).

(١) ينظر: البيضاوي (١٣/١)

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٠٧/١، ٤٠٨)

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ١٠٢/٣ (سمع).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

أما في القرآن فقد وردت (١٨٥) مرة في (١٧٩) موضعاً. دلت الصيغة «يُسْمِعُ» على الهداية الدالة على القدرة. قال تعالى في سياق التقابل بين قدرة الله على هداية من يشاء ونفسي تلك القدرة عمن سواه حتى لو كان محمداً ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ» [فاطر: ٢٢]. أي: إنه قد علم سبحانه من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل فيه، فيهتدي الذي قد علم أن الهداية تنفعه، ويخذل من علم أنها لا تنفعه^(١). أي: إن الله قادر على الهداية والنبي لا يقدر على ذلك. إن قبول الذين قبلوا الهدى واستمعوا إليه كان بإرادة الله بتهيئته سبحانه نفوس المؤمنين لقبول الذكر، والعلم مهد السبيل إلى السَّماع، وإن عدم انتفاع المعرضين إنما تم بموت قلوبهم لأنَّه لم يرد لقلوبهم أن تحيا بالحكمة. فكأنهم الأموات في القبور وأنت يا محمد لا تستطيع أن تُسمع الأموات.

فقوله: «إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ» تعليل لقوله: «إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ» [فاطر: ١٨].

واستعير (من في القبور) للذين لم تنفع فيهم النُّذر، ومن في القبور أعرق في الابتعاد عن بلوغ الأصوات لأن بينهم وبين المنادي حاجز الأرض. فهذا إطناب أفاد معنى لا يفيد الإيجاز بأن يقال: وما أنت بمسمع الموتى^(٢).

وتجلت قدرته تعالى في علمه ما جال في خاطر امرأة عمران وما دار في خلدها، ثم إجابة سؤالها وهي شبيخة أن يهب لها الولد، فكان أن حملت بمريم ﷺ. قال تعالى: «إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [آل عمران: ٣٥].

(١) ينظر: الكشف (٥٩٠/٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٩٥/٢٢، ٢٩٦).



أي: إنك أنت الذي تسمع تضرعي ودعائي وندائي، العليم بما في ضميري وقلبي ونيتي^(١).

❦ ❦ ❦

■ (سمك)

السين والميم والكاف أصل واحد يدلُّ على العُلُوّ. يقال: سَمَك، إذا ارتفع. والمسموكات: السماوات^(٢). ويقال: سَمَك في الدَّرَج. واسْمُك، أي: اغْلُ^(٣). وسَنَامٌ سامك، أي: عالٍ^(٤). والسَّمَاك: نجم^(٥).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة. دلت الصيغة ﴿سَمَكًا﴾ على الارتفاع الهائل الدال على القدرة.

تجلت هذه الدلالة في سياق الاستفهام التقريري: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ آتَمَاءُ بَنَاهَا﴾ ﴿رَفَعَ سَمَكًا فَسَوَّاهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٢٨]. أي: جعل مقدار ارتفاعها من الأرض أو ثخنها الذاهب في العلو^(٦). أي: رفع شدة علوها. وقيل المراد: رفع سمكها من غير عمد، وذلك لا يصح إلا من الله تعالى القادر وحده على ذلك^(٧).

والمقصود من التقرير إلى المخاطبين إلى الإقرار بأن خلق السماء أعظم من خلقهم.

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٨/٨

(٢) مقاييس اللغة: ١٠٢/٣ (سمك).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: البيضاوي (٥٦٦/٢)

(٧) ينظر: التفسير الكبير (٤٧/١٦)

أي: من خلق نوعهم وهو نوع الإنسان وهم يعلمون أن الله هو خالق السماء، فلا جرم أن الذي قدر على خلق السماء فكان بعدها عن الأرض البعد الذي تستحيل معرفته لهو قادر على خلق الإنسان مرة ثانية^(١).

٢ ٢ ٢

(سمم)

السَّيْنِ والمِيمِ الأَصْلُ المَطْرَدُ فِيهِ يَدُلُّ عَلَى مَدْخَلٍ فِي الشَّيْءِ كَالثَّقْبِ وَغَيْرِهِ، ثُمَّ يَشْتَقُّ مِنْهُ، فَمِنْ ذَلِكَ السَّمِّ وَالسُّمِّ: الثَّقْبُ فِي الشَّيْءِ: ﴿حَقَّ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. وَالسُّمُّ الْقَاتِلُ، يُقَالُ فَتَحاً وَضْماً^(٢).

وَالسُّمُومُ: الرِّيحُ الْحَارَّةُ، لِأَنَّهَا أَيْضاً تَدْخُلُ الْأَجْسَامَ مَدَاخِلَهُ بِقُوَّةٍ^(٣). وَالسَّمُّ: الْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَتَبَايَنُونَ وَلَا يَتَدَاخِلُونَ، فَإِذَا أُصْلِحَ بَيْنَهُمْ تَدَاخَلُوا^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرات. دلت الصيغة «السُّمُورِ» على الحر الشديد.

وتجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَلَبَّانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُورِ﴾

[الحجر: ٢٧].

أي: من نار شديدة الحر النافذة في المسام، ولا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة، فضلاً عن الأجسام المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري، فإنها أقبل لها من التي

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٨٣/٣٠).

(٢) مقاييس اللغة: ٦٢/٣ (سم).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.



الغالب فيها الجزء الأرضي، وقوله: ﴿مِنْ تَّارٍ﴾ باعتبار الغالب كقوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [غافر: ٦٧]. ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال القدرة وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر، وهو قبول المواد للجمع والإحياء^(١). وقوله: ﴿مِنْ تَّارٍ أَلْسُمُورٍ﴾ قيل: الريح الحارة فيها نار ولها لفتح وأوار، على ما ورد في الخبر أنها لفتح جهنم. وقيل: سميت سموماً لأنها بلطفها تدخل في مسام البدن، وهي الخروق الخفية التي تكون في جلد الإنسان يبرز منها عرقه وبخار باطنه. قال ابن مسعود: هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق الله بها الجان، فالله قادر على خلق الحياة والعقل في الجسم الحار^(٢). وعلى أية حال فإن السموم المذكورة في الآية سموم وصفت بما يشعر بقوة التأثير.

وتجلت دلالة الصيغة ﴿أَلْسُمُورٍ﴾ في موضع آخر من القرآن على القدرة النافذة. قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِيْ أَهْلِنَا مُتَوَفِّيْنَ ۖ فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ أَلْسُمُورٍ﴾ [الطور: ٢٥-٢٧]. أي: وقانا عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم^(٣). أي: القدرة اقتدار السموم.

٢ ٢ ٢

(سمن)

تدل المادة في بعض صيغها على خلاف الضمّر والهمزال، من ذلك السَّمَن، يقال: هو سمين^(٤).

(١) ينظر: البيضاوي (٥٢٩/١).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (١٨٩/١٠، ١٩٠).

(٣) ينظر: البيضاوي (٤٣٥/٢).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٩٧/٣ (سمن).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرات. دلت الصيغة «سَيْنٍ» على الاكتناز باللحم.

وتجلت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الخبر: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ صَيْفٍ يُزْبِعُ أَلْمُكْرِمِينَ﴾ [٢٤-٢٦]. أي: كثير اللحم، يمكن آكله من الشعب والاستمتاع بأكله، فيقوى الأكل وينسر.

ودلت الصيغة «سَمَانٍ» في موضع من القرآن على كثرة اللحم والضخامة وشدة الاكتناز. قال تعالى على لسان الذي كان مع يوسف في السجن: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّادِقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف: ٤٦] قوله: سمان: كثيرات اللحم والشحم، وكثرة اللحم والشحم في الحيوان تدل على قوته وقدرته وكثرة الاستفادة من لحمه وغير ذلك.

عبر الرؤيا بجميع ما دلت عليه: فالبقرات السمان كثيرات اللحم والشحم لسني المزارعة، لأن البقرة تتخذ للإثمار، والسمن رمز للخصب.

والعجف رمز للقطط. والسنبلات رمز للأقوات، فالسنبلات الخضراء رمز لطعام ينتفع به. وكونها سبعة رمز للارتفاع به في السبع السنين، فكل سنبلة رمز لطعام سنة، فذلك يقتاتونه في تلك السنين المجيدة.

والسنبلات اليابسات رمز لما يدخر، وكونها سبعة رمز لادخارها في سبع سنين، لأن البقرات العجاف أكلت البقرات السمان، وتأويل ذلك: أن سني الجذب أتت على ما أثمرته سنوات الخصب^(١).



(سمو)

من دلالات المادة (سمو) في اللغة دلالتها على العُلُو^(١). يقال: سَمَوْتُ؛ إذا علوت. وَسَمًا بصره: علا^(٢). والعرب تُسَمِّي السَّحَابَ سَمَاءً، والمطرُ سماء^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٣٨١) مرة. دلت الصيغة «السَّمَاءُ» على القدرة. تجلت الدلالة على القدرة في سياق الإخبار: ﴿وَيَوْمَ نَشَقُّ السَّمَاءَ وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] والسماء معروفة من السياق، وهي من آثار قدرة الله العظيمة، إذ قال سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] أي: بقدرة. والمبني بقدرة الله لهو بناء عظيم قوي محكم منيع حصين.

وتجلت دلالة الصيغة «وَالسَّمَاءُ» في موضع آخر في سياق القسم، إذ أقسم سبحانه بالسماء التي هي إحدى مخلوقاته الدالة على عظيم قدرته فقال: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]. أي: والسماء العظيمة ذات الكواكب العظيمة^(٤).



(سُنْدُس)

«السُّنْدُسُ بالضم: ضَرْبٌ مِنَ الْبُرِّيِّونِ، أَوْ ضَرْبٌ مِنْ رَقِيقِ الدِّيَاجِ، مُعَرَّبٌ»^(٥).

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٩٨/٣ (سمو).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: البضاوي (٥٨٤/٢).

(٥) القاموس المحيط (سندس).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرات. دلت الصيغة الجمعوية المنكرة «سُنْدُسٍ» على الديباج الرقيق دلالة على التمكن.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار عن جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات: «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا • أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ يُحَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ» [الكهف: ٣٠-٣١]. قوله: «سُنْدُسٍ» أي: الرقيق النخيف من الديباج^(١). وهو نعمة أعدها الله للمؤمنين في الجنة وأقدرهم بها ومكنهم.

تجلت الدلالة نفسها في موضع آخر من القرآن. قال تعالى: «وَلِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَبِيًّا وَمَلَكًا كِبَرًا • عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ» [الإنسان: ٢٠-٢١] أي: ثياب الحرير الخضر ما رَقَّ منها وما غلظ^(٢).



■ (سَم)

السين والنون والميم أصل واحد، يدل على العلو والارتفاع فالسَّنام معروف، وتَسَنَّمْتُ: علوت. وناقَة سَنِمَةٌ: عظيمة السَّنام. وأسَنَمْتُ النَّازَ: أَعْلَيْتُ لَهَا^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة. دلت الصيغة «تَسْنِيمٍ» على عين في الجنة رفيعة المكانة.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٩٧/١٠).

(٢) ينظر: البيضاوي (٥٥٤/٢).

(٣) مقاييس اللغة: ١٠٧/٣ (سَم).



تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار عن حال الأبرار في الآخرة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٨﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٩﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ﴿٣٠﴾ خَتَمَهُ، مِثْلُكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٣١﴾ وَمِرَاجُهُ، مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [المطففين: ٢٧-٣٢].

و(تسним) عَلَّمَ لعين بعينها سميت تسنمياً لارتفاع مكانها أو رفعة شرايها^(١).

٢ ٢ ٢

(ستن)

السين والنون أصلٌ واحدٌ مطرد، وهو جريان الشيء واطرأؤه في سهولة، والأصل قولهم: سَنَنْتُ الماء على وجهي أَسْنُهُ سَنًا، إذا أرسلته إرسالاً^(٢). ثم اشتق منه رجل مسنون الوجه، كأن اللحم قد سُئِنَ على وجهه^(٣). والحمأُ المسنون من ذلك، كأنه قد ضُبَّ ضَبًّا^(٤). وجاءت الريح سنائِنٌ، إذا جاءت على طريقة واحدة^(٥). ثم يحمل على هذا: سَنَنْتُ الحديدَ أَسْنُهَا سَنًا، إذا أمَرَزْتُهَا على السَّنَانِ^(٦). والسَّنَانُ هو المِسْنُ^(٧). والسَّنَانُ للرَّمَحِ من هذا؛ لأنه مسنون، أي: ممطول محدَّد^(٨). وقالوا: فلان سَنَنٌ إبله، إذا رعاها، حتى حَسَنْتَ بَشَرَتُهَا، فكأنها قد صُقِلَتْ صَقْلًا، كما تُسَنُّ الحديد^(٩).

(١) ينظر: البيضاوي (٥٧٩/٢).

(٢) مقاييس اللغة: ٦٠/٣ (سن).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) ينظر: مقاييس اللغة: ٦٠/٣ (سن).



أما في القرآن فقد وردت (٢١) مرة. دلت الصيغة «سُنَّةٌ» على الإهلاك. تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: «وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا» [الإسراء: ٧٦-٧٧].

أي: سَنَّ الله ذلك سنةً، وهو أن يهلك كل أمة تخرج رسولها من بين أظهرهم فالسنة لله وإضافتها إلى الرسل لأنها من أجلهم^(١).
أي: إن إهلاكنا لهم كائن لا محالة لأننا أجريناه على الأمم السالفة ولأن عادتنا لا تتحول^(٢).



■ (سنه)

السين والنون والهاء أصل واحد يدل على زمان. فالسنة معروفة، وقد سقطت منها هاء. ألا ترى أنك تقول: سُنِّيْهَ^(٣). ويقال: سَنَهَتِ النخلة، إذا أتت عليها الأعوام^(٤).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة. دلت الصيغة المنفية «لَمْ يَسَنَّه» على قدرة الله تعالى.

تجلت هذه الدلالة في سياق يتحدث عن الغُزَيْر كيف أماته الله مئة عام ثم بعثه. قال تعالى: «أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى

(١) ينظر: البيضاوي (٥٧٩/١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٨٠/١٥).

(٣) مقاييس اللغة: ١٠٣/٣ (سنه).

(٤) المصدر نفسه.



يُنِجِي، هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوَدِّهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴿البقرة: ٢٥٩﴾ أي: لم يتغير بمرور الزمان. قيل: كان طعامه تيناً وعنباً وشرا به عصيراً أو لبناً، وكان الكل على حاله ^(١) بعد مرور مئة سنة. أفلا يدل ذلك على قدرة الله؟!



(سنى)

السين والنون والحرف المعتل أصل واحد يدل على سقي ^(٢)، وفيه ما يدل على العلو والارتفاع ^(٣). فالسحابة تسنو الأرض ^(٤). وأما الذي يدل على الرفعة فالسَّناء ممدود، وكذلك إذا قصرته دل على الرِّفْعَة، إلا أنه لشيء مخصوص، وهو الضوء ^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (٢٠) مرة. دلت الصيغة ﴿سَنَّا بَرْقٍ﴾ على الضوء أو العلو، وكلاهما يدل على القدرة.

تجلت هذه الدلالة في سياق القدرة. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدَّكَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَرٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَّا بَرْقٍ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٤٣].

(١) ينظر: البيضاوي (١٣٦/١، ١٣٧).

(٢) مقاييس اللغة: ١٠٣/٣ (سنى).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

فمن قرأ على المد عنى العلو والارتفاع، ومن قرأ بالمقصود عنى الضوء. والبرق الذي تكون صفته ذلك لا بد أن يكون ناراً عظيمة خالصة، والنار ضد الماء والبرد، فظهوره من البرد يقتضي ظهور الضد من الضد، وذلك لا يمكن إلا بقدرة قادر حكيم^(١).



■ (سهر)

يقال للأرض الساهرة، سُميت بذلك لأن عملها في النَّبْت يكون دائماً ليلاً ونهاراً^(٢). وقيل: السَّاهور هو القمر؛ لأنه يسبح في الفلك دائباً، ليلاً ونهاراً^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة. دلت الصيغة المعرفة ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ على الأرض البيضاء المنبسطة التي تُصَدَّرُ الخوف لمن عليها.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣-١٤]. أي: الأرض البيضاء المستوية المخيفة للكافرين وهي أرض الموقف والحشر. تطير نوم من عليها لشدة الخوف^(٤).



(١) ينظر: التفسير الكبير (١٦/١٢).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١٠٨/٣ (سهر).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التفسير الكبير (٣٨/٦).



■ (سهل)

السين والهاء واللام أصل واحد يدلُّ على لينٍ وخلاف حُزونة^(١). والسهل: خلاف الحزن^(٢). ويقال: أسهلَّ القومُ، إذا ركبوا السهل^(٣). وسهيلٌ: نجم^(٤).
أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة. دلت الصيغة الجمعية المنكرة «سُهُولِهَا» على الأرض المنبسطة غير الوعرة.

تجلت هذه الدلالة في سياق الأمر بالتذكير تذكر نعم الله وفضائله: «وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَاكِ وَوَبَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا...» [الأعراف: ٧٤] أي: تبنون في سهولها، أو من سهولة الأرض بما تعملون منها كاللبن والآجر^(٥)، فالسهول توفر لقاطنيها من البشر وسائل القدرة والتمكن من نواحٍ عديدة، منها سهولة الحركة فيها، وما تنتج من زراعات واسعة، وما يُربى فيها من مواشٍ وأنعام، وما يستخرج منها من مياه، تسقى بها الأراضي وما يجري فيها من أنهار، وما يبنى عليها من قصور ومدن، وقدرات كثيرة أخرى.



■ (سوا)

تدل مادة (سوا) في اللغة على المساواة، فالمُساواة هي المعادلة المُعْتَبَرَةُ بالذَّرْعِ، والوزنِ، والكيلِ^(٦). واستوى يقال على وجهين: الأول: يُسْتَدُّ إِلَيْهِ

(١) مقاييس اللغة: ١١٠/٣، ١١١.

(٢) المصدر نفسه: ١١٧/٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: البيضاوي (٣٤٦/١).

(٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٣٩ (سوا).



فاعلانٍ فصاعداً، نحو: استوى زيدٌ وعمرُو في كذا، أي: تَسَاوَيَْا... والثاني: أن يقال لا اعتِدَالِ الشَّيْءِ في ذاتِه^(١) وإذا عُدِّي بعلَى اقتضى معنى الاستيلاء^(٢). ومتى عُدِّي بالِى اقتضى معنى الانتهاء اليه، إما بالذات، أو بالتدبير^(٣). وتسوية الشيء: جَعَلُهُ سواء، إما في الرُّفْعَةِ، أو في الضَّعَةِ^(٤). والسَّوِيُّ يقالُ فيما يُصَانُ عن الإفراطِ، والتفريطِ من حيثُ القدرُ والكيفيَّة^(٥).

أما في القرآن: فقد وردت (٨٣) مرة في (٨٢) موضعاً. وقد دلت في إحدى صيغها على كمال البنية الجسمية. قال تعالى مخبراً عن موسى ﷺ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤]. اختلفت التأويلات في (واستوى)، فمن أهل التأويل من ذهب إلى أن (أشده واستوى) بمعنى واحد وهو استكمال القوة واعتدال المزاج والبنية^(٦). ومنهم من فرق بينهما. فالأشد هو عبارة عن كمال القوة الجسمانية البدنية، والاستواء عبارة عن كمال القوة العقلية^(٧). وقيل: إن الأشد هو عبارة عن كمال القوة، والاستواء عبارة عن كمال البنية والخلقة^(٨). وقيل: استحکم^(٩).

فمن ذهب إلى أن (استوى) بمعنى بلغ أشده، فيكون استوى تأكيداً، والحق أن الأشد كمال القوة، وأن الاستواء كمال البنية، ولهذا وصف

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٤٠ (سوا).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣٢/٢٤.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) ينظر: مجاز القرآن: ٩٩/٢، وينظر: غريب القرآن: ص ٣٢٩.



موسى ﷺ بالاستواء ولم يوصف يوسف ﷺ إلا ببلوغ الأشد خاصة، لأن موسى ﷺ كان رجلاً طويلاً، لذلك كان وكزه القبطي قاضياً على الموكوز^(١).

وتجلت قدرة الله في خلقه هذا الإنسان في أحسن تقويم قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً مُتَلَقَّى فَسْوًى﴾ [القيامة: ٣٨]. أي: إن الذي قدر على إيجاد إنسان سوي من نطفة من مني، حتى كان بشراً سوياً، لا يعجزه إحياؤه بعد موته^(٢). وقيل: (فخلق) فقدر (فسوى) (فعدل)^(٣). وقيل: (فخلق) أي: فنفخ فيه الروح، فسوى: فكمل أعضائه^(٤). أي: إن خلق هذا الإنسان من هذه المادة الضعيفة وهذا التدرج في أطوار كيانه لدليل على إثبات القدرة على إنشائه الإنشاء الآخر بعد تفرق أجزائه واضمحلالها، فيتصل معنى الكلام ليصير: أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ويعتبر ذلك بعيداً ومتعذراً. ألم نبداً خلقه إذ كونه نطفة ثم طورنا خلقه أطواراً، فماذا يعجزنا أن نعيد خلقه ثانياً؟^(٥) قال تعالى: ﴿كَأَنَّا بَدَأْنَاهُ أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ومن عظيم القدرة الإلهية أن جعل الله للإنسان يداً، بها أصابع تقبض وتبسط، فهو ذو تركيب عجيب، فخلق يدل على قدرة وإرادة وإبداع وتصوير. هذه اليد تعينه على ما لا يقدر عليه غيره من المخلوقات الأخرى فضلاً منه ونعمة، وحين تشاء القدرة تسوية بنانه عقوبة فإن الله قادر يقيناً على ذلك لا يمنعه من ذلك مانع. قال تعالى: ﴿بَلْ قَدِيرٌ عَلَىٰ أَنْ سَوِّىَ بَنَانَهُ﴾

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٦/٢٠.

(٢) ينظر: جامع البيان: ١٧٥/٢٩.

(٣) الكشف: ٦٥٢/٤، وينظر: التفسير الكبير: ٢٣٤/٣٠.

(٤) التفسير الكبير: ٢٣٤/٣٠.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٦٦/٢٩.

[القيامة: ٤]. أي: (قادر والله على أن يجعل بنانه كحافر الدابة، أو كخف البعير)^(١). أي: ونحن قادرون على تسوية أصابع يديه ورجليه، أي: نجعلها مستوية شيئاً واحداً لا تفرق بينها فلا يمكنه العمل بها كما يعمل بها وهي مفرقة ذات مفاصل وأنامل من فنون الأعمال الدالة على القدرة، والبسط والقبض والتأني لما يريد من الحوائج من عظيم فضل الله على الإنسان^(٢).

والتسوية: تقويم الشيء وإتقان الخلق: ﴿وَقَفَّسْ وَمَا سَوَّيْنَا﴾ [الشمس: ٧]. وقال: ﴿فَعَلَقَ فَنُفِّي﴾ [القيامة: ٣٨]. وأريد بالتسوية إعادة خلق البنان مقومة متقنة، فالتسوية كناية عن الخلق لأنها تستلزمه، لأنه ما سوى هذا الإنسان إلا وقد أعيد خلقه، والبنان أصابع اليدين والرجلين أو أطراف الأصابع، وهو اسم جمع بنانة.

وتسوية أصغر الأعضاء في نهايات الجسد كناية عن تسوية شاملة للجسد كله، فتسوية أطراف الجسد تقتضي تسوية ما قبلها من الأجزاء^(٣).



(سور)

«السور: حائط المدينة، وجمعه أسوار»^(٤). «والأساورَةُ من الفرس: هم الفُرسان، جمع الأسوار»^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (١٧) مرة. دلت الصيغة «سَوَّوْا» زنة (تفعلوا) على الاعتلاء الدال على القدرة والتمكين.

(١) جامع البيان: ١٧٦/٢٩.

(٢) ينظر: الكشف: ٦٤٧/٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٤١/٢٩.

(٤) تهذيب الصحاح: ٢٩٠/١ (سور).

(٥) المصدر نفسه.



تجلت الدلالة على الاعتلاء الدال على القدرة والتمكن باستعمال القرآن الصيغة (تسوروا) في سياق خبر الخصم الذين تسوروا المحراب. قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخَافُ الْيَتِيمَ ۚ﴾ (ص: ٢١-٢٢) أي: تصعدوا سوره ونزلوا إليه كمن يتسنم بناءً فيعلو سنامه أو يبلغ ذراه. روي أن الله تعالى بعث إلى داود عليه السلام ملكين في صورة بشرين فطلبوا الدخول عليه فمنعهما الحرس لأنه في يوم عبادته، فتسورا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه^(١). ولأن تسور المحراب مستبعد لما في ذلك من صعوبة ولوجود الحراسة المشددة لم يبق سوى الانصراف بالذهن إلى أمر آخر يفوق قدرة البشر، ثم إن طبيعة الخطاب من شخصين مجهولين لملك عظيم بالقول (لا تخف)، (ولا تشطط) يوحي ذلك بأن المخاطبين ليسا عاديين بل لا بد من التحول إلى الاعتقاد أنهما ملكان مُمَكَّنَانِ كلفهما صاحب القدرة سبحانه لِيُعَلِّمَا داود كيف يحكم في الأرض.



(سوط)

يقال: سَطَّطَهُ بالسُّوْطِ: ضربه^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة. دلت الصيغة المضافة إلى عذاب ﴿سَوَّطَ عَذَابٍ﴾ على أداة القمع والقدرة.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوَّطَ عَذَابٍ﴾

[الفجر: ١٣].

(١) ينظر: الكشاف (٧٩/٤)

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١١٦/٣ (سوط).

أي: عذاباً سريعاً مؤثراً كالسوط في سرعة الإصابة. فكأنه سبحانه يقول: صَبَّ عليهم ربك عذاباً مقتدرًا.

فإضافة «سوط» إلى «عذاب» من إضافة الصفة إلى الموصوف. أي: صَبَّ عليهم عذاباً سوطاً^(١). وذلك مشعر بقوة التأثير في المصبوب عليهم العذاب.



■ (سوغ)

السين والواو والغين أصلٌ يدلُّ على سهولة الشيء واستمراره في الحلق خاصة، ثم يُحْمَل على ذلك. يقال: ساغ الشَّرَابُ في الحَلْقِ سوغاً^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرات. دلت الصيغة المنكرة «سَايَغُ» على سهولة الشرب.

تجلت هذه الدلالة في سياق التقابل الدلالي. قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَايَغُ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢].

قوله: «سَايَغُ» أي: يسهل انحداره^(٣). أي: أن شربه لا يكلف النفس كراهة فهو ميسور الشرب دون غصة ولا كره، أي: يستطيع شربه^(٤). أي: يتمكن من ذلك بيسر.



(١) ينظر: التحرير والتنوير: (٣٠)

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١١٦/٣.

(٣) ينظر: البضاوي (٢٦٩/٢)

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢، ٢٨٠)



(سوق)

أصل مادة (سَوَقَ) حثُّ الشيء على المشي على ساقه، لذا فهو مخصوص فيما له ساق متحركة، لذلك قال ابن الفارس: «السَّيْنُ والواو والقاف أصل واحد وهو حَذُو الشيء»^(١). والسَّوْقُ: مشتقة من هذا لما يُسَاق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والسَّاق للإنسان وغيره، وإن سُمِّيَتْ بذلك، لأنَّ الماشي يُسَاق عليها، والجمع سَوَقٌ. وسَوَقُ الإبل جَلْبُهَا. يُقَالُ: سَفَقْتُ فانساق^(٢). وَتَسَاوَقَتِ الإبلُ تَتَابَعَتْ^(٣). والزَّيْحُ تَسَوَّقُ السَّحَابُ^(٤).

أما في القرآن: فقد وردت (١٧) مرة في (١٦) موضعاً. ودلت الصيغة «سَوَّقُ» على قدرة الله. تجلت دلالة السَّوْقِ الدال على قدرة الله في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّقُوهُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ [السجدة: ١٢٧]. أي: أولم يعلموا كمال قدرتنا بسوقنا لهم الماء إلى الأرض اليابسة التي لا نبت فيها لنحييها لهم^(٥)، قوله: ﴿الْجُرُزِ﴾ (الأرض التي جرز نباتها أي: قطع، إما لعدم الماء، وإما لأنه رعي وأزيل، ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ: جرز)^(٦). ويدل عليه. قوله: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾. وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّقُوهُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ (عطف على ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾. ونيط الاستدلال هنا بالرؤية لأن إحياء الأرض بعد موتها ثم إخراج النبت منها دلالة مشاهدة. واختير المضارع في قوله: ﴿سَوَّقُ﴾ لاستحضار الصورة العجيبة الدالة على القدرة

(١) معجم مقاييس اللغة: ١١٧/٣ (سوق).

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٣٦ (سوق).

(٣) ينظر: أساس البلاغة: ٤٦٨/١ (سوق).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١٠/١٤.

(٦) الكشف: ٥٠١/٣.



الباهرة. والسوق: إزجاء الماشي من ورائه. والماء: ماء المزن، وسوقه إلى الأرض هو سوق السحاب الحاملة إياه بالرياح التي تنقل السحاب من جو إلى جو، فشبهت هيئة الرياح والسحاب بهيئة السائق للدابة. والتعريف في (الأرض) تعريف الجنس^(١).

ويسوق القرآن خبر هذا الحدث العظيم الدال على القدرة في أكثر من موضع لأن الماء عنصر مهم في حياة المخلوقات الحية. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيْتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْفُتُورُ﴾ [إفص: ٩]. وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية. وهو سوق السحاب إلى البلد الذي لا حياة فيه لما كان من الدلائل على القدرة الباهرة. قيل: (فسقنا) و(أحيينا) معدولاً بهما عن لفظة الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه^(٢).

فسوق السحاب إلى البلد الذي لا نبت فيه، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها من الدلائل على كمال القدرة.

وهبوب الرياح وسوقها دليل ظاهر على الفاعل المختار، فالهواء يسكن ويتحرك، وقد يتحرك يميناً ويساراً، واختلاف حركة الرياح لها أثر في السحاب، فقد ينشأ عنها سحب، وقد لا ينشأ، فهذه الاختلافات علامة على مسخر مدبر مؤثر مقدر. وقوله: ﴿سُقْنَهُ﴾ (بإسناد الفعل إلى المتكلم وكذلك في قوله: ﴿فَأَحْيَيْنَهُ﴾ وذلك لأنه في الأول عرف نفسه بفعل من الأفعال وهو الإرسال، ثم لما عرف قال: أنا الذي عرفتني سقت السحاب وأحييت الأرض، ففي الأول كان تعريفاً بالفعل العجيب، وفي الثاني كان تذكيراً

(١) التحرير والتنوير: ٢٤١/٢١.

(٢) ينظر: الكشف: ٥٨٣/٣.



بالنعمة؛ فإن كمال نعمة الرياح والسحب بالسوق والإحياء. وقوله: ﴿سُقْنَهُ﴾ (وأحييناه) بصيغة الماضي يؤيد ما ذكرناه من الفرق بين قوله: ﴿أَرْسِلْ﴾ وبين قوله: ﴿يُثِيرُ﴾^(١).

واختيار القرآن من دلائل الوجدانية دلالة تجمع أسباب المطر للوصول من ذلك إلى تنظير إحياء الأموات بعد أحوال الفناء بآثار ذلك الصنع العجيب وأن الذي خلق وسائل إحياء الأرض قادر على خلق وسائل إحياء من ضمتهم الأرض، اختياراً يثير العجب فكما به الحال العجيبة التي تقع فيها إشارة الرياح السحاب وهي طريقة للبلغاء في الفعل الذي فيه خصوصية بحال تستغرب وتهم السامع. ولم يؤت بفعل الإرسال في هذه الآية بصيغة المضارع بخلاف قوله في سورة الروم ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [الروم: ٤٨]؛ لأن القصد هنا الاستدلال بما هو واقع إظهاراً لإمكان نظيره، وأما آية سورة الروم فالقصد منها الاستدلال على تجديد صنع الله ونعمه. وقوله: ﴿سُقْنَهُ﴾ بعد قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ التفات من الغيبة إلى التكلم^(٢).

أما دلالتها الأخروية في القرآن الكريم، فهي الإجمار والإلزام على السير بقهر إلى جهنم عطاشاً وقد كانوا في الدنيا أصحاب قدرة، استعملوها في معصية الله، وفي تحدي أهل الإيمان وقهرهم، لقد تحدوا قدرة الله بالعصيان وعدم الامتثال لأوامره، وشرعه. يقول سبحانه في سياق الخبر عن إلزام الكافرين وإجمارهم بالمسير بقهر إلى جهنم ليصبروا وقودها وحشر المؤمنين ليصبروا وفود الله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۖ وَسَوْفَ الْمُجْرِمُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ [إبريم: ٨٥-٨٦]. نسوقهم سوقاً مقتدرأ وهم عطاش تنفطر منه

(١) التفسير الكبير: ٧/٢٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٢/٢٦٧، ٢٦٨.



أكبادهم^(١). لقد استحقوا هذا السوق المقرون بقهر، وأكبادهم تتفطر من شدة العطش، يجبرهم ويلزمهم بالمسير المذل إلى جَهَنَّمَ ملائكة شداد عظام لا يعصون الله ما أمرهم. إنها القدرة التي خفست الجبارين في الدنيا الذين يقهرون أهل الإيمان ويعتدون بما يمتلكون من قدرة. لقد ذكر سبحانه خبر هؤلاء المجرمين حين يُسَاقُونَ إلى النار بيهانة وإذلال واستخفاف بهم^(٢). فقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنُفِثَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ﴾ [مریم: ٨٥-٨٧]. وهو إتمام لإثبات قلة حيلة آلهتهم وعدم قدرتها على إفادة أتباعها في شيء: لقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مریم: ٨٢]. فقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ﴾ هو بداية الكلام، وهو بيان لقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾.

والظرف وما أضيف الظرف إليه إدماج وضحت به كرامة المؤمنين وإذلال الكافرين. وفي ضمه زيادة بيان لقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ إذ هم كانوا سبب سقوتهم أذلاء مقهورين إلى جهنم عطاشاً ومخالفتهم لحال المؤمنين في ذلك الحدث العظيم. فالظرف متعلق بـ (يملكون). وضمير (لا يملكون) عائد للآلهة. والمراد: لا يقدرون على أن ينفعوا من اتخذوهم آلهة ليكونوا لهم عزاً.

ولأن السوق: هو التسيير للأنعام قدام رعاتها تجعل أمامهم لترهب زجرهم وسياطهم لثلا تغلت منهم، فهو سوق مقرون بخوف وفزع وحذر إن كان المسوق عاقلاً، فلا يعرف إلى أين يساق القتل أم لحبس؟ ناهيك عن طبيعة السوق المذل المقرون بقدرة السائق على المسوق.

(١) ينظر: معاني القرآن: ١٧٢/٢، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٣/١١.

(٢) ينظر: الكشف: ٤١/٣، وينظر: التفسير الكبير: ٢٥٣/٢١.



وتتجلى دلالة السوق المقرون بقدرة في مشهد آخر، وسياق آخر من القرآن، قال تعالى مخبراً عن هذا السوق: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١] أي: «يساقون سوقاً عنيفاً بجزر وتهديد ووعيد»^(١). كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ [الطور: ١٣] أي: «يدفعون إليها دفعاً هذا وهم عطاش ظماء»^(٢) كقوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ [مريم: ٨٦] «وهم في تلك الحال صم وبكم وعمي منهم من يمشي على وجهه»^(٣) قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكَاءً وَصُغًا مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] هذا السوق العنيف المصحوب بجزر ووعيد، مع دفع مذل وعطش يقطع الأكباد، من غير سمع ولا بصر، هذا السوق يشعر بقدرة الله الفعال لما يريد.

والسوق الذي ورد خبره في سورة الزمر هو تنفيذ القضاء الذي جاء في قوله: ﴿وَقُضِيَٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩]. وقوله: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [الزمر: ٧٠] نتيجة حيث يودع المجرمون في العقاب، ويودع الصالحون دار الثواب. ونجد القرآن يبتدئ بخبر مستحقي العقاب لأنه الأهم في هذا المقام إذ هو مقام العود إلى الموعظة والترهيب للذين لم يتعظوا بما تكرر في القرآن من العظات. وأما مقابلهم أهل الثواب فقد حصل المقصود منهم، فما يذكر عنهم فليس سوى تكرير بشارة وثناء وحمد. والسوق في الغالب مشعر بالإزعاج والإهانة. قال تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ [الأنفال: ٦].

(١) تفسير القرآن العظيم: ٦٦/٤، وينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن. صديق حسن خان م١٣٠٧هـ، الناشر عبد المحيي علي محفوظ مطبعة العاصمة - شارع الفلكي بالقاهرة:

٢٥٤/٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٦٦/٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٦٦/٤.

و(حتى) في قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾ (الزمر: ٧١) ابتدائية و(إذا) ظرف الزمان المستقبل يتضمن معنى الشرط غالباً، أي: إنهم سيقوا سوقاً ملازماً لهم بشدته متصل بزمن مجيئهم إلى النار. وهذا السوق الملازم لهم بشدته والمتصل بزمن مجيئهم إلى النار يشعر بقدرة الله تعالى الذي يجزي على قدر ما يقدم العبد في حياته من أعمال صالحة أو سيئة^(١).

٢ ٢ ٢

■ (سوم)

«السَّوْمُ: أَضْلُهُ: الذَّهَابُ فِي ابْتِغَاءِ الشَّيْءِ»، فَهُوَ لَفْظٌ لِمَعْنَى مَرْكَبٍ مِنَ الذَّهَابِ وَالْابْتِغَاءِ^(٢). وتعني إطلاق شخصٍ لشخصٍ التصرف في ماله فيَكُونُ مُخَوَّلاً فِيهِ. يُقَالُ: «سَوَّمْتُ فُلَانًا فِي مَالِي تَسْوِيماً، إِذَا حَكَمْتُهُ فِي مَالِكَ»^(٣).

وَمِنْ صُورِ التَّخْوِيلِ وَإِطْلَاقِ الْيَدِ أَنْ يُخْلِيَ السَّيِّدُ بَيْنَ غُلَامِهِ وَمَا يُرِيدُ. يُقَالُ: سَوَّمْتُ غُلَامِي: أَي: خَلَيْتُ بَيْنَهُ وَمَا يُرِيدُ^(٤)، وَالْخِيلُ الْمُسَوَّمَةُ وَعَلَيْهَا رُكْبَانُهَا، وَالْمُسَوَّمَةُ: الْمُرْسَلَةُ^(٥). وَتَعْنِي الْحَمْلَ عَلَى الْمَكْرُوهِ.

يُقَالُ: «سَامَهُ خَسَفًا، أَي: حَمَلَهُ عَلَى مَكْرُوهٍ»^(٦).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٩/٢٤.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٣٨ (سام).

(٣) معجم مقاييس اللغة: ١١٨/٣. (سوم).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١١٨/٣ (سوم).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) عمدة الحفاظ: ٢٣٨/٢ (س ١ م).



أما في القرآن: فقد وردت (١٥) مرة. دلت الصيغة ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ﴾ على العذاب.

تجلت دلالة إذاقة العذاب الدال على قدرة المذيق على المذاق في قوله تعالى في سياق التذكير بفضل الله ومنته على بني إسرائيل وإنجائهم من فرعون وقومه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]. أي: ييغونكم أشد العذاب وأفظعه^(١).

وقوله: ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ حال من آل فرعون يحصل بها بيان ما وقع الإنجاء منه وهو العذاب الشديد. والمعنى: يعاملونكم معاملة الذليل المحتقر. أي: أنالوكم وأعطوكم أشد العذاب وأفظعه بتذبيح الأبناء. أريد بالأبناء أطفال اليهود. وقيل: أريد به الرجال بدليل المقابلة مع النساء، فالمحق والاستئصال يوجه في الغالب إلى من يحتمل منهم الخطر. وقيل: إن فرعون أوصى القوابل بقتل كل مولود ذكر^(٢). والخطر يأتي من الأطفال حين يكبرون ومن ثم فإن المؤدى واحد، فالرجال خطرهم على فرعون أني والأطفال خطرهم عليه مستقبلي، والأولى أنه قتل الأبناء ليستأصل جنسهم.

وأخبر القرآن عن هذا السوم في موضع آخر في القرآن. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١] أي: «ييغونكم شدة العذاب»^(٣). وقيل: «يجعل سوء العذاب كالقيمة لهم فهو حظهم. وسوء العذاب أشده لأن العذاب كله سوء، فسوؤه الأشد فيه»^(٤).

(١) ينظر: الكشف: ١٤٠/١، وينظر: التفسير الكبير: ٧١/٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٩٢/١، ٤٩٣.

(٣) الكشف: ١٤٥/٢.

(٤) التحرير والتنوير: ١٥٦/٩.

وفي الآية إشارة إلى الوعيد بتسليط عدوهم عليهم كلما نقضوا الميثاق، لأنهم أهل نقض للمواثيق: ﴿أَوْكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٠]. وأتبع القرآن بعد ذلك بالقول: (إن ربك سريع العقاب) أي: لبني إسرائيل. والسرعة في الآية تقتضي التحقق، والمعنى: أن العقاب المتوعد به واقع غير متأخر، وذلك لأن التأخر تقليل في التحقق إذ التأخر استمرار عدمه مدة ما^(١).



■ (سيح)

السَّيْح: الماء الجاري^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرات. دلت الصيغة «فَسَيِّحُوا» على الذهاب بحرية دلالة على القدرة.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: «فَسَيِّحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ» [التوبة: ٢].

أي: اذهبوا فيها كيف شئتم^(٣) بأمنٍ دون خوف في أي مكان من الأرض. أي: سيروا آمنين حيثما شئتم فيها^(٤).



(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٦/٩.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١٢٠/٣ (سيح).

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٢٢٧/٨).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٠٦/١٠).



(سيد)

قال قوم: السَّيد الذَّنْب^(١). وقال آخرون: الأسد قد يقال له سَيْدٌ^(٢). وينشدون:

كَالسَّيِّدِ ذِي اللَّبْدَةِ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي

أما في القرآن فقد وردت (١٠) مرات. دلت الصيغة المنكرة «تَسْنِيرٌ» (سَيِّدًا) على الذي لا يغلبه الغضب والفتنة العالم.

تجلت هذه الدلالة في سياق البشري. قال تعالى: ﴿فَتَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ أَنَّ اللَّهَ يَبَشِّرُكَ بِخَيْرٍ مُّصَدِّقًا لِّكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

أي: الحليم الرئيس للناس في الدين والعلم والحلم والعبادة، والورع الكريم على الله، الفقيه العالم الذي لا يغلبه الغضب المرجوع إليه في الدين لأنه قدوة فيه، فالعلم والحلم والكرم والفقه والزهد والورع من سماته^(٣).



(سير)

قال ابن فارس: (السَّيْنُ والْيَاءُ والراءُ أَضْلُ يَدُلُّ عَلَى مُضِيِّ وَجَرَْيَانٍ)^(٤). يقال: سَارَ يَسِيرُ سَيْرًا إِذَا مَشَى لَيْلًا أَوْ نَهَارًا. وَإِذَا أَخْرَجَ أَحَدٌ أَحَدًا مِنْ بَلَدِهِ فَقَدْ سَيَّرَهُ^(٥). وَالسَّيَّارَةُ تَغْنِي الْقَافِلَةَ^(٦).

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ١٢٠/٣ (سيد).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٤٠/٤، ٤١).

(٤) معجم مقاييس اللغة: ١٢٠/٣، وينظر: الصحاح: ٦٩١/٢ (سير).

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٢٠/٣، وينظر: الصحاح: ٦٩١/٢ (سير).

(٦) ينظر: الصحاح: ٦٩١/٢ (سير).

أما في القرآن: فقد وردت مادة (سير) (٢٧) مرة بدلالات. منها الدلالة على الحضر للسير في الأرض. قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١]. أي: امضوا^(١) بأجسادكم وأفكاركم وقلوبكم^(٢). وقيل: إنه الجد في العبادة التي يتوصل بها إلى الثواب^(٣). والسير بالأجسام يؤدي إلى المعاينة والمشاركة لأنار الأمم البائدة، فتحصل العبرة بإجالة الفكر بما حلَّ بها. والسيارة الجماعة من الناس^(٤). قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ [يوسف: ١٩].

ومن السير الدال على قدرة الله سير الجبال الرواسي. قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْجِبَالَ كَسَافٍ﴾ [الطور: ١٠]. وسير الجبال انتقالها من مواضعها بالزلازل التي تحدث عند انقراض عالم الدنيا^(٥). قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]. وتأكيد الفعل (تسير) بالمصدر (سيراً) لرفع احتمال المجاز^(٦). أي: إنه سير حقيقي وتقل حقيقي لا مجازي^(٧). ومن التسيير بقدرة الله وقهره تسيير الجبال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧]. أي: نظيرها في الجو ونذهب

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٣٢، وينظر: إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسن بن محمد الدامغاني، ط١، تحقيق: عبد الرزاق سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٠م: ص ٢٥٧.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٣٣.

(٣) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأبي العباس، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن إبراهيم الحلبي الشافعي المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمود محمد السيد الزعيم، ط١، دار السيد للنشر، استانبول، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ٢/٢٤٤.

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٣٢.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٢/٢٧.

(٦) والمجاز المفرد: «الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له، في اصطلاح به التخاطب، على وجه يصح، مع قرينة عدم إرادته»، الإيضاح في علوم البلاغة للإمام الخطيب القزويني، شرح وتعليق وتنقيح: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني: ص ٣٩٤.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٢/٢٧.



بها حتى نجعلها هباء منبثاً^(١). أي: نعدمها بتحويلها من حال إلى حال آخر كما في الآية^(٢): ﴿وَسَتَلَوْنَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]. والصيغة (نسير) على زنة (نفعل) تصدرت بنون العظمة، فأسند الفعل فيها للتقدير تعالى، فدلَّ ذلك التسيير على قدرة الله مسير الجبال، لا يسيرها إلا هو. وتسييرها يدل على انقراض نظام هذا العالم، وإقبال عالم الحياة الخالدة^(٣). لأنه من المعلوم أن الجبال مثبتات للأرض بقدرة الله حتى لا تميد. فإذا زالت الجبال مادت الأرض فلم تعد صالحة للحياة عليها بسبب تخلخل نظامها واضطرابها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبا: ٦-٧] فلما شاء الله تعالى تحطيم الجبال وجعلها هباء منبثاً إذن بتسييرها الدال على القهر والقدرة. قال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ [الواقعة: ٦٠-٥]. وفي ذلك دلالة على بداية نهاية الوجود.



■ (سيل)

تدل مادة (سيل) في اللغة على الجريان (سَالٌ يَسِيلُ سَيْلًا، وَسَيْلَانًا: جَرَى)^(٤). ويقال: ماءٌ سَيْلٌ سَائِلٌ، أي: كَثِيرٌ. والجمع سُيُولٌ^(٥). وَمَوْضِعُ السَّيْلِ مَسِيلٌ^(٦). ودلت على الطول. يقال: (وَأَسَالُ غِرَارَ النَّصْلِ: أَطَالُهُ)^(٧).

(١) ينظر: الكشف: ٦٩٧/٢، ٦٩٨.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٣٤/٢١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٣٥/١٥.

(٤) ترتيب القاموس المحيط: ٦٥٩/٢، وينظر: معجم متن اللغة: ٢٥٤/٣ (سيل).

(٥) ينظر: ترتيب القاموس المحيط، ٦٦٠: ٦٥٩/٢ (سيل).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ترتيب القاموس المحيط: ٦٥٩/٢، وينظر: معجم متن اللغة: ٢٥٤/٣ (سيل).

أما في القرآن: فقد وردت (٤) مرات بدلالات منها دلالتها على السيل. وتجلت دلالة السيل في سياق تحدث فيه عن مملكة سبأ ونعيمها والنعمة تستوجب الشكر لكن أهل سبأ لم يفعلوا، فبدل أن يشكروا ربهم على ما آتاهم، راحوا يجحدون النعمة، فأرسل الله عليهم سيل العرم، فدمر جناتهم وأتلف زروعهم، وخرب ديارهم، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦] أي: (أرسل عليهم سيلاً غرق أموالهم وخرب دورهم)^(١). ويستشعر من السيلان أنه الجريان بسهولة وهو مع ذلك يحتاج إلى القدرة لإسالته؛ إذ لا يتحرك ساكن، ولا يقف متحرك، إلا بقدرته سبحانه، فكيف بالسيل العرم الذي أغرق الأموال وخرب الديار، وأتلف الزروع والثمار، بعد أن خلخل بنيان سد مأرب، فانهار السد، فاندفع ما فيه من الماء، فكان لهم غرقاً وإتلافاً، فاقتلعت أشجارهم، ومات ماشيتهم، وكان ذلك جراء إغراضهم عن الله وشركهم به. وتحدث القرآن في موضع منه عن سليمان عليه السلام كيف أن الله أعطاه أسباب القوة، ومنها جعله سبحانه النحاس يسيل بين يديه. فقال تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢]. (والقطر النحاس)^(٢). (وأسلنا) أي: (أجرينا وأذبنا)^(٣). فالمعنى: أننا أذبنا لسليمان النحاس حتى صار كالماء في سيولته. أو العجيين في ليونته^(٤). والمراد بعين القطر هو معدن النحاس ولكنه أساله كما ألان الحديد لدوداؤد عليه السلام، فنبع نبع الماء من العين، فلذا سمي عين القطر باسم ما آل إليه^(٥).

وإسالة النحاس وصهره أمر خارق للعادة في زمن سليمان عليه السلام ذلك ما لم يكن لغيره، واستعير السيلان لكثرة النحاس المذاب كثرة ماء العيون التي

(١) التفسير الكبير: ٢٥٢/٢٥.

(٢) معاني القرآن: ٣٥٦/٢.

(٣) مجاز القرآن: ١٤٣/٢.

(٤) ينظر: جامع البيان: ٦٩/٢٢.

(٥) ينظر: الكشف: ٥٥٥/٣.



تسيل^(١). وإسناد الفعل في الصيغة إلى الجليل يشعر بعظمة الحدث وقدرة المحدث سبحانه وتعالى، فالنحاس ما كان ليسيل لولا قدرة الله ومشيته في تمكين نبيه سليمان عليه السلام هذا التمكين.



(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٩/٢٢.

حرف الشين

(شبه)

من بين دلالات المادة (شبه) في اللغة دلالتها على نوع من النحاس، فالشَّبه: ضربٌ من النُّحاس^(١). والمُشْتَبِهَات من الأمور: المُشْكِلَات^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (١٢) مرّة، دلت الصيغة «تَنِينٍ» (مُتَشَابِهًا) على التشابه في الإعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة^(٣).

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]، أي: معانيه متشابهة في صحتها وأحكامها وابتنائها على الحق والصدق ومصادفة المحزّ من الحجة وتبكيك الخصوم وكونها صلاحاً للناس وهدى، وألفاظه متماثلة في الشرف والفصاحة والإصابة للأغراض من المعاني بحيث تبلغ ألفاظه ومعانيه أقصى ما

(١) ينظر: تهذيب الصحاح: ٩٠٤/٣ (شبه).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: البيضاوي: ٣٢٣/٢.



تحتمله أشرف لغة للبشر وهي اللغة العربية مفردات ونظماً، وبذلك كان معجزاً لكل بليغ عن أن يأتي بمثله، إذ إن جميع آيات القرآن بالغ الطرف الأعلى من البلاغة وأنها متساوية في ذلك بحسب ما يقتضيه حال كل آية منها، وأما تفاوتها في كثرة الخصوصيات وقتلتها فذلك تابع لاختلاف المقامات ومقتضيات الأحوال، فإن بلاغة الكلام مطابقتها لمقتضى الحال، فأيات القرآن متماثلة متشابهة في الحسن لدى أهل الذوق من البلغاء بالسليقة أو بالعلم، وهو في هذا مخالف لغيره من الكلام البليغ فإن ذلك لا يخلو عن تفاوت ربما بلغ بعضه مبلغ أن لا يشبه بقيته^(١)، وهذا المعنى مما يدخل في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتٌ أَنْ يَسْأَلَ الْفُلَّانَ لَوْ كُنَّا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وتجلت دلالة الصيغة (متشابهات) في موضع من القرآن على المعنى الذي يحتاج إلى تفحص ونظر عميق لا يكون إلا عند العلماء أصحاب الميزة والعقل الثاقب العلماء الذي يدفعهم حرصهم على الاجتهاد في الغوص إلى المعاني والدلالات والتدبر وتحصيل المقصود من خلال العلوم المتوقف عليها استنباط المراد، فهم لا يبخلون بإتباع القرائح في استخراج المعاني، والتوفيق بينها وبين المحكمات لينالوا أعلى الدرجات وأرفع المراتب^(٢).

٢ ٢ ٢

(شجر)

تدل المادة (شجر) في اللغة على دلالات منها: الكثرة، يقال: وادٍ شجر، أي: كثير الشجر^(٣).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٨٦/٢٣.

(٢) ينظر: البيضاوي: ١٤٩/١.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٤٦/٣ (شجر).



ويقال: هذه الأرض أشَجَرُ من غيرها؛ أي: أكثر شجراً^(١).

وتشَجَرَ القوم بالزماح: تطاعنوا بها^(٢)، والأرض الشَّجْراء، والشَّجيرة: الكثيرة الشَّجَر^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٢٧) مرّة، دلت الصيغة «شَجَرَهَا» على القدرة.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: «أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَارٍ بِهَاجَةٍ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا» أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ^(٤) [النمل: ٦٠]، إنها وقفة أمام مشاهدات في صفحة الكون لا يملك أحد أن ينكر وجودها، ولا يملك أحد تحليلها بغير التسليم بوجود الخالق الواحد المدبر القدير، توالى عرض هذه المشاهدات في إيقاعات مؤثرة تأخذ على المنكرين أقطار الحجّة، وأقطار المشاعر؛ إنها أسئلة متلاحقة.. وفي كل مرّة يقرعهم (أإله مع الله؟) وهم لا يملكون أن يدعوا هذا الدعوى، لا يملكون أن يقولوا: إِنَّ إلهاً مع الله يفعل من هذا شيئاً^(٥).

وتجلت الدلالة على القدرة من خلال الصيغة «شَجَرَهَا» في سياق من القرآن. قال تعالى: «أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ» [الرافعة: ٧١-٧٢]، أي: الشجرة التي منها الزناد^(٦)، ضمير شجرتها عائد على النار، أي: جنس الشجر الذي فيه حُرَاق، أي: ما يقتدح منه النار وهو

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٧/٣ (شجر).

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٧/٣ (شجر).

(٤) ينظر: في ظلال القرآن: ٢٦٥٤/٥، ٢٦٥٥.

(٥) ينظر: البيضاوي: ٤٦٣/٢.

شجر الزُّند أو الزُّناد، وأشجار النار كثيرة منها: المَرْخُ (يفتح فسكون)، والعَفَارُ (يفتح العين) والعُشْرُ (بضم ففتح) والكلْحُ (يفتح فسكون) وغير ذلك.

كانوا يضعون عوداً من شجر النار ويحكونه من أعلاه بعود مثله فتخرج النار من العود الأسفل ويُسمى العودُ الأعلى (زُنداً) (يفتح الزاي سكون النون) وزِناداً (بكسر الزاي) ويسمى الأسفل زُندةً بهاء التأنيث في آخره، شبهوا العود الأعلى بالفحل وشبهوا العود الأسفل بالطروقة^(١).



(شحن)

دلت المادة (شحن) في بعض صيغها على المَلء، يقال: شَحَنْتُ السَّفِينَةَ إذا ملأْتُها^(٢).

ودلت على الطرد، يقال: شَحَنَهُمْ إذا طَرَدَهُمْ^(٣).

أما في القرآن فقد وردت ثلاث مرّات، دلت الصيغة «الْمَشْحُونُ» على الامتلاء.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الإخبار عن نوح ومن ركب معه في السفينة للنجاة من الغرق: «فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ» [الشعراء: ١١٩]، أي: المملوء بمن آمن مع نوح وما اصطحبوه معهم من حيوان وطيور وغيره. فإن المعنى: فأنجيناه ومن كان معه في الفلك الممكن والمقتدر بقدرة الله^(٤).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٢٦/٢٧.

(٢) مقاييس اللغة: ٢٥٢/٣ (شحن).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ١ ينظر التفسير الكبير: ١٥٦/١٢، ١٥٧.



(شدد)

الشَّدَّة تعني الصلابة والقوة وهي نقيض اللين^(١). يقال: شَدَّ عليه في الحرب يشدُّ شداً، أي: حَمَلَ عليه^(٢). ويقال: أَشَدَّ الرَّجُلُ إذا كانت معه دابَّةٌ قوية^(٣). وشَدَّه أوثقَه^(٤)، والشديد: الرجلُ القويُّ^(٥) وَشَدَّ عَضُدَهُ يعني قَوَّاه^(٦). ويقال: أَخَذْتُهُ بالقُوَّة والشِّدَّة^(٧). قيل: الْأَشَدُّ اسم واحد لا واحد له. ويروى أنه واحدُ الْأَشَدِّ: شِدَّة^(٨).

أما في القرآن: فقد وردت (١٠٢) مرة في (١٠١) موضعاً. ودلت الصيغة المسبوقة بسين الاستقبال على القدرة.

تجلت دلالة القوة في سياق الوعد بالحماية والنصرة. قال تعالى مجيباً طلب موسى ﷺ أن يكون هارون عوناً له في دعوتهما فرعون إلى الإيمان: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [الفصص: ٣٥]. سنقويك بأخيك ونعينك به^(٩).

واليد تشتد لشدة العضد، والجملة تقوى بشد اليد على مزاوله الأمور، أو لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها؛ باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة^(١٠).

(١) ينظر: لسان العرب: ٢١٨/٤ (شدد).

(٢) ينظر: الصحاح: ٤٨٩/١ (شدد).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٨٠/٣، وينظر: لسان العرب: ٢١٩/٤ (شدد).

(٤) ينظر: الصحاح: ٤٩٠/١، وينظر: لسان العرب: ٢١٨/٤ (شدد).

(٥) ينظر: لسان العرب: ٢٢١/٤ (شدد).

(٦) ينظر: الصحاح: ٤٩٠/١ (شدد).

(٧) ينظر: لسان العرب: ٢١٨/٤ (شدد).

(٨) كتاب الأضداد، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت: ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٩) مجاز القرآن: ١٠٤/٢، الكشف: ٣٩٦/٣، وينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٢٦/١.

(١٠) ينظر: التفسير الكبير: ٢٥٠/٢٤، وينظر: القرآن الكريم ومعه صفوة البيان لمعاني القرآن، الشيخ حسين مخلوف: ١٣٦/٢.

وقيل والمراد: أنه يؤيده بفصاحته، وعلق ذلك بالشد لأنه ملحق بباب المجاز العقلي. وهذا كله تمثيل لحال إيضاح حجته بحال تقوية من يريد عملاً عظيماً أن يشد على يده وهو التأيد الذي شاع في معنى الإعانة والإمداد، وإلا فالتأيد أيضاً مأخوذ من اليد. فأصل معنى (أَيْد) جعل يداً، فهو استعارة لإيجاد الإعانة^(١). وساق القرآن خبر يوسف عليه السلام لما بلغ أشده آتاه الله الحكم والعقل. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]. أي: بلغ منتهى شبابه وقوته وصلابته^(٢). وهذا اللفظ يستعمل في الواحد والجمع، يقال: بلغ فلان أشده، وبلغوا أشدهم. قيل: إنه حين بلغ ثلاثاً وثلاثين سنة بلغ أشده. يقول الإمام الرازي: «هذه الرواية شديدة الانطباق على القوانين الطبية، وذلك لأن الأطباء قالوا: إن الإنسان يحدث في أول الأمر ويزايد كل يوم شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي إلى غاية الكمال، ثم يأخذ في التراجع والانتقاص»^(٣). ولا كمال إلا لله، والمقصود بالكمال الذي ورد في كلام الرازي ليس سوى وصول الإنسان إلى منتهى القوة البدنية التي من الممكن الوصول إليها في سن معين. وقيل: حين بلغ ما بين خمس وثلاثين سنة إلى أربعين بلغ أقصى قوته^(٤).

وحكى القرآن قصة عاد الذين استكبروا في الأرض بغير الحق: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥]. أي: هو أقوى منهم^(٥).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٧/٢٠.

(٢) ينظر: مجاز القرآن: ٣٠٥/١، وينظر: التفسير الكبير: ١٢٢/١٨.

(٣) التفسير الكبير: ١٢٢/١٨.

(٤) ينظر: كتاب الأضداد: ص ٢٢٢، ٢٢٣، وينظر: التحرير والتنوير: ٢٤٨/١٢.

(٥) ينظر: إصلاح الوجه والنظائر: ص ٢٦١.



لقد كان لكبر أجسامهم وشدة قوتهم الأثر الأكبر في وجوه شدة القوة عندهم المؤدية إلى غرورهم حتى قالوا: «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟» وكان الأجدر بهم عدم الغرور بشدة قوتهم التي منحها الله لهم. فقال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً؟» أي: إنهم وإن كانوا أقوى من غيرهم فالذي خلقهم أشد منهم قوة. وكان من المفترض أن الزيادة في قوتهم تستوجب شكر خالقهم^(١).

«فإن قيل صيغة أفعال التفضيل إنما تجري بين شيئين لأحدهما مع الآخر نسبة، لكن قدرة العبد متناهية وقدرة الله لا نهاية لها، والمتناهي لا نسبة له إلى غير المتناهي، فما معنى قوله إن الله أشد منهم قوة؟ قلنا هذا ورد على قانون قولنا: الله أكبر»^(٢).

وكان الزمخشري قد قال في تأويل هذه الآية: «كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم، وبلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده. فإن قلت: القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف. وأما القدرة فما لأجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات أو بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه وتعالى لا يوصف بالقوة إلا على معنى القدرة فكيف صح قوله (هو أشد منهم قوة) وإنما يصح إذا أريد بالقوة في الموضعين شيء واحد؟ قلت: القدرة في الإنسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة والشدة والصلابة في البنية، وحقيقتها: زيادة القدرة، فكما صح أن يقال: الله أقدر منهم، جاز أن يقال: أقوى منهم، على معنى: أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم»^(٣). «ولما كانت القوة تستلزم

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١١٣/٢٧.

(٢) التفسير الكبير: ١١٣/٢٧.

(٣) الكشف: ١٨٧/٤، ١٨٨.



سعة القدرة أسند القوة إلى الله تعالى بمعنى أن قدرته تعالى لا يستعصي عليها شيء تتعلق به إرادته تعالى، وهذا المراد هنا في قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: هو أوسع قدرة من قدرتهم، فإطلاق القوة على قدرة الله تعالى بمعنى كمال القدرة، أي: عموم تأثيرها وتعلقها بالممكنات على وفق الإرادة لا يستعصي على تعلق قدرته شيء ممكن، وكمال غناه عن التأثير للغير^(١).

وفي سياق التحدث عن داود عليه السلام وتقويته بالآيات والحجج الدالات على تمكين الله له، وما تفضل عليه من فضائل. تجلت دلالة الصيغة (شددنا) على القدرة. قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَيَّانُهُ الْحَكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]. أي: (قويناه)^(٢). وروي أنه كان يبيت حول محرابه الألوف يحرسونه وقد لبسوا الدروع^(٣). وشد الله ملكه بأن قوى مهابته في نفوس قومه^(٤). فكان أشد ملوك الأرض سلطاناً^(٥).

وإذا كان للكافرين من بأس وقوة يستعملونها في البغي والطغيان فإن الله أشد بأساً وأشد تنكيلاً بالكافرين. قال تعالى آمراً نبيه بالتحريض على قتال الكافرين: ﴿فَقِيلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]. المراد أنه تعالى أشد بأساً عند إرادته إظهار ذلك. وعند امتثال أوامره سبحانه، التي منها الإعداد والاستعداد وتقبل التحمل في سبيل الله والصبر على الابتلاء

(١) التحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٤.

(٢) الكشف: ٧٦/٤.

(٣) ينظر: الكشف: ٧٦/٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ١٨٧/٢٦.



والاختبار، يكون ذلك من دلائل وقوع المشيئة وتحقق الوعد بنصرة أولياء الله، والتنكيل بأعدائهم^(١).

وقال تعالى في سياق الحديث عن الغلامين اليتيمين في المدينة اللذين كان أبوهما صالحاً وكان لهما كنز قدره الله لهما، حتى يكبرا ويبلغا القوة والقدرة للتصرف بهذا الكنز ويحمياه من طمع من يطمع به إذ لو أن الله أظهره عليهما وهما بَعْدُ صغيران لما قدرا على التصرف به التصرف الحسن أو لما قدرا على حيازته، فقد يأخذه من هم قائمون على رعايتهما. فمكافأة لأبيهما الصالح هيا الله لهما الأسباب ليتزامن ظهور الكنز مع توفر القدرة والقوة البدنية والعقلية لهما. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]. ليدركا ويعقلا قوتيهما وهو البلوغ. والمعنى: حتى يبلغا سن العقل والقوة^(٢).



(شرب)

من دلالات المادة (شرب) في اللغة دلالتها في صيغة من صيغها على شدة النهيق، يقال: حمارٌ صَخِبَ الشَّوَارِبَ إذا كان شديد النهيق^(٣).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤٣/٥.

(٢) ينظر: تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف: علاء الدين محمد بن إبراهيم البغدادى المعروف بالخازن: ٢٢١/٣، ٢٢٢، دار الكتب العربية الكبرى، لمصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وعيسى، بهامشه مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تأليف: أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٦٨/٣ (شرب).

والشُّرْبُ معروف. تقول: شربت الماء أشْرَبُهُ شَرْباً^(١)، وقيل: الشُّرْبُ: الفَهْمُ، يقال: شَرِبَ يَشْرُبُ شَرْباً، إذا فَهِمَ^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٣٨) مرّة، دلت الصيغة «وَمَشَارِبٌ» على اللبن الذي تتغذى به الأجسام فتقوى.

تجلت هذه الدلالة في سياق المن والفضل. قال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَفِيهَا مِنْفَعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ» [يس: ٧١-٧٣]، أي: هذه الأنعام التي خلقها الله وملكهم إياها وذلّلها لهم يركبونها ويأكلون منها ويشربون ألبانها فتقوى أبدانهم بها^(٣)، لأنها غذاء مهم لقوّة أبدانهم ونموها.

وتجلّت الدلالة على القدرة باستعمال القرآن الصيغة «مَشْرَبُهُمْ» في سياق الإخبار إذ تفجر الماء من حجرٍ وتفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بقدرة الله، قال تعالى: «وَإِذْ أَسْنَفَتِ مَوْتَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ» [البقرة: ٦٠]، أي: العين التي يشربون منها فيبقون على الحياة إذ بغير الماء يموتون^(٤).

❦ ❦ ❦

■ (شرح)

الشين والراء والحاء، أُصْنِلَ يدلُّ على الفتح والبيان، من ذلك شرحت الكلام وغيره شرحاً، إذا بَيَّنَّته^(٥).

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٢٩٧٦/٥.

(٤) ينظر: البيضاوي: ٦٥/١.

(٥) مقاييس اللغة: ٢٦٩/٣ (شرح).



أما في القرآن فقد وردت (٥) مژات، دلت الصيغة الماضوية ﴿شَرَحَ﴾ على التمكن في الإيمان.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿أَقَمَنَّ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَّيِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، حتى تمكن فيه بيسر عبر به عن خُلِقَ نفسه شديد الاستعداد لقبوله ونفسه غير متأبئة عنه من حيث إن الصدر محل القلب المنيع للروح المتعلق للنفس القابلة للإسلام^(١)، وأثر كلمة (شرح) للدلالة على قبول الإسلام، لأن تعاليم الإسلام وأخلاقه وآدابه تكسب المسلم فرحاً بحاله ومسرة برضى ربه، واستخفافاً للمصائب والكوارث لجزمه بأنه على حق في أمره، وأنه مثاب على ضره، وأنه راج رحمة ربه في الدنيا والآخرة، ولعدم مخالطة الشك والحيرة ضميره.

فإن المؤمن أول ما يؤمن بأن الله واحد، وأن محمداً ﷺ رسوله، ينشرح صدره بأنه ارتفع درجات عن الحالة التي كان عليها حال الشرك إن اجتنب عبادة أحجار هو أشرف منها، ومعظم ممتلكاته أشرف منها كفرسه وجمله وعبدته وأمتة وماشيته ونخله، فشعر بعزة نفسه مرتفعاً عما انكشف له من مهانتها السابقة التي غسلها عنه الإسلام، ثم أصبح يقرأ القرآن وينطق عن الحكمة ويتسم بمكارم الأخلاق وأصالة الرأي ومحبة فعل الخير لوجه الله لا للرياء والسمعة ولا ينطوي باطنه على غلي ولا حسد ولا كراهية في ذات الله، وأصبح يعدُّ المسلمين له إخواناً، وقد ترك الاكتساب بالغارة والميسر، واستغنى بالقناعة عن الضراعة إلا إلى الله تعالى، وإذا مسه ضرر رجا زواله ولم ييأس من تغير حاله، وأيقن أنه مثاب على تحمله وصبره، وإذا مسسته نعمة حمد ربه وترقب المزيد، فكان صدره منشراحاً بالإسلام متلقياً الحوادث باستبصار غير هياب شجاع القلب عزيز النفس^(٢).

(١) ينظر: البيضاوي: ٣٢٣/٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٨٠/٢٣.



وتجلت الدلالة على الاتساع باستعمال القرآن الصيغة المصدرة بنون العظمة ﴿نَشَرَحْ﴾، قال تعالى في سياق التذكير بما كان من فضل الله على رسوله ﷺ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائباً حاضراً، أو ألم نفسحه بما أودعناه فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل، أو بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك، وقيل: إنه إشارة إلى ما روي «أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله في صباه أو يوم الميثاق، فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيماناً وعلماً»^(١).

قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ استفهام تقريرى على النفي، والمقصود التقرير على إثبات المنفي، وهذا التقرير مقصود به التذكير لأجل أن يراعي هذه المنة عندما يخالجه ضيق صدرٍ مما يلقاه من أذى قوم يريد صلاحهم وإنقاذهم من النار ورفع شأنهم بين الأمم، ليدوم على دعوته العظيمة نشيطاً مقتدراً غير ذي أسف ولا كمد، وإطلاق الشرح على رضى النفس أصله استعارة ناشئة عن إطلاق لفظ الضيق، وما تصرف منه على الإحساس بالحزن والكمد، فجعل إزالة ما في النفس من حزن مثل شرح اللحم. ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [اضه: ٢٥]، فالصدر مراد به الإحساس الباطني الجامع لمعنى العقل والإدراك، وشرح صدره كناية عن الإنعام عليه بكل ما تطمح إليه نفسه الزكية من الكمالات وإعلامه برضى الله عنه، وبشارته بما يحصل للدين الذي جاء به من النصر^(٢).

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: البيضاوي: ٦٠٥/٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٠٨/٣٠.



(شرد)

قال ابن فارس: (الشينُ والرَّاءُ والدَّالُ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تنفيرٍ وإبعادٍ، وعلى نفارٍ وبعدٍ في انتشار. يقال: شَرَدَ البعيرُ شُروداً وَشِرَاداً^(١). وَمِنْهُ (شَرَّدْتُ الإِبِلَ تَشْرِيداً أَشَرَّدُهَا)^(٢). وَذَلَّتْ المادةُ على الطَّرْدِ. قيل: (والتَّشْرِيدُ: الطَّرْدُ)^(٣). والذي وقع عليه الطَّرْدُ يقال له: طَرِيد. قيل: (والتَّشْرِيدُ: الطَّرِيدُ)^(٤).

أما في القرآن: فقد وردت المادة مرة واحدة بدلالة التفريق. قال تعالى: ﴿فَإِذَا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٤٧]. أي: إن أسرتهم يا محمد فاجعلهم عبرة لمن خلفهم ممن تخشى نقضهم العهود بالتنكيل^(٥)، وأخف بفعلك بمن تثقفنهم الذين من بعدهم، وفرق بينهم^(٦)، اقتلهم تفرق بهم من خلفهم^(٧) من الكفرة المتربصين بك الدوائر حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد، إيقاظاً واعتباراً بالمنكل بهم^(٨). أكثر فيهم الجراح حتى يخافك غيرهم^(٩). نكل بهم وغلظ عقوبتهم لتخافك الأعداء^(١٠). ولأن حكم الأسير في الإسلام غير هذا. فقد يكون هذا الحض على قتل الأسير والتنكيل به قبل أن يكون للمسلمين شوكة وقوة وقدرة: ﴿مَا كَانَتْ

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٦٩/٣، وينظر: الصحاح: ٤٩١/١ (شرد).

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٢٩٦/٣ (شرد).

(٣) الصحاح: ٤٩١/١ (شرد).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: معاني القرآن: ٤١٤/١.

(٦) ينظر: مجاز القرآن: ٢٤٨/١.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤٢٠/٢.

(٨) ينظر:، الكشف: ٢٢٣/٢.

(٩) ينظر: التفسير الكبير: ١٨٩/١٥.

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٠٦/٢.

لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْجَحَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ
الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٦٧﴾. أو أن الآية محمولة على الحرب والقتال
والله أعلم. والمعنى: فإن قاتلوك فنكل بهم وقتل وأنخنهم بالجراح حتى
يخافك غيرهم فيحجموا عن قتالك، وجميع التأويلات لا تكاد تخرج عن
دلالة واحدة وهي الإخافة، أي: إلقاء الرعب في قلوب الكافرين حتى لا
تكون لهم جراحة على قتاله ﷺ.

والتشريد: إحدى ثمرات الشدة والغلظة في القتال والتنكيل بالمحاربين.
وقوله: ﴿فَشَرَّدَ﴾ على زنة (فَعَّلَ) الدالة على الإمعان في الأمر أمر التقتيل
والتنكيل والنكاية في العدو، لأن كثرة التقتيل تؤدي إلى كثرة التشريد.
وتشريد المحاربين يؤدي إلى تشريد من خلفهم. فالتشريد لا يكون إلا بقدرة
على القتال والنكال والنكاية، والتي هي من تمكين الله من رقاب أعدائهم
الكافرين^(١).



■ (شَرَر)

الشين والراء أصل واحد يدلُّ على الانتشار والتطاير، فالشَّارة، والجمع
الشَّرَارُ، والشَّرَر: ما تطاير من النار، الواحدة شَرَّة^(٢).

وتدل على التَّقْطِيع، يقال: شرَّش الشيء، إذا قَطَّعه^(٣)، وتدل على الإظهار
يقال: أَشْرَزْتُ الشيءَ، إذا أَبْرَزْتَهُ وأَظْهَرْتَهُ^(٤).

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ١٥٤٢/١٠.

(٢) مقاييس اللغة: ١٨٠/٣ (شر).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (٣١) مرة، دلت الصيغة «يَشْكُرُ» على القدرة الخالقة لهذا الشرر وطبيعته كذلك تدل على مدى عظمة المصدر الذي يصدر عنه هذا الشرر وكذلك طبيعة هذا الشرر وما فيه من تأثير مخيف لكل من يراه أو يصيبه فهو إذن قدرة، تصدر عن قدرة، وأساس كل ذلك قدرة الله الخالقة التي أعدت ذلك لعقاب الكافرين.

قال تعالى في سياق الإخبار: «إِنَّهَا تَرْمِي بِشَكْرٍ كَالْقَصْرِ» [المرسلات: ٣٢]، أي: كل شرارة كالقصر في عظمها، أو كالشجرة الغليظة^(١).

أي: إنها ترمي بقدرة عظيمة تدل على شدة العذاب الذي ينتظر الكافرين بورودهم جهنم.



■ (شرع)

الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يُفتح في امتداد يكون فيه^(٢). ويقال: أشرعت الرَّمح نحوه إشراعاً^(٣). وشراع السفينة، هو ممدود في علو^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٥) مرّات، دلت الصيغة «شُرْعًا» على الظهور والوضوح.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الطلب: «وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْفَرْكِ أَلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ

(١) ينظر: البيضاوي: ٥٥٨/٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٦٢/٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.



حَيَاتُهُمْ يَوْمَ سَكَبْتَهُمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْئُرُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴿الأعراف: ١٦٣﴾، و﴿شُرْعًا﴾ حال من الحيتان، ومعناه ظاهرة على وجه الماء^(١)، وظهورها بهذه الحالة إنما يدل على قدرة الله الذي ألهم الحيتان أن تظهر في ذلك اليوم بشكل خاص، فالحيتان تظهر كأنها أكوام من اللحم فأغرت بني إسرائيل بمخالفة ما أمروا باجتنابه وهو صيدها في ذلك اليوم؛ أي: يوم السبت.

وقيل: شُرْعًا متتابعة مصطفة، كناية عن الكثرة كثرة ما يرد منها يوم السبت، كالإبل التي تشرع نحو الماء فتدخل فيه لتشرب، وهي إذا شرعتها الرعاة تسابقت إلى الماء فاكتظت وتراكت وربما دخلت فيه فمثلت هيئة الحيتان، في كثرتها في الماء بالنعم الشارعة إلى الماء، وحسن ذلك وجود الماء في الحاليتين^(٢).

فالظهور إذاً بهذا الشكل المغربي إنما يدل على أن الله ألهم تلك المخلوقات أن تصنع ما صنعت لاختبار بني إسرائيل أينصاعون لأمر الله أم يخالفونه وفي ذلك دلالة على قدرة الله.

وتجلت دلالة الصيغة ﴿شُرْعَةً﴾ في موضع من القرآن على السبيل الموصل إلى القدرة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ قَاتِحَكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، أي: شريعة، وهي الطريق إلى الماء شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية. أي: لكل جعلنا منكم قدرة يقتدر بها.

(١) ينظر: البيضاوي: ٣٦٤/١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤٩/٩.



وتجلت دلالة الصيغة «شَرِيعَةً» في موضع من القرآن على الطريق المؤدية إلى القدرة والتمكين في الدنيا والآخرة. قال تعالى: «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» [الباقية: ١٨]، أي: على طريقة^(١) ثابتة بالحجج والبراهين من اتبعها قاده إلى الفلاح والنجاح.

٢ ٢ ٢

■ (شرق)

الشَّرْقُ: المَشْرِقُ^(٢). والشَّرْقُ: الشَّمْسُ^(٣). والمَشْرِقان: مَشْرِق الصَّيْف والشتاء^(٤).

وَشَرَقَتِ الشَّمْسُ تَشْرِقُ شَرْقًا وَشَرْوَقًا، أي: طلعت^(٥)، وَأَشْرَقَتْ، أي: أضاءت^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (١٧) مرّة، دلت الصيغة «مَشْكُوفٌ» المضافة إلى الأرض على أرض الشام وملكها وفي ذلك دلالة على التمكين.

تجلت هذه الدلالة في سياق إخباره سبحانه أنه ملّك بني إسرائيل أرض الشام فقال: «وَأَوْزَنَّا الْفُلُومَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعِفُونَ مَشْكُوفَ الْأَرْضِ وَمَغْزُوبَهَا أَلَيْ بِكَرْكِنَا فِيهَا» [الأعراف: ١٣٧]، يعني: أرض الشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها^(٧).

(١) ينظر: البيضاوي: ٣٨٨/٢.

(٢) تهذيب الصحاح: ٥٨١/٢ (شرق).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ينظر: البيضاوي: ٣٥٧/١.



وتجلت الدلالة على القدرة باستعمال القرآن الصيغة المعرفة (المشارك) في سياق آخر من القرآن فقال سبحانه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ [الصافات: ٥]، أي: ورب مشارق الكواكب أو مشارق الشمس في السنة وهي ثلاثمائة وستون مشرقاً، تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب، ولذلك اكتفى بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ في النعمة، وما قيل إنها مائة وثمانون إنما يصح لو لم تختلف أوقات الانتقال^(١).

٢ ٢ ٢

■ (شرك)

من دلالات المادة (شرك) في اللغة دلالتها على المقارنة وخلاف الانفراد، يقال في الدعاء: اللهم أشركنا في دعاء المؤمنين، أي: اجعلنا لهم شركاء في ذلك^(٢)، وشَرِكْتُ الرَّجُلَ فِي الْأَمْرِ أَشْرَكُهُ^(٣). وتدل على الامتداد: فَشَرَكُ الصَّائِدِ، سمي بذلك لامتداده^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (١٦٨) مرة، دلت صيغة الخطاب ﴿وَشَارِكُهُمْ﴾ على حمل العصاة على كسب المال وجمعه من الحرام وفي ذلك دلالة على قدرة إبليس الملعون على الإغواء.

تجلت هذه الدلالة في سياق التحدي. قال تعالى: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَأَسْتَغْفِرُ مَنْ أَسْطَغَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَلْبِطَ عَلَيْهِمْ بَحِيلَكَ وَرَجَلَاكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ

(١) ينظر: البيضاوي: ٢٩٠/٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٦٥/٣ (شرك).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.



إِلَّا غُرُورًا ﴿الإِسْرَاءُ: ٦٣-٦٤﴾، أي: أن يكون للشيطان نصيب في أموالهم وهي أنعامهم وزروعهم إذا سؤل لهم أن يجعلوا نصيباً في التاج والحرث للأصنام وهي من مصارف الشيطان لأن الشيطان هو المسؤول للناس باتخاذها، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦].

وأما مشاركة الأولاد فهي أن يكون للشيطان نصيب في أحوال أولادهم مثل تسويله لهم أن يستولد لهم من الزنى، وأن يسموهم بعبدة الأصنام، كقولهم: عبد العزى، وعبد اللات، وزيد ومناة، ويكون انتسابه إلى ذلك الصنم^(١).

وتتجلى دلالة الصيغة «أَشْرَكَتُمُْونِ» على القدرة حين يعبر الشيطان عن ذلك يوم القيامة يوم يتنكر لمن عبده في الدنيا فيتصل من ذلك الاستقدار يوم جعلوه شريكاً لله في العبادة أو يوم عبدوا الأصنام نزولاً عند تزيينه لهم ذلك، يقول تعالى في سياق الإخبار: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكَتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، جملة (إنني كفرت بما أشركتموني من قبل) استئناف تنصّل آخر من تبعات عبادتهم إياه، وقوله: «كَفَرْتُ» تعني شدة التبري من إشراكهم إياه في العبادة؛ لأن من المشركين من يعبدون الشياطين والجنّ، فهؤلاء يعبدون جنس الشيطان مباشرة، ومنهم من يعبدون الأصنام فهم يعبدون الشياطين والنتيجة واحدة^(٢)، والمعبود أي: المُشْرِكُ بالله في نظر المُشْرِكِ مقتدر.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٤/١٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٢٢/١٣.

(شرى)

«شَرَيْتُ الشَّيْءَ أَشْرِيَهُ شَرِيٌّ، إِذَا بَعْتَهُ وَإِذَا اشْتَرَيْتَهُ أَيْضاً، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ»^(١). «والشُّرَاة: الخوارج، الواحد شَارٍ، سُمُّوا بِذَلِكَ لِقَوْلِهِمْ: إِنَّا شَرِينَا أَنْفُسَنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، أَي: بَعْنَاهَا بِالْجُنَّةِ حِينَ فَارَقْنَا الْأُئِمَّةَ الْعَجَازِينَ»^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٢٥) مرّة، دلت الصيغة «أَشْرَيْنُهُ» على القدرة المادية.

تجلت هذه الدلالة على القدرة المادية باستعمال القرآن الصيغة الماضية «أَشْرَيْنُهُ» في سياق الإخبار عمّا حصل ليوسف بعد أن أُلقي في الحب والتقطه بعض السّبية إلى أن اشتراه عزيز مصر: «وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَيْنُهُ مِنْ مِصْرَ لَا مَرْأِيكَ أَكْزَمِي مَثْوُهُ عِنْدِي أَنْ يَنْفَعَنِيَ أَوْ نَنْجِيَهُ» وَلَدَا [يوسف: ٢١]، قيل: بلغ ثمن يوسف عَشْرَةَ يَوْمَ اشْتَرَاهُ الْعَزِيزُ مِقْدَارَ وَزْنِهِ مِسْكَاً وَوَرَقاً.

فالصيغة (اشتراه) دلت على قدرة العزيز المادية، أضف إلى ذلك قدرته المعنوية إذ هو عزيز مصر.

**(شطن)**

سُمِّيَ الشَّيْطَانُ شَيْطَاناً لِبَعْدِهِ عَنِ الْخَلْقِ وَتَمَرُّدِهِ^(٣).

(١) تهذيب الصحاح: ١٠٠١/٣ (شرى).

(٢) المصدر نفسه: ١٠٠٢/٣ (شرى).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ١٨٤/٣ (شطن).



وكل عات متمرّد من الجنّ والإنس والدّوابّ شيطان^(١)، وبثّر شطون، أي: بعيدة القعر^(٢)، والشطن: الحبل الطويل^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٨٨) مرة، دلت الصيغة «سَيِّطَلْنَا» والموصوفة بـ(مريداً) على القدرة على الإغواء.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار. قال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا سَيِّطَلْنَا مَرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧]، المراد بالشیطان ههنا إبليس، بدليل أنه تعالى قال بعد هذه الآية: ﴿لَا تَحْذَنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ ولا شك أن قائل هذا القول هو إبليس، ووصفه بأنه مريد للتدليل على عصيانه الكامل لله، ومن كان شديد البعد عن الطاعة يقال له: مريد ومارد، لأنه مملس عن طاعة الله لم يلتصق به من هذه الطاعة شيء^(٤).

وإبليس كما أخبر سبحانه في الآيات التي تلت قال سبحانه على لسانه: ﴿لَا تَحْذَنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ * ﴿وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا مِئِينَهُمْ وَلَا مَرْئِيَهُمْ فَلْيَكْفُرُوا﴾ [النساء: ١١٨-١١٩] وقال سبحانه في موضع آخر من القرآن: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠] وقال تعالى في مكان آخر من القرآن على لسان إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] معنى ذلك أن لإبليس قدرة استعمالها في إغواء من أغوى من الناس بعد أن أنظره الله، قال تعالى على لسان إبليس المعلنون: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ * ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ * [إلى يوم

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٤٧/٦.

الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿ (ص: ٧٩-٨١) فلما علم إبليس أنه صار في مأمن إلى ذلك الوقت قال: ﴿ قَالَ فَبِعَرِّكَ لَا غَوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ] ﴿ (ص: ٨٢-٨٣).



■ (شعر)

شَعَرْتُ بالشَّيْءِ أَشْعُرُ بِهِ شِعْرًا، أي: فَطُنْتُ له^(١)، وَشَعُرْتُ بالضم فأنا أَشْعُرُ، إِذَا قُلْتُ شِعْرًا^(٢)، وَأَشْعُرُهُ، أي: أَدْرِيتُهُ^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٤٠) مرّة، دلت الصيغة «الشَّعْرَى» على النجم المضيء.

تجلت هذه الدلالة في سياق طويل يثبت الوجدانية لله ويدلل على كمال قدرته، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿ مِنْ تُلْفَعٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ الْآخِرَىٰ ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ﴿ [النجم: ٤٢-٤٨]، والشعرى: النجم المضيء^(٤)، والنجوم منها الشعرى من بين ما خلقت له أنه يهتدى بها في ظلمات البر والبحر: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ﴿ [الأنعام: ٩٧]، معنى ذلك أنها من مخلوقات الله الدالة على قدرته والتي تمكن الناظر إليها من معرفة طريقه إذا تاه.



(١) تهذيب الصحاح: ٢٩٢/١ (شعر).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤/١٥.



(شغل)

الشين والغين واللام أصلٌ واجدٌ يدلُّ على خلاف الفراغ^(١)، تقول: شَغَلْتُ فلاناً فأنا شاغِلُهُ^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرّتين، دلت الصيغة المنكرة «شُغِلَ» على التلذذ في النعمة ونكر «شُغِلَ» للتعظيم لما للمذكورين من البهجة والقدرة، وتنبه على أنه أعلى ما يحيط به الأفهام ويعرب عن كنهه الكلام^(٣).

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: «إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونٍ» [يس: ٥٥]، قيل: (شغل) عن هول اليوم بأخذ ما آتاهم الله من الثواب، و(فاكهون) متمم لبيان سلامتهم أي: شغلوا عنه باللذة والسرور^(٤)، أي: إنهم في قدرة وتمكين يسرحون ويمرحون: فلقد قَدَّرهم الله ومكَّنهم من رضائه، فالتذوا بما حصلوا عليه من الأمن والرضوان.



(شفع)

الشاة الشافع: التي معها ولدها، وشفَعَ فلانٌ لفلان إذا جاء ملتمساً مطلبه ومعيناً له^(٥). وبنو شافع، من بني عبد المطلب بن عبد مناف، منهم محمد بن إدريس الشافعي^(٦). والله أعلم.

(١) مقاييس اللغة: ١٩٥/٣ (شغل).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: البضاوي: ٢٨٤/٢.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٩٢/١٣.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٠١/٣ (شفع).

(٦) المصدر نفسه.

أما في القرآن فقد وردت (٣١) مرة، دلت الصيغة «شَفِيعٌ» زنة (فعليل) على القدرة.

تجلت دلالة الصيغة على القدرة في سياق النفي، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١]، إن كان المراد من (الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) الكفار، فالكلام ظاهر؛ لأنهم ليس لهم عند الله شفعاء أصحاب قدرة، وذلك لأن اليهود والنصارى كانوا يقولون: ﴿عَنْ أَتَيْنَا اللَّهَ وَأَجَبْتُوهُ﴾ [المائدة: ١٨] والله كذبهم فيه، وذلك أيضاً في آية أخرى فقال: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [إغافر: ١٨]، وقال أيضاً: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وكلها تأتي بمعنى القدرة؛ أي: ما تنفعهم قدرة المقتردين لأنه على الحقيقة لا قدرة إلا لله وحده.

وإن كان المراد المسلمين، فإن قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لا ينافي إثبات الشفاعة للمؤمنين لأن شفاعة الملائكة والرسول للمؤمنين، إنما تكون بإذن الله تعالى لقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فلما كانت تلك الشفاعة بإذن الله، كانت في الحقيقة من الله تعالى^(١)، وبذا دلت الصيغ السابقة كلها على القدرة مع الفارق بين قدرة الخالق وقدرة المخلوق، فمصدر أي قدرة لمخلوق هي من قدرة الله يعطيها من يشاء ويمكن من يشاء فيشفع ويقدر.

٢٢٢

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤٥/٦.



■ (شفى)

الشين والفاء والحرف المعتل يدل على الإشراف على الشيء: يقال: أشفى على الشيء إذا أشرف عليه^(١)، وسُمِّي الشِّفاء شفاءً لغلِبته للمرض وإشفائه عليه^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٨) مرَّات، دلت الصيغة «شِفَاءً» على تقويم الدين واستصلاح النفوس كالدواء الشافي للمرضى^(٣).

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، أي: نزل الشفاء والرحمة، وهو القرآن. وليست (من) للتبويض ولا للابتداء، أي: إن القرآن كله شفاء ورحمة للمؤمنين ويزيد خسارة للكافرين؛ لأن كل آية من القرآن من أمره ونهيه ومواعظه وقصصه وأمثاله ووعدته ووعيده، كل آية من ذلك مشتملة على هدي وصلاح حال للمؤمنين الذين يتبعونه، ومشتملة بضد ذلك على ما يزيد غيظ المستمرين على الشرك والكفر، فيزدادون بالغيظ كراهية للقرآن، فيزدادون بذلك خسارة بزيادة آثامهم واستمرارهم على فاسد أخلاقهم وبُعد ما بينهم وبين الإيمان، وفي القرآن آيات يستشفى بها من الأدواء والآلام ورد تعيينها في الأخبار الصحيحة^(٤).

ودلَّت الصيغة المضارعية «وَيَشْفِ» في موضع من القرآن على الفرج القريب المشعر بالقدرة والتمكن من الخصم في سياق الأمر، قال تعالى:

(١) مقاييس اللغة: ١٩٩/٣ (شفى).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: البيضاوي: ٥٨٠/١.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٩/١٥، ١٩٠.

﴿فَتِلْكَ لَهُمُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٤)، إذ من المعلوم أن من طال تأذيه من خصمه، ثم مكّنه الله منه على أحسن الوجوه فإنه يعظم سروره به، ويصير ذلك سبباً لقوة النفس وثبات العزيمة^(١).

ودلّت الصيغة «شَفَاءً» في موضع من القرآن على الشفاء من المرض، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّفْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ اللَّجَالِ يَتُونَ وَفِي الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٨-٦٩]، إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر الأمراض، إذ قلما يوجد دواء إلا والعسل جزء منه، مع أن التنكير مشعر بالتبعيض، وجائز أن يكون للتعظيم^(٢).

فالشفاء من المرض قدرة، إذ بالصحة يقتدر المرء، وبالمرض يضعف.



■ (شقق)

تدل مادة (شقق) في اللغة على الصدع. يقال: «شَقَّقْتُ الشَّيْءَ أَشَقُّهُ شَقًّا، إِذَا صَدَعْتُهُ»^(٣). والشَّقِيقُ: الْفَحْلُ الْقَوِيُّ^(٤). والشَّقِيقَةُ: وَجَعٌ يَأْخُذُ نِصْفَ الرَّأْسِ وَالْوَجْهِ^(٥). «وَأَصَابَ فُلَانًا شِقٌّ وَمَشَقَّةٌ، وَذَلِكَ الْأَمْرُ الشَّدِيدُ كَأَنَّهُ مِنْ شِدَّتِهِ يَشُقُّ الْإِنْسَانَ شَقًّا»^(٦).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٤/١٦.

(٢) ينظر: البيضاوي: ٥٥٠/١.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ١٧٠/٣، وينظر: الصحاح: ١٥٠٣/٤ (شقق).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٧١/٣ (شقق).

(٥) ينظر: الصحاح: ١٥٠٣/٤ (شقق).

(٦) معجم مقاييس اللغة: ١٧١/٣، وينظر: الصحاح: ١٥٠٢/٤ (شقق).



أما في القرآن فقد وردت (٢٨) مرة في (٢٦) موضعاً، دلت الصيغتان ﴿شَقَقْنَا﴾ و﴿شَقًّا﴾ على الإنبات.

وأشعرت الصيغة ﴿شَقَقْنَا﴾ بشق الأرض بالنبات في سياق الحض على النظر في آثار قدرة الله وعظيم نعمه على الخلق، إذا أنزل المطر وشق الأرض بالنبات: ﴿أَنَا صَبَّيْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس: ٢٥-٢٦] أي: شققناها بالنبات^(١) ليخرج منها الحب والعنب والقضب، والزيتون، والنخل، ولتكون منها الحداثق الغلب التف شجرها بعضه إلى بعض^(٢)، وشق الأرض بالنبات ليكون منه ما سبق ذكره دليل على التوحيد، ودليل على القدرة، وأن هذا الإله القادر أحسن إلى عبده بهذه الأنواع العظيمة من الإحسان، فلا يليق بالعاقل أن يتمرد على طاعته، وأن يتكبر على عباده^(٣).

وشق الأرض بالنبات إما أن يكون بخرق الماء فيه، أو بآلة كالمحراث والمسحاة، أو بقوة حر الشمس في زمن الصيف لنتهياً لقبول الأمطار في فصل الخريف والشتاء. وفي الآية أسند القرآن الشق والإنبات إلى ضمير الجلالة، لأن التقدير سبحانه هو مقدر نظام الأسباب التي لها التأثير، وهو محكم النواميس وملهم الناس استعمالها. فالإسناد مجاز عقلي في الأفعال الثلاثة. وقد شاع في (صبينا) و(أنبتنا) حتى ساوى الحقيقة العقلية. وانتصب (صباً) و(شقاً) على المفعول المطلق لـ (صبينا) و(شققنا) مؤكداً لعامله، لما في التنكير من الدلالة على التعظيم وتعظيم كل شيء بما يناسبه^(٤).

(١) ينظر: مجاز القرآن: ١/٢٦٠، وينظر: الكشف: ٤/٦٩٠، وينظر: التفسير الكبير: ٣١/٦٣.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٣١/٦٣.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٣١/٦٤، وينظر: آيات الإيمان بالله، تأليف: عبد المنعم أحمد تعليل، ط: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، دار القلم، الكويت: ص ٩٤.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/١٣١.



واستعمل القرآن في موضع منه الصيغة «تَشَقُّقُ» على زنة (تَفَعَّلُ) للدلالة على حدث عظيم من أحداث قيام الساعة، وهو تشقق السماء عن غمام أبيض رقيق يشبه الضباب كصفة غمام بني إسرائيل في التيه، كل ذلك في سياق الخبر اليقيني، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]. أي: «واذكر يوم تشقق السماء بالغمام أي: عن غمام»^(١). جاء في الخبر: «أن السماء تشقق عن سحاب أبيض رقيق مثل الضباب، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم، فتشق السماء عنه»^(٢). وتأيد ذلك في القرآن: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. قيل: «إذا انشقت السماء انتقض تركيبها وطويت ونزلت الملائكة إلى مكان سواها»^(٣) وفي القرآن ما يشعر أن الملائكة حين تشقق السماء تلجأ إلى حوافها، أي: إلى حافات السموات، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ أَجْنَابِهَا وَلِيَّ عَرْشِ رَبِّكَ قَوْمَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَّخْنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] أي: «على جوانبها»^(٤) أي: أن السماء تنشق، وهي مسكن الملائكة، فينضون إلى أطرافها وما حولها من حافات^(٥). «ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها، جعل الغمام كأنه الذي تشقق به السماء، كما تقول: شق السنام بالشفرة وانشق بها»^(٦). نظيره قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [الزمل: ١٨].

فإن قيل: أي فرق بين القول: انشقت الأرض بالنبات، وانشقت عن النبات؟ الجواب: معنى انشقت به: أن الله شقها بطلوعه فانشقت به. ومعنى

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٣/١٣.

(٢) جامع البيان، ٢٣/١٣: ٢٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٢٤/١٣.

(٤) الكشف: ٥٨٩/٤.

(٥) ينظر: الكشف: ٥٨٩/٤.

(٦) الكشف: ٢٦٨/٣.



انشقاقها عنه: أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه^(١). ولولا أن الله وَجَّلَ مكنها من الانشقاق عنه لما انشقت. والمعنى على هذا يكون: «إن السماء تفتح بغمام يخرج منها، وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد»^(٢).

أي: السماء تنشق سماء سماء، وتنزل الملائكة إلى الأرض^(٣). «لا يمتنع أن يجعل تعالى الغمام بحيث تشق السماء باعتماده عليه»^(٤). وهو كقوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨]. وتشقق السماء له تعلق بنزول الملائكة، فالملائكة أيام الأنبياء ﷺ كانوا ينزلون من مواضع مخصوصة، والسماء على اتصالها، ويوم تنشق السماء لم يبق حائل بين الملائكة وبين الأرض فتنزل إليها^(٥). والملائكة أجسام نورانية لا تحتاج إلى انشقاق السماء للنزول إذ هي غير مقيدة بقانون النفاذ الطبيعي في الأجسام. والله أعلم. وقوله: ﴿وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ﴾ صيغة عموم فيتناول الكل، ولأنها أي: السماء المقر لهم فإذا تشققت وجب نزولهم إلى الأرض^(٦)، وقيل: تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم في العدد أكثر من سكنة الدنيا^(٧). وقيل: «تشقق كل سماء وينزل سكانها فيحيطون بالعالم ويصرون سبعة صفوف حول العالم»^(٨). ولا يستبعد سؤال يطرح: وكيف يتسع هذا الجرم الصغير لملائكة السموات السبع والكرسي

(١) ينظر: الكشف: ٢٦٨/٣.

(٢) الكشف: ٢٦٨/٣.

(٣) ينظر: الكشف: ٢٦٨/٣.

(٤) التفسير الكبير: ٧٤/٢٤.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٧٤/٢٤.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) التفسير الكبير: ٧٤/٢٤.

والعرش إلا إذا زاد الله بقدرته طول الأرض وعرضها، ويجعلها في صورة تتسع لكل هؤلاء؟؛ وقيل: يكونون في الغمام والغمام سترة بين السماء والأرض تعرج الملائكة فيه بنسخ أعمال بني آدم والمحاسبة في الأرض^(١).
أما نزولهم فظاهر. ومعنى (تنزيلاً) تأكيد للنزول بذواتهم دلالة على إسرعهم فيه بقدرة الله وتمكينه^(٢).

ونزول الملائكة بعد تشقق السماء النزول الدال على عظمة قدرة الله خالق الملائكة ومشقق السماء، لم يكن إلا بتمكين الله ومشيتته.

٧ ٧ ٧

■ (شَقَوْ)

الشين والقاف والحرَفُ المعتل أصل يدل على المعاناة وخلاف السَّهولة والسعادة^(٣)، والشَّقوة: خلاف السعادة^(٤)، ورجلٌ شَقِيٌّ بين الشَّقاء والشَّقوة والشَّقاوة^(٥)، ويقال: إنَّ المشاقاة: المعاناة^(٦)، والأصل في ذلك أنه يتكلَّف العناء وَيَشَقَّى به^(٧).

أما في القرآن فقد وردت (١٢) مرّة، دلت الصيغة «أَشَقَّهَا» على الأقدر والأقوى في الكفر والبعد عن الحق.

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٧٤/٢٤.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٧٤/٢٤.

(٣) مقاييس اللغة: ٢٠٢/٣ (شَقَوْ).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.



تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الإخبار عن ثمود: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ * ﴿إِذِ ابْتِغَتْ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١١-١٢]، أي: أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو ومن ماله على قتل الناقة^(١). أي: أقواهم كفراً وأشدهم بعداً عن الحق. أي: أشدها شقوة، وزيادته عليهم في الشقاوة بأنه الذي باشر الجريمة وإن كان عن ملأ منهم وإغراء^(٢).

صحيح أن الدلالة تشعر بأنه أكثر خساراً وأكثر خيبة وضعفاً يوم القيامة بسبب كفره إلا أن الصيغة تشعر بالمقابل أنه كان شديد الكفر صلب العود في مواجهة الإيمان جريئاً على الظلم مقدماً في ارتكاب المعصية مهما عظمت حتى لو كان الأمر يتعلق بالآية العظيمة ناقة صالح.



(شكر)

من دلالات المادة (شكر) في اللغة دلالتها على الغُزْر يقال: حَلَوَبة شَكِرَةٌ إذا أصابت حظاً من مرعى فَغُزِرَتْ^(٣)، وشَكِرَتْ الشَّجَرَةُ، إذا كثر فيئها^(٤)، وفرس شكور، إذا كفاه لِسْمِنِهِ العلفُ القليل^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (٧٥) مرّة، دلت الصيغة المضارعة ﴿أَشْكُرْ﴾ على القدرة، فَشْكُرْ النعمة قوّة وقدرة.

(١) ينظر: البيضاوي: ٦٠٠/٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٧٢/٣٠.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٠٨/٣ (شكر).

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.



تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار: ﴿فَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، أي: اجعلني ملازماً لشكر نعمتك، وإنما سأل الله الدوام على شكر النعمة لما في الشكر من الثواب ومن ازدياد النعم، فقد ورد: النعمة وحشية قيدوها بالشكر، والشكر قدرة فإنها إذا شَكَرْتَ قَرَّتْ، وإذا كُفِرَتْ قَرَّتْ^(١).

وتجلت الدلالة على القدرة باستعمال القرآن الصيغة المضارعية ﴿أَشْكُرُ﴾ قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [النمل: ٤٠] فكل متقرب إلى الله بعمل صالح يجب أن يستحضر أن عمله إنما هو لنفسه يرجو به ثواب الله ورضاه في الآخرة، ويرجو دوام التفضل من الله عليه في الدنيا فالتفجع حاصل له في الدارين ولا ينتفع الله بشيء من ذلك.

فالكلام في قوله: ﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لام الأجل وليست اللام التي يُعَدَّى بها فعل الشكر في نحو: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ [البقرة: ١٥٢].

والمعنى: ومن شكر فإنما يقوي نفسه ويقدرها ويمكنها من رضوان الله عليه، ومن يرض الله عنه فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن يفز هذا الفوز فقد قَدِرَ وتمكن.



(شمت)

شِمَتَ بِهِ يَشْمَتُ شِمَاتَةً، وَأَشْمَتَهُ اللَّهُ رَجَّلَ بَعْدَهُ^(٢).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤١/١٩.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/٢١٠ (شمت).



أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة المضارعية «تُشْمِتُ» على القدرة قدرة المُشْمِتِ وضعف المُشْمِتِ.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار، قال تعالى: «وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَيُّهَا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِيْسَى الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتُ بِالْأَعْدَاءِ» [الأعراف: ١٥٠] طلب من أخيه الكف عن عقابه الذي يَشْمِتُ به الأعداء لأجله^(١)، ولا شك أن موسى له قدرة جسمية ومعنوية، وقدرته المعنوية جاءت كونه المكلف من ربه وهارون مساعد له في المهمة الموكولة لديه، فله حق الإمرة على أخيه، والصيغة (تشمت) توحى أنه قادر عليه يعاقبه عند التقصير إن شاء.



(شمخ)

«شَمَخَ الجبلُ فهو شامخٌ، أي: شامق»^(٢).

«وشَمَخَ الرَّجُلُ بأنفه: تكبر»^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة «شَخِخَتْ» على الارتفاع المشعر بقدرة الخالق.

استعمل القرآن الصيغة (شامخات) للدلالة على الارتفاع والعلو الموحى بالقدرة، قال تعالى: «أَلَّا تَجْعَلَ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩٩/٨.

(٢) تهذيب الصحاح: ٢٠١/١ (شمخ).

(٣) المصدر نفسه.

شَخَّخَتْ ﴿المرسلات: ٢٥-٢٧﴾، أي: ثوابت عاليات^(١)، وتنوين (شامخاتٍ) للتعظيم لدلالة ذلك على عظيم قدرة الله^(٢).



■ (شمس)

يقال: شَمَسَ يَوْمُنَا، وأشَمَس، إذا اشتدت شمسُه^(٣)، والشموس من الدواب الذي لا يكاد يستقرُّ^(٤)، يقال: رجلٌ شُمُوسٌ، إذا كان لا يستقرُّ على خُلُقٍ، وهو إلى العُسر ما هو^(٥)، ويقال: شَمِسَ لي فلانٌ، إذا أبدى لك عداوته^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (٣٣) مرّة، دلت الصيغة «الشَّمَس» على قدرة الله.

تجلت هذه الدلالة على القدرة في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوُرَّ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اللَّيْلِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧]، وهذا وضع عجيب يشره الله لهم بحكمته ليكون داخلُ الكهف بحالة اعتدال فلا ينتاب البلى أجسادهم، وذلك من آيات قدرة الله تعالى^(٧)، فالشمس بطلوها وغروبها بهذه الكيفية وماهيتها العجيبة وخصائصها تدل على قدرة الله، وتجلت الدلالة على القدرة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَهُ هَذَا

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٧٤/٣٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٣٤/٢٩.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٢١٢/٣ (شمس).

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٣/٣ (شمس).

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٥/١٥.



رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴿[الأنعام: ٧٨]، نعت الشمس بقوله: ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾ والمراد أكبر الكواكب وأقواها قوة^(١).



(شهد)

دلت مادة (شهد) في اللغة على الحضور والعلم بالأمر، يقال: شَهِدَ يَشْهَدُ شَهَادَةً أَي: حَضَرَ وَعَلِمَ^(٢). «والمشهدُ: مَحْضَرُ النَّاسِ»^(٣). والشَّهِيدُ: مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَتَغْنِي التَّيْبِينَ. «شَهِدَ فُلَانٌ عِنْدَ الْقَاضِي، إِذَا تَبَيَّنَ وَأَعْلَمَ لِمَنِ الْحَقُّ وَعَلَى مَنْ هُوَ»^(٤).

أما في القرآن: فقد دَلَّتْ على النطق الدال على القدرة. فالذي لم يسبق له أن قدر على النطق في الدنيا فهذا هو ينطق بقدرة الله في الآخرة. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ وَقَالُوا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَهُ تَرْجُعُونَ ﴿٣﴾﴾ [فصلت: ١٩-٢١]. أي: نطقت جلودهم وليس ذلك بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان^(٥).

روي أن العبد يقول لربه يوم القيامة: يَا رَبِّ الْعِزَّةُ أَلَسْتُ قَدْ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تَظْلِمَنِي؟ فيقول سبحانه: فَإِنْ لَكَ ذَلِكَ، فيقول العبد: إِنِّي لَا أَقْبَلُ عَلَى نَفْسِي شَاهِدًا إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فيختم الله على فيه وَيُنْطِقُ أَعْضَاءَهُ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٤٧/١٣.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٢٢١/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٦٥ (شهد).

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٢٢١/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٦٥ (شهد).

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٢٢١/٣ (شهد).

(٥) ينظر: الكشف: ١٩٠/٤.



كانت منه. فذلك قوله: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾ والله بقدرته يخلق في الأعضاء الفهم والقدرة والنطق، فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه، أو أن يُظهِر في تلك الأعضاء أحوالاً تدل على صدور تلك الأعمال من الإنسان في الدنيا، وتلك العلامات تسمى شهادات، وهذا عدول عن الحقيقة إلى المجاز والأصل عدمه، فالله تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل جزء من أجزاء هذه الأعضاء في الإنسان، والله لا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء، ولا يحول حائل بينه وبين ما يريد. والذي قدر على خلق الكون كله وما فيه، قادر أن ينطق الجلود بعد خلق العقل والقدرة والنطق فيها^(١). والله أعلم.

وشهادة الجوارح والجلود على أصحابها يوم القيامة: شهادة تكذيب وفضح وإلا فقد علم الله ما كان منهم من صنيع وقد شهدت به الحفظة الموكلون، وقرئ عليهم كتابهم، فما كانت شهادة جوارحهم إلا زيادة خزي لهم وتحسيراً وتنديماً على سوء اعتقادهم في سعة علم الله وإحاطته وقدرته. وتخصيص السمع والأبصار والجلود بالشهادة على هؤلاء دون بقية جوارحهم، لأن للسمع اختصاصاً بتلقي دعوة النبي ﷺ وتلقي القرآن الكريم، فسمعهم يشهد عليهم بأنهم كانوا يصرفونه عن سماع ذلك كما حكى الله عنهم: ﴿وَفِي عَادَاتِنَا وَقْرٌ﴾ [افصلت: ٥]، ولأن للأبصار اختصاصاً بمشاهدة دلائل المصنوعات الدالة على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير فذلك دليل وحدانيته في إلهيته، وشهادة الجلود لأن الجلد يلف سائر الجسد لتكون شهادة الجلود عليهم شهادة على أنفسهم، فيظهر استحقاقها للحرق بالنار لبقية الأجساد دون اقتصار على حرق موضع السمع والبصر. والاقتصار في توجيه الملامة على الجلود فيها لاحتوائها على جميع الحواس والجوارح.

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١١٦/٢٧، ١١٧.



وإجراء ضمائر السمع والبصر والجلود بصيغتي ضمير جمع العقالين،
لأن التحوار معها صيرها بحالة العقلاء في ذلك اليوم.

والاستفهام في قولهم: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ مستعمل في الملامة وهم
يظنون أن جلودهم كونها منهم لا يحق لها أن تخون نفسها، فهي جزء مما
شهدت عليه وأن العذاب يلحقها جراء تلك الشهادة، ونطق الجلود يوم
القيامة من خوارق العادات كما هو شأن الحياة الآخرة^(١).



■ (شوظ)

الشين والواو والطاء كلمة واحدة صحيحة، فالشُؤاظ: شُؤاظ اللهب من
النار لا دخان معه^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة، دلت الصيغة «شُؤاظ» على اللهب
الشديدة الحرارة قوي التأثير في الأجسام المعذبة به.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُواظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا
تَنْصَرِفَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥]، أي: لهب^(٣)، واللهب إذا كان من جهنم وكان مخلوطاً
بالنحاس فكيف يمكن أن تكون شدة تأثيره وقوة عذابه؟ أي: تُقذفون بقدرة
من نار تعجلاً للسوء، لهب لا يخالطه دخان لأنه قد كمل اشتعاله وذلك
أشدُّ إحراقاً^(٤).



(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤/٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨.

(٢) مقاييس اللغة: ٣/٢٢٨ (شوظ).

(٣) ينظر: البيضاوي: ٢/٤٥٤.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/٢٤٢.



■ (شوك)

من دلالات المادة (شوك) في اللغة دلالاتها في صيغة من صيغها على شدة البأس إذ الشوكة: شدة البأس^(١).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة، دلت الصيغة «الشوكة» على القدرة والبأس.

تجلت الدلالة على القوة والبأس في سياق خطابه سبحانه المؤمنين وكشفه عما كانوا يودون أن يكون لهم فقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّوْنَ أَنَّ عَيَّرَ ذَاتِ الشَّوْكََةِ تَكُوْنُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكُلِّ مِثْلٍ وَيَقْطَعَ دَائِرَ الْكَافِرِيْنَ﴾ [الأنفال: ٧]، فإذا كانت العير هي غير ذات الشوكة لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارساً فإن الشوكة هي النفير، فالعدد الكثير والعدة المتفوقة يدلان على القوة والقدرة. فالمعنى: تمنون أن يكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا شدة لها، ولا تريدون الطائفة ذات الشدة والقوة والقدرة لأنها تكلفكم مشقة وقد تكلفكم حياتكم، إلا أن الله أراد التوجه إلى الطائفة الأخرى ليحق الحق بكلماته، ففي ذلك عزة المؤمنين وقوتهم وقوة دينهم، وهذا يتحقق بتقوية أهل الحق على أصحاب القدرة والقوة من أهل الباطل لقهرهم على الرغم من قوتهم ومنعتهم. واستعيرت الشوكة للبأس لأن صاحب الشوكة ذو بأس يتقى وذو قوة تهاب على طريقة تشبيه المعقول بالمحسوس، أي: تودون الطائفة التي لا يخشى بأسها تكون لكم. أي: ملككم فتأخذونها. أما الأخرى فهي النفير الذي يشمل ألف رجل مسلح، لذا فإن الصيغة (الشوكة) دلت على القوة والبأس والقدرة^(٢).

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٣٠/٣ (شوك).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٠/٩.



(شوى)

من دلالات المادة (شوى) في اللغة الدلالة على القدرة المادية. يقال: شويت اللحم، واشتويته لنفسى، واشتويت أصحابي: إذا أطعمتهم شواء^(١) وفي ذلك دلالة على قدرة أكل اللحم المشوي المادية.

أما في القرآن فقد وردت مرّتين، دلت الصيغة المضارعة ﴿يَشْوِي﴾ على شدة عذاب الكافرين، قال تعالى في سياق التحدي عما أعده القدير تعالى من عذاب: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، دلالة على شدة حرارته وقوة تأثيره. خض القرآن الوجوه بهذا اللون من العذاب لأن الأفواه فيها، فإذا عطشوا وأرادوا الشرب قدّم لهم هذا الماء فيتناولونه بأفواههم فتلهب وجوههم وتشوى من شدة حرارته. قيل: إن لحم وجوه الكافرين يسقط على عظامها مجرد أن يُدنى الماء من أفواههم^(٢).

قوله تعالى: ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ استئناف ابتدائي، والوجه أشد مناطق البدن تألماً وتأثراً من قوة حرّ النار^(٣).



(١) أساس البلاغة: ٥١٠/١ (شوى).

(٢) ينظر: الكشف: ٦٩١/٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠٨/١٥، ٣٠٩.

(شيد)

الشين والياء والذال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على رفع الشيء^(١)، يقال: شِدتُ القَصْرَ أَشِيدُهُ شِيداً^(٢)، وهو قصر مَشِيدٌ^(٣)، يقال: قَصَرَ مَشِيداً، أي: مُطَوَّلٌ^(٤).

أما في القرآن فقد وردت مرّتين، دلت الصيغة «مُشِيدٌ» على الارتفاع الدال على التمكين.

تجلت الدلالة على الارتفاع الدال على التمكين باستعمال القرآن الصيغة «مُشِيدٌ» في سياق التذكير أن الموت يقع حتى لو كان الإنسان داخل حصن مرتفع منيع قال تعالى: «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ» [النساء: ٧٨]، أي: حتى لو كنتم في قصور أو حصون مرتفعة^(٥) عالية، ضربت الحصون المرتفعة القوية لأنها غاية في المنعة تحمي من فيها من الأخطار لكن الموت لا يحول من وقوعه حائل حتى لو كان حصناً عالياً منيعاً قوياً، وكأن الحصن تكتمل منعته وقوّته بالإحكام والتحصين والعلو وفيهما منعته وقوّته وفي ذلك دلالة على قدرة الباني وقوّه الحصون ومنعتها، كل ذلك بتمكين من الله.

٢ ٢ ٢

(١) مقاييس اللغة: ٢٣٤/٣ (شيد).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ١٩٢/١٠.



■ (شيع)

يقال للشجاع: المُشَيِّع؛ كأنه لقوته قد قوي وشيَّع بغيره، أو شَيَّع بِقُوَّةٍ^(١)، وزعم ناسٌ أَنَّ الشَّيَّعَ شَبَلُ الْأَسَدِ^(٢)، والشَّيَّعة: الأعوان والأنصار^(٣)، وقيل: شَيَّعْتُ النَّارَ فِي الْحَطَبِ، إِذَا أَلْهَبْتَهَا^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (١٢) مرَّة، دلت الصيغة «أَشْيَاعَكُمْ» على الشبيه.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ٥١]، أي: أشباهكم^(٥).

ولأن المشبهين قد شبهوا بأقوام ذات قدرة وتمكين؛ فإن الصيغة «أَشْيَاعَكُمْ» تدل على القدرة والتمكين، فهذه مصارع المكذبين الذين ساق القرآن خبر قدرتهم وتمكينهم معروضة في الحلقات التي تضمنتها السورة من قبل.

وعلى الرغم مما وصفهم القرآن بأنهم أصحاب قدرة وتمكين فإن الله الذي خلق المخلوقات وصورها بقدرته على تلك الماهية لهو أقدر منها وأقوى.



(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٣٥/٣ (شيع).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه: ٢٣٦/٣ (شيع).

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٦٩/٢٩.

حرف الصاد

■ (صَبَب)

تدل مادة (صَبَب) في اللغة على إِرَاقَةِ السَّائِلِ مِنْ أَعْلَى. يُقَالُ صَبَّ الْمَاءُ أَرَاقَهُ مِنْ أَعْلَى^(١). و«صَبَّهْ فَأَنْصَبْ، وَصَبَّيْتُهُ فَتَصَبَّبَ»^(٢). والصَّاعِقَةُ وَغَيْرُهَا تُصَبُّ. يقال: صَبَّ اللَّهُ عَلَى عَادِ الصَّاعِقَةِ، وَصَبَّ عَلَى الْكَافِرِينَ سَوْطُ عَذَابٍ^(٣). وَذَلَّتْ عَلَى الْإِنْجَادِ. يُقَالُ: مَشَى الْقَوْمُ فِي صَبَبٍ وَفِي أَصْبَابٍ وَهُوَ الْحَدُورُ^(٤). أما في القرآن: فقد قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ • ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧-٤٨]. قيل: يضرب الكافرون بمقامع الحديد، على رؤوسهم حتى تتفتت له رؤوسهم، فتبين أدمغتهم وتسيل على أجسادهم ثم تصب ملائكة العذاب عليها ماءً حميماً تغلي منه أدمغتهم وينتهي إلى بطونهم ويقال ذوقوا العذاب^(٥).

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٧٣، وينظر: أساس البلاغة: ١/٢، وينظر: المصباح المنير:

٣٣١/١ (صب).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٧٣ (صب).

(٣) ينظر: أساس البلاغة: ١/٢ (صب).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٠/١٦.



وقيل: «صبوا فوق رأسه من ذلك الحميم المغلي الذي يشوي ويكوي»^(١).
 وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ والعذاب لا يصب
 لكن الحميم يصب كما في قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾
 [الحج: ١٩] لأن الحميم هو المصبوب لا عذابه، فإذا صب الحميم فقد صب
 عليهم عذابه وشدته، إلا أن صب العذاب طريقة الاستعارة^(٢). وأكمل في
 المبالغة كأنه يقول: صبوا عليه عذاب ذلك الحميم^(٣).

قوله: ﴿ثُمَّ صُبُّوا﴾ (ثم) للتراخي الرتبي لأن صب الحميم على رأسه
 أشد عليه من أخذهم وعتلهم له.

وفعل الصب لا يتعدى إلى العذاب، فالعذاب أمر معنوي لا يصب.
 فالصب مستعار للتقوية والإسراع فهو تمثيلية اقتضاها ترويع الأثيم حين
 يسمعها، فلما كان المحكي هنا القول الذي يسمعه الأثيم صيغ بطريقة
 التمثيلية تهويلاً بخلاف قوله: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ الذي هو
 إخبار عن حالهم في زمن هم غير سامعيه^(٤).

وسواء صب الحميم أو عذابه على سبيل الاستعارة فهو عذاب أليم يدل
 على مهانة المعذب وضعفه أمام معذبه وقاهره الجليل تعالى.

٢ ٢ ٢

(صبح)

الصَّبَاخَةُ: الجمال^(٥).

(١) في ظلال القرآن: ٣٧٢/٢٥.

(٢) ينظر: الكشف: ٢٧٤/٤، وينظر: التفسير الكبير: ٢٥٣/٢٧.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢٥٣/٢٧.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٣١٦/٢٥.

(٥) تهذيب الصحاح: ١٨٢/١ (صبح).



وذو أَصْبَحَ: اسمُ ملكٍ من ملوك اليَمَن^(١).

أما في القرآن فقد وردت (٤٥) مرّة، دلت الصيغة «فَأَصْبَحْتُ» على المصاحبة.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا» [آل عمران: ١٠٣]، أي: أصبحتم إخواناً مصاحبين نعمة من الله وهي نعمة الأخوة^(٢). وفي الأخوة قوّة ومَنعة.

وأخبر القرآن عن أوقات تظهر فيها ومن خلالها قدرة الله، تجلّى ذلك في قوله تعالى: «فَسُبْحَنَّ اللَّهَ حِينَ تُسْوَرُ وَحِينَ تَصِيحُونَ» [الروم: ١٧]، إخبار في معنى الأمر بتنزيهه الله تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته، أو دلالة على أن ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السموات والأرض، وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر^(٣).

ووردت الصيغة المعرفة «وَالصُّبْحُ» في موضع من القرآن تشعر بدلالة القدرة إذا وضحت وأضاءت، قال تعالى: «وَالصُّبْحُ إِذَا أَشْفَرُ» [المدثر: ٣٤]^(٤)، أي: أضاء. والصبح وما فيه من ضياء ونور إنما يشعر بقدرة الله تعالى.

وتجلت الدلالة على القدرة باستعمال القرآن لصيغة «الْإِصْبَاحُ» مسبوقة بـ(فالتى) المشعرة بالقدرة أيضاً قال تعالى: «فَالِئُلُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ آيَاتَ سَكَنًا

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧٧/٣.

(٣) ينظر: البيضاوي: ٢١٧/٢، ٢١٨.

(٤) ينظر: البيضاوي: ٥٤٤/٢.

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿الأنعام: ٩٦﴾، أي: شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل^(١) ولو قلنا: شاق عمود القدرة عن ظلمة الليل لصح، والله أعلم.

ودلت صيغة ﴿يَمْصِيحُ﴾ المتصدرة بالباء على القدرة، قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا يَمْصِيحًا وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢]، فإن الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها^(٢). ولو أدر كنا ماهية هذه المخلوقات أي: الكواكب لعلمنا عظمة تلك القدرة الخالقة على الصورة التي ينبغي أن تدركها إذ لا يعلم قدرة الله على الحقيقة التي ينبغي إلا العارفون بالله والعالمون.

٢ ٢ ٢

﴿صبر﴾

تدور مادة (صبر) في اللغة حول بعض الدلالات منها قولهم: صَبِرَ كُلُّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ^(٣). والصُّبْرَةُ من الحجارة ما اشْتَدَّ وَغُلُظٌ^(٤). والصُّبَارَةُ: قطعة من حديد^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (١٠٣) مرَّات، دلت الصيغة ﴿صَابِرًا﴾ على التحمل الدال على القدرة.

تجلَّت الدلالة على التحمل الدال على القدرة في سياق الثناء على أيوب عليه السلام الذي امتحن بأشد البلاء فصبر فقال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾

(١) ينظر: البيضاوي: ٣١٣/١.

(٢) ينظر: البيضاوي: ٣٥٠/٢.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٢٩/٣ (صبر).

(٤) المصدر نفسه: ٣٣٠/٣ (صبر).

(٥) المصدر نفسه: ٣٣٠/٣ (صبر).



[ص: ٤٤]، أي: وجدناه متحملاً للبلاء، راضياً بما قدرناه عليه غير جزع ولا متضجر، وهذا دليل على قوة الإيمان عند أيوب عليه السلام.

وُوصِفَ الصبر في موضع بالقوة واستعير لذلك اللفظ «أَفْرِغْ» قال تعالى على لسان بني إسرائيل لما سألوا ربهم أن يفرغ عليهم (صبراً) عندما أمروا بقتال الجبارين: «قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا» [البقرة: ٢٥٠]، وإفراغ الصبر في الآية استعارة لقوة الصبر فإن القوة والكثرة يتعاوران الألفاظ الدالة عليهما^(١).



■ (صبغ)

يقال: صَبَغْتُهُ أَصْبَغُهُ: لَوْنْتُهُ بِلَوْنٍ مَا^(٢). وقيل: كُلُّ مَا تُقْرَبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى صِبْغَةً^(٣).

أما في القرآن فقد وردت ثلاث مرّات، دلت الصيغة المعطوفة «وَصَبِغْ» على ما يؤتدّم به وذلك مشعر بقدره مادية كالغنى وتوفر الرزق.

تَجَلَّتْ هَذِهِ الدَّلَالَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِاللِّدْنِ وَصَبِغٌ لِّلْأَكَلِينَ» [المؤمنون: ١٢٠]، أي: تنبت الغمّس للالتئدام. قيل: هي أول شجرة تنبت بعد الطوفان، ووصفها الله تعالى بالبركة^(٤) في قوله: «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ» [النور: ٣٥].

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٩٩/٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٣١/٣ (صبغ)

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: الكشف: ١٨٤/٣.



وتجلت دلالة الصيغة «صَبَغَ» في موضع من القرآن على ما يشعر بالقدرة. قال تعالى: «صَبَغَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ» [البقرة: ١٣٨] أي: إن كان إيمانكم حاصلًا بصبغة القسيس فإيماننا بصبغ الله وتلوينه، أي: تكييفه الإيمان في الفطرة مع إرشاده إليه، والاستفهام في قوله: «وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً» إنكاري، ومعناه: لا أحسن من الله في شأن صبغته. والتقدير: وَمَنْ صَبَغْتَهُ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ؛ أي: من صبغة الله^(١). معناه: أن من يُصْبِغ بصبغة الله فقد قدر وتمكن.



■ (صحب)

الصاد والحاء والباء أصل واحد يدلُّ على مقارنة شيء ومقاربتة. من ذلك الصَّاحِب والجمع الصُّحْب^(٢). وكل شيء لاءم شيئاً فقد استصحبته^(٣). أما في القرآن فقد وردت (٩٧) مرة، دلت الصيغة «يُصْحَبُونَ» إن جرّدت من النفي على القوة والقدرة.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: «أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ» [الأنبياء: ٤٣]، استئناف بإبطال ما اعتقدوه فإن من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله فكيف ينصر غيره^(٤). معنى ذلك أن من يكون في صحبة الله؛ أي: في نصر من الله يكون قادراً متمكناً.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٢٤/١.

(٢) مقاييس اللغة: ٣٣٥/٣ (صحب).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: البيضاوي: ٧١/٢.



(صحف)

تدل المادة (صحف) على الانبساط في الشيء وسعة. فالصَّحيف: وجه الأرض^(١). والصَّحيفة، وهي التي يُكْتَب فيها، والجمع صحائف^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٩) مرّات، دلت الصيغة المتصدرة بالباء «بِصِصَافٍ» على القدرة المادية.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الإخبار عن أهل الجنة: «بِطُفَافٍ عَلَيْهِم بِصِصَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ» [الزخرف: ٧١] وصحاف جمع صفحة^(٣). والصحاف إذا كانت من ذهب ففي ذلك دلالة على التمكن في دار النعيم.

ودلت الصيغة الجمعية «أَلْصُّفُفُ» على ما سجل على الإنسان في حال حياته الدنيا من أعمال، وفي ذلك دلالة على قدرة الله المحصي لهذه الأعمال والمحفوظة في تلك الصحف.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار عن أحداث يوم القيامة، منها: «وَإِذَا أَلْصُّفُفُ ثُبُرَتْ» [التكوير: ١٠]، أي: صحف الأعمال فإنها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب، وقيل: نشرت فُرِّقَت بين أصحابها، وقرئ بالتشديد للمبالغة في النشر، أو لكثرة الصحف أو شدة التطاير^(٤). وسواء كان للمبالغة في النشر أو لكثرة الصحف أو لشدة تطايرها فإن تلك الصحف وما فيها مما عمل الإنسان في حياته من غير نسيانٍ لشيء قلّ أم كثر لدليل على قدرة الله خالق تلك الصحف.

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/٣٣٤ (صحف).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: البيضاوي: ٢/٣٧٧.

(٤) ينظر: البيضاوي: ٢/٥٧٣.

ووصفت الصيغة (صحفاً) في موضع من القرآن بأنها مطهرة ودلت على علو شأنها عند الله وقداستها، قال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ ﴿٢٠٣﴾، ﴿الْبَيْنَةُ: ٢٠٣﴾، جملة (يتلو صحفاً) إلخ صفة ثانية أو حال، وهي إدماج بالثناء على القرآن إذ الظاهر أن الرسول الموعود به في كتبهم لم يوصف بأنه يتلو صحفاً مطهرة.

والتلاوة: إعادة الكلام دون زيادة عليه ولا نقص منه سواء كان كلاماً مكتوباً أو محفوظاً عن ظهر قلب، ففعل (يتلو) مؤذن بأنه يقرأ عليهم كلاماً لا يُبَدَّل ألفاظه وهو الوحي المنزل عليه.

وتسمية ما يتلوه الرسول ﴿صُحُفًا﴾ مجاز بعلاقة الأيلولة لأنه مأثور بكتابته فهو عند تلاوته سيكون صحفاً، كهذا المجاز: ﴿إِنِّي أَرْنِيَّ أَغْصِرَ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، وهذا إشارة إلى أن الله أمر رسوله ﷺ بكتابة القرآن في الصحف؛ وأن الوحي المنزل على الرسول سمي كتاباً في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١] لأجل هذا المعنى. وتعديّة فعل (يتلو) إلى (صحفاً) مجاز مرسل مشهور ساوى الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وهو باعتبار كون المتلو مكتوباً، وإنما كان رسول الله ﷺ يتلو عليهم القرآن عن ظهر قلب ولا يقرأه من صحف، فمعنى (يتلو صحفاً) يتلو ما هو مكتوب في صحف والقرينة ظاهرة وهي اشتهاار كونه ﷺ أمياً.

ووصف الصحف (مطهرة) وهو وصف مشتق من الطهارة المجازية أي: كون معانيه لا لبس فيها ولا تشتمل على ما فيه تضليل، وهذا تعريض ببعض ما في أيدي أهل الكتاب من التخريف والأوهام^(١). وقوله: ﴿قِمَّةً﴾ أي: كاملة.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٢١/٣٠، ٤٢٢.



■ (صَخْخ)

تدل مادة (صَخْخ) في اللغة على الضَّرْبِ بِشَيْءٍ ضَلْبٍ عَلَى مُضْمَتِهِ...
وَالصَّاخَةُ صَيْحَةٌ تُصْبَمُ وَصَوْتُ شَدِيدٌ قَوِي يُصْخُ الْأَذَانُ، لِمَا فِيهَا مِنْ مِبَالِغَةٍ
فِي الْإِسْمَاعِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَظَمَةُ اللَّهِ وَقَوَى شَأْنُهُ^(١). وتدلُّ على الدَّاهِيَةِ
يَقَالُ لَهَا صَاخَةٌ^(٢).

أما في القرآن: فقد دارت حول شدة الصوت^(٣). قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَتْ
الْصَّاعِقَةُ﴾ [عبس: ٣٣] «أي: القيامة»^(٤). يعني صيحة يوم القيامة سميت بذلك
لصخبها الأسماع ومبالغتها في الإسماع حتى تكاد تصم^(٥). قيل: إنها النفخة
الثانية الصاكة بشدة صوتها الأذان^(٦). ومن أهل التأويل من ذكر أن النفخة
وصفت بالصاخة مجازاً لأن الناس لها يستمعون^(٧). وليست الصيحة مجرد
صوت عادي يستمع إليه ضمن حدود القدرة على الاستماع إليه، بل هو
صوت عجيب رهيب يخرج الأموات من قبورها لشدة وقوته، فيذهل الناس
ويهيمنون على وجوههم فارين حتى إن المرء يفر من أمه وأبيه ومن أخيه
وصاحبته وبنيه، لما يعلم بما بعد هذا الافتتاح الرهيب، لأحداث الآخرة من
تبعات تنوء بحملها الجبال فكيف بهذا العبد الضعيف يتحمل أعباء أهوال
الآخرة؟ فالصيحة بتأثير قدرة عظيمة. ومن أهل التأويل من يرى أنها الصيحة
الأولى. قال: «فالصاخة صارت في القرآن علماً بالغلبة على حادثة يوم القيامة

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٧٦، وينظر: القاموس المحيط: ٢٧٣/١ (صخب).

(٢) ينظر: القاموس المحيط: ٢٧٣/١ (الصخ).

(٣) معاني القرآن: ٢٣٨/٣.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٧٦.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٧٤/٤.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ٦٤/٣١.

(٧) ينظر: الكشف: ٦٩٢/٤.



وانتهاء هذا العالم، وتحصل صيحات منها أصوات تزلزل الأرض واصطدام بعض الكواكب بالأرض مثلاً، ونفخة الصور التي تبعث عندها الناس^(١) وسواء أكانت الصيحة الأولى التي تصعق من في السموات والأرض. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَأْمٍ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] أو الصيحة الثانية التي تبعث من في القبور فإنها صيحة رهبة لا يعلم إلا الله مدى شدتها وقوتها، وهي دليل من دلائل عظمته وقدرته تعالى^(٢).



■ (صخر)

الصاد والخاء والراء كلمة صحيحة، وهي الصُّخْرَة، الحَجَرَة العظيمة. ويقال: صَخْرَةٌ وصَخْرَةٌ^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرّات، دلت الصيغة الجمعوية المعرفة «الصَّخَر» على الصلابة والمتانة.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٢﴾ الَّتِي لَمْ يَخْلَقْ مِنْهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٣﴾ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ ﴿٤﴾ [الفجر: ٦-٩]، أي: قطعوا الصخر واتخذوه منازل^(٤) لقوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشعراء: ١٤٩].

(١) التحرير والتنوير: ١٣٤/٣٠، ١٣٥.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٧٤/٤.

(٣) مقاييس اللغة: ٣٣٦/٣.

(٤) ينظر: البيضاوي: ٥٩٤/٢.



وتجلّت دلالة الصيغة المفردة المنكرة المؤنثة ﴿صَخْرَةً﴾ على المكان المنيع والحرز الأمين، قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ يَنْقَالَ حَبْرٌ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ بِأَنْ يَهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]، أي: في أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة متينة قويّة صلبة^(١).



■ (صدد)

الصَّدُّ: معناه الإعراض والعدول والحوؤل. يقال: صَدَّ يَصُدُّ: إذا أَعْرَضَ؛ أي: مَالَ إِلَى أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ. وَصَدَدْتُ فَلَانًا عَنِ الْأَمْرِ، إِذَا عَدَلْتُهُ عَنْهُ وَحُلْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَرِيدُ^(٢).

أما في القرآن: فقد وردت (٤٢) مرة دالة في إحدى صيغها على المنع الدال على القدرة، فقد منع مشركو قريش المسلمين من الوصول إلى الحرم ومعهم الهدى يوم الحديبية. وفي ذلك المنع دلالة على أنه كان لا يزال لدى المشركين قدرة على منع المؤمنين من الوصول إلى البيت الحرام. قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدَنَى مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلُّهُ﴾ [الفتح: ٢٥]. وضمير الغيبة المفتوحة به الآية عائد إلى الذين كفروا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَدْبَرُ ثُمَّ لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٢]. وقصد القرآن من ذلك استرعاء السمع لما يرد بعده من الخبر.

(١) ينظر: البضاوي: ٢٢٩/٢.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٨٢/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٧٧، وينظر:

عمدة الحفاظ: ٣٢٢/٢ (ص د د).



والمقصود من الصَّلَة هو قوله: «وَصَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» وذكر (الذين كفروا) إدماج للدعاء عليهم بوصف الكفر. ولهذا الإدماج غاية، وهي أن وصف الذين كفروا بمنزلة الجنس صار الموصول في قوة المعرف بلام الجنس فتفيد (هم الذين كفروا) قصر جنس الكفر على هذا الضمير لقصد المبالغة في الكفر بصددهم المعتمرين عن المسجد الحرام وصد الهدى عن بلوغ محله^(١). ولو لم يكن للمشركين بقية شوكة وقدرة لما قدروا على ذلك. وإلا فكيف يمكن لضعيف أن يمنع من يتحرقون شوقاً إلى رؤية البيت الحرام وعلى رأسهم رسول الله ﷺ؟ ولكنها قدرة ستزول لأنها تقوم على الباطل وعلى معادة الخالق القدير الذي منحهم القدرة ومنحهم الحياة.

ويأمر سبحانه عباده المؤمنين ألا يعتدوا ويتنقموا ممن يكرهون أولئك الذين صدوهم عن المسجد الحرام، حتى لا يحملهم كرههم لهم على الاعتداء عليهم ما ليس بحق، فلا يقابلون صدّهم إياهم عن المسجد الحرام، يوم منع أهل مكة رسول الله ﷺ والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة بصد ومنع وإلحاق مكروه بهم انتقاماً^(٢).

وملة الكفر واحدة، ومنع الكفر إبليس فهو مربى الكافرين على الكفر ومزين العصيان للعاصين، فقد صد إبليس ملكة سباً وقومها عن الإيمان فسجدوا للشمس من دون الله، فصدّهم عن سبيل الهداية وأغواهم فهم لا يهتدون. قال تعالى في سياق يتحدث عن قصة سليمان عليه السلام مع الهدد الذي تغيب عن المجلس فلما سأل عنه لم يجده، فتوعده بالعذاب الشديد أو الذبح أو أن يأتي ببرهان يدفع عنه ويبرر له أسباب تأخره وتغيبه، فلما حضر

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٧/٢٦.

(٢) ينظر: الكشف: ٥٩١/١، وينظر: التفسير الكبير: ١٣٣/١١.



الهدهد تحدث عن ملكة سبأ وكيف تسجد للشمس من دون الله، فما كان من سليمان إلا أن أرسل لها رسولا ليتحقق من الخبر ويدعوها إلى الإيمان: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (النمل: ٢٤) أي: صرفهم ومنعهم^(١).

والتزيين الذي من نتائجه الصد عن السبيل مسند للشيطان على سبيل الحقيقة. و(السبيل) مستعار للدين الذي باتباعه تكون النجاة من العذاب وبلوغ دار المثوبة. فالصد عن سبيل الله كان صداً لأجل أن لا يسجدوا لله، فسجدوا للشمس من دون الله^(٢). أي: كانت إبليس قدرة غير محسوسة يستعملها في منع الكافرين عن السجود لله وَعَبَّكُ، لقد قطع إبليس على نفسه عهداً أن يزين لذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ما قدر على التزيين ليصد الناس عن دين الله، وهو يعلم أن الله تعالى مكنه من قدرات، لحكمة يشاؤها وهو يعلم أن الله تعالى ممهله ولم يمهله. قال تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٣٩). ثم قال في موضع آخر: ﴿قَالَ فِعْزَيْكَ لَئِغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿ (ص: ٨٢-٨٣) قال هذا القول بعد أن طلب من الله وَعَبَّكُ النظرة أن لا يمته إلى يوم الدين، فوعده سبحانه ذلك، فلما أيقن أن الله تعالى وعده وهو منجز وعده لأنه لا يخلف الميعاد أقسم إبليس بالله تعالى أن يغوي بني آدم إلا قليلاً منهم. قال تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿ (إلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) (الحجر: ٣٦-٣٨). والمعنى: أن إبليس قد مكنه الله التزيين لمن لا يستحق أن يحميه الله تعالى من حبائل إبليس، فمن لا يستحق حماية الله من كيد إبليس وتزيينه فإنه يقع في شرك التزيين، ويعبد غير الله فيهلك.

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٧٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٤/١٩، ٢٥٥.



فصد إبليس الكافرين جاء من قدرته على التزيين والصد عن دين الله. كل ذلك بمشيئة الله ولو أراد الله خلاف ذلك لما قدر إبليس على فعل شيء، فالله هو القادر على كل شيء، ولا يحصل شيء في الأرض أو في السماء إلا بأمره ومشيئته وإرادته وقدرته.

٢ ٢ ٢

■ (صدر)

الصَّدْرُ للإنسان، والجمع صُدُور^(١). والتَّصْدِيرُ: حَبْلٌ يُصَدَّرُ به البعير لثَلَا يُرَدَّ حِمْلُهُ إِلَى خَلْفِهِ^(٢).

والمُصَدَّرُ: الأسدُّ، سُمِّيَ بذلك لِقُوَّةِ صَدْرِهِ^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٤٦) مرّة، دلت الصيغة «صَدْرُهُ» على الفهم والعقل الدّالّين على القدرة.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا» [الأنعام: ١٢٥]، أي: يجعل لنفسه وعقله استعداداً وقبولاً لتحقيق الإسلام ويوطنه لذلك حتى يسكن إليه ويرضى به، فإذا حلّ نور الله في القلب كان القلب كالمتسع؛ لأن الأنوار توسع مناظر الأشياء^(٤). روى الطبري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله! كيف يشرح الله صدره للإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/٣٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/٥٨.



دخل النور القلب انفسح وانشرح، قالوا: فهل لذلك أمانة يعرف بها؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتنحي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت»^(١).

وتجلّت الدلالة نفسها في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ سَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، حتى تمكن فيه بيسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبئة عنه من حيث إنّ الصدر محل القلب المنيع للروح المتعلق النفس القابلة للإسلام^(٢).

ودل قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ في موضع من القرآن على التمكين والقدرة.

تجلّى ذلك في سياق الطلب: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٥-٢٦]، أي: مكّني وقدرني على ما أمرتني به، أي: أزل ما في نفسي مما يكدرها أو يمنعها من الإقدام على ما أمرتني به، وأزل عن فكري الخوف، ومكّني وقدرني بإزالة الموانع الحافة بما كلفتنني به.



■ (صدع)

تدل المادة (صدع) في اللغة على انفراج في الشيء^(٣). يقال: صدَعْتُه فانصدَع وتصدَع^(٤).

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة للآلباني رقم الحديث (٩٦٥).

(٢) ينظر: البيضاوي: ٣٢٣/٢.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٣٧/٣ (صدع).

(٤) المصدر نفسه.



وَصَدَعْتُ الْفَلَاةَ: قَطَعْتُهَا^(١). وَالصَّدْعُ: الثَّبَاتُ؛ لَأَنَّهُ يَصْدَعُ الْأَرْضَ^(٢).
وَصَدَعَ بِالْحَقِّ، إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ جَهَاراً^(٣) وَقِيلَ الصَّدْعُ: الْفَتِيُّ مِنَ الْأَوْعَالِ^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٥) مرّات، دلت صيغة الأمر ﴿فَاصْدَعْ﴾ على الإعلان والجهر المشعرين بالقدرة: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

وتجلت الدلالة على القدرة باستعمال القرآن في موضع منه الصيغة ﴿أَصْنَعْ﴾ المضاف إليها (ذات) قال تعالى في سياق القسم ببعض مخلوقاته: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ • وَالْأَرْضِ ذَاتِ الْأَصْنَعِ﴾ [الطارق: ١١-١٢]، أي: ما تتصدع عنه الأرض من النبات أو الشقّ بالنبات والعيون^(٥) وفي ذلك إشعار بقدرة الله الخالق المبدع.



■ (صدف)

صَدَفَ عَنِّي، أي: أَعْرِضَ^(٦)، وَأَصْدَفَنِي عَنْكَ كَذَا، أي: أَمَالَني^(٧).
وَالصَّدْفُ وَالصُّدْفُ: مَنْقُطَعُ الْجِبَلِ الْمُرْتَفِعِ^(٨).

أما في القرآن فقد وردت (٥) مرّات، دلت الصيغة المعرفة ﴿الصَّافِقِينَ﴾ على الجبلين.

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه: ٣٣٨/٣ (صدع).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: البيضاوي: ٥٨٨/٢.

(٦) تهذيب الصحاح: ٥٤٣/٢ (صدف).

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.



تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الإخبار عن القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً حين طلبوا من ذي القرنين أن يبني لهم سداً يحميهم من يأجوج ومأجوج: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ * قَالُوا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْعِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ﴿[الكهف: ٩٣-٩٦]، أي: جانبي الجبلين بتنضيدهما، والجبال وجوانبها تدل على المتانة والصلابة والثبات.

✽ ✽ ✽

■ (صدق)

المَصْدَق، بتخفيف الصاد: الذي يُصَدِّقُ في الحديث^(١). والمَصْدَق، بتشديد الصاد والدال: المُعْطَى^(٢). أما المتَصَدِّق فقد قيل إنه المُعْطَى، وهو الصحيح^(٣). تقول مررتُ برجلٍ يسألُ ولا تَقَلُّ يتَصَدَّق^(٤). والصَّدِيق: الذي يُصَدِّقُ: قوله بالفِعْل، وهو الملازمُ لِلصَّدَق^(٥). والصَّدَق: خلاف الكذب^(٦). والصَّدَق، بالفتح: الصُّلْب من الرِّمَاح^(٧). والصَّدَاق والصَّدَاق: مهر المرأة^(٨)، وكذلك الصَّدَاقَة^(٩).

(١) ينظر: البيضاوي: ٢٣/٢.

(٢) تهذيب الصحاح: ٥٨٣/٢ (صدق).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه: ٥٨٣/٢، ٥٨٤ (صدق).

(٧) المصدر نفسه: ٥٨٤/٢ (صدق).

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه.

أما في القرآن فقد وردت (١٥٥) مرة، دلت الصيغة «صَدَقَ» على التحقيق الدال على القدرة.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: «وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» (سبأ: ٢٠)، أي: صدق في ظنه أو صدق بظن ظنه، وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه أو وجده صادقاً، وقرئ بنصب إبليس ورفع الظن من التشديد بمعنى وجد ظنه صادقاً، والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله إغواءهم^(١)، وأياً كانت أسباب ظن إبليس بما ظنه فإنه توصل إلى كثير من مبتغاه إذ أغوى من أغوى من ذرية آدم، ومعنى ذلك أنه اقتدر وتمكن من ضعاف الإيمان فجعلهم يتبعونه.

وتجلت دلالة الصيغة المضافة إلى لفظ الجلالة «وَصَدَقَ اللَّهُ» على صدق خبر الله ورسوله أو الصدق في النصرة، قال تعالى: «وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا» (الأحزاب: ١٢)، أي: ظهر صدق خبر الله ورسوله أو وجدوا صدقاً في النصرة والإثابة^(٢).

ولأن وعد الله حق وقوله صدق، فقد وعد المؤمنين بالتمكين والنصر، فالصيغة (وصدق الله) دلت على تمكين الله عباده المؤمنين من النصر على الأعداء، والنصر على الأعداء يدل على القدرة.

وتجلت الدلالة نفسها في قوله تعالى: «لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا» (النجم: ٢٧)، رأى ﷺ أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا، فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أن ذلك يكون في عامهم، فلما تأخر قال

(١) ينظر: البضاوي: ٢٦٠/٢.

(٢) ينظر: البضاوي: ٢٤٣/٢.



بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت، والمعنى: صدقه في رؤياه، أي: قدره وأثبته ونصره بالخبر الصادق من السماء مؤيداً مقولته لأصحابه. وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: إن ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له^(١).

❦ ❦ ❦

■ (صرح)

الصاد والراء والحاء أصلٌ متقاس، يدلُّ على ظهور الشيء وبروزه، من ذلك الشيء الصريح^(٢). والصريح: المحض الحسب، وجمعه صُرَحَاء^(٣). قال الخليل: ويجمع الخيلُ على الصرائح^(٤). قال: وكلُّ خالصٍ صريح^(٥). يقال: هو بَيِّنُ الصَّرَاحَةِ والصُّرُوحَةِ^(٦).

وصَرَّحَ بما في نفسه: أَظْهَرَهُ^(٧). ويقال: صَرَّحَ الحقُّ عن مَخْصِيهِ، أي: انكشف الأمرُ بعد غُيُوبِهِ^(٨). والصَّرْح: بَيْتٌ واجِدٌ يُبْنَى منفرداً ضخماً طويلاً في السَّمَاءِ^(٩). وكلُّ بناءٍ عالٍ فهو صَرْحٌ^(١٠).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرَّات، دلت الصيغة ﴿صَرَّحًا﴾ على القصر العظيم.

(١) ينظر: البضاوي: ٤١٢/٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٤٧/٣، ٣٤٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) المصدر نفسه.



تجلّت الدلالة على البناء الشامخ الدال على قدرة بانيه وتمكينه في سياق يتحدث عن بناء الصرح الذي أمر ببناؤه فرعون ليعتلي فيطلع إلى إله موسى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَكُنْ آتِي لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَتَسْبَبُ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، أي: بناء عالياً لا يخفى لعلوه عند الناظر وإن بُعد^(١). وصرح هذه سمته يشعر بعظمته لعلو ارتفاعه، وعلو ارتفاعه يدل على ثباته ورسوخه أمام الرياح، كما يشعر بقدرة بانيه وتمكنه من فعل الأمر الذي لا يقدر عليه غيره من الناس.



■ (صرخ)

الصُّرَاخ: صوت المستغيث^(٢). وصرَخَ واصطرخ بمعنى^(٣). والصَّرِيخ: صوت المستصرخ^(٤).

وقال بعضهم: الصَّارِخ: المستغيث، والصارخ: المغيث^(٥)، ويقال بل المغيث مُصرخ^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (٥) مرّات، دلت الصيغة «يَسْتَصْرِخُهُ» على الاستعانة والاستقدار بالغير.

(١) ينظر: الكشف: ١٦٣/٤.

(٢) تهذيب الصحاح: ٢٠٢/١ (صرخ).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٤٨/٣ (صرخ).

(٦) المصدر نفسه.



تجلّت هذه الدلالة في سياق قصة موسى ﷺ مع الإسرائيلي الذي استنصره، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ﴾ [الفصل: ١٨]، أي: يصيح بصوت قوي ينادي موسى ﷺ يطلب نجده كما فعل حين قتل موسى القبطي بالأمس، أي: بالغ في صراخه^(١).

والصيغة المنفية والمتصدرة بالياء والمختومة بكاف الخطاب وميم الجمع (ما أنا بمصرخكم) بعد تخليصها من النفي وكاف الخطاب وميم الجمع تدل على الإغاثة والنصرة فـ(مُصْرَخٌ) تدل على إغاثة مستغيث.

وهنا في الآية الكريمة تعني أن إبليس تنصل من كل وعوده لأنصاره، قال تعالى على لسان إبليس: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُتُؤْمِنُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِيكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، أي: ما أنا بمغيثكم من العذاب ولا أنتم بمغيثي^(٢).

فالإغاثة تعني تمكين الغير من الاستقدار والقوة.



(صَرَر)

أصل المادة من الصَّرَّ الذي هو الشَّد^(٣). والصَّرَّة: الجَمَاعَةُ^(٤)، والصَّرُّ البَزْدُ. يقال: (أَصَابَ الثَّبْتَ صِرٌّ، إِذَا أَصَابَهُ بَزْدٌ يَصُرُّ بِهِ)^(٥). وقيل: إنها شِدَّة

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٩٤/٢٠.

(٢) ينظر: البيضاوي: ٥١٧/١.

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٨١.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٨٣/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٨٢.

(٥) معجم مقاييس اللغة: ٢٨٤/٣ (صر).

الحَرَّ فهي من الأضداد. إذ (الصَّارَةُ شِدَّةُ الحَرِّ حَرَّ الشَّمْسِ)^(١) ودلت المادة فيما دلت عليه على الصَّوْت. فالصَّرَّةُ: شِدَّةُ الصَّيَاحِ^(٢). وتعني المادة في المعنى الثَّبَات. فالإِصْرَارُ هُوَ الثَّبَاتُ عَلَى الشَّيْءِ^(٣).

أما في القرآن: فقد وردت (٩) مرات، دلت الصيغة «صَرَصِرَ» على البرد الشديد.

تجلت دلالة البرد الشديد والصوت القوي في قوله تعالى: «وَأَمَّا عَادٌ فَأَقْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ» [الحاقة: ٦]. أي: (بريح شديدة البرد والهبوب)^(٤). وقيل: هذه الريح الباردة الشديدة في برودتها مقرونة بصوت^(٥). يدل على شدة تأثيرها خصوصاً وقد أرسلت لإهلاك قوم عاد^(٦) الذين جحدوا ربهم، فإهلاكهم بها دليل على قوتها وشدة تأثيرها.

وأخبر القرآن في موضع آخر منه عن هذه الريح الشديدة في أيام نحسات أهلكت بقدرة الله أصحاب القوة والقدرة قوم عاد الذين استعملوا قوتهم فيما لا يرضي خالقهم. قال تعالى: «فَأَوَسَّلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ» [افصلت: ١٦]. أشارت الفاء إلى أن العقاب الذي حاق بهم سببه كفرهم الناتج عن الاغترار بالقوة، فكان الهلاك بشيء لا يخطر على بال المغرورين بقوتهم، فهم لا يترقبون أو يدركون أنه من الإمكان عقوبتهم بالريح، فهي قبل أن تظهر لهم قوتها وشدتها بتمكين الله إياها شيء لا يؤبه به، فأراهم الله

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٨٤/٣ (صر).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٨٣/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٨٢ (صر).

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٢١٤/٥.

(٥) ينظر: القرآن الكريم بهامشه كتاب نزهة القلوب: ص ٤٨٣.

(٦) ينظر: الكشف: ٥٨٧/٤.



شديد قوته بأن وضع في الشيء الهين عذاباً وخزياً. وأي خزي أشد من أن تتراماهم الريح في الجو كالريش أو تلقي بهم هلكى على التراب عن بكرة أبيهم، فيشاهدون بأذل حالة وأحقر وضع جثثاً هامدة قد تقلصت جلودهم كأنهم أعجاز نخل خاوية^(١).

والشيء الذي جعلها بهذه القوة انضغاطها، فانضغاط الأشياء يصيرها قوية، لأن العلم أثبت أن الذرة بالانضغاط قادرة على نسف مدينة وتدعى بالطاقة الذرية^(٢).

وتضعيف العين للمبالغة في شدتها بين أفراد ونوعها كتضعيف ككب للمبالغة في كب. والأصل: صر، أي: صاح، وهو وصف لا يؤنث لفظه لأنه لا يجري إلا على الريح وهي مقدرة التأنيث^(٣).



■ (صرط)

الصراط: الطريق^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٤٥) مرّة، دلت الصيغة المعرفة «الْصِرَاطَ»، والمنكرة «مِرْطَ» على الثبات والقوة.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿أَعْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، قيل: الصراط المستقيم: الإسلام، وقال بعضهم:

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٩/٢٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٤٩/٣ (صرط).



القرآن، وهذا لا يصح؛ لأن قوله: ﴿مِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بدل من الصراط المستقيم، وإذا كان كذلك كان التقدير: (اهدنا صراط من أنعمت عليهم من المتقدمين)، ومن تقدمنا من الأمم ما كان لهم القرآن والإسلام، وإذا بطل ذلك ثبت أن المراد اهدنا صراط المحقين المستحقين للجنة، إنما قال الصراط ولم يقل السبيل ولا الطريق، وإن كان الكل واحداً ليكون لفظ الصراط مذكراً لجهم، فيكون الإنسان على مزيد خوف وخشية.

اعلم أن أهل الهندسة قالوا: الخط المستقيم هو أقصر خط يصل بين نقطتين، فالحاصل أن الخط المستقيم أقصر من جميع الخطوط المعوجة، فكأن العبد يقول: اهدنا الصراط المستقيم لأنه أقرب الخطوط وأقصرها، فأنا عاجز فلا يليق بضعفي إلا الطريق المستقيم التي تكسبني القدرة وتمكنني من رضوان الله، والطريق المستقيمة واحدة، وما عداها معوج وبعضها يشبه بعضاً في الاعوجاج فيشبهه الطريق عليّ يا رب، وأما الطريق المستقيمة فلا يشابهها غيرها، فكانت أبعد عن الخوف والآفات وأقرب إلى الأمان أستقوي بها بعد استقوائي بك يا رب. إنها توصل إلى المقصود، والطريق المعوجة لا توصل إليه، والطريق المستقيمة لا تتغير والمعوجة تتغير، فلهذه الأسباب أسألك يا رب هدايتي لها^(١).

ونجد أن الصيغة المضافة إلى الجليل تعالى ﴿صِرَاطِي﴾ قد دلت على طريق توصل صاحبها إلى النجاة. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والبإزاء المضافة إلى الله في الصيغة (صراطي) لغرض الإيماء إلى عصمة هذا الصراط من الزلل؛ لأن كونه صراط الله يكفي في إفادة أنه موصل إلى النجاح^(٢)، فهو يقود إلى التمكين والقدرة.

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٦٠/١، ٢٦١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧٢/٨.



(صرع)

دلت مادة (صرع) في اللغة على السَّوْط أو القوس الذي لم يُزَلْ منه شيء يقال له: الصَّرِيع^(١). ويقال: رَجُلٌ صُرْعَةٌ، يَصْرَعُ الناس كثيراً. ومنه صِرْيَعٌ كثير الصَّرْع^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، ذُلت الصيغة «صَرَغَن» على القوم المطروحين بقدرة.

تجلّت الدلالة على ذلك في سياق الخبر خبر هلاك قوم عاد وثمود، لقد صرعهم الله بقدرته فسخر عليهم ريحاً عاصفاً أحالتهم إلى ما يشبه جذوع النخل الخاوية، قال تعالى: «فَرَزَقَ الْقَوْمَ فِيهَا صَرَغَنَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» (الحاقة: ٧)، أي: أماتهم الله الميتة التي يستحقون مثلهم في تلك الميتة مثل أصول النخل المطروحة وقد خلت أجوافها ولا شيء فيها، أو أن الريح كانت تدخل أجوافهم فتصرعهم فيتحولون إلى أشبه بالجذوع البالية التي خلت أجوافها^(٣).

لقد صرع الله بقدرته قوم عاد وثمود على الرغم من قوتهم التي ذكرها القرآن، فقال: «فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً» (انفصلت: ١٥) فدل ما آل إليه أمرهم على أن قوّة المخلوق هينة على الله متى شاء دمّرها لأنه القادر. فالصيغة (صَرَغَى) زنة (فَعَلَى) هي ذاتها تدل على الضعف والهوان إلا أنها أوحى بالمقابل بقوة الله وقدرته، وجعلت ذلك الإيحاء أقوى من دلالتها هي، فانصرف الذهن إلى قدرة الله وقوته، وتبين أن

(١) الصحاح: ١٢٤٣/٣، لسان العرب: ٦٧/١٠ (صرع).

(٢) الصحاح: ١٢٤٢/٣، لسان العرب: ٦٤/١٠ (صرع).

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٠٥/٣٠.

المخلوق مهما تناهى في القوة لا يستحق أكثر مما وصفه الجليل هذا في حال إنكاره فضل الله عليه وإنعامه.

■ (صرف)

الصَّرْفُ فِي اللَّغَةِ رُدُّ الشَّيْءِ عَنْ وَجْهِهِ^(١). يُقَالُ: «صَرَفَهُ عَنْ كَذَا: إِذَا عَدَلَ بِهِ عَنْهُ وَتَحَاةً»^(٢). وَحَدَّثَ الدَّهْرُ صَرْفَ وَالْجَمْعُ صُرُوفٌ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَتَصَرَّفُ بِالنَّاسِ فَيَقْلِبُهُمْ وَيَرُدُّهُمْ^(٣). وَالرِّيَاحُ لَهَا تَصْرِيفٌ وَتَصْرِيفُهَا صُرُوفُهَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ^(٤).

أما في القرآن: فقد وردت (٣٠) مرة، دلت الصيغة «وَتَصْرِيفٍ» على قدرة الله مصرف الرياح حيث يشاء. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْغُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَنَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالشَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]. أي: «تحويلها من حال إلى حال: جنوباً وشمالاً، ودبوراً، وصباً، وسائر أجناسها»^(٥). «حارة، وباردة، وعاصفة، ولينة، وعقيماً، ولواقح. وقيل: تارة بالرحمة، وتارة بالعذاب»^(٦).

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٨٢ (صرف).

(٢) عمدة الحفاظ: ٣٣٢/٢ (ص ر ف).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/٣٤٣، وينظر: عمدة الحفاظ: ٣٣٢/٢ (ص ر ف).

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٨٢ (صرف).

(٥) معاني القرآن: ١/٩٧.

(٦) الكشف: ١/٢٠٩.



قوله: ﴿لَا يَنْتَبِهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يشعر بأن ما سبق ذكره دلائل على عظيم القدرة، لأن الناظر بعين العقل المعتبر؛ يجد أنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة^(١). (وتصريف الرياح). فالرياح مخلوقة على وجه يقبل التصريف، وهو الرقة واللطافة، ثم إنه سبحانه يصرفها على وجه يقع به النفع العظيم للإنسان والحيوان والنبات. لولا تحرك الرياح لما جرت الفلك وذلك مما لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى، فلو أراد كل من في الوجود تحريك الرياح وتصريفها لم يقدروا. وفي قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ أراد وتصريفه الرياح فأضاف المصدر إلى المفعول. وسميت الريح ريحاً لأن الغالب عليها في هبوبها المجيء بالروح والراحة، وانقطاع هبوبها يكسب الكرب والغم، فهي مأخوذة من الروح، دليل ذلك أن أصلها الواو ففي جمعها أرواح^(٢).

وقوله: ﴿لَا يَنْتَبِهُ﴾ يحتمل أن يكون راجعاً إلى المجموع، ويحتمل أن يكون راجعاً إلى كل واحد ورد ذكره في السياق المتقدم. والحقيقة أن في كل واحد مما تقدم ذكره آيات وأدلة وبراهين على عظيم قدرة الله تعالى، فكل واحد من تلك الأمور الثمانية فيه دلائل على وجود الصانع سبحانه، كل واحد من هذه الدلائل فيه مدلولات كثيرة من حيث إنها لم تكن موجودة ثم وجدت فدللت على وجود المؤثر وعلى كونه قادراً^(٣).

ثم إن قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ عطف على مدخول (في) وهو من آيات وجود الخالق وعظيم قدرته؛ لأن هبوب الرياح وركودها آية، واختلاف مهابها آية، فلولا قدرة الصانع الحكيم الذي خلق أسرار الكائنات لما هبت الريح أو

(١) ينظر: الكشف: ٢٠٩/١.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢٢٢/٤.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢٢٣/٤، ٢٢٤.



ركدت، ولما اختلفت مهابها بل لم تهب أبداً من جهة واحدة، وهذا موضع العبرة ودليل القدرة، وفي الرياح مواضع نعمه وهو أن هبوبها قد يحتاجه أهل موضع لتقليل الحرارة عنهم، ويحتاجه آخرون لجلب السحاب، ويحتاجه آخرون لطرد الآفات، ومنافع لا يقدر أحد على حصرها إلا خالق الرياح.

واختيار التعبير بلفظ التصريف في الآية دون لفظ التبديل أو الاختلاف؛ لأنه اللفظ الذي يصلح معناه لحكاية ما في نفس الأمر من حال الرياح لأن التصريف من الصرف للمبالغة والمعلوم أن منشأ الريح هو صرف بعض الهواء إلى مكان وصرف غيره إلى مكانه الذي كان فيه فيجوز أن يكون التقدير: وتصريف الله تعالى الرياح، وجعل التصريف للريح مع أن الريح تكونت بذلك التصريف لأنها تحصل مع التصريف، فهو من إطلاق الاسم على الحاصل في وقت الإطلاق.

وجمع (الرياح) لأن التصريف اقتضى التعدد لأن الريح كلما تغير مهبها صارت ريحاً غير التي سبقت. وقيل: إن الرياح بصيغة الجمع يكثر استعماله في ريح الخير وأن الريح بالإنفراد يكثر استعماله في ريح الشر، والحقيقة أنها تفرقة أغلبية وإلا فقد عُبرَ بالإنفراد في موضع الجمع، والعكس.

وعلى القول بالفرقة فأحسن تعليل يعلل به أن الريح النافعة للناس تجيء خفيفة وتتخلل موجاتها فجوات فلا تحصل منها مضرة فباعتبار تخلل الفجوات لهبوبها جمعت، وأما الريح العاصف فإنه لا يترك للناس فجوة فلذلك جعل ريحاً واحدة^(١).

فريح العذاب ريح شديدة متماسكة الأجزاء، كأنها الجسم الواحد القوي. لذا وصفها القرآن بـ (الريح العقيم) ولم يخرج عن هذا المعنى إلا ورود

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٦، ٨٥/٢.



الريح مرة واحدة جاءت بمعنى الريح الطيبة اللينة قال تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ رِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢].

وورد ذكر الريح في القرآن مجموعاً فهو في الغالب مع الجمع الرحمة فالرياح مبشرات. رياح رحمة ولين لتقطعها لذا فهي رياح^(١).

ويحض القرآن في موضع منه على النظر في تصريف الله الآيات وجعلها متلاحقة متتالية، ليخلص منها أصحاب البصائر إلى الاستدلال على الخالق العظيم وقدرته سبحانه. قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَيَّاتِ﴾ [الأنعام: ٤٦]. أي: «انظر كيف نتابع عليهم الحجج، ونضرب لهم الأمثال والعبر، ليعتبروا ويذكروا فينبوا»^(٢).

والمراد من تصريف الآيات إيرادها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقوي ما قبله في الإيصال إلى المطلوب، ولقد أخبر سبحانه نبيه ﷺ أنه مع جميع هذه المبالغات في التفهيم والتقرير والإيضاح والكشف فإنهم لا يؤمنون وهم يعلمون أن الله هو القادر وحده على تحصيل هذه القوى لهم وصونها عن الآفات وليس ذلك إلا له. قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَيَّاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦]. ومانح هذه النعم لعباده والقادر على سلبها منهم في أي وقت شاء مستحق للتعظيم والثناء عليه والعبودية له وحده^(٣).

وقوله: ﴿أَنْظُرْ﴾ تنزيل للأمر المعقول منزلة المشاهد، وهو تصريف الآيات مقرونة بإعراضهم عنها وكل ذي نظر يستطيع رؤيتها، والأمر في الآية للتعجب من حال إعراضهم.

(١) ينظر: الجامع لأحكام الأحكام: ص ١٩٧، ١٩٨.

(٢) جامع البيان: ١٩٦/٧.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣٨/١٢، ٢٣٩.



والآية مستأنفة استثنافاً ابتدائياً تنزل منزلة التذييل للآيات التي سبقتها، فإنه سبحانه لما غمرهم بالأدلة الساطعة على الوحدانية وصدق رسوله، وإبطال شبههم عقب ذلك كله بالتعجيب من قوة الأدلة مع استمرار الإعراض والمكابرة. لقد ذكرهم القدير بخلقه أسماعهم وأبصارهم وعقولهم وما ينبغي عبادة غيره. وليس غيره جديراً بالعبادة.

والتصريف المراد في الآية اختلاف أنواع الآيات، فمنها المشاهد المنظور في السموات والأرض، ومنها كامن في النفوس، ومنها حجج من أحوال الأمم الخالية التي خلقها الله تعالى فهي دلائل على الوحدانية، وهي متحدة الغاية مختلفة الأسلوب متفاوتة في الاقتراب من تناول الأفهام عامها وخاصها، وهي مختلفة في تركيب دلائلها، من جهتي الترغيب والترهيب، وفي التنبيه والتذكير، بحيث تستوعب الإحاطة بالأفهام على اختلاف قدرات العقول.

و(ثم) للترتيب الرتبي لأنها عطفت جملة على جملة، فهي تؤذن بأن الجملة المعطوفة أدخل في الغرض المسوق له الكلام، وهو هنا التعجيب من قوة الأدلة المصروفة والمسوقة، ومن غير أن يكون لها أثر في نفوس المعرضين، فهم على الإعراض مستمرون، ومكابرتهم أجدر بالتعجيب والاستغراب من قوة كفرهم.

وورود المسند في قوله: ﴿هُمْ يَصْدِقُونَ﴾ فعلاً مضارعاً للدلالة على تجدد الإعراض منهم. وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي لتقوي الحكم^(١).



■ (صرم)

من دلالات المادة (صرم) في اللغة دلالتها في صيغ من صيغها على الحزم. يقال: والرجلُ الصَّارم: الماضي في الأمور كالشَّيف الصَّارم^(١) والصَّريمة: العزيمة على الشيء^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مؤات، دلت الصيغة ﴿يَصْرِمُنَّهَا﴾ على القطع الدال على التمكين والقدرة.

تجلَّت هذه الدلالة على القطع المشعر بالتمكين والقدرة وذلك في سياق الخبر أن رجلاً آتاه الله رزقاً حسناً فعرف حق الله فيه، كان عنده جنة واعتاد في كل عام عند قطافها أن يجعل ثلثها للفقراء، والثلث الثاني للجنة، أي: للعناية بها من حراثة وتعشيب، والثلث الأخير له ينفقه على عياله، فلما مات بخل أولاده وضمنوا بحصة الفقراء وعقدوا العزم على حرمانهم فأهلكها الله، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ * طَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٧-٢٠]، لشدة غرورهم بقدرتهم على فعل ما يشتهون صاروا كمن عزم على فعل شيء لا يتوقع له معيقاً^(٣). فالصيغة ﴿يَصْرِمُنَّهَا﴾ اكتنفها من جانبيها مؤكدان اللام التي سبقتها ونون التوكيد الثقيلة التي لحقت بها للإشعار بتيقنهم من قدرتهم على ما يريدون. وقد غفلوا عن حقيقة أن الله الذي تفضل عليهم بالنعم قادر على سلبها متى شاء وعلى الأخص عندما يكون الجحود والصدود عن دين الله.

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/٣٤٥ (صرم).

(٢) المصدر نفسه: ٣/٣٤٤ (صرم).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٨١/٢٩.

(صعد)

تدل المادة في بعض معانيها على التحمل والصبر المقرون بقدرة منها صيغة (صَعَدَ) في الجبل أو على الجبل تصعيداً؛ أي: تسلق^(١). وأصعد في الأرض؛ أي: مضى وسار^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٩) مرّات، دلت الصيغة المضارعية «يَصْعَدُ» على الارتفاع في السماء المشعر بقدرة.

قال تعالى في سياق التشبيه تشبيه المنافقين عند سماعهم آيات الله تتلى عليهم فتضيق صدورهم كما تضيق صدور الذين يَصْعَدُونَ في السماء: «فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ» [الأنعام: ١٢٥]، أي: كأنما يعمل عملاً غير ممكن، ذلك لأن صعود السماء صورة لعملٍ يمتنع ويبعد عن الاستطاعة وتستبعد القدرة عليه^(٣). قيل: (يَصْعَدُ) بمعنى: يَتَصَعَّدُ، فأدغمت التاء في الصاد، ومعنى يتصعد: يتكلف ما ينقل عليه^(٤). وقد يكون حرف (في) بمعنى (إلى)، إما بمعنى كأنه بلغ السماء وأخذ يَصْعَدُ في منازلها، فتكون هيئته تخيلية، وإما أن يكون على تأويل أن السماء بمعنى الجو، فيحمل الأمر على محمل الممكن مع الصعوبة وعدم الاستحالة، والعلم الحديث كشف عن أنه كلما زاد الارتفاع قلَّ الضغط الجوي ومن ثمَّ يحصل الخلل في التوازن بين الضغط الداخلي للجسم والضغط الجوي الخارجي ينتج عن ذلك ضيق الصدر وصعوبة التنفس. لذا شبه القرآن هذه الحالة بحالة من يسمع آيات الله فكلما زاد السماع وطالت مدته حصل عند صاحب

(١) مختار الصحاح: ١٥٢/١ (صعد).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: الكشف: ٦١/٢.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٩٣/١٣.



الضلال الاضطراب في نفسه، فنفسه مستقرة على الضلال وكرهية الدين، فإذا سمع كلاماً على النقيض مما يعتقد فإنه يحس بهذا الضيق الذي يقلقه، لذا فهو دائم الإعراض عن كلام الله وسماع آياته حتى يبقى ثابتاً على ضلاله.

ولما كان الصعود إلى السماء غير ممكن إلا على طريقة التخيل أو على سبيل الإعجاز كما حصل للمصطفى ﷺ وذلك قدرة إلهية معجزة مكن فيها البارئ ﷻ نبيه محمداً ﷺ من ذلك، على أن صعود الأجواء ممكن كما يتحقق الآن ولكن أيضاً بتمكين الله للعباد من ذلك، فهذه الأجرام الثقيلة أي: الطائفة الضخمة بحمولاتها الهائلة ما كان لها أن تنساح في الفضاء وتقطع المسافات الطويلة من غير تمكين الله، كل ذلك يدل على قدرة الله، أما تلك الطيور الباسطة أجنحتها بما فيها من القبض والبسط والتي جعل طيرانها سجوداً منها له جل شأنه وعظمت قدرته فكل ذلك وما يمكن أن يكون لمن الدلائل الكثيرة على قدرة الله تعالى^(١).



(صعر)

التصعير: إمالة الخد عن النظر عجباً^(٢). وَرُبَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ وَالطَّلِيمُ أَضْعَرَّ خَلْقَةً^(٣). والأضعر: المعجب في نفسه^(٤). ويقال: سنامٌ ضِعْرِي، أي: عظيم^(٥). وَقَرَّبَ مُضْعَرًّا، أي: شديد^(٦).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٠/٢٤.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٨٨/٣، ٢٨٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة، دلت الصيغة المضارعية المفردة المتصدرة بلا الناهية والمعطوفة على ما قبلها ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ على الكبر والتعالي على الآخرين الموحين بالاعتزاز بالقدرة والتمايز والترفع على الغير.

تجلت هذه الدلالة في سياق النصح والإرشاد: ﴿يَبْنِي أَقْرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ • وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [النساء: ١٧-١٨]، أي: لا تحقر الناس معتزاً بقدرتك وتمكينك ولا تفخر عليهم^(١).

٢ ٢ ٢

(صعق)

تدور مادة (صعق) في اللغة حول شِدَّةِ الصَّوْتِ. فالصَّعَقُ: الصَّوْتُ الشَّدِيدُ^(٢). والوَقْعُ الشَّدِيدُ مِنَ الرَّعْدِ صَاعِقَةٌ^(٣). وقيل: الصَّاعِقَةُ الهَدَّةُ الْكَبِيرَةُ^(٤). وقيل الصَّاعِقَةُ: النَّارُ^(٥). وقيل: الصَّاعِقَةُ: العذاب^(٦).

أما في القرآن: فقد وردت (١١) مرة في (١٠) مواضع بدلالة النار النازلة من السحاب. قال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ١٣] أي: يرسل ناراً تقع من السماء فتصيب بقدرته من يشاء^(٧).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦٦/٢١.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٨٥/٣ (صعق).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٨٤، ٤٨٥ (صعق).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ص ٥٠١، وينظر: إصلاح الوجوه والنظائر: ٢٨١.



والموت بالصواعق إما موت عقوبة من غير أجل يستوفى فيه عودة إلى الدنيا، شاهده من القرآن: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [النساء: ١٥٣]. أي: موت بعده عودة إلى الدنيا^(١). دليله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ﴾ [البقرة: ٥٦]. والصاعقة من الدلائل البينات الواضحات، وهي وإن كانت شيئاً واحداً إلا أنها كانت دالة على قدرة الله تعالى وعلى علمه وعلى قدمه، وعلى كونه مخالفاً للأجسام والأعراض، فإنزال الصاعقة بهم، ومن ثم إحياؤهم من الدلائل والمعجزات القاهرة^(٢) الدالات على عظيم قدرة الله. قيل: إن الصاعقة شحنة كهربائية من السحاب تحرق الذي تصيبه، ويوصل هوائها إلى الأحياء يختنقون بسبب ما يخالط الهواء الذي يتنفسون فيه الحوامض الناشئة عن شدة الكهرباء^(٣). وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ يدل على أن الذي أصابهم نار الصاعقة لا صوتها الشديد لأن الحال دلت على أن الذي أصابهم مما يرى، وقيل أي: وأنتم ينظر بعضكم إلى بعض، أي: مجتمعون. وقيل: إن مفعول (تنظرون) محذوف، وتنظرون بمعنى تحذقون الأنظار عند رؤية السحاب على جبل الطور طمعاً في ظهور الجليل لاعتيادهم تكليم الله موسى، وفائدة الحال إظهار أن العقوبة أصابتهم عند إساءتهم إذ طمعوا فيما لم يكن لينال منهم. ثم قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ﴾ إيجاز^(٤) بديع، أي: فمُتُّمْ من الصاعقة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ﴾ وهذا خارق للعادة يدل على قدرة الله الذي عاقبهم بالصاعقة، ثم أحياهم، فهي معجزة لموسى ﷺ واستجابة لدعائه وشفاعته. وقيل: قد تكون كرامة لهم من بعد

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ص ٥٠١، وينظر، إصلاح الوجوه والنظائر: ٢٨٠.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٩٧/١١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٠٧/١.

(٤) الإيجاز: «أن يكون اللفظ أقل من المعنى مع الوفاء به وإلا كان إخلالاً يفسد الكلام» معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٤٤/١.



تأديبهم على فرض أن السائلين هم السبعون لأنهم كانوا صالحين بني إسرائيل، أو من صالحهم^(١).

والموت بالصاعقة: إذا حصل عن اختناق أو قوة ضغط الصوت على القلب قد تعقبه الحياة بوصول هواء نقي جديد ومن الممكن الموت لساعات قليلة تكون بعده الحياة بإذن الله، إلا أن موت طائفة من بني إسرائيل ومن ثم حياتهم كان معجزة، لأنه لم يكن لأحد من الأطباء يد في إعادة حياتهم، إنما هي قدرة الله التي أحيتهم^(٢).



■ (صغو)

من أبرز دلالات المادة: المِثْل^(٣)، من ذلك قولهم: صِغُو فلان معك، أي: ميْلُهُ^(٤). وَصَغَتِ النجوم: مالت للغُيُوب^(٥).

وأصغى إليه، إذا مال بسمعه نحوه^(٦). ويقال للذين يميلون مع الرَّجُل من أصحابه وذوي قُرباه: صاغية^(٧).

أما في القرآن فقد وردت مرتين، دلت الصيغة «صَغَتَ» على العودة إلى الصواب المؤدي إلى رضوان الله المفضي إلى التمكين.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٠٧/١، ٥٠٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٠٧/١، ٥٠٨.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٨٩/٣.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.



تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ. وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ. قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝﴾ [التحریم: ٣-٤]، فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما إلى الصواب من مخالصة رسول الله ﷺ بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه^(١). والميل إلى التوبة قوة في الإيمان. إذ قبل التوبة يكون المرء مهزوماً أمام الخصم إبليس والنفس والهوى.

وعندما يتوب أو يشرع فيها يكون قد استجمع قواه لمقابلة الخصم إبليس فيهزمه. فإصغاء القلوب إلى الله قوة في الإيمان وعزم على الثبات في مواجهة المعاصي والمنكرات.

والآية تدل على أن المخصوص بالمعاتبة مجرد أن شعر بخطئه مال وتوجه بكليته إلى الله نادماً على ما كان منه، فَشَحْنُ قلبه بقوة الإيمان دفعته إلى التوبة النصوح. والدليل على هذا التقابل الدلالي بين الإصغاء والتظاهر على الرسول.

فالإصغاء إيمان وعودة عن الخطأ واعتصام بالتوبة والتظاهر التعاون للعصيان عصيان الرسول.

وهذا التقابل الأنف الذكر يجعل الصيغة (صغت) دالة على التوبة والتوبة قوة وقدرة في مواجهة العصيان.

(صفح)

كل سيف عريض صفيحة^(١). وصفحتا السيف: وجهاه^(٢). وكل حجر عريض صفيحة، والجمع صفائح^(٣). والصفّاح: كل حجر عريض^(٤). ومما قيل: صفحت الرجل صفحاً، إذا سقيته أي شراب كان ومتى كان^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (٨) مرّات، دلّت صيغة الأمر الجمعية المتصدرة بواو العطف (وليصفحوا) على القدرة لأن الذي يصفح يكون قد قهر نفسه وحملها على الصفح.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الأمر: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولَ الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمُسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، والاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾ إنكاري مستعمل في التحضيض على السعي فيما به المغفرة، وذلك العفو والصفح في قوله: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ وفيه إشعار بأنه قد تعارض عن أبي بكر سبب المعروف وسبب البر في اليمين وتجهّم الحنث وأنه أخذ بجانب البر في يمينه وترك جانب ما يفوته من ثواب الإنفاق ومواساة القرابة وصلة الرحم وكأنه قدّم جانب التأثم على طلب جانب الثواب فنبهه الله على أخذ جانب المعروف لأن لليمين مخرجاً وهو الكفارة^(٦).

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٩٣/٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/١٩٠.



والدعوة إلى الصفح في الآية دعوة إلى الاقتدار والتمكن وذلك لأن نتيجة الصفح رضوان الله والمثوبة العظيمة منه سبحانه لمن يلتزم بأوامره فيصفح عمن ظلمه ويعفو، والقرائن الدلالية التي سبقت الصيغة دلت على قدرة المأمور بالصفح فاكتمبت الصيغة ما أشعر بالقدرة والتمكن.



■ (صَفَدَ)

الصاد والفاء والذال أصلان صحيحان: أحدهما عطاء والآخر شدٌ بشيء^(١). فالصَفَدُ: العطاء؛ يقال: أصفدته إذا أعطيته^(٢). والصَفْدُ: الغُلُّ^(٣)، ويقال: الصَفْدُ التقيد^(٤)، والأصفاد: الأقياد^(٥). والصَفَاد: القيد^(٦).

أما في القرآن فقد وردت مرتين، دلت الصيغة المعرفة بالألف واللام: ﴿الْأَصْفَادِ﴾ على القيود.

تجلت الدلالة على القيود المتينة القوية التي يُقَهَّرُ من يُصَفَدُ فيها ويهان وذلك في سياق يتحدث عن تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبروز الخلائق لله الواحد القهار، وما تكون عليه حال المجرمين المقرنين في القيود وهم في النار، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٨-٤٩]،

(١) مقاييس اللغة: ١٩٣/٣ (صفد).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١٩٣/٣، ١٩٤ (صفد).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

قوله: ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ إما أنه يتعلق بمقرنين، أي: يقرون في الأصفاد. وإما أن لا يتعلق به؛ فيكون المعنى: مقرنين مصفدين^(١)، وقيل: مقرونون مقيدون^(٢). فما طبيعة هذه القيود التي أخبر عنها القرآن؟ هل بإمكان المصفدين الخلاص منها، والفكاك من أسرها؟ لا شك أن وصف هذه القيود مهما بدا مخيفاً من حيث حجمه وماهية صنعها، وعظيم وطأتها على الكافرين لا شك أنه أقل من الحقيقة، فهي أصفاد تليق بالعصاة المجرمين.



■ (صَفَّ)

المَصْفُ: المَوْقف في الحرب^(٣)، والجمع المَصَافُ^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (١٤) مرّة، دلت الصيغة ﴿صَفًّا﴾ على الهيبة والقوّة والكثرة.

استعمل القرآن الصيغة ﴿صَفًّا﴾ للإشعار بالهيبة الدالة على القدرة وذلك في سياق جمع الكيد وتهينة أسباب الغلبة والانتصار، قال تعالى على لسان بطانة فرعون وهم يفكرون بالطريقة الأنجع: ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوْا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ [طه: ٦٤]، أمروا بالمجيء صفّاً لرهبة الخصم وبث الهيبة في النفوس، قيل: إنهم كانوا سبعين ألفاً مع كل واحدٍ منهم جبل وعصا وقد أقبلوا إقبالاً واحدة^(٥)، وقيل: إن الصف في الآية مراد به الجنس

(١) الكشف: ٥٤٥/٢.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٥١/١٩.

(٣) تهذيب الصحاح: ٥٤٤/٢ (صَفَّ).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: الكشف: ٧١/٣.



لا الوحدة، أي: ثم ائتوا صفوفاً، وانتصب (صفاً) على الحال من فاعل (ائتوا)، وهذه الهيئة التي جاؤوا بها هي صورة من صور الكيد والحيلة، فهي هيئة توحى بالاعتدال والتنظيم والكثرة لتحصل المهابة ويدب الرعب في قلب الخصم موسى ﷺ، فالصيغة (صفاً) دلت على التنظيم المشعر بالمهابة والموحي بالقدرة.

وتجلى قدرة الله في هيئة الطير في جَوِّ السماء قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَقَتٌ كُلُّ فَعَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١]، لما ذكر سبحانه أن أهل السموات والأهل يسبحونه ذكر أن الذين استقروا في الهواء بما بين السماء والأرض يسبحون كذلك.



(صفن)

الصُّفُون، وهو أن يقوم الفرس على ثلاث قوائم ويرفع الرابعة، إلا أنه ينالُ بطرف سُتْبُكها الأرض^(١). والصَّافِن: الذي يصفُ قدميه^(٢). وتَصَافَرَن القومُ الماء وذلك إذا اقتسموه بالصُّفْن، والصُّفْن: جلدةٌ يستقى بها^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة المعرفة الجمعية ﴿الصَّافِنَتُ﴾ على صفة حميدة في الخيل إشعاراً بقوّتها وأصالتها.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَنَ نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَمِيِّ الصَّافِنَتُ الْإِيَادُ ﴿إص: ٣٠-٣١﴾، أي: تقف على طرف

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٩١/٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.



سنبك يد أو رجل، وذلك من الصفات المحمودة في الخيل التي لا تكاد تكون إلا في العراب الخالص^(١).

إنه وصف لموصوف محذوف استغني عن ذكره لدلالة الصفة عليه لأن الصافن لا يكون إلا من الخيل والأفراس، وهو الذي يقف على ثلاث قوائم وطرف حافر القائمة الرابعة لا يمكن القائمة الرابعة من الأرض، وتلك من علامات خفته الدالة على كرم أصل الفرس وحسن خلاله^(٢).



■ (صَفَو)

الصاد والفاء والحرف المعتل أصل واحد يدل على خلوص من شوب، من ذلك الصَّفَاء، وهو ضدُّ الكَدْر؛ يقال: صفا يصفو إذا خَلَصَ. يقال لك صَفُوْهُ هذا الأمر وِصفُوْته. ومحمَّد صفوة الله تعالى وخيرته من خلقه. والصَّفِيُّ: ما اصطفاه الإمام من المَعْنَم لنفسه، والصَّفِيَّةُ والصَّفِيَّةُ، وهو بغير الهاء أشهر: النّاقة الكثيرة اللبن، والنّخلة الكثيرة الحَمْل، والجمع الصّفايا. وإنما سُمِّيت صَفِيًّا لأن صاحبها يصطفِها. والصّفا هو الحجر الأملس وهو الصّفْوَان، الواحدة صَفْوَانَةٌ، وسُمِّيت صفوانةً لذلك لأنها تصفو من الطين والرَّمْل^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (١٨) مرّة، دلت الصيغة «يَصْطَفِي» على الاختيار الدال على القدرة.

(١) ينظر: البيضاوي: ٣١١/٢، ٣١٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣/٢٥٥.

(٣) مقاييس اللغة: ٢٩٢/٣ (صفو).



تجلت هذه الدلالة باستعمال القرآن الصيغة المضارعية ﴿يَصْطَفِي﴾ في سياق الإخبار أن: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الحج: ٧٥)، بيان أن رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم أنه سبحانه عالم بأحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر، لا تخفى عليه خافية. وإليه مرجع الأمور، يعرف من يصطفى ويختار، لا يُسأل عما يفعل، وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدييره واختيار رسله^(١).



■ (صلا)

دلت مادة (صلى) في اللغة على التلدين. يقال: صَلَّيْتُ الْعَصَا وَالْعُودَ بِالنَّارِ لَيَّتُهُمَا وَقَوْمْتُهُمَا^(٢). والصلاة: الدُّعَاءُ، وهي الرُّكُوعُ والسُّجُودُ، وَسَائِرُ حُدُودِ الصَّلَاةِ^(٣). وتعني الإدخال في النَّارِ. يقال: «صَلَّيْتُ الرَّجُلَ نَارًا، إِذَا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ وَجَعَلْتُهُ يَصْلَاهَا»^(٤). فإن ألقيته فيها إلقاء تُرِيدُ حرقه فقد أَصْلَيْتُهُ وَصَلَّيْتُهُ تَصْلِيَةً^(٥). ومثله: «صَلَّى فَلَانُ النَّارَ... يَصْلَى صُلْيَا: احترق»^(٦). وهي في المجاز الرحمة. فالصلاة من الله تعالى على العبد رَحْمَةٌ^(٧). وَتَغْنِي المعانة. يقال: «صَلِّي بِالْأَمْرِ، إِذَا قَاسَى حَزْرَهُ وَشِدَّتَهُ»^(٨).

(١) ينظر: الكشف: ١٦٧/٣، ١٦٨.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٠٠/٣، وينظر: الصحاح: ٢٤٠٢/٦ (صلى).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٠٠/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٩٠ (صلا).

(٤) ينظر: الصحاح: ٢٤٠٣/٦ (صلى).

(٥) ينظر: الصحاح: ٢٤٠٣/٦، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٩٠ (صلا).

(٦) الصحاح: ٢٤٠٣/٦ (صلى).

(٧) ينظر: الصحاح: ٢٤٠٣/٦ (صلى).

(٨) الصحاح: ٢٤٠٣/٦ (صلى).



أما في القرآن: فقد وردت (٢٥) مرة. ودلت صيغة ﴿أَصْلَوْهَا﴾ على الإدخال في النار. قال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [يس: ٦٣-٦٤]. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الإنس والجن والأولين والآخرين في صعيد واحد ثم أشرف عنق من النار على الخلائق فأحاط بهم ثم ينادي مناد^(١): ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ففي قوله تعالى هذا القول ما يوجب شدة الندامة والحسرة فقوله: ﴿أَصْلَوْهَا﴾ فإنه أمر تنكيل وإذلال وإهانة كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]. وقوله: ﴿الْيَوْمَ﴾ يعني أن العذاب حاضر أيها الكافر، فلذاتك قد ولت، وأيامها قد انقضت، وبقي اليوم العذاب. وقوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ فإن الكفر والكفران يُنبئ عن نعم كانت ساقها الله لخلقه فجحدها الكافر، وحياء الكفور من المنعم يوم القيامة من أشد الآلام^(٢).

وإطلاق الصلى على الإحراق تهكم. والتعريف في (اليوم) تعريف العهد، أي: هذا اليوم الذي ترونه، وأريد به جواب ما كانوا يقولون في الحياة الدنيا من استبعاد حصوله والتكذيب به إذ يقولون: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سبأ: ٢٩]. والباء في ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ سببية، أي: بسبب كفركم في الدنيا^(٣). والصبر وعدمه سواء يوم يصلون جهنم: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ نَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]. أي: إذا كان من غير الإمكان لكم إنكارها الآن، أي: جهنم وتحقق

(١) ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٤٠/٣، وينظر: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار:

أبو بكر بن عبدالله بن أبي شيبه الكوفي (م ٢٣٥هـ). دار النشر، مكتبة الرشد - الرياض،

سنة ١٤٠٩هـ، ط ١، المحقق: كمال يوسف الحوت: ٥١/٧.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٠/٢٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٩/٢٣.



لكم أنها ليست سحراً كما كنتم تقولون في الدنيا، عن الآيات والحجج المسوقة لكم، وإذا انتفى الخلل في أبصاركم فاصلوها على سبيل القهر والقدرة على الكافرين.

وقوله: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ استفهام إنكار. أي: هل في جهنم التي ترونها وتصلونها بقدرة الله شك أم هل في بصركم خلل؟ لا واحد منهما ثابت فالذي ترونه حق وقد كنتم تقولون إنه ليس بحق. لقد كنتم تنسبون المراثيات إلى السحر فهل جهنم التي ترونها كذلك؟^(١)

وقوله: ﴿أَصْلَوْهَا﴾ قول مستأنف بمنزلة النتيجة المترتبة من التوبيخ والتغليظ السابقين، أي: اصطلوها نارها، وقاسوها حرها.

والأمر في (اصلوها) إما الغرض منه الدخول لأن دخولها يستلزم الاحتراق بنارها، وإما مستعمل في التنكيل. وفي الأمرين دلالة على قدرة الأمر، وضعف المأمور.

وَفَرَّعَ الْقُرْآنُ عَلَى (اصلوها) أمراً للتسوية بين أن يكونوا صابرين على العذاب والقهر والإذلال وهم يكتون بحرهما، وبين عدم الصبر وهو الجزع لأن كلا الأمرين لا يخففان عنهم شيئاً من العذاب، قال تعالى على لسانهم: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُكُمْ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]. وجرمهم عظيم لا يرتجى في تخفيف جزائه أو عقوبته.





(صلب)

دلت المادة (صلب) في اللغة على: الْحِجَارَةُ الصُّلْبَةُ. قيل: وَالصُّلْبُ: الشَّدِيدُ مِنَ الْحِجَارَةِ^(١)، وَسُمِّي الظَّهْرُ صُلْبًا لِقُوَّتِهِ^(٢). وتدل على الحرق. «صَلَبَتْهُ الشَّمْسُ تَصْلِيْبُهُ صُلْبًا: إِذَا أَحْرَقَتْهُ فَهُوَ مَصْلُوبٌ مُحْرَقٌ»^(٣). وَمَنْ يَتَشَدَّدُ فِي شَيْءٍ فَقَدْ تَصَلَّبَ^(٤). وَالصُّلْبُ وَالصِّلْبُ: الشَّدِيدُ وَأَيْضًا الصُّلْبُ^(٥).

أما في القرآن: فقد وردت (٨) مرات في (٧) مواضع لتدل في صيغة من صيغها على القتل صُلْبًا في سياق الوعيد وعيد فرعون لمن آمن مع موسى ﷺ. قال تعالى على لسان فرعون: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أَتَجِدُ الْكَافِرِينَ أَتَوْا عَلَى الْآرَافِ﴾^[١٢٤]. دلت (ثُمَّ) على الارتقاء في الوعيد بالصلب، والمعروف أن الصلب قتل المرء مشدوداً على خشبة، وعلى هذا يكون قد توعّد بنوعين من العذاب.

والوعيد موجه إلى جماعة السحرة وجعلهم فريقين: فريق يعذب بالقطع من خلاف، والفريق الآخر يعذب بالصلب والقتل، فعلى هذا ليس المعنى على أنه يصلب بعد القطع، إذ لا فائدة في تقييد القطع من خلاف عندئذٍ. ويتحمل أن يراد بالصلب: الصلب دون قتل، فيكون أراد صلبهم بعد القطع ليكونوا نكالاً يندعر بهم الناس، حتى لا يقدم أحد على عصيان أمره من بعد، فتكون (ثم) دالة على الترتيب والمهلة^(٦)، وقد يكون القصد من المهلة

(١) ينظر: تهذيب اللغة: ١٢/١٩٨، وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/٣٠١ (صلب).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/٣٠١، وينظر: الصحاح: ١/١٦٣ (صلب).

(٣) تهذيب اللغة: ١٢/١٩٨ (صلب).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: ١٢/١٩٧، وينظر: الصحاح: ١/١٦٣ (صلب).

(٥) ينظر: الصحاح: ١/١٦٣ (صلب).

(٦) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢/٢٢٧.



اندمال الجراح بعد قطع الأوصال، أي: اندمال مواضع القطع بالكي، وهذا يناسب ظاهر قوله: «أجمعين» الذي يشعر بأن الصلب طالهم جميعاً^(١).

والصلب أمر عظيم وقع بالسحرة ذلّ عليه قوله تعالى على لسانهم: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [الأعراف: ١٣٦] فهذا القول مشعر أنه كان قد نزل بهم بلاء شديد عظيم وهم يطلبون من القدير أن يصبرهم على ذلك^(٢). ولما كان الإفراغ هو الصب، فإنه استعمل في الصبر على التشبيه بحال إفراغ الإناء. أي: صب علينا الصبر عند الصلب والقطع. كأنهم طلبوا من الله كل الصبر لا بعضه. وذكر الصبر بصيغة التنكير (صبراً)، يدل على الكمال والتمام، أي: صبراً كاملاً تاماً لا ناقصاً^(٣).

فقوله: ﴿لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ذلّ على أنه يعتقد في نفسه القوة والقدرة على الانتقام منهم لما سجدوا لرب موسى. وعند تنفيذ ما توعد به يكون قد مكن من ذلك لا لأنه على الحق، بل ليزداد بهذا التمكين ظمناً وبعداً عن الدين، ولتكون حصته من العذاب كاملة لا منقوصة يوم القيامة. فالصيغة (لأصلبنكم) تعبير عن قوة فرعون وقدرته على البطش والتنكيل، وكان الصلب بدعة فرعون. قيل: هو أول من صلب^(٤).



(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٥/٩.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢١٧/١٤.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢١٨/١٤.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٦١/٧.



(صلح)

الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد، يقال: صَلَحَ الشيءُ يَصْلُحُ صلاحاً، ويقال: صَلَحَ بفتح اللام. وحكى ابنُ السكيت صَلَحَ و صَلَحَ، ويقال: صَلَحَ صلوحاً، قال بعض أهل العلم: إنَّ مكة تسمى صلاحاً^(١).

أما في القرآن فقد وردت (١٧٩) مرّة، دلت الصيغة: «وَأَصْلَحَ» على التوفيق في أمور الدين، قال تعالى في سياق المقابلة بين إضلال الكافرين وإصلاح المؤمنين: «الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ» (محمد: ٢-١)، أي: أصلح شأنهم بتوفيقهم في أمور دينهم، وبما مكنتهم في الدنيا وقدرهم ونصرهم وأيدهم، فالتوحيد تنبعث منه القوى المقاومة للأخطاء والأوهام التي تلبس بها أهل الشرك.^(٢)

٢ ٢ ٢

(صلد)

تدل مادة (صلد) في اللغة في صيغة من صيغها على الصلابة، يقال: حَجَرَ صَلْدًا، أي: صَلَبًا^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة «صَلَدًا» على الصلابة واليبوسة، قال تعالى في سياق ضرب المثل: «يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

(١) مقاييس اللغة: ٣٠٣/٣ (صلح).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٦/٢٦.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٠٣/٣ (صلد).



يُطْلَوْا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ
عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ [البقرة: ٢٦]، والصلد هو
الأملس اليابس، فالحجر صلد إذا كان له بريق وملاسة، فالحجر أو الجبل
حين تغطيهما طبقة من تراب لا تبين صلابتهما ولا تظهر، يَخْسِبُ الناظر
إليهما أنهما تربة عميقة لينة طرية، فإذا ما أزيحت بعامل المطر أو الريح
طبقة التراب التي تعلوهما ظهرت حقيقة ما تحت التراب وهو صخر يلمع
ويبرق متين صلب.



(صمد)

دلت مادة (صَمَد) في اللغة على المكان الصلب. يقال: والصَّمَدُ، كُلُّ
مَكَانٍ صُلْبٍ^(١). «والصَّمَدُ.. ما شُرِفَ مِنَ الْأَرْضِ وَعَلَا»^(٢). وتعني القصد.
فالصَّمَدُ هو الْقَصْدُ. يقال: صَمَدْتُهُ صمداً^(٣). والله تعالى الصَّمَدُ؛ لأنه يَصْمِدُ
إِلَيْهِ عِبَادَهُ بِالْدُّعَاءِ وَالطَّلَبِ^(٤). «والصَّمَدُ: الدَّائِمُ الْبَاقِي»^(٥). وقيل: «من انتهى
إليه السُّؤْدُدُ»^(٦).



(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٠٩/٣ (صمد).

(٢) عمدة الحفاظ: ٣٥٣/٢ (ص م د).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٠٩/٣ (صمد).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٠٩/٣ (صمد).

(٥) عمدة الحفاظ: ٣٥٣/٢ (صمد).

(٦) المصدر نفسه.



أما في القرآن: فقد دلت عليه تعالى الذي يُصَمِّدُ إِلَيْهِ.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾

(الإخلاص: ٢-١) أي: هو السيد قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفاء، وليس كمثله شيء، سبحانه الله الواحد القهار الذي صمد له كل شيء، ولا يستغني عنه شيء، وكل الأشياء تدل على وحدانيته وقدرته^(١)، أي: هو الله الذي تعرفونه وتقرون أنه الخالق للوجود وخالقكم، وهو الواحد الفرد لا يشاركه في الألوهية أحد، وهو الذي لا يستغني عنه مخلوق، وهو الغني المنزه عن كل حاجة^(٢). وقيل: ﴿الصَّمَدُ﴾ هو العالم بجميع المعلومات، يرجع إليه في قضاء الحاجات، الحليم الكريم، الخالق للأشياء، المقصود في الرغائب، المستغاث به عند المصائب، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، السيد المعظم، الفرد الماجد، الذي لا يعلو فوقه أحد: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٨) الباقي بعد فناء خلقه. الذي لم يزل ولا يزال، ولا يجوز عليه الزوال. الكامل في جميع صفاته، وفي جميع أفعاله، الذي يغلب ولا يغلب، المستغني عن كل أحد، قوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد غيره. وإذا كان الصمد مفسراً بالصمود إليه في الحوائج، أو بما لا يقبل التغير في ذاته لزم أن لا يكون في الوجود موجود وهكذا سوى الله تعالى^(٣). ويشمل هذا الاسم

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٧/٥، ٣٧٨.

(٢) ينظر: الكشف: ٨١٣/٤.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٨١/٣٢، ١٨٢.



(الصمد) صفات الله المعنوية الإضافية وهي كونه تعالى حياً، عالماً، مريداً، قادراً، سميعاً، بصيراً، لأنه لو انتفى عنه أحد هذه الصفات لم يكن مصموداً إليه. والصيغة (الله الصمد) صيغة قصر^(١) بسبب تعريف المسند لتشعر بقصر صفة الصمدية عليه سبحانه وهو قصر قلب^(٢)، وذلك لإبطال ما تعودده أهل الشرك في الجاهلية من سؤالهم أصنامهم في حوائجهم والفرع إليها في نوائبهم حتى نسوا الله^(٣).



■ (صمع)

الصاد والميم والعين أصل واحد، يُدُلُّ على لطافة في الشيء وتضام^(٤). قالوا: كُلُّ مَنْصَمٍ فهو متصمّع^(٥). ومن ذلك اشتقاق الصَّومعة^(٦). وقلبُ أصمع، أي: لطيف ذكي^(٧). وإذا تَلَطَّخَ الشيءُ بالشيء فتجمَّع كَرِيش السَّهم فهو متصمّع^(٨).

(١) القصر: «هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص وذلك كتنخيص المبتدأ بالخبر بطريق النفي في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَنَعُ الْفُورِ﴾ [الحديد: ٢٠] وتخصيص الخبر بالمبتدأ، مثل: «ما شاعر إلا المتنبّي» والقصر يعني الحصر». معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٣٧/٣.

(٢) القلب عبارة عن تحويل الشيء عن وجهه. قلبه يقلبه قلباً. وهو من الخروج على مقتضى الظاهر، وذلك بأن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر، ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٤٠/٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٦١٧/٣٠، ٦١٨.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٣١٠/٣.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة، دلت الصيغة الجمعوية المنكرة ﴿صَوِّعُ﴾ على أماكن عبادة النصارى.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَعَا اللَّهِ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَفُتَّتْ صَوِّعُ وَيَعُ﴾ (الحج: ٤٠)، أي: أماكن عبادة المؤمنين في شرع نبي الله عيسى عليه السلام، أي: النصارى^(١). وأماكن العبادة على الدوام تكسب من يتعبد فيها الأُنس والثقة بالله والاطمئنان إلى رعايته وحمايته، فهي مصدر لاكتساب القدرة الروحية والثبات على العقيدة.

٢ ٢ ٢

(صم)

تدل مادة (صَمَمَ) في اللغة على الصَّلَاة. يُقَالُ «حَجَرُ أَصَمٍّ وَصَحْرَةٌ صَمَاءٌ ضَلَبَ مُصَمَّتٌ»^(٢). وَتَعْنِي انْشِدَادَ الْأُذُنِ، وَثِقَلُ السَّمْعِ يُقَالُ لَهُ صَمَمٌ^(٣). وَتَذَلُّ عَلَى الْقَطْعِ. يُقَالُ: صَمَصَمَ السَّيْفُ إِذَا قَطَعَ الْمِفْصَلَ^(٤).

أما في القرآن: فقد وردت (١٥) مرة في (١٤) موضعاً. دلت الصيغة ﴿فَاصْصَهْرُ﴾ على قدرة الله بإيقاعه العقوبة بالمنافقين. قال تعالى في سياق الإخبار عنهم وأنهم عاجزون عن سماع الحق. ومحذراً من توليهم المفضي إلى الفساد في الأرض وتقطيع الأرحام: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٤١/٢٣.

(٢) القاموس المحيط: ١٤٢/٤ (صم).

(٣) ينظر: القاموس المحيط: ١٤٢/٤ (صم).

(٤) المصدر نفسه.



أحمد: ٢٢-٢٣ أي: صموا عن سماع الحق^(١). فيحذر القرآن من العودة إلى الكفر ومن يفعل ذلك يسلب الانتفاع بسمعه، فلا ينقاد للحق وإن سمعه^(٢). أي: فلا يعي الكلام المستبين ولا يفهمه، فهم بالنسبة إليه ضَمُّ أصمهم الله^(٣). وفي قوله أصمهم ولم يقل أصم آذانهم، وقوله ﴿وَأَعَمَّتْ أَبْصَرَهُمْ﴾ ولم يقل أعماهم، دلالة وقصد، وذلك لأن العين آلة الرؤية ولو أصابتها آفة لا يكون الإبصار على حين لو أن الأذن أصابها قطع أو قلع تسمع الكلام، لأنها خلقت وخلق فيها تعاريج ليكثر فيها الهواء المتموج ولا يقرع الصماخ بعنف فيؤدي كما يؤدي الصوت القوي. فقال: ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ من غير ذكر الأذن، وقال: ﴿وَأَعَمَّتْ أَبْصَرَهُمْ﴾ مع ذكر العين لأن البصر في الآية بمعنى العين، ولهذا جمعه بالأبصار، ولو كان مصدراً لما جمع، فلم يذكر الأذن إذ لا دخل لها في الإصمام، والعين لها مدخل في الرؤية بل هي الكل^(٤).

فطرد الكافرين من رحمة الله وجعلهم لا يسمعون الحق، والاهتداء بالآيات الدالات على وحدانيته وألوهيته دلالة على قدرته على المخلوقين، فمن شاء هدايته يسر له سبيل الهداية، ومن لا يستأهل ذلك أصمه عن الهدى وأعماه عن الحق، فهو يتخبط في تيهه إلى أن يلقي الله وهو عليه ساخط غضباناً. فهو حين أخبر في كتابه أنه يصم آذان العازفين عن سماع الحق فإنما يريد التعريف بقدرته عليهم وقدرته على قهرهم بتعطيل آلة السمع والبصر فلا يسمعون ولا يبصرون.

(١) ينظر: الكشف: ٣١٧/٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٦/١٦.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٦٤/٢٨.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٦٤/٢٨، ٦٥.



وقيل: الأصل في الرؤية والسمع الروح ولها آلات ومن هنا: فالصمم يحصل بتعطيل الجهاز الخارجي وهي الأذن، ويحصل بتعطيل مركز السمع في المخ، ويتعطل فهم المسموع بتعطيل أذن القلب، فيصير سمع بلا فهم، ورؤية من غير إبصار.

٢٢٢

■ (صنع)

تدل المادة (صنع) في اللغة في بعض صيغها على المهارة في الصنع. يقال: امرأة صَنَاعٌ ورجلٌ صَنَعٌ، إذا كانا حاذقين فيما يصنعانه^(٥). والتَّصْنَعُ حُسْنُ السَّمْتِ^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (٢٠) مرّة، دلت الصيغة المضافة إلى لفظ الجلالة «صَنَعَ اللَّهُ» على القدرة.

تجلّت الدلالة على القدرة باستعمال الصيغة «صَنَعَ اللَّهُ» المضافة إلى اسم الجلالة في سياق الإخبار عن مَرَّ الجبال مَرَّ السحاب يوم القيامة، قال تعالى: «وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَعَنَ كُلَّ شَيْءٍ» [النمل: ٨٨]، لما قدّم ذكر تسيير الجبال كما يمر السحاب وهو الأمر الذي لا يقدر عليه سواه جعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي لا يقدر عليها غيره حيث أتى بها على الحكمة والصواب^(٧)، وانتصب قوله: «صُنِعَ اللَّهُ» على المصدرية مؤكداً لمضمون جملة «تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» قدير: صنع الله ذلك صنعاً. وهذا تمجيد لهذا النظام العجيب الذي تتحرك فيه الأجسام

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/٣١٣ (صنع).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤/٢٢٠.



العظيمة بسرعة هائلة، أي: ليس هذا الصنع العجيب إلا مماثلاً لأمثاله من الصنائع الإلهية الدقيقة في صنعها، وهذا يؤول إلى أن تسيير الجبال نظام متقن، وأنه من نوع التكوين والخلق واستدامة النظام وليس من نوع التدمير والتفكيك^(١).



■ (صنم)

الصاد والنون والميم كلمة واحدة لا فرع لها، وهي (الصَّنَم) وكان شيئاً يُتَّخَذ من خشبٍ أو فضةٍ أو نُحاسٍ فَيُعْبَدُ^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٥) مرّات، دلت صيغة الخطاب الجمعي ﴿أَصْنَعُكُمْ﴾ على الآلهة، وهي في نظر عابديها تضر وتنفع لذا أشركوها بالله تعالى.

تجلت هذه الدلالة في سياق القسم، أقسم إبراهيم عليه السلام أن يحطم آلهة قومه: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَعُكُمْ بَعْدَ أَنْ قُلُوا مُدْرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، ترك ما اعتزمه من الكيد بآلهتهم مبهماً لا يفصح عنه ولا يذكر السياق كيف ردوا عليه، ولعلمهم كانوا مطمئنين إلى أنه لا يستطيع لآلهتهم القدرة في زعمهم كيداً، فتركوه^(٣).



(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٠/٢٠، ٥١.

(٢) مقاييس اللغة: ٣/٣١٤.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٢٣٨٦/١٧.

(صهر)

تدل مادة (صهر) في اللغة على إذابة الشيء. يُقَالُ: صَهَرْتُ الشَّحْمَةَ^(١)، «وَالصَّهَارَةُ: مَا ذَابَ مِنْهَا»^(٢)، و«صَهَرَتْهُ الشَّمْسُ، كَأَنَّهَا أَذَابَتْهُ»^(٣).

أما في القرآن: فقد استعمل القرآن في موضع منه الصيغة «يُصْهَرُ» للدلالة على الإذابة. قال تعالى: «فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَمٌ مِنْ حَدِيدٍ» [الحج: ١٩-٢١] أي: «يذاب به»^(٤). وجعل الثياب من جهنم على مقادير الكافرين ليلبسوها فشتملهم، يوحى بقدرة الله الذي جعل على مقاديرهم هذه الثياب من نار^(٥).

وذكر ضربهم بمقامع الحديد، ومقامع جمع مقمع، إمعاناً في الإذلال والقهر والعذاب^(٦).

فإذا صب الحميم على رؤوسهم كان تأثيره في البطون نحو تأثيره في ظاهر الأبدان، فيذيب الأحشاء والأمعاء كما يذيب الجلود.

والمقامع: السياط. روي عن رسول الله ﷺ: «لو وضعت مقمعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها»^(٧).

(١) معجم مقاييس اللغة: ٣/٣١٥، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٩٤ (صهر).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٣/٣١٥ (صهر).

(٤) معاني القرآن: ٢/٢٢٠، وينظر: مجاز القرآن: ٢/٤٧، وينظر: تفسير غريب القرآن: ص ٢٩١.

(٥) ينظر: عمدة الحفاظ: ٢/٣٢٣.

(٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٨٤.

(٧) ينظر: المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ط ١، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا: ٤/٦٤٢.



وللعاقل أن يتصور كم لهذا الحميم المذكور في الآية من قدرة على الصهر، فالأبدان غير الأبدان التي نعهدها فكما أخبر الرسول ﷺ يصير فيها ضرس الكافر كجبل أحد^(١) لإذابة الكافرين طعم العذاب الشديد جزاء على كفرهم.



■ (صوب)

الصُّوبُ: نزول المطر^(٢)، وأصابه، أي: وجده^(٣). وأصابته مصيبة، أي: أخذته، فهو مصاب^(٤)، والصواب: نقيض الخطأ^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (٧٧) مرة، دلت الصيغة المضارعية «أُصِيبُ» على التعذيب الذي يلحق بمستحقه.

تجلّت الدلالة على القدرة بإيقاع العذاب بمستحقه من الكافرين في سياق يقابل فيه بين العذاب الذي يلحق بمن يشاء الله أن يوقعه به والرحمة التي يكتبها الله للمتقين من عباده، قال تعالى مجيباً نبية موسى عليه السلام: «قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» (الأعراف: ١٥٦)، أي: إني أعذب من أشاء، وليس لأحد عليّ اعتراض، لأن كل خلقي هم ملكي^(٦). أي: إني قادر على تخصيص العذاب بمن عصوا وتنجية من لم يشارك في

(١) ينظر: الجامع الصحيح سنن الترمذي: ٧٠٣/٤.

(٢) مقاييس اللغة: ٣١٧/٣، الصحاح: ١٦٤/١ (صوب).

(٣) الصحاح: ١٦٥/١ (صوب).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣/١٥.



العصيان، وجاء الكلام على طريقة مجملة شأن كلام من لا يُسأل عما يفعل^(١).

وتجلت الدلالة على قدرة الله فيما أورده القرآن مخبراً عن تمكينه يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنَّا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ [يوسف: ٥٦]، أي: أقدرناه على ما يريد برفع الموانع.

٢ ٢ ٢

■ (صوت)

من دلالات المادة (صوت) في اللغة شدة الصوت، يقال: رجلٌ صَيِّتٌ؛ إذا كان شديد الصوت^(٢). وصائتٌ إذا صاح^(٣). والصَّيْتُ: الذَّكْرُ الْحَسَنُ فِي النَّاسِ^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٨) مرّات، دلت الصيغة ﴿يَصَوِّتُكَ﴾ على الكلام الكثير والوسوسة الدالة على قدرة المتكلم والقدرة على الوسوسة والإغواء.

تجلّت هذه الدلالة في سياق التهديد، قال تعالى: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ كُلِّ جَزَاءٍ مُوقُورًا﴾ * وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَقَتِ مِنْهُمْ يَصَوِّتُكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِحِيلِكَ وَرَجَلُكَ﴾ [الإسراء: ٦٣-٦٤]، اضْرُخْ في أتباعك لبعث النشاط فيهم صراخاً كثيراً، أو ألق في نفوسهم قدر استطاعتك من الوسواس، وكن كقائد

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢٩/٩.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣١٨/٣، ٣١٩ (صوت).

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣١٩/٣ (صوت).

(٤) ينظر: المصدر نفسه.



جيش يبالح في الإكثار من الجمع، ولا تترك قدرة تملكها إلا واحشدها^(١).
 قيل: صوته دعاؤه إلى معصية الله تعالى، وقيل: أراد بـ (صوتك) الغناء واللهو
 واللعب، ومعنى صيغة الأمر هنا التهديد، كما يقال: اجهد جهدك فسترى ما
 ينزل بك^(٢). أي: استعمل كل طاقتك وقدرتك فسترى ضعفك وخسرانك.



■ (صور)

دَلَّتْ مَادَّةُ (صَوْر) في اللغة على الجمال. يُقَالُ: «رَجُلٌ صَيَّرَ إِذَا كَانَ
 جَمِيلَ الصُّورَةِ»^(٣)، والعصفور الذي إذا دعي أجاب. يقال له صَوَّارٌ^(٤). وتدل
 على القطيع من البقر. يقال له صَوَّارٌ، والجمع صَيَّرَانٌ^(٥). والأرض ذاتُ
 الشَّجَرِ يُقَالُ لَهَا: صَارَةٌ^(٦). وتدل على إمالة الشيء. يقال: «صُرْتُ الشَّيْءُ
 أَصْوَرُهُ وَأَصْرَتُهُ، إِذَا أَمَلْتُهُ إِلَيْكَ وَصَمَّمْتُهُ»^(٧). ودلت على الهيئة والخلقة. يقال:
 الصُّورَةُ صُورَةٌ كُلُّ مَخْلُوقٍ، وَالْجَمْعُ صُورٌ وَهِيَ هَيْئَتُهُ وَخَلْقُهُ^(٨).

أما في القرآن: فقد وردت المادة (١٨) مرة في (١٦) موضعاً دالة على
 التصوير، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ
 فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١]. وأهل التأويل على خلاف

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٣/١٥.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٧/١١.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٣٢٠/٣ (صور).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٢٠/٣ (صور).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ينظر: كتاب الأضداد للأصمعي ص ٣٣، وينظر: الأضداد لابن السكيت: ص ١٨٧.

(٨) معجم مقاييس اللغة: ٣٢٠/٣ (صور).

في هذه الآية منهم من قال: «الظاهر أنَّ الخطاب عام لجميع بني آدم، و(ثم) بمعنى الواو، فلم ترتب، أو تكون (ثم) للترتيب في الإخبار، لا في الزمان»^(١).
ومنهم من قال: قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾. أي: خلقنا أباكم آدم. وقوله: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي: صورنا آدم. وآدم أبو البشر فحسن أن يكون جعل خلقنا وتصويرنا في الآية كناية عن خلقه وتصويره ﷺ^(٢). وقيل: (خلقناكم) أي: آدم (ثم صورناكم) أي: صورنا الذرية في ظهره^(٣). «خلقناكم ثم صورناكم ثم إنا نخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فهذا العطف يفيد ترتيب خبر على خبر، ولا يفيد ترتيب المخبر على المخبر»^(٤).

وقيل: إشارة إلى حكم الله وتقديره إحداث البشر في هذا العالم، وقوله: ﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾ إشارة إلى أنه تعالى أثبت في اللوح المحفوظ صورة كل شيء كائن محدث إلى يوم الدين، ثم بعد هذين الأمرين، أحدث الله تعالى آدم ﷺ وأمر الملائكة بالسجود له^(٥). وعطف قوله: ﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾ بحرف (ثم) الدالة على تراخي رتبة التصوير عن رتبة الخلق، لأن التصوير حالة كمال في الخلق إذ كان الإنسان على الصورة الإنسانية المتقنة في الحسن والشرفية، بما فيها من مشاعر الإدراك والتدبير، سواء كان التصوير مقارناً للخلق كما في خلق آدم ﷺ، أم كان بعد الخلق بمدة، كما في تصوير الأجنة من عظام ولحم وعصب وعروق ومشاعر، كقوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤].

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم: ١١٩/٢.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٣٢/١٤.

(٣) ينظر: جامع البيان: ١٢٦/٨.

(٤) التفسير الكبير: ٣٣/١٤.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٣٣/١٤.



وتعدية فعل (صورنا) إلى ضمير الخطاب ينتظم في مسلك ما عاد إليه الضمير قبله من قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٠٠]. وأما تعلق فعل التصوير بضمير المخاطبين فمراد منه أصل نوعهم الأول وهو آدم بقرينة تعقيبه بقوله: «ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم»، فنزل خلق أصل نوعهم منزلة خلق أفراد النوع الذين منهم المخاطبون، لأن التذكير بنعمة الإيجاد ليسكروا موجدهم، نظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُمُ فِي الْبَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، أي: حملنا أصولكم، أي: الذين كانوا مع نوح عليه السلام وكان منهم أن تناسل الناس بعد الطوفان لأن الغاية الامتنان على المخاطبين بإنجاء أصولهم الذين هم منهم^(١). ومن عظيم قدرة الله خلقه الصور الذي بنفخة واحدة فيه تموت الخلائق، وبنفخة أخرى فيه يبعثون^(٢). قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِيهَا يُنْظَرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]. والصور: بوق ينادى به البعيد المتفرق مثل الجيش، ومثل النداء للصلاة^(٣). وللعاقل أن يتصور ماهية هذا البوق، وعظمة خالقه الذي بنفخة فيه واحدة يحدث للخلائق ما يحدث، وبنفخة ثانية فيه يكون ما يكون، وهذا البوق مهياً ليحدث نفخة، الله أعلم بشدتها ولشدتها التي لا تطيقها المخلوقات تصعق وتموت، وبعد أن تموت تحيا بالنفخة الثانية، فدلّت تركيبته، على عظيم القدرة، وإحكام الصنعة.

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٦/٨، ٣٧.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٩/٢٧.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٤/٢٤.

(صوع)

من دلالات المادة (صوع) في اللغة قولهم: تصوّع الثَّبْتُ: هاج^(١). ويقال: انصاع القوم سِراعاً: مَرُّوا^(٢).

وتدل على الإناء. فالصَّاع والصُّوع، وهو إناء يشرب به^(٣).

ويقال: إِنَّ الْكَيْمِيَّ يَضُوعُ بِأَقْرَانِهِ ضَوْعاً، إِذَا أَتَاهُمْ مِنْ نَوَاحِيهِمْ^(٤). وَالرَّجُلُ يَضُوعُ الْإِبِلَ^(٥).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة «صُوعَ» على ما يشعر بالقدرة.

تجلّت هذه الدلالة في سياق يتحدث عن قصة فقد الصواع (صواع الملك): «فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتْهَا الْعِبرُ إِنَّكُمْ لَسُرُوقُونَ * قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ * قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ» [يوسف: ٧٠-٧٢]، إضافة الصواع إلى الملك لتشريفه، وتهويل سرقته على وجه الحقيقة؛ لأن شؤون الدولة كلها للملك. ويجوز أن يكون أطلق الملك على يوسف ﷺ تعظيماً له^(٦). قيل: إن صواع الملك كان من فضة على كبره، ومعنى ذلك أن قيمته المادية والمعنوية عالية، وهذا يشعر بقدرة صاحبه المادية والمعنوية؛ لأن من يستعمل مثل هذا المتاع لغرض اعتيادي ممكن من العيش بترف، وهذا من أنواع القدرة.

(١) مقاييس اللغة: ٣٢١/٣ (صوع).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨/١٣.



(صوف)

الصاد والواو والفاء، أصل واحد صحيح، وهو الصوف المعروف^(١). يقال: كبش أَصُوفٌ وَصُوفٌ وصائفٌ وَصَافٌ، كُلُّ هذا أن يكون كثير الصُّوف^(٢). وَصُوفُهُ: قوم كانوا في الجاهلية، كانوا يَخْدُمُونَ الكعبة، وَيَجِيزُونَ الحاج...^(٣) وقيل: أفناء القبائل تَجَمُّعُوا فَتَشَبَّهُوا كما يَتَشَبَّه الصُّوف، وقيل: صاف عن الشَّرِّ، إذا عدل^(٤).

أما في القرآن فقد وردت مرة، دلت الصيغة الجمعـية ﴿أَصَوِّفَهَا﴾ على ما يكسو الضأن وهو حماية لها من البرد، وفيه نفع كثير للناس تستعمل منه الألبسة والسجاجيد وغير ذلك.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصَوِّفَهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَتَيْنَا مَتَنًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]، والأصواف للضأن^(٥). وهي قدرة مادية لمن يمتلكها غالية الثمن لكثرة فوائدها.



(١) مقاييس اللغة: ٣/٣٢٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٩٤/٢٠.

(صوم)

الصاد والواو والميم أصل يدل على إمساك وركود في مكان^(١). من ذلك الصائم، هو إمساكه عن مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وسائر ما مُنِعَهُ^(٢). والصَّوْم استواء الشمس انتصاف النهار كأنها ركبت عند تدويمها^(٣). وكذلك يقال صامَ النهار. أما في القرآن فقد وردت (١٣) مرّة، دلت الصيغة المضارعية الجمعية ﴿تَصُومُوا﴾ على القدرة، فترك الشهوات رغم القدرة عليها قدرة وتمكين.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَنَفُّونَ * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٍ مِّنكُم مِّمَّنْ تَلْعَوْنَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤]، أي: أيها المطيقون للصوم، والصوم هو الامتناع عن أمور حددها الشرع لا يقدر على الامتناع عنها وهو قادرٌ عليها إلا صاحب عزيمة وقدرة وإيمان^(٤). وتجلت الدلالة نفسها في سياق طويل يذكر المسلمين والمؤمنين والقانتين والصادقين..

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، أي: الصوم المفروض^(٥) الذي يدل على عزيمة الصائم وصبره وجلده.

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/٣٢٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: البيضاوي: ١/١٠٥.

(٥) ينظر: البيضاوي: ٢/٢٤٦.



(صِيح)

تدور مادة (صيح) في اللغة حول الصَوْت العالي. ومنه الصَّيَاح، والواحدة صيحة^(١). وَالصَّيْحُ هُوَ الصَّيَاحُ. يقال: (لَقِيتُ فُلَانًا قَبْلَ كُلِّ صَيْحٍ وَنَفْرٍ)^(٢). وَالتَّصْيِحُ تَصْيِحُ الْحَشْبِ^(٣). يقال: (انْصَاحَ الْبَرْقُ انْصِيَا حًا، إِذَا تَصَدَّعَ وَأَنْشَقَ)^(٤).

أما في القرآن: فقد وردت (١٣) مرة، دلت الصيغة «صِيحَةً» على الصوت الشديد، وتجلت دلالة الصوت الشديد في قوله تعالى: «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَجِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ» يس: ٢٩، وقوله: «خَمِيدُونَ» (أي: ميتون)^(٥) وموت الخليفة بصيحة واحدة شديدة الصوت دليل على قدرة الله موجد هذه الصيحة التي لا تقوى المخلوقات على سماعها^(٦). و(إِنْ) في الآية بمعنى (ما) أي: ما كانت إلا صيحة واحدة صيحت بهم حتى كانوا ميتين من شدتها^(٧).

وقيل: إنهم هلكوا بصيحة ملك، ولم تنزل الملائكة من السماء لإهلاكهم كما نزلت يوم بدر وأحد لشد أزر المؤمنين^(٨).

والصَّيْحَةُ: بوزن فَعْلَةٍ: المرة من الصياح، فوصفها بواحدة جاء تأكيداً لمعنى الوحدة لثلاثتهم أن المراد الجنس المفرد من بين الأجناس، و(صيحة) منصوب على أنه خبر (كانت) بعد الاستثناء المفرغ^(٩)، ولحاق تاء

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/٣٢٤، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٩٦ (صيح).

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٣/٣٢٤ (صيح).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/٣٢٤ (صيح).

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٣/٣٢٤ (صيح).

(٥) القرآن الكريم بهامشه كتاب نزهة القلوب: ص ٣٧٠.

(٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٩٦.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٨٣، ٢٨٤.

(٨) ينظر: الكشف: ١٣/٤.

(٩) «إذا تفرغ سابق (إلا) لما بعدها - أي: لم يشتغل بما يطلبه - كان الاسم الواقع بعد (إلا) =



التأنيث بالفعل مع نصب (صيحة) مشير إلى المستثنى منه المحذوف وهو العقوبة أو الصيحة التي دلت عليها (صيحة واحدة)، أي: لم تكن العقوبة أو الصيحة إلا صيحة من صفتها أنها واحدة إلى آخره. ومن القراء من قرأ برفع^(١) (صيحة) على أن (كان) تامة، أي: ما وقعت إلا صيحة واحدة^(٢). ومجيء (إذا) الفجائية في الجملة المفرغة على (إن كانت إلا صيحة واحدة) لإفادة سرعة الخمود إليهم بتلك الصيحة^(٣).

وهذه الصيحة صاعقة كقوله تعالى حكاية عن ثمود: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [النجر: ٧٣] دلالة على سرعة الخمود بتلك الصيحة. والخمود: انطفاء النار، استعير للموت بعد الحياة الزاخرة بالقوة والطغيان ليتضمن الكلام تشبيه حال حياتهم بشبوب النار وحال موتهم بخمودها^(٤).

٢ ٢ ٢

■ (صيد)

دلت المادة (صيد) في بعض صيغها على الناظر أمامه لا يلتفت ولا يميل، يقال له الصَّيْدُ^(٥).

= معرباً ياعراب ما يقتضيه ما قبل (إلا) قبل دخولها، وذلك نحو: (ما قام إلا زيد)، و(ما ضربت إلا زيداً)، و(ما مررت إلا بزيد)، ف(زيد): فاعل مرفوع بقام، و(زيداً): منصوب بضربت، و(بزيد): متعلق بمررت، كما لو تذكر (إلا). وهذا هو الاستثناء المفرغ). شرح ابن عقيل، ٦٠٣/١، ٦٠٤.

(١) ينظر: إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر: ص ٥١٥.

(٢) التحرير والتنوير: ٦/٢٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٦/٢٣.

(٥) مقاييس اللغة: ٣٢٥/٣ (صيد).



والأَضِيدُ: الْمَلِكُ، وجمعها الصَّيْدُ. قالوا: وسمي بذلك لقلة التفاته^(١)
والصَّيْدُ يَمُرُّ مَرّاً لَا يَعْرِجُ^(٢)، وإذا وَقَعَتِ بِالصَّيْدِ فَأَخَذَتْهُ قُلْتُ: صدته
والصَّيْدَانَةُ: الْغُولُ^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٦) مرّات، دلت الصيغة المعرفة على قدرة من
يَصِيدُ عَلَى الْمَصِيدِ. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُغُوهُمْ اللَّهُ يَشْهَدُ مِنَ الصَّيْدِ
تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤]، ابتلى الله المؤمنين
بالصيد وهم محرمون فكثرت حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون به
ويقدرون على قتله بعد أخذه بأيديهم أو طعنأ برماحهم الطعن الذّال على
التمكن والقدرة^(٤). وخصت الرّماح بالذكر لأنها أعظم ما يجرح به الصيد
وأكثر دلالة على القدرة والتمكن منه^(٥).



■ (صير)

الصاد والياء والراء أصل صحيح، وهو المآل والمرجع. من ذلك صار
يصير صِيراً وصيرورة^(٦). ويقال: أنا على صيرٍ أمرٍ، أي: إشرافٍ من قضائه،
وذلك هو الذي يصار إليه^(٧). فإنَّ صير الأمر مَصِيرُهُ وعاقبته^(٨).

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٢٥/٣ (صيد).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٩١/١٢.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٩/٧.

(٦) مقاييس اللغة: ٣٢٥/٣ (صير).

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه: ٣٢٦/٣ (صير).



أما في القرآن فقد وردت (١٨) مرة، دلت الصيغة «نَصِيرُ» على القدرة. تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ نَصِيرُ الْأُمُورِ﴾ [النورى: ٥٣] بين الله تعالى أن أمر من لا يقبل التكليف سيكون آيلاً إلى مَنْ لا حاكم سواه، فيجازي على العصيان، ويجازي على الإيمان^(١).

افتتح - سبحانه - الآية الكريمة بحرف التنبيه لاسترعاء أسماع الناس وتقديم المجرور لإفادة الاختصاص، أي: إلى الله لا إلى غيره. واستعير الرجوع والانتفاء لظهور الحقائق كما هي يوم القيامة، فيذهب تلبس الملبسين، ويهز جبروت المتجبرين، ويقر بالحق من كان فيه من المعاندين^(٢). وصيرورة الأمور على هذه الحال تدل على قدرة الله تعالى.

وتجلّت الدلالة نفسها في سياق آخر من القرآن، قال تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ. وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ. وَكُتُبِهِ. وَرُسُلِهِ. لَا نَفَرُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ. وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فيه فائدتان: (إحداهما): بيان أنهم كما أقروا بالمبدأ فكذلك أقروا بالمعاد، لأن الإيمان بالمبدأ أصل الإيمان بالمعاد، فإن مَنْ أَقَرَّ أن الله عالم بالجزئيات، وقادر على كل الممكنات، لا بد أن يُقر بالمعاد، (والثانية): بيان أن العبد متى علم أنه لا بدّ من المصير إليه، والذهاب إلى حيث لا حكم إلا حكم الله، ولا يستطيع أحد أن يشفع إلا بإذن الله، كان إخلاصه في الطاعات أتم، واحترازه عن السيئات أكمل^(٣).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٩٢/١٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٦/٢٥.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٥١/٤.



فلاعتراف بالبعث والانتهاه إلى الله الذي لا قادر بحق سواء صاحب القدرة المطلقة يجعل المعترف أكثر تحرزاً وانتباهاً في الدنيا وطمعاً في الآخرة.

٢ ٢ ٢

(صيص)

من دلالات المادة (صيص) في اللغة دلالتها في إحدى صيغها على شوكة الحائك: التي يُسَوِّي بها السِّدَاةَ واللُّحْمَةَ يقال لها صِيصَةٌ. والسِّدَاة: خيوط الثوب الممتدة طولاً، ولحمته: خيوطه الممتدة عرضاً^(١).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة «صَيَاصِيهِمْ» على الحصون القوية المنيعه.

تجلّت الدلالة على المنعة والقوة باستعمال القرآن الصيغة «صَيَاصِيهِمْ» في سياق طويل يتحدث فيه عن أصناف المؤمنين وجزائهم، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا * لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الاحزاب: ٢٣-٢٦]، والصياصي هي الحصون، أي: أنزل بني قريظة من حصونهم التي يتحصنون بها ويقتدرون ويمتنعون عن عدوهم. أي: من قلاعهم التي امتنعوا بها واختبأوا والتي لم يكن بمقدور المسلمين الوصول إليهم لولا أن

(١) ينظر: تهذيب الصحاح ٦١٤/٢.



الله قذف في قلوبهم الرعب فسلموا أنفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسي، فريقاً تقتلون وهم الرجال، وتأسرون فريقاً وهم الصبيان والنسوان^(١)، فالصيغة «صَيَّاصِيهِمْ» دَلَّتْ على الحصون التي يُمْتَنَعُ بها، ويقوى من فيها على الخصم، ويتمكن من النجاة من أذى العدو.

٢٢٢

■ (صيف)

الصَّيْفُ، وهو الزَّمانُ بعد الرَّبيع الآخر^(٢). ويقال للمطر الذي يأتي فيه: الصَّيْفُ^(٣). وهذا يومٌ صائفٌ وليلة صائفة. وعاملته مُصايفةً، أي: زمانَ الصَّيْفِ^(٤) كما يقال مشاهدَةٌ^(٥). والصَّيْفِيُّونَ: أولاد الرَّجل بعد كِبَرِهِ^(٦). وَوَلَدُ فُلَانٍ صَيْفِيُّونَ^(٧).

أما في القرآن فقد وردت مرَّةً واحدة، دلت الصيغة المعرَّفة المتصدرة بواو العطف «وَالصَّيْفِ» على وقت من الأوقات تنضج فيه الثمار، وتجمع فيه المحاصيل، وتقدر فيه كثير من المخلوقات على ما يصلح حالها، وهو وقت تكثر فيه مزاوله الأعمال، وتحرك فيه القوى..

قال تعالى: ﴿لَا يَلْفُفُ فَرَسٌ * إِلَّا فِيهِمْ رَحَلَةٌ أَلَسَاءَ وَالصَّيْفِ﴾ [فرش: ١-٢].

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٥/٢٥٠.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/٣٢٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

حرف الضاد

■ (ضأن)

الضأن: بعض الأنعام^(١). يقال: أضأن الرجلُ، إذا كثرَ ضأنه^(٢). وحكى بعضهم: فلان ضائن البطن: مُستزججه^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة الجمعية المعرفة بالألف واللام ﴿الضَّائِنَ﴾ على ذوات الصوف من الغنم وهي قدرة لمالكيتها. تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كَلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * تَمْكِنَةً أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّائِنِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٢-١٤٣]. اعلم أنه تعالى لما ذكر كيفية إنعامه على عباده بالمنافع النباتية أتبعها بذكر إنعامه عليهم بالمنافع الحيوانية، ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الأنعام: ١٤٢]. قوله: ﴿مِنَ الضَّائِنِ﴾ يعني الذكر والأنثى ذوات الصوف من الغنم وهي نعمة لمالكيتها، وقدرة لهم وتمكين^(٤).

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/٣٨٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٣/٢٢٧.



(ضبح)

ضبحت الخيل ضبحاً، إذا سُمع صوت أنفاسها في عَدْوِها^(١). والحجارة المضبوحة هي قَدَاحَةُ النَّارِ^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة، دلت الصيغة «ضَبَحًا» على الإشعار بسرعة الضابحة من الخيل، دلَّ على ذلك صوت أنفاسها عند العدو، ولا يكون ذلك حين تسير الخيل سيراً إنما يكون ذلك حين شدة عدوها، وبذلك دلت الصيغة «ضَبَحًا» على العدو السريع. قال تعالى: «وَالْمَدْيَنَ ضَبَحًا» [العاديات: ١]، وقيل: (العاديات) الإبل يكون الضبح استعير لصوت الإبل؛ أي: من شدة العدو قويت الأصوات المترددة في حناجرها حتى أشبهت ضبح الخيل^(٣).



(ضجع)

من دلالات المادة (ضجع) في اللغة، دلالتها في صيغة من صيغها على الغنم الكثيرة، فالضَّاجِعَةُ والضَّجْعَاء: الغنم الكثيرة^(٤).

أما في القرآن فقد وردت ثلاث مرّات، دلت الصيغة «مَضَاجِعُهُمْ» على مكان التمتع بالراحة على الفرش وهذا يوحي بالقدرة والتمكن.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: «ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْفَجْرِ أَمْنَةٌ نَاسًا يَفَشِنُ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ

(١) تهذيب الصحاح ١٨٣ (ضبح).

(٢) مقاييس اللغة: ٣٨٥/٣ (ضبح).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٤٠/٣٠.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٩٠/٣ (ضجع).



الْحَقِّ ظَنَّ الْجَنَاحِيَّةَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَيْنَا مَضْجِعُهُمْ [آل عمران: ١٥٤]، أي: إلى أماكن راحتهم إلى فرشهم. وقيل: إلى مصارع القتلى على سبيل الاستعارة، وحسَّنها أن الشهداء أحياء، فهو استعارة أو مشاكلة تقديرية لأنَّ قولهم: (ما قتلنا ههنا) يتضمن معنى أن الشهداء كانوا يبقون في بيوتهم متمتعين بفرشهم^(١). والمضاجع: هي أماكن الراحة والنوم والاسترخاء على جميع التأويلات، وكل ما يريح فهو قدرة يحبها الذي يروم المضجع، فهي الفرش ومنها ما يكون مريحاً يجلب الراحة لصاحبه إلى حدٍ كبير، والله أعلم.



■ (ضحك)

قيل: الضَّاحِك من السَّحاب مثل العارض، إلا أنه إذا بَرَقَ يقال فيه ضحك^(٢). يقال: أَضْحَكَتْ حَوْضَكَ، إذا ملأته حتى يفيض^(٣). ورجلٌ ضَحَكَةٌ: يكثر الضحك^(٤). والضُّحْك: العَسَل^(٥).

أما في القرآن فقد وردت عشر مرَّات، دلت الصيغة ﴿فَلْيَضْحَكُوا﴾ على الغلبة.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦١/٣.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٩٤/٣ (ضحك).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.



تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]، أريد بضحكهم فرحاً لا اعتقادهم ترويح حيلتهم على النبي ﷺ إذ أذن لهم بالتخلف، وأذنه لهم بالتخلف هو كسب في مقياسهم أقدارهم ومكنهم في الانفلات من الخطر، وهذا في عقيدتهم اقتدار من جوانب كثيرة منها نجاحهم في إقناع الرسول ﷺ أن يتخلفوا عنه، فالأمر بالضحك والبكاء مستعمل في الإخبار بحصولهما قطعاً، والمعنى أن فرحهم زائل وأن بكاءهم دائم. فالضحك: كيفية في الفم تتمدد منها الشفتان وربما أسفرتا عن الأسنان وهي كيفية تعرض عند السرور والتعجب من الحُسن. والبكاء: كيفية في الوجه والعينين تنقبض بها الوجنتان والأسارير والأنف، ويسيل الدمع من العينين، وذلك يعرض عند الحزن والعجز عن مقاومة الغلب^(١).

ومعلوم أن الضحك يقابله البكاء، فإذا كان البكاء عجزاً فإن الضحك قدرة وغلبة، وبذا دلت الصيغة ﴿فَلْيَضْحَكُوا﴾ على القدرة.

ودلت صيغة الخطاب المضارعية في موضع من القرآن على الاستهزاء الموحى بقدرة المستهزئ وضعف المستهزأ به.

قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاءَ حَتَّىٰ أَسْوَكْتُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠]، أي: تستهزئون بهم، فالمستهزئ بغيره معتد بنفسه يظن بها السداد في الأمور كلها والقدرة والتمكن والإعجاب بالنفس ولولا ذلك لما اعتقد أنه أفضل من غيره في الأمور كلها، أي: أقدر على الحياة من سواه.



(ضحى)

الضاد والحاء والحرف المعتل أصل صحيح واحد يدل على بروز الشَّيء^(١). فالضَّحاء: امتداد النَّهار، وذلك هو الوقت البارز المنكشف^(٢). وضاحية كلِّ بلدة: ناحيتها البارزة^(٣). ويقال للسموات كلها الضَّواحي^(٤).

وتدل على الظهور، ضحا الطريق يَضْحُو ضُخْواً وضُخْواً، إذا بدا وظَهَرَ^(٥).

أما في القرآن فقد وردت سبع مرَّات، دلت صيغة القسم «وَالضُّحَى» على ما يشعر بالقدرة.

تجلَّت هذه الدلالة في سياق القسم: «وَالضُّحَى * وَأَلَّيْلًا إِذَا سَجَى» [الضحى: ١-٢]، أي: القسم لتأكيد الخبر ردّاً على زعم المشركين أن الوحي انقطع عن النبي ﷺ حين رأوه لم يقم الليل بالقرآن بضع ليال. فالتأكيد منصبٌّ على التعريض المعرض به لإبطال دعوى المشركين، فالتأكيد تعريض بالمشركين، وأما رسول الله ﷺ فلا يتردد في وقوع ما يخبره الله بوقوعه.

ومناسبة القسم بـ(الضحى، والليل) أن الضحى وقت انبثاق نور الشمس فهو إيحاء إلى تمثيل نزول الوحي وحصول الاهتداء به^(٦). والاهتداء إلى الصواب قدرة، وما فيه من ضياء وما يحصل فيه من عجائب قدرة الله لدال على قدرة الله تعالى.

(١) مقاييس اللغة: ٣٩١/٣ (ضحى).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مقاييس اللغة: ٣٩٢/٣ (ضحى).

(٤) مقاييس اللغة: ٣٩٣/٣ (ضحى).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٤٨/٣٠.



(ضرب)

ضربتُ الخصمَ ضرباً إذا حَصَلَ الضَّرْبُ^(١). والمَوْجُ يضربُ بَغْضُهُ بَعْضاً^(٢). والضَّرِيَةُ: ما ضَرَبَتْهُ بالسَّيْفِ^(٣). و«الضَّرْبُ: الصَّقِيْعُ كَأَنَّ السَّمَاءَ ضَرَبَتْ بِهِ الْأَرْضَ»^(٤). و«الضَّارِبُ: الطَّوِيلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(٥). وَرَجُلٌ مُضْرَابٌ: شَدِيدُ الضَّرْبِ^(٦). وهي في المعنى الكَفُّ. يقال: ضَرَبَ على يد فلانٍ، إذا حَجَرَ عَلَيْهِ وَكَفَّهُ عَنِ الْأَذَى^(٧).

أما في القرآن: فقد وردت (٥٨) مرة في (٥٤) موضعاً، وقد دلت صيغة الأمر «أَضْرِبْ» على القدرة. فلقد ضرب موسى ﷺ الحجر بأمر الله ﷻ فانفجرت منه العيون ليشرب منها قومه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [البقرة: ٦٠]. أمره الله تعالى بضرب الحجر فضرِبَ فانفجرت^(٨). واللام للعهد والإشارة إلى حجر معلوم، فقد روي أنه حجر طورى^(٩) حمله معه، وكان حجراً مربعاً له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين، لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم... وقيل: أهبطه آدم من الجنة

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/٣٩٨، وينظر: الصحاح: ١/١٦٨ (ضرب).

(٢) ينظر: الصحاح: ١/١٦٨، وينظر: لسان العرب: ٢/٣١ (ضرب).

(٣) ينظر: لسان العرب: ٢/٣١ (ضرب).

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٣/٣٩٨ (ضرب).

(٥) لسان العرب: ٢/٣٨ (ضرب).

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/٣٩٨، وينظر: لسان العرب: ٢/٣١ (ضرب).

(٧) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/٣٩٨، وينظر: الصحاح: ١/١٦٨، وينظر: لسان العرب: ٢/٣٣ (ضرب).

(٨) ينظر: جامع البيان: ١/٣٠٦.

(٩) ينظر: الكشف: ١/١٤٦.



فتوارثوه، حتى وقع إلى شعيب، فدفعه إليه مع العصا^(١). وقيل: هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل^(٢). ففر به، فقال له جبريل: يقول لك الله تعالى: ارفع هذا الحجر، فإن لي فيه قدرة ولك فيه معجزة، فحمله^(٣).

أو أن اللام للجنس، أي: اضرب الشيء الذي يقال له الحجر^(٤). فلم يؤمر بضرب حجر بعينه وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة. وروي أن القوم قالوا لموسى ﷺ كيف بنا لو وصلنا إلى أرض ليس فيها حجر؟ فحمل حجراً معه فحيثما نزلوا ألقاه. وقيل: كان إذا أراد إسالة الماء يضربه فيفجر منه الماء، وإذا اكتفى القوم ضربه فيبيس. فقالوا: إن فقد موسى عصاه متنا عطشاً، فأوحى الله: لا تقرع الحجارة، وكلها تطيعك، لعلهم يعتبرون^(٥)، وضرب موسى الحجر ليس هو الذي يفجر العيون منها إنما هي قدرة الله والضرب سبب ذلك.

وافترض الرازي في هذا الحدث المعجز المشعر بالقدرة أسئلة منها: هل يجوز أن يأمر الله تعالى نبيه بأن يضرب بعصاه الحجر فينفجر من غير ضرب حتى يستغني عن تقدير هذا المحذوف؟ فكان جوابه: لا يمتنع في القدرة أن يأمره الله تعالى بأن يضرب بعصاه الحجر ومن قبل أن يكون الضرب ينفجر الماء على قدر الحاجة، لأن ذلك أبلغ في الإعجاز، لكن الصحيح أنه ضرب فانفجرت، لأنه تعالى لو أنه أمر رسوله بشيء، ثم إن رسوله لم يفعله لصار الرسول عاصياً، ولأنه إذا انفجر من غير ضرب صار الأمر بالضرب بالعصا

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

عبثاً، كأنه لا معنى له، والمروي في الأخبار أن تقديره: فضرب فانفجرت كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنفَلَقَ﴾ من أن المراد ضرب فانفلق.

والفاء في قوله: «فانفجرت» قالوا هي فاء الفصيحة، ومعنى فاء الفصيحة أنها الفاء العاطفة^(١) إذ لم يصلح المذكور بعدها لأن يكون معطوفاً على المذكور قبلها فيتعين تقدير معطوف آخر بينهما يكون ما بعد الفاء معطوفاً عليه. وقيل: إنها التي تدل على محذوف قبلها فإن كان شرطاً فالفاء فاء الجواب، وإن كان مفرداً فالفاء عاطفة ويشملها اسم فاء الفصيحة، وهذه طريقة الجمهور على الوجهين، فتسميتها بالفصيحة لأنها أفصحت عن محذوف، والتقدير في مثل هذا: فضرب فانفجرت. وقيل: «إن الفاء لا تعد فاء فصيحة إلا إذا لم يستقم عطف ما بعدها على ما قبلها، فإذا استقام فهي الفاء العاطفة، والحذف إيجاز، وتقدير المحذوف لبيان المعنى، وذلك لأن الانفجار مترتب على قوله تعالى لموسى ﷺ: ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ لظهور أن موسى ليس ممن يشك في امتثاله بل ولظهور أن كل سائل أمراً إذا قيل له افعل كذا أن يعلم أن ما أمر به هو الذي فيه جوابه»^(٢).

ومن الضرب ضرب الرقاب الدال على قدرة الضارب على المضروب. فقد أمر سبحانه الملائكة بضرب رقاب الكافرين في معركة بدر. قال تعالى: ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال: ١٢). وفي ذلك تعليم أين تكون السيوف. قيل: «اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل»^(٣). وقيل: «على الأعناق، يقال: ضربته فوق الرأس وضربته على الرأس»^(٤). وقوله:

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٠٢/٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٥١٩/١.

(٣) معاني القرآن: ٤٠٥/١.

(٤) مجاز القرآن: ٢٤٢/١، وينظر: معاني القرآن: الأخفش الأوسط: ٣١٩/٢.



﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾. أي: اضربوا «أطراف الأصابع واحدها بنانة»^(١). وقيل: «أباحهم الله: قتلهم بكل نوع في الحرب»^(٢) لأن ما فوق العنق هو الرأس وهو أشرف الأعضاء، والبنان عبارة عن أضعف الأعضاء، فذكر الأشرف والأحسن تنبيهاً على كل الأعضاء^(٣). وقيل: المراد إما القتل، وهو ضرب ما فوق الأعناق أو قطع البنان؛ لأن الأصابع هي الآلات في أخذ السيوف والرماح وسائر الأسلحة، فإذا قطع بنانهم عجزوا عن المحاربة^(٤).

وقوله: ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ تفريع على قوله: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ المفرعة أيضاً على قوله: ﴿فَتَنَبَّأُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فالمعنى، يؤذن بما اقتضاه قوله: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ من تخفيف تأثير عمل الملائكة عليهم بعض التخفيف الذي دل عليه إجمالاً قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، كما تقدم: ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ على الظرفية لاضربوا. «والأعناق» أعناق المشركين وهو بين من السياق^(٥).

وضرب الملائكة يجوز أن يكون مباشرة يقطعون الأعناق والأصابع على كيفية مقتدرة خارقة للعادة، وعليه فإسناد الضرب يكون حقيقة، ويجوز أن يكون بتسديد ضربات المسلمين وفي هذه الحالة يكون إسناد الضرب للملائكة على سبيل المجاز العقلي لأنهم سببه. وقد قيل: الأمر بالضرب للمسلمين، وهو بعيد لأن السورة نزلت بعد انكشاف الملحمة^(٦).

(١) المصدر نفسه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٤٠٥/٢.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٤٠/١٥.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٢/٩، ٢٨٣.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٣/٩.



(ضرر)

من دلالات المادة (ضر) في اللغة دلالتها في بعض صيغها على القوة، فالضرير: قوَّة النفس^(١). يقال: فلان ذو ضرير على الشيء، إذا كان ذا صبر عليه ومقاساة^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٧٤) مرّة، دلت الصيغة المتصدرة بالنهي: ﴿وَلَا تُضَارَّوْهُنَّ﴾ على قدرة الأزواج وضعف الزوجات.

تجلّت هذه الدلالة في: ﴿أَتَكُونُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارَّوْهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، نهي عن مضارتهن بالتضييق عليهن في السكنى والنفقة^(٣). ومعلوم أن من يقدر على الإضرار بغيره فهو في جانب إمكانية الإضرار قادر على من يضر ولأن بيد الرجل النفقة على الزوجة وبيده إمكانية إسكانها في المسكن الذي يريد إنما يدل ذلك على قدرته عليها بما أوكل الله له الأمرة عليها

وأشعر القرآن بدلالة الصيغة المتصدرة بالباء ﴿يُضَرِّ﴾ في موضع من القرآن بالقدرة، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضَرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، أي: إنه القادر الذي لا مانع لما يريد من خير أو شر^(٤).

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٦١/٣ (ضر).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٣٠/٣٣.

(٤) ينظر: البضاوي: ٣٢٦/٢.



(ضعف)

تدل المادة (ضعف) في اللغة في بعض من صيغها على المثلين أو أكثر. «فَالْمُضْعُوفُ الشَّيْءُ الْمَضَاعِفُ»^(١). «وَالْمَضَاعِفَةُ: الدَّرْعُ نُسِجَتْ حَلَقَتَيْنِ»^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٥٢) مرة، دلت الصيغة «يُضَعَّفُ» على الجزاء الزائد المشعر بالقدرة.

تجلّت هذه الدلالة على الجزاء الدال على القدرة في سياق الخبر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعَّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۝﴾ (هود: ١٩-٢٠)، أي: يزداد العذاب مرة ومرات حتى يكون شديداً لأنهم كفروا بالبعث والنشور، فكفرهم بالمبدأ مبدأ خلقهم ومعادهم سبب لمضاعفة العذاب، أو إنهم مع ضلالهم الشديد، سعوا في الإضلال ومنع الناس عن الدين الحق، فلهذا حصل لهم العذاب المضاعف^(٣).

وحصّ القرآن على الإقراض الحسن لأن نتيجته الوعد الصادق من لدن القدير بمضاعفته وتمكين المقرض بالقوة والقدرة المادية أكثر مما كان عليه قبل أن يقرض القرض الحسن، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۖ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ (البقرة: ٢٤٥)، قيل: الواحد بسبعمائة، وقيل: كثيرة لا يعلم كنهها إلا الله^(٤). وعلق القرض باسم الجلالة في الآية لأن الذي يُقْرِضُ الناس طمعاً في الثواب كأنه أقرض

(١) مقاييس اللغة: ٣/٣٦٢ (ضعف).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٧/٢١٤، ٢١٥.

(٤) ينظر: الكشف: ١/٢٨٧، وينظر: التفسير الكبير: ٦/١٨٢.



الله تعالى، والغني على الحقيقة الغني المطلق في غناه الذي تنتفي عنه الحاجة أبداً وهو الله تعالى، فلما أمر بالإقراض وعد المقرضين وهو لا يخلف الميعاد وعدهم بمضاعفة أموالهم وحسناتهم فقال: (فيضاعفه أضعافاً كثيرة) دلالة على غناه وسعة ما عنده من رزق^(١).

٢ ٢ ٢

■ (ضفدع)

الضفدع، وهي معروفة^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة، دلت الصيغة الجمع على المعرفة بالألف واللام ﴿وَالضَّفَادِعُ﴾ وهي معروفة على القدرة وهي الآية عقوبة لبني إسرائيل وآية تدل على قدرة الله تعالى.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق سرد الآيات الدالات على قدرة الله والتي عاقب الله بها بني إسرائيل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَاءَ إِنِّي مَفْعَلَةٌ﴾ (الأعراف: ١٣٣)، أي: أرسل الله إلى بني إسرائيل الضفادع وهي معروفة بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه، وكانت تمتلئ منها مضاجعهم، وتثب إلى قدورهم وهي تغلي، وأفواههم عند التكلم، ففزعوا إلى نبيهم وتضرعوا، فأخذ عليهم العهود ودعا ربه فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهود لأن نقض العهود من سجايهاهم^(٣).

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٨٢/٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٠٢/٣.

(٣) ينظر: البيضاوي: ٣٥٦/١.



(ضلل)

من دلالات المادة على القدرة قدرة الأرض على إتناه من يسلكها^(١).
فمن بعض سمات الأرض أنها مَضَلَّة ومَضَلَّة^(٢).

يقال: وقعوا في وادي تَضَلُّل^(٣)، أي: تَضَلُّلٌ سالكيها، وذلك يوحي بقوة متاهاتها ووعورة مدارجها^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (١٩١) مرّة، دلت الصيغة «يُضِلُّنَا» على الصرف المشعر بالقرة.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَلِذَا رَأَوْكَ إِن يَخِذُّوْكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا * إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ (الفرقان: ٤١-٤٢)، أي: ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعوة إلى التوحيد^(٥)، تفاخروا بتصلبهم في دينهم وأنهم كادوا أن يتبعوا دعوة الرسول لفرط قدرته على الإقناع بما يلقيه إليهم من الحجج والأدلة وبما يدأب ويلح في عرضه دعوته عليهم، فكان تأثر أسماعهم بأقواله يوشك بهم أن يرفضوا عبادة الأصنام لولا أن صبروا وترثوا، فكان في تريثهم أن أفاقوا من غشاوة أقواله وخلافة استدلاله^(٦).

وتجلّت دلالة الصيغة «مُضِلٌّ» في موضع من القرآن على العداوة الظاهرة، قال تعالى في شأن موسى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/٣٥٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه وهكذا وردت فيه: (وادي).

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: البضاوي: ١٤٢/٢.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٣/١٩.



فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّ فَاسْتَعْنَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَةِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿الفصل: ١٥﴾، أي: ظاهر العداوة^(١).

واستعمل القرآن في موضع منه الصيغة الجمععية المضارعية المؤكدة باللام ﴿وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ﴾ للدلالة على القدرة على الإبعاد عن الحق.

إنه إبليس أخذ على نفسه العهد على أن يضل ذرية آدم ويبيدهم بقوته المستعملة في الإغواء والإضلال عن الحق، قال تعالى على لسانه: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا أُخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَفِيسًا مَقْرُوضًا﴾ ﴿وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مِئِينَهُمْ وَلَا مُرْتَبَهُمْ﴾ (النساء: ١١٨-١١٩)، قوله: ﴿وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ﴾، أي: لأصرفهم بما أوتيت من قوة عن الحق وأبعدنهم عنه^(٢).

٢ ٢ ٢

■ (ضواً)

الضاد والواو والهمزة أصل صحيح، يدلُّ على نور^(٣). من ذلك الضَّوء والضَّوْء بمعنى، وهو الضياء والثَّور^(٤).

يقال: أضاءت النار وأضاءت غيرها^(٥).

أما في القرآن فقد وردت ست مرّات، دلت الصيغة الماضوية ﴿أَضَاءَ﴾ على الضوء المبهر.

(١) ينظر: البيضاوي: ١٨٩/٢.

(٢) ينظر: البيضاوي: ٢٣٨/٢.

(٣) مقاييس اللغة: ٣٧٦/٣ (ضواً).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.



تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ آمَنِينَ بِمَا فِي آذَانِهِمْ مِنَ الْقَوْلِ هَـذِهِ السُّرَّةُ وَأَلَّا يَحِطُوا بِهَا عَمَلُهُمْ﴾. يكاد اللفظ يحطّ أبصرهم كلّما أضاء لهم مشوا فيه ﴿البقرة: ١٩-٢٠﴾، تمثيل لحال حيرة المنافقين بحال حيرة السائرين في الليل المظلم المرعد المبرق^(١). فالبرق نور مبهر كثير الضياء دال على قدرة الله.

وتجلّت الدلالة نفسها باستعمال القرآن الصيغة المضارعية ﴿يُضَيُّهُ﴾ في سياق آخر من القرآن، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِ كَوْكَبٍ فِي مِصْبَاحٍ يَبْصُرُ فِي نُجُومِهِ الرُّجُومُ كَأَنَّهُمْ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]، أي: يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتأله وفرط وبيّسه^(٢).

ودلت الصيغة ﴿ضِيَاءٌ﴾ في موضع من القرآن على النور الدال على قدرة منشئه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾، أي: خلق الشمس نيرة في ذاتها ذات ضياء^(٣).



(ضبيع)

يُسَمَّى الْعَقَارُ ضَبِيعَةً^(٤). سميت بذلك لأنها إذا تُرِكَتْ تَعَهَّدَهَا ضَاعَتْ^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (١٠) مرّات، دلت الصيغة المضارعية المنفية ﴿لَا تُضَيِّعُ﴾ على القدرة.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣١٤/١.

(٢) ينظر: البيضاوي: ١٢٤/٢.

(٣) ينظر: البيضاوي: ٤٢٨/١.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٨٠/٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار عن بني إسرائيل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذَى وَيَقُولُونَ سِيعْفُرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ يَأْخُذُوهُ أَوْ يُؤَخِّدْ عَلَيْهِمْ مِثْقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ * وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿[الأعراف: ١٦٩-١٧٠]، قوله: ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ خبر عن الذين يمسكون، والمصلحون هم، والتقدير: إنا لا نضيع أجرهم لأنهم مصلحون، فطوى ذكرهم اكتفاء بشمول الوصف لهم وثناء عليهم على طريقة الإيجاز البديع^(١). فالمصلحون محصية أعمالهم من لدن التقدير العليم محفوظة أجورها ومدخر ثوابها لهم لا يضيع شيء منها بقدرة الله.

وتجلّت دلالة الصيغة المنفية ﴿لَا أُضِيعُ﴾ في موضع من القرآن على الوعد الذي لا يخلف بالقبول وحسبان العمل.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الوعد: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَتَكَ قَوْمًا عَذَابُ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآئِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَفَتَلُوا وَقِيلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ



جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿
[آل عمران: ١٩٠-١٩٥]، فنفي إضاعة العمل وعدُّ بالاعتداد بعملهم وحسابه لهم،
فقد تضمنت الاستجابة تحقيق عدم إضاعة العمل تطيناً لقلوبهم من وجل
عدم القبول^(١).



■ (ضيف)

يقال: أضفت الشيء إلى الشيء إذا أملتة إليه^(٢). وضافت الشمس تضيف:
مالت^(٣). وتعني إسناد الظهر إلى ما هو قوي^(٤). وَضِيفَتِ الرَّجُلُ: تَعَرَّضَتْ لَهُ
لِيُضَيِّقَنِي^(٥). وَأَضَفْتُهُ أَنْزَلْتُهُ عَلَيَّ^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (٦) مرّات، دلت صيغة المضارع الجمعي
المنفية على عدم القيام بواجب الضيافة، والضيافة إقدار الضيف وتمكينه
وتقوية بدنه بعد جوع وعطش، فالصيغة مجردة عن النفي تدل على الإقدار
والتقوية لأن الجائع خائر القوى وعندما يشبع بسبب القرى والضيافة يقوى
عزمه ويشدد عوده.

قال تعالى يخبر عن أهل قرية أبوا أن يضيفوا الخضر وموسى عليه السلام:
﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَ أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧]،

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٣/٤.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٨٠/٣، ٣٨١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.



أي: أبوا سَدَّ رمقهما بالإطعام والإشراب لتقوى أبدانهما ويشتد عزمهما ليصلح حالهما وَيَقْدِرَا على متابعة السفر ومزاولة الأعمال.



■ (ضيق)

ضاق الشيء يَضِيقُ ضَيْقاً وَضَيْقاً^(١). والضَّيْقُ بالكسر: ما يتسع مثل الدار والثوب^(٢). والضَّيْقَةُ منزلٌ من منازل القمر^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (١٣) مرّة، دلت الصيغة «لِضَّيْقُوا» على الإلجاء إلى الأمر المكروه الدال على القدرة.

قال تعالى في سياق النهي: «وَلَا تُضَاوِرْهُنَّ لِيُضَيِّقُنَّ عَلَيْهِنَّ» [الطلاق: ٦]، أي: لا تضطروهن إلى الخروج من بيوتهن. وقيل: هو أن يراجعها زوجها إذا بقي من عدتها فترة وجيزة ليضيق عليها أمرها. وقيل: هو أن يلجئها إلى أن تفتدي منه^(٤) باتباع الحيل والإساءة والإحراج والأذى. أي: فلا تؤذوهن. واللام في (لتضيقوا عليهن) لتعليل الإضرار. فالمضَيِّقُ مقتدر على المضَيِّقِ عليه عقلاً.



(١) تهذيب الصحاح: ٥٨٥/٢ (ضيق).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/٣٨٣.

(٤) ينظر: الكشف: ٤/٥٤٦.

حرف الطاء

■ (طبع)

وردت مادة (طبع) في اللغة بدلالات حسيّة ومعنوية. فمن الحسيّة قولهم: الطَّبَاع: الذي يطبع الحديد فيجعلها سكيناً أو سيفاً أو سِنَاناً^(١). والطَّبُوع دَابَّةٌ من الحشرات شديد الأذى بالشام^(٢). ومن دلالات المادة المعنوية: «وطبع الله الخَلْقَ على الطبائع التي خلقها فأنشأها عليها، وهي خلائقهم»^(٣). وطَبَعَ الله على قلب الكافر كأنه ختم عليه فلا يعي وعظاً ولا يوفق لخير^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (١١) مرّة، دلت الصيغة (طبع) على القدرة.

تجلت هذه الدلالة في سياق يتحدث عن الذين يجادلون في آيات الله بغير حجة أو برهان، قال تعالى: ﴿يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ

(١) تهذيب اللغة: ١٨٦/٣ (طبع).

(٢) المصدر نفسه: ١٨٨/٢ (طبع).

(٣) المصدر نفسه: ١٨٦/٢ (طبع).

(٤) المصدر نفسه: ١٨٦/٢ (طبع)، مقاييس اللغة: ٤٣٨/٣ (طبع).



كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾، والطبع على القلوب، والزين عليها، والقسوة فيها، والغشاوة التي تلفها، والختم نظائر قوله: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾، يدل على أن الكل من الله^(١). قيل: إنه تعالى يخلق دواعي الكبر والرياسة في القلب فتصير تلك الدواعي مانعة من حصول ما يُدْعَوْنَ إليه من الطاعة والانقياد. لذا فإن المتكبر يصد عن الدين لكونه متجبراً متكبراً باقياً على كفره، ولأنه يتكبر عن قبول التوحيد^(٢). نظير ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِقُونَ﴾ (النحل: ١٠٨)، وإنما أضيف ذلك إلى الله لأن هذه الصفة في تمكنها كالشيء الخفي^(٣). وقيل: إن الشيطان هو الذي طبع لأن الله أقدره على أن يطبع^(٤).

وقيل: إنه سبحانه لما حكم على الكافرين بأنهم لا يؤمنون ذكر ما يجري مجرى السبب الموجب له؛ لأن العلم بالعلة يفيد العلم بالمعلول، والعلم بالمعلول لا يكمل إلا إذا استفيد من العلم بالعلة، وإن كون قدرة العبد مصدراً للمقدور المعين يتوقف على أن ينضم إليها مرجح هو فعل الله تعالى، فإذا انضم ذلك المرجح إلى تلك القدرة صار تأثير القدرة في ذلك الأثر واجباً^(٥).

وسواء أسند الفعل إلى القدير تعالى، أو أُشْبِدَ إلى سواه، فإنه وحده الذي يُمَكِّنُ مَنْ يَطْبَعُ عَلَى الْقُلُوبِ، ويُقَدِّرُهُ عَلَى ذَلِكَ فتصبح القلوب

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٦٤/٢٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٥٦/٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٥٧/٢.



مطبوعاً عليها بمشيئته وقدرته وحده، فلا أمر يخرج عن إرادته ولا يجوز تصور مُخَدَّث يحدث بغير علمه وأمره.

٢ ٢ ٢

(طبق)

مَطَرٌ طَبَقَ، أي: عامٌ^(١). وطَبَقَ الغَيْمُ تطبيقاً؛ إذا أصاب بمطره جميع الأرض^(٢). يقال: سحابةٌ مُطَبَّقةٌ^(٣). والحمى المُطَبِّقة: الدائمة^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرّات، دلت الصيغتان ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ على الأحوال الشديدة بعد أحوال شديدة إذا كان الخطاب إلى الإنسان بشكل عام أما إذا كان المقصود بالخطاب الرسول ﷺ فالمعنى الأحوال العالية المرتبة بعد أحوال عالية المرتبة.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَالْأَيْلِ وَمَا وَسَوَّ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٦-١٩]، أي: حالاً بعد حال مطابقة لأختها في الشدّة أو مراتب من الشدّة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيامة وأهوالها.

وإذا كان الخطاب إلى الرسول الكريم ﷺ فالمعنى: لتركن حالاً شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة، أو طبقاً من أطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج^(٥). وكل ذلك من شأنه الدلالة على التمكين بالنسبة لمحمد ﷺ وأي

(١) تهذيب الصحاح: ٥٨٦/٢ (طبق).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: البيضاوي: ٥٨٢/٢.

تمكين كتمكين الرسول الكريم من الصعود إلى السموات العلى والبلوغ إلى سدره المنتهى والوصول إلى المكان الذي لم يصل إليه مخلوق سواه، حيث كلمه الله تعالى وفرض عليه ما فرض.

٢٢٢

■ (طحو)

تدور مادة (طحو) في اللُّغَةُ حول البَسْطِ والمدِّ. فالطَّحُو: البَسْطُ^(١) وتعني المادة في المجاز الذهاب: يقال: (طحا هُكْ يَطحو، إذا ذهب بك في الأمر ومدَّ بك فيه)^(٢).

أما في القرآن: فقد دارت حول البسط بسط الأرض. تجلت قدرة الله في طحو الأرض في سياق قسمه سبحانه بعدد من مخلوقاته الدالة على عظيم قدرته. قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ وَمَا عَلَيْهَا﴾ [الشمس: ٦] أي: (بسطها ووسعها)^(٣). وقيل: (دحاها)^(٤) وحمل المعنى على الخلق فيها، أي: (خلق فيها)^(٥). ومهما قيل في معنى الطحو فإنه يدل على نفاذ القدرة وكمالها، فسواء قلنا إن طحو الأرض بسطها وتوسيعها، فإن بسطها وتوسيعها يحتاج إلى قدرة. وكذلك دحو الأرض يحتاج إلى قدرة، ولاسيما بعد ما أفادت العلوم الحديثة ما يتضمنه باطن الأرض من مخلوقات عجيبة، ويبدو تجلي القدرة في بسطها على الماء^(٦)، والحق أن الطحو يشمل هذه المعاني وغيرها، والله أعلم.

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٤٥/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥١٧ (طحو).

(٢) معجم مقاييس اللغة، ٤٤٥/٣: وينظر، عمدة الحفاظ: ٣٩٧/٢ (ط ح و).

(٣) القرآن الكريم بهامشه كتاب نزعة القلوب: ص ٥١٢، وينظر: التفسير الكبير: ١٩٢/٣١.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٥١٧/٤.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ١٩٢/٣١.



وحين يقسم الجليل بأنواع من مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتبين المكلف قدرة الله، ويتأمل في عظمة هذه القدرة ويشكر خالقه وخالقها، فقسم الله الجليل القدير له وقع في قلب السامع فتكون الدواعي إلى تأمله أقوى^(١).

فطحو الأرض أي: بسطها وتوطئتها لتسير عليها المخلوقات، ولتجلس ولتضطجع دلالة على قدرة الصانع العظيم.
والمعنى: خلقها مدحوة، أي: مبسوبة مسواة^(٢).



■ (طرح)

تدور مادة (طرح) في اللغة على نبد الشيء وإلقائه^(٣). «وَالطَّرْحُ: الْمَطْرُوحُ لِقَلَّةِ الْإِعْتِدَادِ بِهِ»^(٤). يقال: «طَرَحَ الشيءَ يَطْرَحُهُ طَرْحاً»^(٥) ودلت على القوس. يقال: قَوْسٌ طَرُوحٌ، أي: شَدِيدَةُ الْحَفْزِ لِسَهْمٍ^(٦) وتعني النَّخْلَةُ الطَّوِيلَةُ الْعَرَاجِينَ يقال لها طَرُوحٌ^(٧).

أما في القرآن: فقد دارت حول «إلقاء الشيء وإبعاده»^(٨).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٨٩/٣١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٦/٣٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤٥٥/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥١٧ (طرح).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥١٧، وينظر: عمدة الحفاظ: ٣٩٧/٢ (طرح).

(٥) معجم مقاييس اللغة: ٤٥٥/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥١٧ (طرح).

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٥٥/٣ (طرح).

(٧) المصدر نفسه.

(٨) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥١٧، وينظر: عمدة الحفاظ: ٣٩٧/٢.



تجلت دلالة المادة على الإبعاد وذلك في سياق التخطيط لإبعاد يوسف عن أبيه لتكون لإخوة يوسف عليه السلام الحظوة عند أبيهم؛ لأنه كان المقرب إليه دونهم. قال تعالى على لسانهم: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيْكُمُ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٩]. لما تعاطم الحسد في نفوس إخوة يوسف عليه السلام وبلغ النهاية قرروا إبعاده عن أبيه مستعينين بخداع أبيهم يعقوب عليه السلام إلى أرض يحصل اليأس من اجتماعه مع أبيه، ولا وجه في الشر يبلغه الحاسد أعظم من ذلك.

واختيارهم لجبِّ معهود، فالألف واللام في الجب تقتضي المعهود السابق. وإنما عينوا ذلك الجب لليلة التي ذكروها وهي قولهم: ﴿يَلَنَّقُطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠] وذلك لأن تلك البئر كانت معروفة، وكان الناس يردون عليها كثيراً، وكان قصدهم أنه إذا طرح فيها يكون إلى السلامة أقرب، وهذا يشعر أن عنصر الشفقة قد تحرك في نفوسهم، فالسيارة إذا وردوا البئر وشاهدوا يوسف عليه السلام فيها يستخرجونه ويأخذونه^(١).

وبذا دلت الصيغة ﴿اَطْرَحُوهُ﴾ على قدرتهم على أخيهم وتمكنهم من إحكام الخطة وتنفيذها. فقدرتهم من جانبين: قدرة على التخطيط والخداع، وقدرة حسية متمثلة في كثرتهم.

٢٢٢

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٩٨/١٨.



(طرد)

تدل مادة (طرد) في اللغة على مجمل من الدلالات الحسنية والمعنوية. الحسنيّة منها ما دل على الليل والنهار يقال لهما: طريدان، والطُرْدَةُ، مطاردة الفارسين مرّة واحدة^(١). وطَرَدْتُهُمْ أَتَيْتُهُمْ وَخَزْتُهُمْ^(٢).

ومطاردة الأقران حَنْلُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ^(٣).

ومن دلالات المادة المعنوية الدلالة على المكيدة: فقولهم: اسْتَطَرَّدَ لَهُ كَأَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْمَكِيدَةِ^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٥) مرّات، دلت الصيغة «فَطَرَدَهُمْ» على التمكن والقدرة.

تجلت الدلالة على القدرة في سياق النهي، قال تعالى: ﴿تَنْظُرُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوِّ وَالْمَشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]، روي: أن رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله ﷺ لو طردت عنا هؤلاء الأعباء يعنون فقراء المسلمين وهم: عمار، وصهيب، وبلال، وخباب، وسلمان وأضرابهم رضوان الله عليهم، جلسنا إليك وحادثناك، فقال ﷺ: ما أنا بطارد المؤمنين، فقالوا: فأقمهم عنا إذا جئنا، فإذا قمنا فأقعدهم، فقال: نعم؛ طمعاً في إيمانهم. فلما نزل الوحي امتنع عن ذلك.



(١) ينظر: القاموس المحيط: ٣٢١/١ (طرد).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.



طَرْفٌ (طرف)

يقال: هو كريم الطَّرَفَيْنِ: يرادُ بذلك نسب الأب والأم، ولا يُدْرَى أَيُّ الطرفين أطول^(١). يقولون: اطَّرَفْتُ الشَّيْءَ، إذا استحدثته، اطَّرَفُهُ اطَّرَافاً^(٢). والطَّرَف: الفرس الكريم، كأنه صاحبه قد اطَّرَفَهُ^(٣). ويُسمَّى نجمٌ من النُّجُوم الطَّرْفَة، كأنه طَرْفُ الأسد^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (١١) مرّة، دلت الصيغة المثناة «طَرَفِي» على أول النهار وآخره.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الأمر: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ» [هود: ١١٤]، أي: أول النهار وآخره، وأول النهار بين الفجر إلى غروب الشمس، سُمِّيَ نهاراً لأن الضياء ينهر فيه، أي: يبرز كما يبرز النُّهْر^(٥).

والأمر بالإقامة يؤذن بأنه عمل واجب لأن الإقامة إيقاع العمل على ما يستحقه فتقتضي أن المراد بالصلاة هنا الصلاة المفروضة، فالطَّرَفَانِ طَرَفَانِ لإقامة الصلاة المفروضة، فعلم أن المأمور به إيقاع صلاة في أول النهار وهي الصبح، وصلاة في آخره وهي العصر، وقيل: المغرب^(٦).

ويفهم من ذلك أن طرفي النهار وقتان جليان من النهار أمر المؤمن بالصلاة فيهما، وإنهما إذا إقداؤ للمؤمن وتمكين عندما يستغلها بالطاعة وامثال أمر الله.

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٤٨/٣، ٤٤٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧٩/١٢.

(٦) المصدر نفسه.



وتجلّت دلالة الصيغة الجمعية ﴿أَطْرَافَهَا﴾ على القدرة وذلك في سياق التعجيب: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤]، أي: نقصان الأرض، أي: أرض العرب من المشركين، وكانوا أهل قدرة وتمكن بدخولهم الإسلام، فأهل مكة وهم أشرف العرب من المشركين دخلوا في الإسلام كحمزة وأبي بكر وعمر ومن هاجر منهم إلى الحبشة ومن أسلم من أهل المدينة^(١)، معناه: أن المشركين كانوا أهل قوّة وقدرة

فلما سارع بعضهم إلى الإسلام بدأت هذه القدرة تتناقص وبالطرف المقابل تقوى شوكة الإسلام.

فالصيغة الجمعية (أطرافها) دلت على أن المشركين كانوا ذوي قوّة وقدرة قبل أن يدخلوا في الإسلام، فلما دخلوا (أصبحوا قوّة في الإسلام).

وقيل: موت العلماء نقصانها، فحين يُقْبَضُ العالم العارف يفقد الناس شيئاً من قدرتهم وقوّتهم وعلمهم.

ودلت الصيغة المفردة المعرفة بالألف واللام ﴿أَلْطَرَفِ﴾ على البصر.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الإخبار عن نعيم المؤمنين المخلصين: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرِتُ أَلْطَرَفِ عَيْنٍ﴾ [الصفات: ٤٨]، أي: قصرن أبصارهن على أزواجهن^(٢).

ومعروف ما للبصر من قيمة في الحياة والممات وما يتمتع به صاحبه من قدرة وتمكن بإذن الله.



(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٧/١٧.

(٢) ينظر: البيضاوي: ٢٩٤/٢.

(طرق)

الطريقة: أطول ما يكون من النحل^(١). وطريقه القوم: أمثالهم وخيارهم^(٢).
والطَّارِق: النجم الذي يقال له كوكب الصُّبْح^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (١١) مرّة، دلت الصيغة المعرفة المتصدرة بواو القسم على القدرة والتمكين.

تجلّت هذه الدلالة بقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالطَّارِقُ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ [الطارق: ١-٢]، الكوكب البادي بالليل ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه^(٤).

افتتاح السورة بالقسم تحقيق لما يقسم عليه وتشويق إليه، ووقع القسم بمخلوقين عظيمين فيهما دلالة على عظيم قدرة خالقهما: السماء، والنجوم، أو نجم منها عظيم معروف، أو ما يبدو انقضاؤه من الشهب.

وأبهم الموصوف بالطارق ابتداء، ثم زيد إبهاماً مشوباً بتعظيم أمره بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ ثم بيّن بأنه ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ ليحصل من ذلك مزيد تقرر للمراد بالمقسم به وهو أنه من جنس النجوم^(٥).

وتجلّت الدلالة على العلو باستعمال القرآن الصيغة المتصدرة بالباء والمتصلة بكاف الخطاب والمذيلة بميم الجمع، قال تعالى على لسان سحرة فرعون بعد تنازعهم أمرهم بينهم وإسراهم نجواهم: ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرُ بَرٍّ

(١) تهذيب الصحاح: ٥٨٦/٢ (طرق).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ٥٨٧/٢ (طرق).

(٤) ينظر: البيضاوي: ٥٨٧/٢.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٨/٣٠.



يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتُنَانِ ﴿طه: ٦٣﴾، أي: يذهباً بمذهبكم الذي فيه قدرتكم ومنعتكم والذي هو أفضل المذاهب بإظهار قدرتهما بإعلاء شأن مذهبهما ودينهما^(١).

٢ ٢ ٢

(طري)

الطَّرِي: الشَّيْءُ الْغَضُّ^(٢)؛ ومصدره الطَّراوة والطَّرَاءَةُ. ومنه أَطْرَيْتُ فلاناً^(٣)؛ وذلك إذا مدحته بأحسن ما فيه^(٤).

أما في القرآن فقد وردت مرّتين، دلت الصيغة المنكرة ﴿طَرِيًّا﴾ على اللحم الرطب يسرع إليه الفساد فيسارع إلى أكله دلالة على قدرة الله الذي خلقه عذبا طريا في ماء زعاف.

تجلّت هذه الدلالة في سياق القدرة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْثِي لَكُمْ بِهِ الزَّيْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ (النحل: ١٠-١٤)، أي: اللحم الرطب الطري العذب في الماء الزعاف، وهذا من عظيم قدرة الله تعالى الذي خلقه بهذه الكيفية^(٥).

(١) ينظر: البيضاوي: ٥١/٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٥٤/٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: البيضاوي: ٥٤٠/١.

(طعم)

أَضْلُ الطَّعْمِ تَذَوُّقُ الشَّيْءِ وَأَكْلُهُ. فَالتَّطَعُّمُ: التَّذَوُّقُ^(١) وَالْمُطْعَمُ الْمَرْزُوقُ^(٢). وَرَجُلٌ طَاعِمٌ إِذَا كَانَ حَسَنَ الْحَالِ فِي الْمَطْعَمِ^(٣). وَالرَّجُلُ الْمَطْعَامُ الْكَثِيرُ الْقِرَى^(٤).

أما في القرآن: فقد وردت (٤٨) مرة في (٤٧) موضعاً، ودلت الصيغة على إعطاء الرزق والعطاء الواسع.

تجلت دلالة الرزق الدال على قدرته تعالى في سياق يتحدث عن قدرة الله ومملكه للأشياء كلها. قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي آيِلٍ وَالنَّهَارِ وَهُوَ أَلْسَمِيحُ الْعَلِيمِ ۝ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَغْنَى رِبّاً فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَلَّ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝﴾ [الأنعام: ١٣-١٤] أي: هو يرزق ولا يرزق. فالمنافع كلها من عنده، ولا يجوز عليه الانتفاع^(٥). وفسر الإطعام بالرزق مع أنه تعالى قال في موضع من القرآن: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ [الذاريات: ٥٧] والعطف يوجب المغايرة. ولا شك أنهما متغايران، إلا أنه قد يحسن جعل الواحد منهما كناية عن الآخر لشدة ما بينهما من المقاربة^(٦).

«وأما بيان أنه يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ فظاهرة لأن الإطعام عبارة عن إيصال المنافع، وعدم الاستطعام عبارة عن عدم الانتفاع. ولما كان هو المبدئ

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤١١/٣ (طعم).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: الكشف: ٩/٢.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ١٧٨/١٢، ١٧٩.



تعالى وتقدس لكل ما سواه، كان لا محالة هو المبدئ لحصول جميع المنافع. ولما كان واجباً لذاته كان لا محالة غنياً ومتعالياً عن الانتفاع بشيء آخر. فثبت بالبرهان صحة أنه تعالى... يطعم ولا يطعم، وإذا ثبت هذا امتنع في العقل اتخاذ غيره ولياً، لأن ما سواه محتاج في ذاته وفي جميع صفاته وفي جميع ما تحت يده. والحق سبحانه هو الغني لذاته، الجواد لذاته، وترك الغني الجواد، والذهاب إلى الفقير المحتاج ممنوع عنه في صريح العقل^(١).

قوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ في موضع الحال، أي: يعطي الناس ما يحتاجونه من مطعم مما أخرج لهم من الأرض، وهذا استدلال^(٢) على المشركين بما هو مسلم عندهم، لأنهم يعترفون بأن الرزاق هو الله وهو خالق المخلوقات ومع ذلك فهم جعلوا الآلهة الأخرى شركاء في استحقاق العبادة.

وقوله: ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ - بضم الياء وفتح العين - فتكميل^(٣) دال على الغنى المطلق كقوله سبحانه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾. ولا أثر له في الاستدلال إذ ليس في آلهة العرب ما كانوا يطعمونه الطعام. والمراد التعريض بهم فيما يقدمونه إلى أصنامهم من القرابين وما يهرقون عليها من الدماء، فقد يعتقدون أن أصنامهم تتنعم بذلك^(٤).

(١) التفسير الكبير: ١٧٩/١٢.

(٢) «الاستدلال من استدلال، وهو «تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر». معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٢٨/١.

(٣) التكميل: «التمام: التمام الذي تجزأ منه أجزاؤه، وأكملت الشيء، أي: أجملته وأتممته، وأكمله هو واستكمله وكمله: أتمه وجمله، والإكمال: التمام». معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢٩٠/١.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٨/٧.



وتجلت قدرة الله في إطعام أهل الحرم بعد جوع، وكانت أصابت قريشاً شدة حتى إنهم كانوا يأكلون الجيف والميتة^(١) فزقهم الله من فضله، كانوا يرتحلون في الشتاء إلى الشام، وفي الصيف إلى اليمن فيمتارون، وكانوا آمنين والناس من حولهم لا يعرفون الأمن، فإذا عرض لهم عارض أخبروه أنهم أهل حرم الله تعالى فلا يتعرض لهم، فأخبر سبحانه أنه رزقهم وأمنهم رغم أنهم ببild لا زرع فيه ويتخطف الناس من حولهم. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّاؤِنًا وَيُخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالِغِ بُؤُسُونَ وَيَنْعَمَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. فإطعامهم بعد جوع دليل على وحدانية الله وقدرته الذي بمشيئته تتم المقدورات. قال تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ • إِلَيْهِمْ رِحْلَةُ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ • فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ • الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١-٤].

«أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما»^(٢)

وأجري وصف الرب بطريقة الموصول «الذي أطعمهم من جوع» لما يؤذن به من التعليل للأمر بعبادة رب البيت الحرام بعلّة أخرى زيادة على نعمة تيسير تجارتهم، مما أدى إلى ثرائهم، وهما نعمة الإطعام الذي أطعمهم إياه ونعمة الأمن الذي أمنهم إياه، وهذا إشعار بما يسر لهم من ورود سفن الحبشة في البحر إلى جدة تحمل الطعام فيأتونها مسيرة يومين، وكان أهل اليمن المخضبة يحملون الطعام على الإبل إلى مكة فيباع فيها، فصاروا في سعة من العيش.

و(من) الداخلة على (جوع) و(خوف) معناها البديلية، أي: أطعمهم بدلاً من الجوع وآمنهم بدلاً من الخوف. ومعنى البديلية هو أن حالة

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٦٥/٥، ٣٦٦.

(٢) الكشف: ٧٩٧/٤.



بلادهم تقتضي كون أهلها في جوع وهذا هو الأمر الطبيعي؛ لأنهم أهل بلاد مجدية لا زرع فيها. فإطعامهم بدل من الجوع الذي تقتضيه البلاد. وتنكير (جوع) و(خوف) للتنوع لا للتعظيم إذ لم يحل بهم جوع وخوف من قبل^(١).



■ (طغى)

دلت مادة (طغى) في اللغة على مُجَاوَزَةِ الْحَدِّ فِي الْعِصْيَانِ. يُقَالُ: إِنَّهُ رَجُلٌ طَاغٍ^(٢). و«طَغَى السَّيْلُ، إِذَا جَاءَ بِمَاءٍ كَثِيرٍ»^(٣). وَالْبَحْرُ لَهُ طُغْيَانٌ إِذَا هَاجَتْ أَمْوَاجُهُ^(٤). وَالطَّاغُوثُ: كُلُّ مُتَعَدٍّ وَكُلُّ مَغْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي الْوَاجِدِ وَالْجَمْعِ^(٥).

«وَأَطْعَاهُ..... حَمَلَهُ عَلَى الطُّغْيَانِ»^(٦).

وردت مادة (طغى) في القرآن (٣٩) مرة، دلت الصيغة (طَغَى) على مجاوزة الحدِّ.

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ [الحاقة: ١١] «أي: ارتفع وعلا»^(٧). طغى على خُرْائِهِ غَضَبًا لربه فلم يقدروا على حبسه^(٨)، وقد تجاوز حده حتى علا كل

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٦١/٣٠.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤١٢/٣ (طغى).

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤١٢/٣ (طغى).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤١٢/٣ (طغى).

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٢١ (طغى).

(٦) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٢٠ (طغى).

(٧) الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٣/١٨.

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٣/١٨.

شيء وارتفع فوقه^(١). وقيل: «طغى الماء على خَزَائِهِ فلم يدروا كم خرج وليس ينزل من السماء قطرة قبل تلك الواقعة ولا بعدها إلا بكيل معلوم»^(٢).

واستعير لشدته الخارقة للعادة تشبيهاً لها بطغيان الطاغى على الناس تشبيه تقرب فإن الطوفان أقوى شدة من طغيان الطاغى^(٣).

والطاغية في موضع من القرآن تعني الصيحة. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُتِيَ بِالسَّاعَةِ﴾ [الحاقة: ٥]. أي: «بالصيحة»^(٤). وقيل هي: الصاعقة. وقيل: أهلكوا بالواقعة التي جاوزت الحد في الشدة^(٥)، وإنما سميت الصاعقة أو الصيحة بالطاغية لأنها كانت متجاوزة الحد المتعارف عليه في الشدة، فشبه فعلها بفعل من يطغى ويتجاوز الحد في البطش والعدوان، والباء في قول تعالى ﴿بِالطَّائِفَةِ﴾ للاستعانة^(٦).

وجميع التأويلات تدل على قدرة المهلك وهو الله تعالى. فسواء أهلكوا بالصاعقة أم بالصيحة، أم بالواقعة فإنه القهر بالإهلاك والغلبة بالإماتة، وبتخريب الديار والتدمير حتى صارت ثمود أثراً بعد عين بفعل القدرة القادرة التي تضمحل أمامها القدرات وتنعدم^(٧). ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢].

(١) التفسير الكبير: ١٠٦/٣٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) التحرير والتنوير: ١٢٣/٢٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٨/١٨.

(٥) ينظر: الكشف: ٥٨٦/٤، ٥٨٧.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٦/٢٩.

(٧) المصدر نفسه.



وعندما يجاوز الطغاة الحدود في العصيان فيقتلون الأبرياء بغير حق كما كان شأن فرعون المتجاوز لكل الحدود في العصيان بما ظلم وتجر حتى إنه ادَّعى الربوبية فقال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]. فأمر الله سبحانه نبيه موسى ﷺ أن يذهب إليه يدعوه للإيمان. ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [النازعات: ١٧]. لقد تكبر على الله وجحد وأنكر. فطغى على بني إسرائيل بقرهه لهم واستعبادهم، وطغى على الخالق العظيم بكفره به وجحد له. وكما أن كمال العبودية لا يكون إلا بصدق المعاملة مع الخالق ومع الخلق، فكذا كمال الطغيان ليس إلا الجمع بين سوء المعاملة مع الخالق والخلق^(١). لقد تناسى فرعون أن ما مكنه ربه فيه من أسباب القوة إنما كان بتمكين الله إياه، وليس من عنده، وبقي يتناسى ويتجاهل حتى اعتقد أنه إله فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر: ﴿فَأَنذَرْتُ اللَّهَ تَكَاَلُ الْأَخْزَرُ وَالْأُولَىٰ﴾ [النازعات: ٢٥].

والطاغي مهما طغى وتجر واعتدَّ بقوته فإنه صائر إلى الهلاك بقدرة القادر الخالق لجميع الخلق. قال تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۖ وَثَمُودًا ۖ ثَانًى ۖ وَوَقَدْ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُم أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ﴾ [النجم: ٥٠-٥٢]. تنبيهاً على أن الطغيان لا يخلص صاحبه من العقوبة من لدن القوي القدير^(٢).

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُم أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ﴾ تعليل لقوله: ﴿أَهْلَكَ عَادًا﴾ إلى آخر الآيات، وضمير الجمع في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ قد تكون عائديته إلى قوم نوح، أي: كانوا أظلم وأطغى من عاد وثمود، ومن الجائز أن يكون عائداً إلى عاد وثمود وقوم نوح، والمعنى: أنهم أظلم وأطغى ليس في مقابلة قوم، ليس من باب اسم تفضيل أمرٍ على أمرٍ، وإنما من باب التفضيل الكلي العام.

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٤٠/٣١.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٢٠.

كان ذلك تسلياً للنبي ﷺ بأن الرسل من قبله لقوا من أمهم أشدّ مما لقيه الرسول محمد ﷺ من قومه، وفي ذلك إشعار بأن الله مُبْتَقٍ على أمة محمد ﷺ فلا يهلكها؛ لأنه قدر دخول بقيتها في الإسلام ثم دخول أبنائها.

وضمير الفصل في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَالطَّغْيَى﴾ لتقوية الخبر^(١).

٢ ٢ ٢

(طفا)

طَفَا الشَّيْءُ فَوْقَ الْمَاءِ يَطْفُو طُفُوءًا وَطُفُوءًا، إِذَا عَلَا وَلَمْ يَرْسُبْ^(٢). وَالطُّفَاوَةُ، بِالضَّم: دَارَةُ الشَّمْسِ^(٣). وَتَدُلُّ عَلَى النَّارِ حِينَ تُطْفَأُ. يُقَالُ: طَفَيْتِ النَّارَ تَطْفِئًا، وَأَنَا أَطْفِئُهَا^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرّات، دلت الصيغة (أطفأها) على قدرة الله تعالى.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار أن الله سبحانه كلما حاول أعداء الله حرباً لنبيه محمد ﷺ أطفأها بقدرته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَالْقِيَتَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَقْدَمُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسِعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، كلما أرادوا حرب الرسول ﷺ وإثارة شر عليه ردهم الله - سبحانه - بقدرته عليهم بأن أوقع بينهم منازعةً كفّ بها عنه شرهم، أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا فإنهم لما خالفوا حكم التوراة سلط

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٤/٢٧.

(٢) تهذيب الصحاح: ١٠١٦/٣ (طفا).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مقاييس اللغة: ٤١٥/٣ (طفو).



الله عليهم عدوهم^(١). وتركيب (أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) تمثيل، شُبّه حال التهيؤ للحرب والاستعداد لها والحزامة في أمرها، بحال من يُوقد النار لحاجة فتتطفئ، فإنّه شاعت استعارات معاني التسعير والحُمي والنار ونحوها للحرب، ومنه حَمِي الوطيس، وفلان مِسْعُرُ حرب، فقوله: ﴿أَوْقِدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ كذلك، ولا نار في الحقيقة، إذ لم يؤثر عن العرب أنّ لهم ناراً تختص بالحرب تُعَدُّ في نيران العرب التي يوقدونها لأغراض وقد وهم من ظنّها حقيقة.

وشبّه حال انحلال عزمهم أو انهزامهم وسرعة ارتدادهم عنها، وإحجامهم عن مصابحة أعدائهم، بحال من انطفأت ناره التي أوقدها.

والمعنى: أنهم لا يلتئم لهم أمر حرب ولا يستطيعون نكاية عدو، ولو حاربوا أو حوربوا لانهزموا^(٢).



■ (طَفِقَ)

يقولون: طفق يفعل كذا، كما يقال: ظلّ يفعل^(٣).

أما في القرآن فقد وردت ثلاث مرّات، دلت الصيغة الماضية المتصدرة بالفاء ﴿فَطَفِقَ﴾ على الشروع بعمل والأخذ بالبدء به دلالة على القدرة.

تجلّت هذه الدلالة في قصة سليمان عندما شرع بقطع سيقان الصافنات الجياد وأعناقها، أي: خيله غضباً لله لأنها كانت سبباً في انشغاله عن عبادة

(١) ينظر: البيضاوي: ٢٧٥/١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥١/٦، ٢٥٢.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٤١٨/٣.



كان يتعبدها وقت استعراضه هذه الخيل الحبيبة إلى قلبه ﷺ والتي أعدها للجهاد في سبيل الله: ﴿وَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَنَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيفَتُ الْيَافُودُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَقًّا تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿ (ص: ٣٠-٣٣)، أي: أخذ يقطع سوقها وأعناقها^(١)، معناه: شرع بالانتقام لله لأن الخيل كانت سبباً في إشغاله عن عبادة تعبدها في هذا الوقت ورعاً وتقوى، فقد أجهز على أحب شيء تعلق قلبه به ابتغاء وجه الله وهي الصافنات الجياد.

وشروعه بقطع أعناقها وسوقها يشعر بقدرة هذا النبي العظيم وقوته وقوة غضبه لله تعالى.



(طلب)

من دلالات المادة (طلب) في اللغة دلالتها في بعض صيغها على إسعاف الآخرين. يقال: أَطْلَبْتُ فلاناً بما ابتغاه، أي: أسعفته به^(٢). وربما قالوا: أَطْلَبْتُهُ؛ إذا أحوجته إلى الطَّلَب^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرّات، دلت الصيغة المضارعية «يَطْلُبُهُ» على القدرة

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَبَّكُمُ اللَّهُ أَلَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ

(١) ينظر: البيضاوي: ٣١٢/٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤١٧/٣ (طلب).

(٣) المصدر نفسه.



وَالْقَمَرَ وَالْجُجُمَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿[الأعراف: ٥٤]﴾، شُبِّهَ ظهور ظلام الليل في الأفق ممتداً من المشرق إلى المغرب عند الغروب واختفاء نور النهار على طريقة التمثيل، وكذلك يفهم تشبيه امتداد ضوء الفجر في الأفق من المشرق إلى المغرب واختفاء ظلام الليل في الأفق ساقطاً في المغرب حتى يعمّ الضياء الأفق بطلب النهار الليل على وجه التمثيل. فالمعنى: يطلبه سريعاً مجدداً في السرعة لأنه لا يلبث أن يُعفى أثره^(١). فالقرينة المتأخرة عن الصيغة (يطلبه) وهي (حيثاً) أشعرت بقوة هذا الطلب وجديته وعدم التواني في ذلك.



(طلت)

قال الفيروز آبادي: «طَالُوتُ مَلِكٌ أَعْجَمِيٌّ»^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرتين، دلت الصيغة «طَالُوتٌ» على ملك من ملوك بني إسرائيل، وتجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار. أخبر نبي من أنبياء بني إسرائيل قومه أن الله قد أرسل لهم ملكاً اسمه طالوت: «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا» [البقرة: ٢٤٧]، أي: كداود. روي أن نبيهم لما دعا الله أن يملكهم أتى بعضاً يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت^(٣). أخبر القرآن عنه فقال: «وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ» [البقرة: ٢٤٧] دلّ ذلك بقرينة السياق على قدرة هذا الملك وامتلاكه أسبابها.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦٧/٨، ١٦٨.

(٢) القاموس المحيط، مادة (طلت).

(٣) ينظر: البيضاوي: ١٣٠/١.

(طلع)

الطَّلَحُ شَجَرٌ معروف، الواحدة طَلْحَةٌ^(١). وذو طُلُوحٍ: مكان، ولعلَّ به طَلْحًا^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة «وَطَلَحَ» والموصوف بأنه منضود على نوع من الثمر الشهي الدال على قدرة خالقه.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق ذكر أصحاب اليمين وما أُعِدَّ لهم من أصناف النعم: «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُورٍ * وَطَلَحٍ مَّنْضُورٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفُكْهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُورٍ مَّروُوعَةٍ * إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنْشَاءً * جَعَلْنَهُمْ أَتْكَارًا * عُرْبًا أَتْرَابًا * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ» [النواقيص: ٢٧-٣٨]، أي: شجر الموز، وله أنوار كثيرة طيبة الرائحة، وقوله: «مَّنْضُورٍ»: نضد حملة من أسفله إلى أعلاه^(٣).

وكل نعمة أنعمها الله على عباده ومخلوقاته من طعام وشراب وغير ذلك إنما تدل على قدرة الله المنعم بها على خلقه.

٢ ٢ ٢

(طلع)

دلت (طلع) في اللغة على الظهور. يقال: (طلع الكوكب والشمس طلوعاً ومطلعاً ومظلياً: ظهر^(٤)). ودلّت على السَّهْم. فالطَّالِعُ:

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٤١٨/٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: البيضاوي: ٤٦٠/٢.

(٤) القاموس المحيط: ٦١/٣ (طلع).



السَّهْمُ^(١). والَطَالِيعُ الهلالُ^(٢). ودَلَّتْ على المقدار، يقال: جيش طُلُعَ ألف: أي: مقداره ألف^(٣).

وطلَّاعُ الثنايا: الخبير بالأُمور^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (١٩) مرّة، دلت الصيغة «أَطْلُعُ» على الصعود الدال على القدرة.

تجلت هذه الدلالة في سياق طلب فرعون من وزيره هامان أن يبني له صرحاً ليطلع منه إلى إله موسى «وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا أَلَمَلًا مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْنَكُنَّ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى» [القصص: ٣٨]، أي: أضعدُ. والصعود هنا صعود متكلف يحتاج إلى قدرة، فالله مَكَّنْ لهذا الكافر في الأرض ليكون هذا التمكين شاهداً عليه، فقد سَهَّلَ الله له أمر الدنيا، فبنى الصرح واعتلاه ورام الأجواء لينال من رب السماوات والأرض، فدل ذلك الصعود على أنه مستدرج ممكن ليغالي في الكفر والكبر والطيش^(٥).



(طلق)

تدل المادة عموماً على التَّخْلِيَةِ والإرسال. يقال: انطلق الرجل ينطلق

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢٣/٢٠.



انطلاقاً^(١). وأُطْلِقَتْهُ إطلاقاً^(٢). وتقول: عَدَا الفرس طَلَقاً أو طَلَقَيْنِ^(٣). ورجل طَلَقَ اللسانَ وطَلِيقُهُ^(٤) وهذا طَلِيقٌ ذَلِيقٌ^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (٣٠) مرة، دلت الصيغة «طَلَقْتُ» على ما يشعر بقدرة الرجل على المرأة، إذ بيده عُقْدَةُ النكاح، فإن أراد أمسك وإن أراد ترك. تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: «وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» [البقرة: ٢٣١]، عطف على جملة «فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا أَنْ يَتَرَكَمَا» [البقرة: ٢٣٠]، الآية عطف حكم على حكم؛ وتشريع على تشريع، لقصد زيادة الوصاية بحسن المعاملة في الاجتماع، والفرقة وما تبع ذلك من التحذير. وقوله: «فَلَبَنَ أَجَلَهُنَّ» مؤذن بأن المراد: «وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ» طلاقاً فيه أجل. والأجل هنا لما أضيف إلى ضمير النساء المطلقات علم أنه أجل معهود بالمضاف إليه أعني أجل الانتظار، وهو العدة، وهو التربص كما سبق^(٦).

فالقريتان اللاحقتان بالصيغة «طَلَقْتُ» وهما «فَأَمْسِكُوهُنَّ» ، «سَرِّحُوهُنَّ» يكسبان الصيغة «طَلَقْتُ» الدلالة على القدرة لأن الطلاق طالما أنه بيد الرجل، فذلك يَدُلُّ على قدرته على التصرف في هذا المجال، وأمره سبحانه للرجال إما أن يحتفظوا بنسائهم بمعروف وإما أن يسرحوهن بإحسان يدل على أنهم يتمتعون بالقدرة على الاختيار، وفي ذلك دلالة على القدرة.

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٢٠/٣ (طلق).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٢١/٢.



وتجلّت الدلالة على العزم والنية المبيتة التي توحى بأن أصحابها يحسون بالقدرة على التصرف بحيث يمنعون من يريدون من حقّ تعود أخذوه على أخذه في كل عام.

تجلت هذه الدلالة باستعمال الصيغة ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ * أَنْ لَا يَخْلُتَهَا أَيُّومٌ عَلَيْكُمْ مَشْكِينَ ﴿[القلم: ٢٣-٢٤]، كان أصحاب هذه الجنة بعد عيسى بقليل، أي: قبل انتشار النصرانية في اليمن لأنها ما دخلت اليمن إلا بعد دخول الأحباش إلى اليمن في قصة القليس وكان ذلك زمان عام الفيل، وعن عكرمة: كانوا من الحبشة كانت لأبيهم جنة وجعل في ثمرها حقاً للمساكين وكان يدخل معه المساكين ليأخذوا من ثمارها فكان يعيش منها اليتامى والأرامل والمساكين وكان له ثلاثة بنين، فلما توفي صاحب الجنة وصارت لأولاده أصبحوا ذوي ثروة وكانوا أشحّة أو كان بعضهم شحيحاً وبعضهم دونه فتمالؤوا على حرمان اليتامى والمساكين والأرامل، وقالوا: لنغدو إلى الجنة في سدفه من الليل فلنجدنها قبل أن يأتي المساكين، فبيتوا ذلك وأقسموا أيماناً على ذلك، ولعلمهم أقسموا ليلزموا أنفسهم على ما عزموا عليه وأنهم أجمعوه بالقسم ليضمنوا وحدتهم وقوتهم وقدرتهم على التنفيذ وذلك بإجماعهم على ما عزموا عليه من غير خروج أحد عن ذلك العزم لأن خروج واحدٍ منهم بعدم الموافقة يجعل التنفيذ أصعب، فقد يعيقهم فلا يحققون مرادهم^(١).



(طمس)

تدور مادة (طمس) في اللغة حول إزالة الأثر بالمحو^(١). فَالطَّرِيقُ إِذَا لَمْ تَبَقَ مَعَالِمُهُ فَقَدْ طُمِسَ^(٢). يقال: (طَمَسَ يَطْمُسُ وَيَطْمِسُ وَطَمَسَتْهُ طَمْسًا)^(٣) وَاِنطَمَسَ وَتَطْمَسُ إِذَا امحى وَذَرَسَ^(٤). أي: لم يبق له أثر يدل عليه^(٥).

أما في القرآن: فقد وردت مادة (طمس) (٥) مرات بدلالات، منها الطمس على المال. وفي طمس الأموال وجوه ذكرها أهل العلم، منها إذهاب المال، وإزالة صورته، فقد دعا موسى ﷺ ربه أن يذهب أموال فرعون وزينته في الحياة الدنيا، لاستعماله نعم الله بالإفساد في الأرض والصد عن السبيل: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]. أي: (أذهب أموالهم)^(٦). ولما بالغ موسى في إظهار المعجزات القاهرة ووجد الإصرار على الجحود والإنكار طلب من ربه إزالة صورتها لأن جبههم للباس والدواب والأثاث والجمال والصحة والمال أنساهم خالقهم^(٧). ومن ينس خالقه بعد النعمة يمحقها عنه ويبدلها بنقمه. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرَدَهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا﴾ [النساء: ٤٧]. أي: نمحو ما فيها من

(١) ينظر: الصحاح: ٩٤١/٢. وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٢٤ (طمس).

(٢) ينظر: الصحاح: ٩٤١/٢ (طمس).

(٣) الصحاح: ٩٤١/٢ (طمس).

(٤) ينظر: الصحاح: ٩٤١/٢ (طمس).

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٢٤ (طمس).

(٦) مجاز القرآن: ٢٨١/١.

(٧) ينظر: التفسير الكبير: ١٥٥/١٧.



عين وأنف ونغير تخطيط صورها وأماكنها^(١). والوجه إنما يتميز عن سائر الأعضاء بما فيه من الحواس، فإذا أزيلت ومحيت كان ذلك طمساً^(٢). وقيل: نطمسها عن الهدى فنردها على ضلالتها بإلقائها في أنواع الخذلان^(٣). أو من قبل أن نسلب الوجاهة ونكسو الصغار والمهانة والمذلة^(٤). وتأويل ذلك في إجلاء بني قريظة وبني النضير إلى الشام، فردَّ الله وجوههم على أدبارهم حين عادوا إليها، كما قدموا منها بدءاً^(٥).

وقيل: إنه واقع في الآخرة. فيصير التقدير: آمنوا من قبل أن يجيء وقت نطمس فيه وجوهكم وهو بعد الموت^(٦). والكفار لا يفيد معهم التهديد فيما سيحل بهم في الآخرة لأنهم ابتداء لا يؤمنون بها فتهديدهم بالطمس الحسي للوجوه، والمعنوي الذي يعني سلبهم الوجاهة في الدنيا هو الذي يردعهم ويخشونه. والله أعلم.

وجميع التأويلات تدل على قدرة الله في سلب النعمة ممن لا يستحقها ولا يشكرها. وتجلت قدرة الله في تمكينه جبريل عليه السلام من طمس عيون قوم لوط لما اعتدوا على نبيهم^(٧). قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ صَيفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾ [القمر: ٣٧]. (خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم، يقال: إنها غارت من وجوههم. قيل: إنه لم

(١) ينظر: معاني القرآن: ٢٧٢/١، وينظر: الكشف: ٥٠٨/١، وينظر: التفسير الكبير: ١٢٥/١٠.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٢٥/١٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ١٢٥/١٠، ١٢٦.

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تصحيح: نخبة من العلماء، دار إحياء الكتب العربية القاهرة (د. ت): ٢٦٨/٤.



تبق لهم عيون بالكلية فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان^(١). إذ في كل مرة يتمادى أهل الكفر بكفرهم تتدخل يد القدرة وتتحرك الملائكة لنصرة أهل الإيمان، فلم يعد بمقدور قوم لوط بعد الذي حل بهم رؤية شيء، ولم يعودوا يقدرّون على مساورة لوط، ولا الإمساك بضيّفه. وكأن طمس عيونهم في المساء تهيئة لأخذهم جميعاً عند حلول الصباح^(٢).

(ولما كانت (لو) تقتضي امتناعاً لامتناع فهي تقتضي معنى: لكنّا لم نشأ ذلك فتركناهم على شأنهم استدراجاً وتمييزاً بين الخبيث والطيب. فهذا كلام موجه إلى المسلمين يراد منه تبصرة المؤمنين وإرشادهم إلى الصبر على ما يلاقونه من المشركين حتى يأتي نصر الله، فالطمس.. المعلق على الشرط الامتناعي طمس.. في الدنيا لا في الآخرة^(٣)). والنتيجة التي حلت بقوم لوط بالاستئصال الرهيب تدلّ على أنهم استحقوا أشد العذاب ومنه تغيير الخلقة على الحقيقة بالطمس؛ وذلك بجعل وجوههم كالصفحة الملساء لأنهم استحقوا ذلك فعقوبتهم من جنس عملهم^(٤).

وأما في يس فقد خوفهم بالممكن المقدر عليه فاختر ما يصدقه العارف به وهو الطمس على العين، لأن إطباق الجفن على العين أمر مألوف كثير الوقوع وهو بقدرة الله تعالى وإرادته. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَطَمَسْنَا عَنَّا أَعْيُنَهُمْ﴾ [يس: ٦٦] وما حصل لقوم لوط نادر^(٥).

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢٦٨/٤، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين أبو سعيد

عبدالله البيضاوي، دار الجيل، بيروت (د. ت): ٧٠٣/٢٧.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٣٤٣٤/٢٧.

(٣) التحرير والتنوير: ٥١/٢٣، ٥٢.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٦٢/٢٩.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٦٢/٢٩.



ذَكَّرَهُمْ أولاً بهلاك القرون الخالية، ثم ذكرهم أخيراً بقدرته على طمس أعينهم ومسحهم، وذكر لهم ما يعتبرون به وهو أن من عُمِّرَ نُكِّسَ في الخَلْقِ، مما يدل على قدرته جل شأنه على أن يفعل بهم ما هددهم به^(١).



■ (طمع)

الطاء والميم والعين أصلٌ واحدٌ صحيح يدل على رجاءٍ في القلب قويٍّ للشيء^(٢). يقال: طَمِعَ في الشيء طمعاً وطماعة وطماعية^(٣). والمرأة العِطْمَاعُ التي تُطْمِعُ ولا تُتَمَكِّنُ^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (١٢) مرّة، دلت الصيغة المنكرة «وَطَمَعًا» على الغيث للمقيم وهو قدرة وتمكين لأصحابه الذين ينزل عليهم.

تجلّت هذه الدلالة في سياق سرد الآيات الدالات على قدرته تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ أَلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم: ٢٤]، أي: «وَطَمَعًا» في الغيث للمقيم^(٥). أي: وقدرة لمن ينزل عليه وتمكين له من إنسان وحيوان ونبات.

ومن أنواع الطمع طمع في رحمة الله، قال تعالى في سياق التعريف بصفات المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

(١) ينظر: الأساس في التفسير سعيد حوى، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م: ٤٦٤٩/٨.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٢٥/٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: البضاوي: ٢١٩/٢.

خَوْفًا وَطَمَعًا ﴿[السجدة: ١٥-١٦]، أي: طمعاً في رحمته^(١)، أي: طمعاً في الرحمة والقدرة والتمكين والطمع بما هو إقدار وتمكين.



❦ (طمم)

تدل مادة (طمم) في اللغة على العَمَرِ بالماء. يُقال: «طَمَّ الماء طَمًّا وَطُمُومًا عَمَرَ»^(٢) والطَّمُّ: العَلْبَةُ على الشيء^(٣). وَتَغْيِي الدَّفْنِ يقال: «وَالزَّرَكِيَّةُ يَطْمُئِنُّهَا وَيَطْمُئِنُّهَا دَفْنُهَا وَسَوَاهَا»^(٤). وَالطَّامَةُ هي الشيء الذي يَكْثُرُ حَتَّى يَغْلُو وَيَغْلِبَ^(٥). وَالطَّامَةُ الْقِيَامَةُ لَأَنَّهَا تَطْمُ الْخَلَائِقَ وَتَقْهَرُهُمْ^(٦). وَالطَّوْمَةُ هي الْمَيِّتَةُ وَالذَّاهِيَةُ^(٧). لَأَنَّهَا تَطْمُ مَنْ تَحِلُّ بِهِ.

أما في القرآن: فقد دلت على القيامة الحدث العظيم الدال على قدرة الله، ففي سياق الحديث عن المخلوقات الدالة على عظيم قدرته من بناء للسماء ورفع لها، وإغطاش الليل وإخراج للضحى، ودحو للأرض، وإخراج للماء والمرعى، وإرساء للجبال، أورد القرآن خبر ذلك اليوم الدال على قدرته، كما دلت الآيات السابقة الذكر على ذلك.

قال تعالى: ﴿مَأْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَرِ السَّمَاءُ بَنِينَ * رَفَعَ سَعْيَكُمَا فَسَوَّيْنَاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالُ أَوَّسَهَا

(١) ينظر: البيضاوي: ٢٣٥/٢.

(٢) القاموس المحيط: ١٤٦/٤، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٢٣ (طمم).

(٣) ينظر: عمدة الحفاظ: ٤١٦/٢ (ط م م).

(٤) القاموس المحيط: ١٤٦/٤ (طمم).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: القاموس المحيط: ١٤٦/٤ (طمم).

(٧) القاموس المحيط: ١٤٦/٤ (طمم).



﴿ مَتَاعًا لَّكَ وَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿ [النازعات: ٢٧-٣٤]. «وهي القيامة تطم على كل شيء»^(١)، وقيل: «إذا جاءت الصيحة التي تطم كل شيء، الصيحة التي يقع معها البعث والحساب والعقاب والعذاب والرحمة»^(٢).

وقيل: «الساعة التي تساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار»^(٣)، وقيل: «هي النفخة الثانية»^(٤) والطامة الكبرى ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ ﴿وَبُذِرَتْ أَوْبَاجُهُمْ لِمَن رَّيَى﴾ [النازعات: ٣٥-٣٦] «فالطامة اسمٌ لذلك الوقت»^(٥) ويحتمل أن يكون ذلك الوقت وقت قراءة الكتاب^(٦) على قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَوْنَ فِيهِ مَشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

وهذا الوصف للطامة ومجيئها يدل ويشعر بالشدة والهول إذ لا يقال مثله إلا في الأمور المهولة والرهبة، ثم إنه بولغ في تشخيص هولها حتى وصفت من القدير سبحانه بأنها (الكبرى)، وللمرء أن يتصور أمراً هو عند الله عَظِيمٌ كبير فكم يكون كبيراً وعظيماً بالنسبة للخلق، فكان هذا أصرح الكلمات لتصوير ما يقارن هذه الحادثة من هول. والحادثة المهولة، أو الطامة يراد بها القيامة. ووصفت بأوصاف عديدة منها الصاخة، والقارعة، والراجعة^(٧). وجميع التأويلات لا تخرج عن التدليل على قدرة الله محدث ذلك اليوم وخالفه ومدبر أحواله والعالم بما سيجري فيه من أحداث جسام.



(١) معاني القرآن: ٢٣٤/٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٢٨١/٥، وينظر: عمدة الحفاظ: ٤١٦/٢.

(٣) الكشف: ٦٨٤/٤.

(٤) التفسير الكبير: ٥١/٣١.

(٥) التفسير الكبير: ٥١/٣١.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ٥١/٣١.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٩٠/٣٠.

(طمن)

الطاء والميم والنون، أُصِـبِلْ بزيادة همزة^(١). يقال: اطمأنَّ المكان يطمئنُّ طَمَئِينَةً. وطمانت منه: سَكُنَتْ^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (١٣) مرة، دلت الصيغة الماضية «اَطْمَأَنَّ» على القدرة المادية والمعنوية.

تجلَّت هذه الدلالة في سياق الإخبار قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطمَأَنَّ بِهِ وَلِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرٌ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الحج: ١١]، روي أنها نزلت في أعراب قدموا المدينة، فكان أحدهم إذا ضَحَّ بدينه، ونتجت فرسه مهراً وولدت امرأته غلاماً سوياً وكثر ماله وماشيته قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً^(٣). وبذا فإنَّ اطمئنانه يوحي بشعوره بالقدرة والتمكين.

وتجلَّت الدلالة على الشعور بالقدرة والتمكين في الجانب المادي والمعنوي باستعمال القرآن الصيغة المعطوفة بالواو «وَتَطْمِئِنَّ»، قال تعالى في سياق الإخبار عن حوار بني إسرائيل أي: أصحاب عيسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ الْهَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَكُنُوا عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١١-١١٣]، أي: لينضم علم المشاهدة إلى علم الاستدلال بكمال قدرته سبحانه وتعالى^(٤)، وفي ذلك غاية التمكن والتثبت في الإيمان.

(١) مقاييس اللغة: ٤٢٢/٣ (طمن).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: البيضاوي: ٨٤/٢.

(٤) ينظر: البيضاوي: ٢٨٩/١.



وتجلّت الدلالة على القوّة باستعمال الصيغة المعطوفة بالواو ﴿وَتَطْمِئِنُّ﴾ وذلك في موضع من القرآن، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨]، أي: وتقوى أنساً به واعتماداً عليه ورجاء منه أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته، أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعني القرآن الذي هو أقوى المعجزات: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: تقوى به وتسكن إليه^(١).



■ (طهر)

طَهَرَ الشَّيْءَ وَطَهَّرَ طَهَارَةً، والاسم الطُّهُر. وقومٌ يَطْهَرُونَ؛ أي: يتزهدون من الأدناس^(٢). والطُّهُور: ما يُتَطَهَّرُ به^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٣١) مرّة، دلت الصيغة ﴿وَطَهَّرَكَ﴾ على القدرة المادية والمعنوية.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الخطاب والتفضل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْمَكَلِيمِ﴾ [آل عمران: ٤٢]، أي: طهّرك من الحيض والنفاس وفي ذلك قدرة لمريم لأن الحيض والنفاس يضعف المرأة، وكذلك طهّرك من سفساف الأخلاق^(٤)، وفي ذلك شرف ورفعة وسمو أخلاق تكسب صاحبها المكانة العالية بين الناس والقدرة المعنوية التي تستعمل فيما ينفع صاحبها.

(١) ينظر: البضاوي: ٥٠٧/١.

(٢) تهذيب الصحاح: ٣٠١/١. (طهر).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التفسير المنير: ٢٢٣/٣.

واستعمل القرآن في موضع منه صيغة الجمع المضارعية ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ للتدليل على الرفعة وزيادة الحسنات.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الأمر: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [النوبة: ١٠٣]، أي: تنمي حسناتهم، وترفعهم إلى منازل المخلصين^(١).

وتجلّت الدلالة على الاغتسال الذي يكسب صاحبه النشاط والقوة الجسدية باستعمال القرآن صيغة الأمر الجمعية ﴿فَاطْهَرُوا﴾ وذلك في سياق الأمر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطْهَرُوا﴾ [المائدة: ٦]، أي: فاغتسلوا^(٢)، لتنشط أجسامكم وتتخلص من خمولها، ودلت صيغة الخطاب الجمعي ﴿وَيُطَهِّرُهُمْ﴾ في موضع من القرآن على النقاء من الذنوب، وفي ذلك غاية القدرة المعنوية وعلو المرتبة الدينية.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الخطاب والنهي والأمر، قال تعالى: ﴿يَنَسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنَّا كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّبَعْتَنَ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ يُطْمَعِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿١٠﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٣]. أي: يطهركم من المعاصي^(٣)، وطهارة الإنسان من المعاصي إنما تعني علو المرتبة وتمام التمكين.

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: التفسير المنير: ٢٦/١، ٢٧.

(٢) ينظر: التفسير المنير: ١٠٠/٦.

(٣) ينظر: التفسير المنير: ٦/٢٢، ٧.



(طود)

الطُّود: الجبل العظيم^(١).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت صيغة التشبيه «كَالطُّودِ» الموصوفة بـ (العظيم) على الجبل الضخم الثابت.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار والأمر، قال تعالى: ﴿وَوَحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِمِائِدَتِي إِنَّكَ مُنْتَبِهُونَ ﴿٦٠﴾ فَأَرْسَلْنَا فِي الْمَلَأَيْنِ خَشِيرَتَيْنِ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٦٢﴾ وَلَهُمْ لَنَا لَغَاطُودٌ ﴿٦٣﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَادِرُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٦٥﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٦٦﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦٧﴾ فَأَتَيْنَاهُمُ مُّشْرِقِينَ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٩﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٧٠﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء: ٥٢-٦٣] ، أي: كالجبل الضخم الثابت^(٢)، وتحول ماء البحر على هذه الكيفية إنما يدل على كمال قدرة الله.



(طور)

الطُّور: الجبل^(٣). وعدا طَوْرُهُ، أي: جاوزَ حَدَّهُ^(٤). والنَّاسُ أطوار، أي: على حالات شتى^(٥).

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٣٠/٣ (طود).

(٢) التفسير المنير: ١٥٧/١٩.

(٣) ينظر: تهذيب الصحاح: ٣١٠/١ (طور).

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

أما في القرآن فقد وردت (١١) مرّة، دلت الصيغة «أَطْوَارًا» على القدرة، قدرة خالقت هذه الأَطْوَار.

تجلّت هذه الدلالة في سياق يتحدث عن نوح وكيف أنه لم يدخر وسعاً في دعوة قومه إلى الله، قال تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاوِيَ إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَ فِي مَاذَانِهِمْ وَأَسْتَخَشُوا يَايَهُمُ * وَأَمَرُوا وَأَسْكَبُوا اسْتِكَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَتُ لَهُمُ الْاَنْبَاءَ فَكُلُّهُم مِّنْ أَشْقَىٰ * وَأَنزَلْتُ لَهُمُ الْبُحْرَانَ فَيُدْنِسُونَ الْأَمْثَالَ دَنَسًا * وَمُسَدَّدَةٌ يُدَارِكُونِ * وَيَذَرُونَ لِلَّهِ إِلَهًا بَدَلَ اللَّهِ * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ٥-١٤]، أي: أحوالاً وهيئات وعلى مراحل وأدوار في النمو والخلق، كأنه قال: ما لكم لا تؤمنون بالله، والحال هذه، وهي حال موجبة للإيمان به؟! خلقكم أولاً من تراب، ثم من نقطة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم خلق العظام واللحم، ثم أنشأكم خلقاً آخر من طفولة، فسباب، فكهوة^(١).

وتجلت دلالة صيغة القسم: «وَالطُّورُ» في موضع من القرآن على الجبل
لمشجر، قال تعالى في سياق القسم ببعض مخلوقاته: «وَالطُّورُ * وَكَتَبَ مَسْطُورٍ
* فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ * وَالْبَيْتَ الْمَعْمُورَ * وَالسَّافِيَ الرَّفُوعَ * وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ * إِنَّ عَذَابَ
رَبِّكَ لَوَاقِعٌ» (الطور: ١-٧)، «وَالطُّورُ» هو الجبل المشجر الذي كلم الله عليه موسى،
وأرسل منه عيسى^(ع). وأي جبل سواء كان مشجراً أم غير ذلك فهو بمكوناته
وهيئته وثباته يدل على الصلابة والمنعة، به يتحصن المتحصنون، ويمتنعون به
من الخصوم، وفيه من الدلائل على القدرة ما فيه، واكتسب جبل (الطور) قدسية
جعلته مهاباً لأن الله تجلى عليه، وكلم فيه موسى، وأرسل منه عيسى^(ع).

(١) ينظر: التفسير المنير: ١٤٠/٢٩.

(٢) ينظر: التفسير المنير: ٢٧/٥٥.



(طوع)

دلت مادة (طوع) في اللغة على الانقياد. يقال: طَاعَهُ يَطُوعُهُ، إذا انقاد معه وَمَضَى لِأَمْرِهِ^(١). وَأَطَاعَ بمعنى طَاعَ^(٢). والمُوافِقُ غَيْرُهُ: مُطَاوِعٌ لَهُ^(٣). «وَالِاسْتِطَاعَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الطَّوْعِ، كَأَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأَصْلِ الْإِسْطِطَاوَعُ، فَلَمَّا سَقَطَتِ الْوَاوُ جَعَلَتْ الْهَاءُ بَدَلًا مِنْهَا»^(٤). وَ«تَطَوَّعَ، أَي: تَكَلَّفَ اسْتِطَاعَتَهُ»^(٥). وتعني التَّبَرُّعُ^(٦). وَالِاسْتِطَاعَةُ «عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ اسْمٌ لِلْمَعَانِي الَّتِي يَتِمَكَّنُ الْإِنْسَانُ مِمَّا يَرِيدُهُ مِنْ إِحْدَاثِ الْفِعْلِ»^(٧).

أما في القرآن: فقد وردت (١٢٩) مرة في (١٢١) موضعاً، وقد دلت من بين دلالاتها على السعة في المال، والسعة في المال قدرة، أو القدرة البدنية. قال تعالى وهو يخبر عن المنافقين وكذبهم في التذرع بعدم القدرة على القتال: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢]. والاستطاعة في الآية على وجوه: الأول: لو وجدنا السعة في المال^(٨). والثاني: استطاعة المال والأبدان^(٩). والثالث: لو قدرنا على الخروج^(١٠).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٣١/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٢٩ (طوع).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٣١/٣ (طوع).

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٤٣١/٣ (طوع).

(٥) معجم مقاييس اللغة: ٤٣١/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٢٩ (طوع).

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٣١/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٣٠ (طوع).

(٧) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٣٠ (طوع).

(٨) ينظر: الأشباه والنظائر: ١٥٨، وينظر: نزهة الأعين: ٨٨، وينظر: كشف السرائر: ٢١٥.

(٩) ينظر: الكشف: ٢٦٥/٢.

(١٠) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٩/١٠.

وتكذيب القرآن لهم دال بأنهم قادرون على القتال قبل دعوتهم إليه فلا ذريعة لهم، ولو أن الأمر كما قال بعضهم إن القدرة مع الفعل وليست قبله لما كذب القرآن المنافقين، ولكانوا غير قادرين حقاً لأن القتال لم يكن وقتها قد بدأ ليعرف الشخص قدرته عليه من عدمها. ولو أن المقصود بالقدرة الراحلة أو المال لكان هذا ينطبق على غير المنافقين^(١)، فكثير من الجيش لا يملك راحلة ولا مالاً.

لكن المقصود هو القدرة البدنية حيث يستجيب الشخص لأمر رسول الله، والرسول ﷺ هو الذي يقرر إن كان بحاجة أو عدم ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ (النوبة: ٩٢). فالاستجابة أولاً لأمر رسول الله ﷺ وتلبية الدعوة إلى القتال أمر مطالب به المؤمن. وتجلت دلالة القدرة في سياق الاستفهام عن مائدة من السماء سألها حواريو عيسى عليه السلام. قال تعالى على لسانهم: ﴿إِذْ قَالَ آلْحَوَارِيُّونَ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ (المائدة: ١١٢) واختلف أهل التأويل في السائلين: هل إنهم سألوا نبيهم سؤال مؤمنين أم شاكين؟. فعلى قراءة (هل تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ)^(٢). بالثاء وإدغام اللام فيها، ونصب باء (رَبُّكَ) وهي قراءة علي بن حمزة الكسائي، أي هل بمقدورك سؤال ربك^(٣)؟ وهل تقتضي حكمته تعالى فعل ذلك^(٤)؟ وهل يجد فينا ربك أهلية لإنزال مائدة علينا من السماء ونحن نعلم أن السنة لم تجر على مثل ما نطلب؟ لكن قوله تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٧٥/١٦.

(٢) السبعة في القراءات: ص ٢٤٩.

(٣) ينظر: معاني القرآن: ٣٢٥/١، وينظر: التفسير الكبير: ١٣٧/١٢.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٣١.



إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿[المائدة: ١١٢]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥]، يوحى أنهم يسألون بصيغة ليست على غرار طلب إبراهيم عليه السلام من ربه: ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠] فكلامهم لا يرد مثله عن أناس معظمين لربهم، ولو كان كذلك لما قال لهم نبهم اتقوا الله ولا تشكوا في قدرته واستطاعته، ولا تقترحوا عليه، ولا تفرضوا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إن عصيتموه بعدها^(١). فعلى قراءة: (هل تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) أي: هل تستطيع سؤال ربك توجب شكهم في استطاعة عيسى عليه السلام. وعلى قراءة: (هل يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) بالياء وإظهار اللام، ورفع باء (ربك) وهي قراءة الجمهور، توجب شكهم في استطاعة الله على تأويل من جعلهم شاكين.

ومن أهل التأويل من يميل إلى أنهم كانوا مؤمنين وطلبهم هذه الآية ليحصل لهم مزيد الطمأنينة كما قال إبراهيم عليه السلام (ولكن ليطمئن قلبي) فإن معانية هذه الآية والانتفاع بها أيما نفع لا شك أنها تورث الطمأنينة^(٢)، ولهذا قالوا: (وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا).

ولأنهم حواريو عيسى عليه السلام وهم بمثابة صحابة رسول الله في قربهم منه ﷺ، فإن الأولى أنهم سألوا من منطلق الإيمان وطمعاً في التفرغ للعبادة، لأنهم يحبون ألا يشغلوا بغيرها طمعاً في الاستزادة من الذكر والعبادة، والانتقطاع إلى الله لا يشغلهم عنه شاغل بعد نزول المائدة وتلبية سؤالهم. لقد جرى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ على طريقة العرب في العرض والدعاء، يقولون للقادر على الأمر: هل تقدر على كذا، على معنى تطلب العذر له إن لم يجب إلى المطلوب منه والسائل لا يجب أن يكلف المسؤول

(١) الكشف: ٦٧٨/١.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٢/١٣٦، ١٣٧.



ما يشق عليه، وذلك كناية، فلم يبق منظوراً فيه إلى صريح المعنى المقتضي أنه يشك في استطاعة المسؤول، وإنما يكون ذلك من الأدنى للأعلى منه، وفي شيء معلوم أنه في مقدور المسؤول. فليس قول الحواريين المحكي بهذا اللفظ في القرآن إلا لفظاً من اللغة التي درجوا عليها في التلطف والتأدب في السؤال، كما هو مناسب أهل الإيمان الخالص. وليس شكاً في قدرة الله تعالى، وما سؤالهم إلا رغبة في الاستزادة في الطمأنينة بالإيمان وذلك بالانتقال من الدليل العقلي إلى الدليل المحسوس. فإن النفوس بالمحسوس آنس^(١).

وفي سياق خبر السد الذي بناه ذو القرنين لمنع يأجوج ومأجوج من إهلاك من جاورهم من الأقيام دلالة على القدرة. قال تعالى: ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، أي: ما قدرُوا أن يعلوا عليه وما قدرُوا على نقبه^(٢) ولا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه، ولا نقب له لصلابته وثخانتته^(٣). والضمير في (استطاعوا) و(استطاعوا) ليأجوج ومأجوج، و(استطاعوا) تحفيف (استطاعوا). والجمع بينهما بداعة وفصاحة في الكلام كراهية إعادة الكلمة. وابتدى بالأخف منهما لأنه وليه الهمز وهو حرف ثقیل مكانه الحلق، بخلاف الثاني إذ وليه اللام وهو خفيف.

ومقتضى الظاهر أن يتبدأ بفعل (استطاعوا) ثم يليه فعل (استطاعوا) لأنه يثقل بالتكرير، كما وقع في قوله: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨] ثم قال: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/٧.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣١٢/٣، وينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، إصدار: محمد توفيق عويضة، الكتاب الرابع: ٨٠/٢.

(٣) الكشف: ٧١٩/٢.



[الكهف: ٨٢]. ومن خصائص مخالفة مقتضى الظاهر في الآية إثارة فعل ذي زيادة في المبنى بموقع فيه زيادة المعنى لأن استطاعة نقب السد أقوى من استطاعة تسلقه، فهذا من المواضع الدالة على أن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى^(١).

والاستطاعة في موضع من القرآن تعني الطاقة. قال تعالى في سياق النفي أن يكون للإنسان الطاقة والقدرة على تحقيق العدل بين النساء: ﴿وَكُنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ الْإِنْسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]. أي: ولن تطيقوا وتقدروا^(٢).



(طوف)

تدل مادة (طوف) في اللغة عموماً على دوران الشيء على الشيء والحفّ به^(٣). يقال: طاف حول البيت يطوف طَوْفاً وَطَوْفاً وَطَوْفَاناً، وَأَطَافَ بِهِ وَاسْتَطَافَ وَتَطَوَّفَ^(٤). وَرَجُلٌ طَافَ كَثِيرَ الطَّوْفِ وَتَطَوَّفَ، أي: طَافَ، وَطَوَّفَ: أَكْثَرَ التَّطَوُّفِ^(٥). والطائفة من الخلق: الجماعة تطيف بالواحد أو بالشيء^(٦). والطوفان: المطر الغالب والماء الغالب يغشى كل شيء^(٧) ويطوف به.

(١) ينظر: الخصائص: ٢٦٧/٣.

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ص ١٥٠، ١٥١، وينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٨٠/٢، وينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد الكلاباذي: ص ٤٧.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٣٢/٣ (طوف).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٣٢/٣، وينظر: الصحاح: ١٣٩٦/٤ (طوف).

(٥) ينظر: الصحاح: ١٣٩٦/٤، ١٣٩٧ (طوف).

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٣٢/٣ (طوف).

(٧) ينظر: الصحاح: ١٣٩٧/٤ (طوف).



أما في القرآن: فقد وردت (٥٥) مرة في (٤٩) موضعاً بدلالات حسية ومعنوية، فمن الحسية أن يكون طائف بجنة كانت آية فيما تحويه من النعمة والفضل من الله لأن صاحبها كان يؤدي حق الله فيها، فلما مات بيت أولاده قطاف جنتهم مغافلين أصحاب الحق الفقراء في الصدقة، لأن للفقراء نصيباً مما عند الأغنياء. فلما غافل الفتية الفقراء وعزموا على حرمانهم حرّمهم الله جنتهم بقدرته، فأرسل عليها عذاباً طاف بها فأهلكها. قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْبَمُوا بِصِرْمَتِهَا مُصِيعِينَ * وَلَا يَسْتَنْوُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالْعَصِيرِ ﴾ [القلم: ١٧-٢٠] والطائف لا يكون إلا ليلاً^(١). أي: (فطرق جنة هؤلاء القوم ليلاً طارقاً من أمر الله وهم نائمون)^(٢). فأهلكها ولم يكن بمقدورهم دفع ما حاق بها^(٣). واختلفت أقوال أهل العلم اختلاف تنوع في حقيقة هذا الطائف: فقليل: بلاء^(٤). وقيل: (أصابتها آفة سماوية)^(٥). وقيل: اقتلعها الله من أصولها ووضعت في مكان آخر بقدرة الله، وبأمر منه، وتمكين جبريل عليه السلام من ذلك^(٦)، والطائف عذاب^(٧). أي: أرسل الله عليها ناراً من السماء فاحترقت وهم نائمون^(٨).

وعلى الروايات كلها يعلم أن أهل الجنة لم يكونوا كفاراً، فوجه الشبه بينهم وبين المشركين المضروب لهم هذا المثل هو بطل النعمة والاعتزاز بالقوة.

(١) ينظر: معاني القرآن: ١٧٥/٣، وينظر: جامع البيان: ٣٠/٢٩.

(٢) جامع البيان: ٣٠/٢٩.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٩/١٨.

(٤) ينظر: الكشف: ٥٧٨/٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ٤٠٦/٤.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٩/١٨.

(٧) ينظر: التفسير الكبير: ٨٨/٣٠.

(٨) المصدر نفسه.



وقوله: ﴿فَطَافَ عَلَيْهِ طَائِفٌ مِّن رَّيْدِهِ﴾ عدي (طَافَ) بحرف (على) لتضمينه^(١) معنى التسلط والعلو والقهر. ولم يعين جنس الطائفة لظهور أنه من جنس ما يصيب الجنات من الهلاك. وعدم ذكر جنس الطائفة ونوعه، ولم يعينه حتى يذهب فيه الفاء كل مذهب، لذلك نَكَّرَ وَثَوَّنَ للدلالة على أنه أمر عظيم، ولذلك جعل الجنة بعده كالصريم، وهذا يدل على عظم الجريمة والنية السيئة وآثار إضمار الظلم على البلاد والعباد. وتكوين (طائف) للتعظيم، أي: أمر عظيم، وقد بينه بقوله: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ فهو طائف سوء، وعجل عقابهم بحرمانهم جنتهم بقدره الله قبل التلبس بمنع الصدقة لأنهم عزموا على المنع وتقاسموا عليه، فكأنهم فعلوا ما عزموا عليه أو أنه تحقق منع الصدقة^(٢).

ومن مظاهر تجليات قدرته تعالى إرسال الطوفان سواء بزيادة ماء النيل في مصر أو بزيادة كميات الأمطار الهاطلة في آن واحد. ففي سياق تعداد ألوان العذاب المرسل على بني إسرائيل بسبب عصيانهم ونقضهم للعهد أخبر سبحانه عن هذا اللون من العذاب. فقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] أي: أرسل سبحانه السماء مطراً عليهم في الليل والنهار أياماً متتالية، فضاقت بهم الأرض، وتهدمت بيوتهم، وتعطلت أشغالهم، فسألوا الله أن يرفع عنهم عذابه فرفع عنهم فلم يتوبوا^(٣). وقيل: الطوفان: السيل العظيم^(٤). وحمل المعنى على الموت. قيل: (الموت الكثير الذريع)^(٥).

(١) «من شأنهم أنهم يضمنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه ويستعملونه استعماله مع إرادة معنى المتضمن.. والغرض من التضمين إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى». الأشباه والنظائر في النحو: السيوطي: ٧١/١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٨١/٢٩، ٨٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن: ٣٩٢/١.

(٤) ينظر: مجاز القرآن: ٢٢٦/١، وينظر: تفسير غريب القرآن: ص ١٧١.

(٥) تفسير غريب القرآن: ص ١٧١.



والطوفان في القرآن لم يذكر في موطن رحمة، بل ورد في موطن العذاب. قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]. وقال تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ ﴾ [المنكوت: ١٤]. و(الطوفان): (ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل. قيل: طغى الماء فوق حروثهم)^(١) وحمل المعنى على الجديري فقيل: (الطوفان: الجديري، وهو أول عذاب وقع فيهم، فبقي في الأرض)^(٢). وقول من قال إن (الطوفان) هو الموت^(٣) قول يجلب الإشكال لأنهم لو ماتوا لما كان لإرسال سائر أنواع العذاب عليهم فائدة، ولو أنه صح هذا الخبر أو التأويل لوجب لفظ الموت على حصول أسبابه، أي: أسباب الموت، كالمطر الشديد، أو السيل العظيم^(٤)، ووصف القرآن هذه الآيات مفصول بعضها عن بعض، أي: مبينات ظاهرات لا ينكر عاقل أنها من آيات الله التي لا يقدر عليها أحد غيره^(٥)، دل هذا الوصف أن (الطوفان) دال على قدرة الله لأنه ذكر في مقدمة الآية التي ذكرت الآيات المرسلة على بني إسرائيل لعذابهم.

وجميع هذه المعاني صحيحة لأن من عادة السيول الجارفة أن تحدث الدمار الفوري، وتخلف التشرد والأوبئة القاتلة التي تطوف على معظم الناس ولا يبقى إلا القليل. فالمطر الشديد يشكل السيول، وهذه السيول تتراقد حتى تشكل سيلاً عظيماً يخلف بعده الدمار. أو أن هذه السيول تكون من مكان بعيد فترقد الأنهار، فيكون الطوفان ولاسيما حول الأنهار الكبرى.

٢ ٢ ٢

(١) الكشف: ١٤١/٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢٢٧/١٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.



(طوق)

من دلالات المادة (طوق) في اللغة دلالتها على الطوق من الذهب^(١). وعلى الحية. يقال وجدت حية قد تطوقت؛ أي: صارت كالطوق^(٢).

ومن دلالاتها المعنوية دلالتها على القدرة والاستطاعة، يقال: لست بمطبق لهذا الأمر، وما لي به طوق، وطاقة، وعجز عنه طوقي^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرّات، دلت في إحدى صيغها على القدرة، تجلّى ذلك في معرض الحديث عن الصوم ومتى تكون الفدية، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٌ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، الظاهر يقتضي أن القادر على الصوم تلزمه الفدية سواء أفطر أو لم يفطر، وقيل: وعلى المطيقين للصيام إن لم يكن لهم عذر إن أفطروا^(٤) (فدية طعام مسكين).

وقيل: هذا راجع إلى المسافر والمريض؛ وذلك لأن المسافر والمريض قد يكون منهما من لا يقدر على الصوم ومنهما من يقدر على ذلك^(٥).

أما القسم الأول: فقد أخبر القرآن حكمه في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

أما القسم الثاني: أي: المسافر والمريض اللذان يقدران على الصوم فإليهما الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ فكأنه تعالى أثبت للمريض والمسافر حالتين:

(١) ينظر: أساس البلاغة: ٨٥/٢ (طوق).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، المصباح المنير: ٣٨١/٢ (طوق).

(٤) ينظر: الكشف: ٢٢٤/١.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٨٥/٥.



أولاهما: يلزمه الإفطار وعليه أن يقضي ما أفطر، وذلك في حال الجهد الشديد لو أنه صام.

ثانيهما: أن يكون في مقدوره الصوم ولا يثقل عليه ذلك عندها يكون مخيراً بين أن يصوم وبين أن يفطر مع الفدية^(١)، ومن أهل التأويل من ذهب إلى أنها نزلت بحق الشيخ الهرم والمرأة الحامل والصبي^(٢)، فقد يستطيع كلُّ منهم فعل ذلك لكن مع المشقة، لذا استعمل القرآن الصيغة «يُطِيقُونَهُ» فالطاقة تعني القدرة على الشيء مع المشقة. على حين أن الوسع هو القدرة على الشيء من غير مشقة، ولم يستعمل القرآن الوسع في هذا الموضع، فمال أهل التأويل إلى أن القرآن قصد المذكورين وهم الشيخ الهرم والمرأة الحامل والصبي، فصار المعنى: وعلى الذين بمقدورهم الصوم مع المشقة^(٣).

٢ ٢ ٢

■ (طول)

قال ابن فارس: «الطَّاءُ والزَّوْءُ واللامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ وَامْتِدَادٍ فِي الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ: طَالَ الشَّيْءُ يَطُولُ طَوْلًا»^(٤).

يقال: «طَاوَلْتُ فُلَانًا فَطَلَّئْتُهُ، إِذَا كُنْتُ أَطْوَلَ مِنْهُ»^(٥). وَتَطَاوَلَ فُلَانٌ: إِذَا أَظْهَرَ الطُّوْلَ، أَوْ الطُّوْلَ»^(٦).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٨٥/٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٨٥/٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٤٣٣/٣، ٤٣٤ (طول).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: مفردات القرآن: ص ٥٣٣ (طول).



و«وَاسْتَطَالُوا عَلَيْهِمْ، إِذَا قَتَلُوا مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا قُتِلُوا»^(١). ويقال: «لِفُلَانٍ طَوْلٌ أَيْ: غِنًى»^(٢). وقيل: الطَّوْلُ: المَنُّ والْفَضْلُ^(٣).

أما في القرآن: فقد وردت (١٠) مرات. ودلت صيغة «الطَّوْلِ» منها على القدرة.

تجلت دلالة الغنى الدال على القدرة في قوله تعالى: ﴿حَمَّ • تَزِيلُ أَلَكَنْتِبِ مِنَ اللَّهِ أَلْعَزِيزِ أَلْعَلِيمِ • غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ [غافر: ١-٣]. أي: هو سبحانه ذو الغنى والتفضل والقدرة^(٤).

وصفه سبحانه نفسه بكونه (شديد العقاب) يجوز أن يكون المراد كونه تعالى آتياً بالعقاب الشديد، العقاب الذي يستحقه أصحابه لأنهم عصوا الله. وذكر بعد ذلك كونه ذا الفضل وهو كونه ذا الطول وهو كونه ذا الفضل، ومعناه كونه ذا الفضل بسبب أن يترك العقاب الذي له أن يفعله لأنه ذكر كونه ذا الطول ولم يبين أنه ذو الطول في أمر معين فوجب صرفه إلى كونه ذا الطول في الأمر الذي سبق ذكره، وهو فعل العقاب الحسن دفعاً للإجمال، وهذا يدل على أنه تعالى قد يترك العقاب الذي يحسن منه تعالى فعله^(٥): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

والطَّوْلُ يطلق على سعة الفضل وسعة المال، ويطلق على مطلق القدرة. ووقوع (الطول) في الآية مع (شديد العقاب) ومزاوجتها بوصفي (غافر)

(١) معجم مقاييس اللغة: ٤٣٤/٣ (طول).

(٢) عمدة الحفاظ: ٤٢٦/٢ (طول).

(٣) ينظر: عمدة الحفاظ: ٤٢٦/٢ (طول).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٦٦/٤، وينظر: غريب القرآن: ص ٣٨٥، وينظر: مجاز القرآن:

١٩٤/٢.

(٥) ينظر: التفسير والكبير: ٣٠/٢٧.



الذنب وقابل التوب) ليشير إلى التخويف بعذاب الآخرة من وصف (شديد العقاب)، وبالعذاب الدنيا من وصف (ذي الطول) كقوله تعالى: ﴿أَوْ نُزِيلَنَّكَ الَّذِينَ وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْدِرُونَ﴾ [الزخرف: ٤٢] وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُزِيلَ مَا يَكُنْ﴾ [الأنعام: ٣٧].

وقد اشتملت فاتحة هذه السورة على ما يشير إلى جوامع أغراضها ويناسب الخوض في تكذيب المشركين بالقرآن ويومئ إلى أنهم قد اعتزوا بقوتهم ومكانتهم، وأن قوة الله أقوى من قوتهم فهو صاحب الطول والقدرة، وسيعلمون أن ما مكنوه من قدرة فهي من الله وأنها زائلة عنهم كما زالت عن أمم أشد منهم قوة، فاستوفت هذه الفاتحة كمال ما يطلب في فواتح الأغراض مما يسمى براعة المطلع أو براعة الاستهلال^(١).

ويتحدث القرآن في موضع منه عن أولئك الذين مكنهم الله من أن يكونوا أصحاب طول، لكنهم لم يشكروا الذي خلقهم ولما طلب منهم الجهاد ودعوا إليه استأذنوا رسول الله ﷺ وطلبوا منه أن يكونوا مع القاعدين. قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أَُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ١٨٦]. أولو القدرة على الجهاد وتوفر السعة والغنى^(٢).

وفي تخصيص ﴿أُولُوا الطَّوْلِ﴾ قولان: الأول: أن الذم لهم لزمهم لكونهم قادرين على السفر والجهاد. والثاني: أنه تعالى ذكر الطول لأن من لا مال له ولا قدرة على السفر هو في حل من الاستئذان^(٣).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٠/٢٤، ٨١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٦٣/٢.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٦٠/١٦.



ومن أهل التأويل من يميل إلى أن (الطول) في الآية يعني صحة البدن وليس السعة في المال. قال: «والاقتصار على الطول يدل على أن أولي الطول مراد بهم من له قدرة على الجهاد بصحة البدن. فوجود الطول انتفى عذرهم إذ من لم يكن قادراً ببدنه لا ينظر إلى كونه ذا طول كما يدل عليه قوله به»^(١) ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: ٩١] والطول على العموم يعني الاثنين معاً فقد يكون صاحب صحة و قدرة غير قادر على الالتحاق بجيش المسلمين لسبب عدم وجود راحلة، أو زاد، كما حصل لرسول الله ﷺ حين جاءه من يرغبون في القتال معه. قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعِيشُوا نَفِيسٌ مِّنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَحْدُوثَ مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].



(طوى)

قال ابن فارس: «الطَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ أَضْلُ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِدْرَاجِ شَيْءٍ حَتَّى يُدْرَجَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ»^(٢) وتدلل على البشر يقال: «وَالطَّوِيُّ: الْبَشَرُ الْمَطْوِيَّةُ»^(٣). ومن المجاز قولهم: الطَّيَّانُ هو: الطَّائِي الْبَطْن، ويقال طَوِي؛ وذلك أنه إذا جاع وَضَمَرَ صار كالشيء الذي لو ابْتَغِي طَيُّهُ لَأُمْكِنَ^(٤). والطَّوِيَّةُ الضَّمِيرُ^(٥).

(١) التحرير والتنوير: ٢٨٨/١٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٤٢٩/٣، وينظر: الصحاح: ٢٤١٥/٦ (طوى).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: الصحاح: ٢٤١٥/٦ (طوى).



أما في القرآن: فقد دلت على قدرة الله بِطَيِّهِ السماوات كطي السجل للكتب. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

من القراء من قرأ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي﴾ بالتاء مضمومة وفتح الواو، ومنهم من قرأ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي﴾ بالنون^(١). واختلف المفسرون في تأويل السجل. فمنهم من أول السجل بالصحيفة^(٢). وحمل المعنى على المَلَك. قيل: «السجل: المَلَك»^(٣). وقيل «كاتب كان لرسول ﷺ»^(٤) وقوله (نعيده) أي: نعيد أول الخلق كما بدأناه، تشبيهاً للإعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء. وأول الخلق الإيجاد عن العدم فكما أوجدها سبحانه عن عدم يطويها ليعيدها بقدرته وفق مقتضى مشيئته^(٥).

والآية ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ مستأنفة قصد منها إعادة ذكر البعث والاستدلال على وقوعه وإمكانه وذلك لإبطال زعم المشركين باستحالته أو استحالة وقوعه لاستبعادهم عودة الحياة وبعثها من جديد بعد فناء عظيم ﴿وَقَالُوا لَوْذَا كُنَّا عِظَمًا وَرُفْنًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]. والمناسبة في هذا الانتقال هو ما جرى من ذكر الحشر والعقاب والثواب ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٠]. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ [الأنبياء: ١٠١]. وقد رتب نظم الآية على التقديم والتأخير لأغراض بلاغية والتقدير: نعيد الخلق كما بدأناه أول خلق يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وعداً علينا. فحول النظم فقدم الظرف بادئ ذي بدء للتشويق

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر: ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ٢١٣/٢.

(٣) جامع البيان: ٩٩/١٧.

(٤) الكشف: ١٣٤/٣.

(٥) ينظر: الكشف: ١٣٤/٣.



إلى مُتَعَلِّقِهِ، ولما في الآية التي أضيف إليها الظرف من الغرابة والطباق إذ جعل ابتداء خلق جديد، أي: البعث متزامناً مع نقض خلق قديم وهو طي السماء.

وقوله: «إنا كنا فاعلين» يؤكد بحرف التوكيد لتنزيل المخاطبين منزلة منكري قدرة الله لأنهم لما نفوا البعث بسبب تعذر إعادة الأجسام البالية الفانية فقد أنكروا قدرة الله على طي السماء واستحالة أن يكون بمقدور الله ذلك بزعمهم.

والمراد بقوله: ﴿فَعَلِيلِينَ﴾ أي: أنه الفاعل سبحانه لما وعد به، أي هو القادر. أي: إنا كنا قادرين على ذلك.

وفي ذكر فعل الكون إفادة أن قدرته قد تحققت بما دل عليه دليل قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾.

وأولى الوجوه فيما يتعلق بمعنى (السَّجَلِ) أن يراد به الكاتب الذي يكتب الصحيفة ثم يطويها عند الفراغ من كتابتها، وهو عمل معروف^(١). والله أعلم. وتتجلى القدرة الإلهية في خبر عظيم آخر يدل على قدرة الله القادر الجبار. قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]. قيل: «ترفع السماوات بمطويات إذا رفعت المطويات. ومن قال: (مطويات) رفع السماوات بالباء التي في يمينه، كأنه قال: والسماوات في يمينه. وينصب المطويات على الحال أو على القطع^(٢). والحال أجود»^(٣).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧/١٥٩.

(٢) كأنه يريد بالقطع أن تكون منصوبة بفعل محذوف نحو: أعني.

(٣) معاني القرآن: ٢/٤٢٥، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢/١١١٤.



واختلف أهل التأويل في معنى (يمينه) فقال بعضهم: «في قدرته»^(١). وورد عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: يطوي الله السماوات فيأخذهن بيمينه ويطوي الأرض فيأخذها بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟^(٢). ما أعظم من هذا قدرته وما أعلاه عمّا يضاف إليه من الشركاء^(٣).

قال الرازي: «لا شك أن لفظ القبضة واليمين مشعر بهذه الأعضاء والجوارح، إلا أن الدلائل العقلية قامت على امتناع بثبوت الأعضاء والجوارح لله تعالى، فوجب حمل هذه الأعضاء على وجوه المجاز، فنقول: إنه يقال فلان في قبضته فلان إذا كان تحت تديره وتسخيره. قال تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المعارج: ٣٠] والمراد كونه مملوكاً له، ويقال: هذه الدار في يد فلان، وفلان صاحب اليد، والمراد من الكل القدرة، والفقهاء يقولون في الشروط: قبض فلان كذا وصار في قبضته، ولا يريدون إلا خلوص ملكه، وإذا ثبت تعذر حمل هذه الألفاظ على حقائقها وجب حملها على مجازاتها صوناً لهذه النصوص عن التعطيل»^(٤).

وطي السماوات: استعارة مكنية لتشويش تنسيقها واختلال أبعاد أجرامها فإن الطي رد ولف بعض شقوق الثوب أو الورق على بعض بعد بسطها وانتشارها على نسق مقصود ومناسب، فإذا انتهى المقصود انتهى المنشور، فإثبات الطي للسماوات تخيل. والباء في (بيمينه) للالة والسببية.

(١) معاني القرآن: الأخفش الأوسط: ٤٥٧/٢.

(٢) ينظر: أسباب نزول القرآن. لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي. تحقيق أحمد بن صقر، ط١، سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م: ص ٣٩١، ٣٩٢. (دار الكتاب الجديد لجنة إحياء التراث الإسلامي).

(٣) الكشف: ١٤٠/٤.

(٤) التفسير الكبير: ١٧/٢٧.



واليمين: وصف لليد ولا يد هنا وإنما هي كناية عن القدرة لأن العمل يكون باليد اليمين. والمقصود في قوله (والسماوات مطويات بيمينه) تمثيل عظمة بحال من كانت السماوات مطوية أفلاكها وآفاقها بيده تشبيه المعقول المتخيل، وهي تمثيلية، وفيها دلالة على أن السماوات باقية غير مضمحلة غير أن نظامها المعهود اعتراه تعطيل^(١).

وجميع التأويلات تؤول إلى أن القصد من الآية الكريمة هو ترسيخ الاعتقاد أنه تعالى هو القادر القاهر العظيم الذي تحار العقول والألباب في وصف عظمته وأنه القادر على حفظ الكون ثم إنه متى شاء تَوَلَّى إفناءه فهو قادر على الإيجاد والإعدام.



(طِيب)

الطَّيِّبُ: خلاف الخبيث. وقالوا: ما أطيبه، وما أيطبه^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٤٩) مرة، دلت الصيغة «طَيَّبَكُمْ» على القوة والشباب واللذائذ.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار عن حال الكافرين في الآخرة: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنَّا كُنْهُمُ نَفْسُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠]، أي: أذهبتهم لذائذكم وشبابكم وقوتكم^(٣). فالطيبات هي تلك

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٣، ٦٢/٢٤.

(٢) ينظر: تهذيب الصحاح: ٧٣/١ (طيب).

(٣) ينظر: التفسير المنير: ٤١/٢٦.



التي يستمتع بمعاشيتها الإنسان من جميع الأصناف سواء كانت مادية أو معنوية.

وتجلت الدلالة ﴿طَبَّئْتُ﴾ في موضع من القرآن على الطهارة من الدنس، وفي ذلك قدرة وتمكين، قال تعالى في سياق الإخبار عن حال المتقين في الآخرة: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبَّئْتُ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، أي: طهرتم من دنس المعاصي^(١).

ودلت الصيغة ﴿وَالطُّورِ﴾ (طُوبَى) في موضع من القرآن على العيش الطيب والنعمة والخير والسرور والحسنى والكرامة، وكل ذلك من التمكين والقدرة. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٢٩]، أي: لهم العيش الطيب والنعمة والخير والسرور، والحسنى والكرامة، وقيل: هي شجرة في الجنة، يسير الراكب في ظلها مئة عام^(٢).



﴿طير﴾

تدل المادة (طير) في اللغة على خِفَّةٍ في الهواء^(٣). واستعير لكل سرعة من ذلك الطَّير: جمع طائر. يقال: طار يطير طيراناً^(٤). ثم يقال لكلِّ مَنْ خَفَّ: قد طار^(٥). قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَيْرَ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ: رَجُلٌ مُّسِيكٌ بَعِثَانِ

(١) ينظر: التفسير المنير: ٥٩/٢٤.

(٢) ينظر: التفسير المنير: ١٦٢/١٣.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٣٥/٣ (طير).

(٤) المصدر نفسه: ٤٣٦/٣ (طير).

(٥) المصدر نفسه.



فرسه في سبيل الله، يَطِيرُ على مَنته، كلما سمع هَيْعة، أو فَرْعة، طار على مَنته يبتغي القتل أو الموت مَظَانَّهُ»^(١).

واستطار الفجر: انتشر^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٢٩) مرّة، دلت الصيغة «طَيَّرًا» على القدرة. تجلّت هذه الدلالة في سياق يستعمل الصيغة «طَيَّرًا» للتدليل على قدرة الله، قال تعالى: «وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُنْخِ الْأَمْوَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ» [آل عمران: ٤٩]، أي: طائرًا يطير بعد أن كان طيناً بقدرة الله، والقريبتان المتأخرتان: (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله) زادتا من إكساب الصيغة (طيراً) دلالة على القدرة.

وتجلت الدلالة نفسها في سياق آخر من القرآن استعمل الصيغة (طيراً) للغرض نفسه. قال تعالى: «إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نِّعَمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِ فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي» [المائدة: ١١٠]، أي: فتكون خلقاً طائرًا يدل على قدرة الله.

وتجلت الدلالة على القدرة في سياق ثالث من سياقات القرآن استعمل الصيغة نفسها «طَيَّرًا» مضافة إلى «أَبَايِلَ»، قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْأَفْئِلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدُهُمْ فِي تَضَلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَايِلَ» [الفيل: ١-٣]، أي: جماعات تطير جعلت جيش أبرهة كعصف مأكول، فكان المعنى: وأرسل عليهم قدرة جعلتهم كعصف مأكول^(٣).

(١) أخرجه مسلم رقم الحديث (١٨٨٩) باب فضل الجهاد والرباط.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التفسير المنير: ٤٠٧/٣٠.



واستعمل القرآن في موضع منه الصيغة «مُسْتَطِيرًا» للدلالة على الانتشار وسعته، وذلك في سياق الإخبار عن نعيم الأبرار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُؤْتُونَ بِالنَّذْرِ وَيَنَاقُونَ يَوْمًا كَانَ ثَرْؤُهَا مُسْتَقِيرًا﴾ [الإنسان: ٥-٧]. أي: فاشياً منتشراً في البلاد^(١). وهذا الشرُّ الفاشي والمنتشر إنما هو بقدرة الله.



■ (طين)

يقال طأنه الله تعالى على الخير؛ أي: جبّله^(٢). وكأَنَّ معناه، والله أعلم، من طنت الكتاب، أي: ختمته^(٣)؛ كأنه طبعه على الخير وختم أمره به^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (١٢) مرّة، دلت الصيغة المنكرة «طِينٍ» على القدرة.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١]، قوله تعالى: ﴿مِّن طِينٍ﴾ يشعر أن الطين المذكور في الآية مادة لا شأن لها، فيؤول المعنى: إني سأخلق بشراً من مادة لا أهمية لها، وبالرغم من ذلك فما عليكم إلا السجود له. ومثل ذلك ورد في موضع آخر من القرآن يبين أن الإنسان خُلِقَ من ماء مهين: ﴿أَنزَلْنَاهُ مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]، والحقيقة أن الطين المذكور في الآية الأولى والماء المهين في

(١) ينظر: التفسير المنير: ٢٨٦/٢٩.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٣٧/٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.



الثانية ليسا إلا دليلاً على قدرة الله تعالى؛ لأن أيَّ خلق في الكون لا يُخلَق عبثاً، ولو أخضع الطين والماء المهين للفحص والتحليل لظهر أنهما من عظيم القدرة وجلال الصنعة.



حرف الظاء

﴿ظعن﴾

الظاء والعين والنون أصل واحد صحيح يدل على الشخص من مكان إلى مكان^(١). تقول: ظَعَنَ يَظْعُن ظَعْنًا وَظَعْنًا إذا شَخَصَ^(٢). وَالظَّعَائِنُ: الهَوَاجِجُ، كان فيها نساء أو لم يكن^(٣). وهذا أصح القولين؛ لأنه من أدوات الرَّحِيلِ^(٤). وَالظُّعُونُ: البعير الذي يُعَدُّ لِلظَّنِّ^(٥). وَالظُّعَانُ: الحبل الذي يُشَدُّ به القَتَبُ على البعير^(٦).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة الجمعية للخطاب ﴿ظَعْنِكُمْ﴾ على الرّحلة من أجل التمكين والقدرة.

(١) مقاييس اللغة: ٤٦٥/٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.



تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق التفضل والمن: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النحل: ٨٠]، أي: وقت ترحالكم طلباً للكلأ والمرعى، أي: طلباً للقدرة والتمكين^(١).

٢٢٢

■ (ظفر)

الظْفَرُ بِالشَّيْءِ: الْفَوْزُ بِهِ^(٢) يقال: ظَفَرَ يَظْفَرُ ظَفْرًا^(٣). وَالْمُظْفَرُ: صَاحِبُ الْقُدْرَةِ فِي الْحَرْبِ وَصَاحِبُ الدَّوْلَةِ فِيهَا^(٤)، وَأَظْفَرَهُ اللَّهُ يَعْزُوهُ وَظَفَرَهُ بِهِ تَظْفِيرًا^(٥).

أما في القرآن: فقد استعمل القرآن الصيغة ﴿وَالظُّورِ﴾ (أَظْفَرَكُمْ) لتدل على التمكين من العدو قال تعالى: ﴿وَمَوْ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]. أي: «خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح»^(٦). أما من ذهب إلى أن بطن مكة أرض في الحديبية جزء منها من الحرم، فقد أول ﴿أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ بإبرام الصلح مع المشركين، وإبرامه ظفر للمسلمين^(٧). وبعض المسلمين رأى في الصلح

(١) ينظر: البيضاوي: ٥٥٣/١.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٦٦/٣ (ظفر).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: الصحاح: ٧٣٠/٢ (ظفر).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) الكشف: ٣٣٢/٤.

(٧) ينظر: تنوير الأذهان مع تفسير روح البيان: ٩١/٤.



انتقاصاً لحقهم^(١). ولم يحصل يوم الفتح كف كامل عن القتل فقد قتل من كلا الطرفين^(٢). وسواء أكان الظفر بالصلح أم بدخول مكة فإنه نصر للمسلمين وقهر للكافرين. فالكافرون ما كانوا ليتصوروا يوماً أنهم يعترفون بقوة محمد ﷺ ويتعاملون معه معاملة النذ للند. وهذا هو الدليل على تنامي قوة المؤمنين، وتراجع قوة الشرك.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ ذلك منة منه سبحانه على المؤمنين بأن الظفر كان لهم، في ظروف تجعله مستبعداً لأن المكان الذي حصل فيه الظفر (بطن مكة)، أي: في عقر دار الشرك، وأسباب الظفر متوافرة للمشركين أكثر مما هي متوافرة لدى قوة ابتعدت عن مركز مددها، ومع ذلك حصل النصر بتمكين الله أن سَلَّمَ الله القوة المؤمنة وكَفَّ أيدي الكافرين عنها بما ألقى فيهم من الرعب، فكان إحجامهم عن قتال المؤمنين نصراً للمؤمنين وتقعيداً لأسس القوة المكافئة، وأما كف أيدي المسلمين، فلأنه كان بعد أن ظفروا بالمشركين، ومتى ظفر الإنسان بعدوه الذي لو ظفر هو به لاستأصله^(٣).

والقرآن نص صراحة على أن المسلمين قد ظفروا بعدوهم بتمكين الله وتقديره إياهم على المشركين. فالمعنى: من بعد أن أنالكُم بغيتكم وما فيه نفعكم وهو الصلح والعودة إلى العمرة في العام القابل.

ويتعلق قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ بفعل (كف) باعتبار تعديته إلى المعطوف على مفعوله، أي: (وأيديكم عنهم) لأنه الكف الذي حصل بعد ظفر المسلمين بفئة المشركين على حسب تلك الرواية بقرينة

(١) ينظر: السيرة النبوية، ابن كثير: ٣٢٠/٣.

(٢) ينظر: السيرة النبوية، ابن كثير: ٥٦٢/٣، ٥٦٣.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٩٨/٢٨.



(من بعد أن أظفركم عليهم). وهذا إشعار أن كف أيدي بعضهم عن بعض كان للمسلمين أن متوا على المشركين بعد التمكن منهم والقدرة عليهم. فعدى (أظفركم) بـ (على) لتضمنه معنى أيديكم وإلا فحقه أن يعدى بالباء^(١).

٢٢٢

﴿ظلل﴾

قال ابن فارس: «الظاء واللام أصل واحد يدل على سِترٍ شيءٍ لشيءٍ، ويسمى الظُّلُّ والجمع ظلالٌ»^(٢). ويوصف الظُّلُّ بِالظِّلِيلِ لِدَوَامِهِ^(٣). وَالْمِظْلَةُ بَيِّنَةٌ كَبِيرٌ مِنَ الشَّعْرِ يَتَقَى بِهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْمَطَرِ^(٤). «وَأَظْلَّ يُؤْمِنَا دَامَ ظِلُّهُ»^(٥).

يُقَالُ: أَظْلَلْتُ فُلَانًا كَأَنَّهُ وَقَاكَ بِظِلِّهِ^(٦). وفلانٌ يَعِيشُ فِي ظِلِّ فُلَانٍ، يعني فِي كَنَفِهِ^(٧).

أما في القرآن: فقد وردت (٣٣) مرة في (٣١) موضعاً. دلت الصيغة ﴿وَوَلَّلْنَا﴾ على قدرة الله المتفضل بنعمة الإظلال حتى على الذين جحدوه وأنكروه، ففي كل مرة يعصونه يتوب عليهم ويستجيب لهم فيما يطلبونه من نبيهم، قال تعالى في سياق الحديث عن بني إسرائيل في التيه: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧]؛ أي: «سخر الله لهم السحاب يظللهم»^(٨).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٦/٢٦.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٦١/٣، وينظر: الصحاح: ١٧٥٥/٥ (ظلل).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٦١/٣، وينظر: الصحاح: ١٧٥٦/٥ (ظلل).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٦١/٣ (ظلل).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ينظر: الصحاح: ١٧٥٦/٥ (ظلل).

(٨) معاني القرآن وإعرابه: ١٣٨/١.



أي: سخر الله بقدرته السحاب يسير بسيرهم يظللهم من الشمس^(١).

٢ ٢ ٢

■ (ظلم)

من دلالات المادة (ظلم) في اللغة دلالتها في بعض صيغها على الظلام، فالظُّلْمَة جمع ظلمات^(٢). والظُّلَام: اسم الظلمة؛ وقد أظْلَمَ المكان إظلاماً^(٣). وظَلَمَهُ يَظْلِمُهُ ظُلْماً^(٤). ويقال ظَلَمْتُ فلاناً: نسبته إلى الظُّلْم^(٥). وظَلَمْتُ فلاناً فَاظْلَمَ وَاِنْظَلَمَ، إذا احتمل الظُّلْم^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (٢٩٠) مرّة، دلت الصيغة المعرفة بـأل على الأذى الذي يلحقه الأقوياء بالضعفاء.

تجلت هذه الدلالة في سياق الحضر على القتال في سبيل الله دفاعاً عن مستضعفي المسلمين من الرجال والنساء والولدان، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]، فالآية لا تعذر في ترك المقاتلة وقد بلغ حال المستضعفين من الرجال والنساء والولدان من المسلمين مبلغه من الضعف في مقابلة القوة الغاشمة والقدرة الكبيرة الظالمة، أي: (مشركو مكة). وبين القرآن العلة التي

(١) ينظر: الكشاف: ١/١٤٤، وينظر: التفسير الكبير: ٣/٩٣.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/٤٦٨ (ظلم).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.



صار القتال واجباً، وهو ما في القتال من تخليص هؤلاء المؤمنين من أيدي الكفرة ذوي القدرة والقوة والموصوفين بالظلمة. وأجمع أهل التأويل على أن المراد من هذه القرية الظالم أهلها مكة، ووصفوا بالظلم لأنهم كانوا يؤذون المسلمين ويوصلون إليهم أنواع المكاره^(١).

وأخبر القرآن في سياق منه بأن القوة الغاشمة قد استعملت للإضرار بالمستضعفين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَيُّ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۖ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ أَلَا يَنقُوزُ ۚ﴾ [الشعراء: ١٠-١١]، واستحضار قوم فرعون بوصفهم بالقوم الظالمين إيماء إلى علّة الإرسال، وفي هذا الإجمال توجيه نفس موسى ﷺ لترقب تعيين هؤلاء القوم بما يبينه وإثارة لغضبه عليهم حتى ينضم داعي غضبه عليهم إلى داعي امتثال أمر الله الذي بعثه إليهم، وذلك أوقع لكلامه في نفوسهم. وفيه إيماء إلى أنّهم اشتهروا بالظلم. ثم عقب بذكر وصفهم الذاتي بطريقة البيان وهو قوله: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ﴾، وفي تكرير كلمة (قوم) موقع من التأكيد فلم يقل: انت قوم فرعون الظالمين.

٢ ٢ ٢

(ظماً)

الظاء والميم والحرف المعتل والمهموز أصل واحد يدل على ذبول وقلة ماء^(٢). والظُّمَأُ: العطش، تقول: ظمئت أظماً ظمأً^(٣).

يقولون: رُمِحَ أَظْمَى: أسمر رقيق^(٤).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٨٨/١٠.

(٢) مقاييس اللغة: ٤٧٠/٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت ثلاث مرّات، دلت الصيغة المضارعية المنفية المفردة ﴿لَا تَظْمَأُ﴾ على القدرة والتمكين.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار الصادق: ﴿فَقُلْنَا يَتَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْوَانِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۖ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ۖ﴾ [طه: ١١٧-١١٩]، إنه بيان وتذكير لما له في الجنة من أسباب الكفاية والتمكين والقدرة كالشبع والرّي والكسوة وغير ذلك كثير^(١).



(ظهر)

قال ابن فارس: «الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوّة وبروز. من ذلك ظَهَرَ الشيءُ يَظْهَرُ ظُهُوراً فهو ظَاهِرٌ، إذا انْكَشَفَ وَبَرَزَ»^(٢) ويقال: «رجل مُظْهَرٌ، أي: شَدِيدُ الظَّهْرِ»^(٣). وتدل على البعير القوي. فالظَّهِيرُ: الْبَعِيرُ الْقَوِيُّ^(٤). «وَالظَّهِيرُ: الْمُعِينُ»^(٥). «وَالظَّهْرُ: الْعَلْبَةُ»^(٦) وتعني القوم «جاء فلانٌ في ظَهْرَتِهِ وناهُضَتِهِ، أي: قومه. وإنما سُمُوا ظَهْرَةً لَأَنَّهُ يَتَقَوَّى بِهِمْ»^(٧).

أما في القرآن: فقد وردت (٥٩) مرة في (٥٧) موضعاً، دلت في إحدى صيغها على المعاونة والتقوية. قال تعالى في سياق النهي: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ

(١) ينظر: البيضاوي: ٦٠/٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٤٧١/٣ (ظهر).

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤٧١/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٤٠ (ظهر).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) معجم مقاييس اللغة: ٤٧١/٣، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٤٠ (ظهر).

(٧) معجم مقاييس اللغة: ٤٧٢/٣ (ظهر).



عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ [المتحنة: ٩] فأهل مكة فريقان: منهم من يأتي بالأسباب التي لا يطبق المسلمون معها الاستمرار في الحياة بمكة، ومنهم المعين على ذلك والمغري للعتاة منهم في الضغط على المسلمين^(١). ومعناها تآزرهم وتعاونهم أي تقوية بعضهم بعضاً بجميع السبل لإخراج المؤمنين.

ويقول سبحانه: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُم بِهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢] أي: «من معين»^(٢)، أي: «ما فوض إلى شيء شيئاً، بل هو على كل شيء حفيظ ورقيب»^(٣). والظهير في الآية: المعين، نفى سبحانه وتعالى أن يكون منهم معين له^(٤).

وتحدى القدير سبحانه الإنس والجن الإتيان بمثل هذا القرآن، حتى لو كان بعضهم لبعض مقبياً ومقدراً ومعيناً. قال تعالى: ﴿ قُل لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء: ٨٨]. وقوله: ﴿ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ في موقع الحال من ضمير (لا يأتون). والمعنى: «ولو تعاون الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما أتوا بمثله فكيف إذا حاولوا ذلك متفرقين»^(٥) وفي ذلك تدليل على فائدة الاجتماع والتأكيد عليه، لأن في الاجتماع تضافر القوى، وتوحد

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٤/٢٨.

(٢) مجاز القرآن: ١٤٧/٢.

(٣) التفسير الكبير: ٢٥٦/٢٥.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٧/٢٢.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٠٣/١٥.



الأهداف والمقاصد. وهذه الآية من المفحمت للمشركين في التحدي بإعجاز القرآن^(١).

وأخبر سبحانه في موضع من القرآن عن إرساله محمداً ﷺ بدين الحق ليقدر على كل المعتقدات التي تخالف دين الله، وهل ما يغيظ المشركين. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

أي: ليغلبه على الدين كله^(٢). وحمل المعنى على القدرة، أي: «ليغلبه على كل دين ويقدره على أربابه»^(٣). و«الغالب: القادر على كسر حد الشيء عند مقاومته باقتداره. والقاهر القادر على المستصعب من الأمور»^(٤).

فإذا كان بمقدور الغالب كسر حد الشيء باقتداره. معناه أنه يمتلك قدرة تمكنه، من التغلب على المقاوم المقابل باقتداره، ولولا ذلك لما وصف أنه الغالب. فالصيغة «لِيُظْهِرَهُ» دلّت على القدرة والغلبة والقهر، أي: ليقدره على أتباع الديانات الزائفة فتكون له الغلبة.

وتجلت دلالة الصيغة «ظَهَرَيْنِ» على القدرة في سياق الحديث عن موسى ﷺ وقصته مع فرعون حين أراد قتله، فساق الله رجلاً من آل فرعون يدافع عن موسى ﷺ على أحسن الوجوه، وبالع في تسكين الفتنة، واجتهد في إزالة الشر عن موسى ﷺ، ومن بين ما قاله الرجل المؤمن لمن يريدون

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٣/١٥.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ٥٤١.

(٣) إصلاح الوجوه والنظائر: ص ٣١٣.

(٤) الفروق اللغوية: ص ٨٥.



إِهْلَاكَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُ: ﴿يَقْوَمُ لَكُمْ أَمْلُكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ [غافر: ٢٩].

أي: لقد علوتم الناس وقهرتموهم، فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله وانتقامه فإنه عليكم لقادر ولا قبل لكم به^(١).



(١) ينظر: التفسير الكبير: ٦٠/٢٧، وينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: تأليف نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري م (٧٢٨) هـ. تحقيق ومراجعته إبراهيم عطوة عوض. شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. محمد محمود الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م: ٤١/٢٤.

حرف العين

■ (عبأ)

تدل مادة (عبأ) في اللغة في بعض صيغها على التَّهْيئة، قيل: «عَبَّيْتُ الكُتَيْبَةَ أُعَبِّيهَا تَعْبِيَةً، إِذَا هَيَّأْتُهَا»^(١). وقيل: «عَبَّأْتُ الْجَيْشَ»^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة المنفية (ما يعبأ) على الاستغناء والقدرة وعدم الحاجة لأحد.

تجلت هذه الدلالة في سياق الأمر، فقد أمر الجليل القدير نبيّه محمداً ﷺ أن يقول للناس: إن الله غني عن عبادتهم، وأنه تعالى إنما كلفهم لينتفعوا بطاعتهم إياه ليحصلوا على ثوابه وعطائه، فهو الغني ولا حدّ لغناه.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْزُبُا بِكَ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ١٧٧]، أي: ما يصنع بكم ربي لأنه لا شأن لكم لولا أنه يريد

(١) مقاييس اللغة: ٢١٦/٤ (عبأ).

(٢) المصدر نفسه.



بكم خيراً ونفعاً يعود عليكم^(١). وقيل: وجودكم وعدمه عند الله سواء^(٢)، وقيل: لا وزن لكم عند ربكم^(٣). وقيل: ما يبالي بكم ربي لأنه مستعلٍ مستغن عنكم قادر على كل شيء لا يعجزه شيء ولا ينقصه شيء^(٤).



(عبد)

من دلالات المادة دلالتها على القُوَّة والصلابة؛ فالعَبْدَةُ: القُوَّة والصلابة؛ يقال: هذا ثوبٌ له عبْدَةٌ، إذا كان صفيقاً قوياً^(٥). ومنه علقمة بن عبْدَةَ، بفتح الباء^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (٢٧٥) مرَّة، دلت الصيغة مضافة إلى هاء الغيبة الدالة على الجليل ﴿عِبَادَتِهِ﴾ على القدرة.

تجلَّت هذه الدلالة في سياق القدرة ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، أي: لا يتعظمون عنها لأنها عبادة عظيم وهو الجليل سبحانه القادر على كل شيء^(٧).

ومن يستكبر عن عبادة الله كأنه يتحدى قدرته وليس له في هذه الحالة إلا الصُّغَارُ في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٦/٢٤، وينظر: التحرير والتنوير: ٨٥/١٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٠٦/٤.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

(٧) ينظر: البضاوي: ٦٧/٢.



إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ أي: استنصروني وتقووا بي فإني ألبى نداءكم، إن الذين يتكبرون عن الاستنصار بي ليس لهم إلا الصغار والحسرة والعذاب في جهنم^(١).

٢ ٢ ٢

■ (عبر)

تدل المادة (عبر) في اللغة على النفوذ والمضي في الشيء^(٢). يقال: عَبَّرْتُ النَّهْرَ غُبُورًا^(٣). والمعبر: سفينة يُعبر عليها النَّهْرُ^(٤).

وَالشَّطُّ يُعْبَرُ وَيَعْبَرُ إِلَيْهِ^(٥). وَعَبَّرَ الرَّؤْيَا يَعْبِرُهَا عَبْرًا وَعِبَارَةً، وَيُعْبَرُهَا تَعْبِيرًا، إِذَا فَسَّرَهَا^(٦). ويقال: عَبَّرْتُ عَنْ فُلَانٍ تَعْبِيرًا، إِذَا عَيَّ بِحُجَّتِهِ فَتَكَلَّمْتُ بِهَا عَنْهُ^(٧). والعبر: أخلاط طيب^(٨).

أما في القرآن فقد وردت (٩) مرَّات، دلت الصيغة الجمعـية «تَعْبُرُونَ» على التفسير المشعر بالقدرة.

تجلَّت هذه الدلالة في سياق يتحدث عن رؤيا الملك ملك مصر وقت كان يوسف عليه السلام بالسجن بسبب كيد النسوة ومكرهن: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ

(١) ينظر: البيضاوي: ٣٤٤/٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٠٧/٤ (عبر).

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٨/٤ (عبر).

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه: ٢٠٩/٤ (عبر).

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.



سَمِعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَعْبٌ عِمَاقٌ وَسَمِعَ سُبُكَّتٍ خُضِرٍ وَأَخْرَ يَاسِبَتٍ
يَكَايَهَا أَمَلًا أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُ لِلرُّءْيَا نَعْبُوتَ ﴿٤٣﴾ [يوسف: ٤٣]، أي: تُفَسِّرُون. إنه
تعالى جعل تلك الرؤيا سبباً لخلاص يوسف عليه السلام من السجن، وذلك لأن
الملك قلق واضطرب بسبب الرؤيا؛ لأنه شاهد أن الناقص الضعيف استولى
على الكامل، فشهدت فطرته بأن هذا ليس بجيد، وأنه منذر بنوع من أنواع
الشر؛ إلا أنه ما عرف كيفية الحال فيه.

والشيء إذا صار معلوماً من وجه وبقي مجهولاً من وجه آخر عظم تشوق
الناس إلى تكميل تلك المعرفة، وقويت الرغبة في إتمام الناقص ولاسيما إذا
كان الإنسان عظيم الشأن واسع المملكة، وكان ذلك الشيء دالاً على الشر من
بعض الوجوه، فهذا الطريق قوى الله داعية ذلك الملك في تحصيل العلم
بتعبير هذه الرؤيا، ثم إنه تعالى أعجز المعبرين الذين حضروا عند ذلك الملك
عن جواب هذه المسألة وعماء عليهم ليصير ذلك سبباً لخلاص يوسف من
تلك المحنة، فقدّره الله تعالى على تفسير ذلك الحلم. واعلم أن القوم ما نفوا
عن أنفسهم كونهم عالمين بعلم التعبير، بل قالوا: إن علم التعبير على قسمين:
منه ما تكون الرؤيا فيه متسقة منتظمة فيسهل الانتقال من الأمور المتخيلة إلى
الحقائق العقلية الروحانية، ومنه ما تكون فيه مختلطة مضطربة ولا يكون فيها
ترتيب معلوم وهو المسمى بالأضغاث، والقوم قالوا: إن رؤيا الملك من قسم
الأضغاث ثم أخبروا أنهم غير عالمين بتعبير هذا القسم، وكأنهم قالوا هذه
الرؤيا مختلطة من أشياء كثيرة وما كان كذلك فنحن لا نهتدي إليها ولا يحيط
عقلنا بها، وفيه إيهام أن العامل في هذا العلم والمتجر فيه قد يهتدي إليها،
فعند هذه المقالة تذكر ذلك الشرابي واقعة يوسف، فإنه كان يعتقد فيه كونه
متبحراً في هذا العلم قادراً عليه متمكناً فيه^(١).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٥٠/١٨، ١٥١.



(عبس)

العَبَسُ: الأسد^(١). واليوم العَبُوس، وهو الشديد الكربة^(٢).

وعَبَسَ الرجل يَعْْبِسُ عُبُوساً، وهو عابس الوجه: غضبان^(٣). وعباش، إذا كَثُرَ ذلك منه^(٤).

أما في القرآن فقد وردت ثلاث مَرَّات، دلت الصيغة المنكرة «عُبُوساً» على الشدة.

تجلَّت هذه الدلالة في سياق يتحدث عن الأبرار وخوفهم من أهوال أيام القيامة وما يفعلونه في الدنيا اتقاءً لذلك. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْآثِرَارَ يَنْشُرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَتْ مِرَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّلَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٥-١٠]، ووصف اليوم بالعبوس على معنى الاستعارة، شبه اليوم الذي تحدث فيه حوادث تسوءهم برجل يخالطهم يكون شرس الأخلاق عبوساً في معاملته. (عبوساً) منصوباً على المفعول لفعل (نخاف)، أي: نخاف غضبان شديداً الغضب، هو ربنا، أو يكون (عبوساً) حال (من ربنا) أو (عبوساً) صفة لـ (يوماً) والمعنى: نخاف عذاب يوم هذه صفته، ففيه تأكيد الخوف بتكرير متعلِّقه ومرجع التكرير إلى كونه خوف الله لأن اليوم يوم عدل الله وحكمه^(٥).

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: تهذيب الصحاح: ٣٨١/١ (عبس).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٢١١/٤ (عبس).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٨٦/٢٩.

(عَبَقَر)

العبقَر: موضعُ تزعم العربُ أنَّه من أرض الجن^(١). ثم نسبوا إليه كل شيءٍ تعجبوا منه، فخطبهم الله بما تعارفوه^(٢). فقال: ﴿وَعَبَقَرِي حَسَنٌ﴾ [الرحمن: ٧٦].

أما في القرآن فقد وردت مرَّة واحدة، دلت الصيغة المنكرة المضافة لياء النسب ﴿وَعَبَقَرِي﴾ على غاية الحسن والجودة والإتقان.

تجلت هذه الدلالة باستعمال القرآن للصيغة المذكورة في سياق السرد لما في الجنان من نعيم، قال تعالى: ﴿فِيَنَّ خَيْرٌ حَسَنٌ * فَإِيَّ ءَالَءِ رِيَكُمَا تُكْذِبَانِ * حُرٌّ مَّقْصُورٌ فِي الْخِيَارِ * فَإِيَّ ءَالَءِ رِيَكُمَا تُكْذِبَانِ * مَتَكِينٌ عَلَى رَقَرِفٍ حُضِرِ وَعَبَقَرِي حَسَنٌ﴾ [الرحمن: ٧٠-٧٦]، أي: الفائق في صنفه عزيز الوجود، تجاوز العادة في الإتقان والحسن، حتى لكأنه ليس من الأصناف المعروفة في أرض البشر^(٣).

٢ ٢ ٢

(عَتَد)

من دلالات المادة (عتد) في اللغة دلالتها في بعض صيغها على الحضور. فمن ذلك قولهم: عَتَدَ الشَّيْءُ، وهو يعتد عَتَاداً فهو عَتِيدٌ حاضر^(٤). وقد أَعْتَدْنَاهُ، وهَيَّأْنَاهُ لِأَمْرٍ إِنْ حَزَبَ^(٥).

(١) ينظر: تهذيب الصحاح: ٣٠٤/١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٥/٢٧.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٢١٦/٤ (عتد).

(٥) ينظر: المصدر نفسه.



ويقال: هذا الفَرْسُ عَتَدَ، أي: مُعَدَّ متى شاء صاحبه رَكِبَهُ^(١).

أما في القرآن فقد وردت (١٦) مرّة، دلت الصيغة «عَتَدَ» على زنة (فعيل) على الفخامة والشدة.

تجلت الدلالة على الشدة والضخامة في سياق الإخبار الصادق أن الإنسان مراقب برباء شديد في مراقبتهم حتى إن ألفاظه التي يتلفظ بها محصاة عليه. قال تعالى: «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (ق: ١٨)، عتيد في الآية الكريمة صفة مشبهة من قولهم: (عَتَدَ) بضم التاء إذا جَسَمَ وضخم كناية عن كونه شديداً. وقيل: العتيد هو الحاضر^(٢). وكل التأويلات تدل على التمكين لهؤلاء الملائكة وإضفاء القدرة عليهم ليقوموا بما كلفهم الله به على أتم صورة.

ودلت الصيغة «أَعْتَدْنَا» على التهيئة والتحضير الدالين على القدرة.

تجلّت الدلالة على التهيئة والتحضير تحضير السلاسل والأغلال والسعير للكافرين يوم القيامة في سياق قرآني يخبر بذلك، قال تعالى: «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا» (الإنسان: ٤)، أي: هيأنا وأحضرنا للكافرين^(٣). وتهيئة السلاسل والأغلال والسعير حتى صارت عتيدة حاضرة لوقت حاجتها، أي: حتى ساعة شدّ أرجل الكافرين وأيديهم بالأغلال إلى رقابهم^(٤) تهيئة دالة على قدرة الله مُخَوِّف الكافرين، فالذي بمقدوره هذا الإحضار العتيد والإعداد السديد لا شك أنه قادر على الكمال.

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠٤/٢٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٧٧/٢٩.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤٠/٣٠.



■ (عتق)

عتق العبد يعتق عتاقاً وعتاقَةً وعتوقاً، وأعتقه صاحبه إعتاقاً^(١). وصار العبد عتيقاً^(٢). وامرأه عتيقة: أي: جميلة كريمة^(٣). وفرس عتيق: رائع بين العتق^(٤). والعتيق الكريم من كل شيء^(٥). وأعتقت المالَ فعتق، أي: أصلحته فصَلَح^(٦). ويقال: عَتَقَتِ الفرس، إذا سَبَقَتْ^(٧). ويقال: ما أَبَيَّنَ العَتَقَ في وَجْهِ فلانٍ، أي: الكرم^(٨). والبيت العتيق: الكعبة^(٩). يقال: «لولا عَتَقُهُ لَقَدْ بلي»^(١٠). والعتيق: الماء؛ وسُمِّيَ بذلك لأنه أجلُّ الأشربة، وفيه الحياة^(١١).

أما في القرآن فقد وردت مرّتين، دلت الصيغة المعرفة بالألف واللام ﴿الْعَتِيقُ﴾ على البيت المحمي من التسلط.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الأمر: ﴿ثُمَّ لَيَقَضُنَّ تَقَسُّهُمَ وَلَيُؤْفِقُنَّ دُورَهُمْ وَلَيَطَّوْفُنَّ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، أي: المعتق من تسلط الجبابرة، أي: المحفوظ بقدرة الله.

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٢١٩/٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٢٠/٤، ٤٢١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

(٧) ينظر: المصدر نفسه.

(٨) ينظر: المصدر نفسه.

(٩) ينظر: المصدر نفسه.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه.

(١١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٢/٤.



■ (عتل)

من دلالات المادة (عَتَل) في اللغة دلالتها على الأكل المنوع الذي يَغْتَلُ الشيء عَتْلًا يُقَالُ لَهُ عُتْلٌ^(١). والعَتْلُ: «الْأَخْذُ بِمَجَامِعِ الشَّيْءِ وَجَزَهُ بِقَهْرِ كَعْتَلِ الْبَعِيرِ»^(٢).

أما في القرآن: فقد دارت حول الدفع والجر الدال على قدرة الدافع وضعف المدفوع. قال تعالى في سياق الحديث عن طعام الأثيم، وما يفعل به في الجحيم: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خَذُوهُ فَاَعْلُوهُ إِنْ سَوَّاهُ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٩]. قودوه بعنف وغلظة^(٣). وادفعوه دفعاً عنيفاً^(٤). وجروه وسوقوه واجذبوه بعنف وقوة إلى جهنم^(٥). ودفع الكافرين من الإنس والجن والشياطين وجرحهم وسوقهم وجذبهم بعنف وقوة بقهر لا يكون إلا بقدرة الله التي تضمحل أمامها القوى والقدرات، فلم يعد للشياطين، والجبابرة من الإنس والجن والممكنين بمشيئة الله في الأرض من فعل ما يفعلون، والمستندرجين ليرى ماذا يفعلون بما مكنهم الله به من قوة وقدرة، كل ذلك الدفع والسوق والجر دليل على قدرة الخالق العظيم الذي جَنَدَ جنوداً لا يعلمها إلا هو، ليدفعوا ويجروا بقهر وليجذبوا بعنف الكافرين إلى جهنم. إنه الأمر من الله بعقلهم وشدهم في إهانة وجفوة، لأنه لا كرامة لكافر ولا هودة معه لأنه

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٤٦.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٤٦، وينظر: أساس البلاغة: ٩٨/٢ (عتل).

(٣) الكشف: ٢٧٤/٤.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٥٣/٢٧.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٠/١٦.



جحد وأنكر قدرة الله^(١). فكم من عتل في الدنيا، موصوف بالشدة والقوة
أَكُولُ شُرُوبٍ يَذْفَعُ الْمَلِكُ مِنْ أَوْلَئِكَ سَبْعِينَ أَلْفًا فِي جَهَنَّمَ دَفْعَةً وَاحِدَةً^(٢).

٢ ٢ ٢

(عتو)

قال ابن فارس: «العينُ والتاءُ والحرفُ المَعْتَلُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى اسْتِكْبَارٍ... عَتَا يَعْتُو عَيْتًا، فَهُوَ عَاتٍ، وَالْمَلِكُ الْجَبَّارُ عَاتٍ، وَجَبَّارَةٌ عَتَاءٌ»^(٣).
ويقال: «تَعَتَّى فُلَانٌ وَتَعَتَّتْ فُلَانَةٌ، إِذَا لَمْ تُطِيعْ»^(٤). «وَالْعُتُوُّ: أَشَدُّ الْفَسَادِ وَأَصْلُهُ
النُّبُو عَنْ طَاعَةِ الْأَمِيرِ»^(٥). وقيل: «الْعُتُوُّ: الْمُبَالِغَةُ فِي رُكُوبِ الْمَعَاصِي وَالتَّمَرُّدِ
فِيهَا، وَالْعَاتِي مَنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ فَلَمْ تَنْفَعْ فِيهِ مَوْعِظَةٌ وَلَمْ يَنْجَحْ فِيهِ إِنْذَارٌ»^(٦).

أما في القرآن: فقد وردت (١٠) مرات في (٩) مواضع دالة في إحدى
صيغها على الشدة والقوة، ففي سياق الإخبار عن إهلاك عاد بريح موصوفة
بالعتو تجلت هذه الدلالة. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا أَهْلُكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ
عَارِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦] بريح شديدة البرودة شديدة القوة^(٧) تهب عليهم بشدة
تقتلعهم^(٨)، متجاوزة للحد في الشدة والقوة^(٩). تعصف بهم عصفاً^(١٠). فقد

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٣٢١٧/٢٥.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٣٣/١٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٢٢٥/٤ (عتو)، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٤٦ (عتا).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) عمدة الحفاظ: ٢٨/٣ (عتو).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) معاني القرآن وإعرابه: ٢١٤/٥.

(٨) تفسير القرآن العظيم: ٤١٣/٤.

(٩) ينظر: عمدة الحفاظ: ٢٨/٣.

(١٠) ينظر: الكشف: ٥٨٧/٤.



عتت على عاد، فما قدروا على ردها بأي وسيلة، كأن يستتروا ببناء أو يلوذوا بجبل، أو اختفاء في حفرة؛ فإنها كانت تخرجهم من مخابثهم وتهلكهم^(١)، والمعنى: أنها مفرطة في الشدة والقوة بحيث لا مانع عندهم لها^(٢). وقيل: «عتت عليهم حتى نقت عن أفئدتهم»^(٣). وقيل: عتت على خزنتها يومئذ، فلم يحفظوا كم خرج منها، ولم يخرج قبل ذلك، ولا بعده منها شيء إلا بقدر معلوم^(٤). قال ﷺ: طغى الماء على خُزَّائِهِ يَوْمَ نُوحٍ، وعتت الرياح على خزانها يوم عاد، فلم يكن لهم عليها سبيل^(٥).

فإذا كانت هذه الرياح الموصوفة بالشديدة الباردة، أو شديدة الهبوب والعصف، والمتجاوزة في القوة والعاتية بحيث لم تستطع قوة عاد الصمود أمامها، فلا شيء يصددها، حتى أتت عليهم فأهلكتهم. إذا كانت هذه خصائصها فإنها من الدلائل الواضحات على قدرة الله مرسلها.



(عثأ)

عَثَا فِي الْأَرْضِ يَعْتُو: أَفْسَدَ^(٦)، وَهُوَ أَشَدُّ الْفَسَادِ^(٧). وَكَذَلِكَ عَثِيَ يَعْنِي^(٨).

(١) ينظر: الكشف: ٥٨٧/٤، وينظر: التفسير الكبير: ١٠٤/٣٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٤١٣/٤.

(٤) التفسير الكبير: ١٠٣/٣٠.

(٥) ينظر: الجامع الصحيح سنن الترمذي: ٧٠٣/٤، ٤٢٩/٥.

(٦) ينظر: تهذيب الصحاح: ١٠٢١/٣ (عثأ).

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (٥) مرّات، دلت الصيغة المضارعية المقترنة بلا الناهية (ولا تعتوا) على الظن بالنفس القوّة والقدرة إلى الحد الذي يُنسى فيه الظانُّ قدرة الله فينحرف عن الحق.

تجلّت هذه الدلالة في سياق التفضل والنهي، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]، قوله: ﴿وَلَا تَعْتُوا﴾ من جملة ما قيل لهم، ووجه النهي عنه أن النعمة قد تُبْطِطُ صاحبها، فيظن في نفسه القدرة، فينسى حاجته إلى الخالق، فيهجر الشريعة، فيقع في الفساد، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ أَن رَّاهُ اسْتَفْتَىٰ﴾ [العلق: ٦-٧].

وتجلّت الدلالة نفسها في موضع آخر من القرآن، قال تعالى في سياق التذكير والنهي: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْتَحِنُونَ أَلْجِبَالُ يُّوْتًا فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٤]، أي: ولا تفسدوا أشد الفساد. وقوله: ﴿مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لمعنى ﴿تَعْتُوا﴾^(١).

والقرائن الدلالية التي سبقت الصيغة وهي (خلفاء)، و(وبوّأكم)، و(قصوراً)، و(تنتحون) كلها تؤكد أن الذين عثوا شعروا في أنفسهم بالقدرة، فبطرت نفوسهم، واغتروا بقوتهم، فعثوا وأفسدوا أشد الفساد.



■ (عشر)

تدل المادة (عشر) في اللغة. على الاطلاع على الشيء^(١). يقال: عَثَرَ الرجل يَعَثُرُ عُثُوراً وَعَثْراً، إذا اطلع على أمرٍ لم يطلع عليه غيره^(٢). وأعْثَرْتُ فلاناً على كذا، إذا أطلَعْتُهُ عليه^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مؤتين، دَلَّت الصيغة «أَعَثَرْنَا» على الظفر بالشيء بعد طلبه وفي ذلك تمكين وقدره.

تجلَّت هذه الدلالة في قصة خبر أهل الكهف، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١]، انتقل إلى جزء القصة الذي هو موضع عبرة أهل زمانهم بحالهم وانتفاعهم باطمئنان قلوبهم لوقوع البعث يوم القيامة بطريقة التقريب بالمشاهدة وتأيد الدِّين بما ظهر من كرامة أنصاره.

وقد كان القوم الذين عثروا عليهم مؤمنين مثلهم، فكانت آيتهم آية تثبيت وتقوية إيمان.

أي: ظفروا بهم بعد طول بحث، واطلعوا على وضعهم، وعثروا عليهم للحكمة التي في قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الكهف: ٢١].

ومفعول (أَعَثَرْنَا) محذوف ذَلَّ عليه عموم ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩]، تقديره: أعثرنا أهل المدينة عليهم^(٤). وهذا من التمكين والإقدار.



(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٢٨/٤ (عشر).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٨/١٥.

(عجب)

العُجْبُ، وهو أن يتكبر الإنسان في نفسه. تقول: هو مُعَجَّبٌ بِنَفْسِهِ^(١). وتقول من باب العَجَب: عجب يَعَجِبُ عَجَبًا، وأمرٌ عجيب، وذلك إذا استكبر واستعظم^(٢). وفُزِّقَ بين العَجِيب والعُجَاب. فأما العجيب فهو الأمرُ يُتَعَجَّبُ منه^(٣)، وأما العُجَاب فالذي يُجاوِز حدَّ العجيب^(٤). والاستعجاب: شدة التعجب؛ يقال هو مُسْتَعَجِبٌ ومُتَعَجِّبٌ مما يرى^(٥). وقِصَّةٌ عَجَبٌ. وأعجبنى هذا الشيء، وقد أعجبت به. وشيءٌ مُعْجِبٌ، إذا كان حسنًا جدًّا^(٦). أما في القرآن فقد وردت (٢٧) مرَّة، دلت الصيغة المنكرة «عَجَبًا» على الأمر العظيم الذي يثير الدهشة لعظيم القدرة.

تجلت هذه الدلالة في قصة موسى وفتاه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي نَافِلًا غَدَاةً لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۚ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۚ﴾ [الكهف: ٦٢-٦٣]، قوله: «عَجَبًا» جملة مستأنفة، وهي من حكاية قول الفتى؛ أي: أعجب له عجبًا.

فانتصب على المفعول المطلق الآتي بدلاً من فعله^(٧)، أي: (واتخذ سبيله في البحر) بقدرة الله تلك القدرة التي يعجب لها رائيها لعظمها، فالحوت

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٤٣/٤ (عجب).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٤/٤ (عجب).

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٦٧/١٥.



الذي كان مشوياً معداً للأكل ها هو يعود بقدرة الله إلى البحر، والعجب هنا ليس معناه إنكار القدرة ولكن لأنه لم يسبق أن تعود الإنسان على مثل تلك الظاهرة.

وتجلت الدلالة نفسها في موضع آخر من القرآن في سياق يتحدث عن عجب زوج إبراهيم من البشري التي بشرتها بها الملائكة: ﴿قَالَتْ يَتُولى إِلَهُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢].

لقائل أن يقول إنها تعجبت من قدرة الله تعالى والتعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر؛ لأن الجهل بقدرة الله تعالى يوجب الكفر.

والجواب: إنها إنما تعجبت بحسب العرف والعادة لا بحسب القدرة فإن الرجل المسلم لو أخبره مخبر صادق بأن الله تعالى يقلب هذا الجبل ذهباً إبريزاً فلا شك أنه يتعجب نظراً إلى أحوال العادة لا لأجل أنه استنكر قدرة الله تعالى على ذلك^(١).



■ (عجز)

دلت مادة (عجز) في اللُّغَةُ على الضَّعْفِ الذي هو نقيضُ القُوَّةِ، فالعَجْزُ هُوَ الضَّعْفُ^(٢). عَجَزَ عن الشيء، يَعْجِزُ عَجْزاً، فَهُوَ عن فِعْلِهِ عاجِزٌ. والعجزُ خلافُ الحزم^(٣). وَأَعْجَزَنِي الأمرُ إذا عَجَزْتُ عن طَلْبِهِ وإِذْرَاكِهِ^(٤). وفلانٌ

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٩/١٨.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٣٢/٤ (عجز).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.



عَاجَزَ فَلَانًا، إِذَا ذَهَبَ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْوَصُولَ إِلَيْهِ^(١). والعجزُ في الأصلِ التأخُرُ عن الشيء، وحُصُولُهُ عِنْدَ عَجْزِ الْأَمْرِ، أَي: مُؤَخَّرِهِ، وَصَارَ فِي الْعَرَبِ اسْمًا لِلْقُصُورِ مِنْ فِعْلِ الشَّيْءِ، وَهُوَ ضِدُّ الْقُدْرَةِ^(٢). «وَعَجَزْتُهُ وَعَاجَزْتُهُ جَعَلْتُهُ عَاجِزًا»^(٣).

أما في القرآن: فقد وردت (٢٦) مرة في (٢٥) موضعاً دالة في الصيغة المنفية ﴿لِيُعْجِزَهُ﴾ على القدرة التي هي نقيض العجز. فإذا انتفى العجز عن أمر فقد ثبت مقابله وهو القدرة عليه^(٤). قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]. بياناً لهم أن الأولين كانوا أقوياء أشداء قادرين ممكنين مكنهم الله من ناصية الدنيا فغلبوا وقهروا، وهم مع ما آتاهم الله من قوة وقدرة لم يعجزوا خالقهم ولم يقدرُوا على الفوت منه وهو أقدر منهم وأقوى. فأنتم يا مُشْرِكِي قريش أولى أن لا تفوتوه ولا تعجزوه. وحتى لا يقول قائل: نحن وإن كانوا هم أشد منا قوة وأطول أعماراً لكن بإمكاننا أن نستعمل بذكائنا ما يزيد على قواهم ونستعين بأمور أرضية لها خواص، ولها آثار فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ أي: عليمًا بأفعالهم وما يقولون (قديراً) على إهلاكهم واستئصالهم^(٥)، أو أنهم يقولون إنا لنا آلهة تمنعنا من عذاب الله بشفاعتها أو دفاعها عنا. فقال الله ﷻ: (وما كان الله ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض). وحتى لو كنتم أقوى من

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٤٧ (عجز).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٤٧ (عجز).

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٤٧، وينظر: عمدة الحفاظ: ٣١/٣.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٣٦/٢٦، ٣٧.



الأولين أو أشد حيلة منهم أو أن لكم أنصاراً ما لم يكن لهم، فما أنتم بمفلقين من عذاب الله لأن الله قدير لا يعجزه شيء.

وجيء بلام الجحود مع (كان) المنفية لإفادة تأكيد نفي كل شيء يحول دون قدرة الله وإرادته.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيرًا﴾ تعليل لانتفاء شيء يغالب مراد الله لأن الله شديد القدرة واسع العلم لا يخفى عليه شيء من أحوالهم وأقوالهم. وقد حصر هذان الوصفان انتفاء أن يكون شيء يعجز الله لأن عجز المريد عن تحقيق إرادته: إما أن يكون بسبب خفاء شيء عليه وهذا ينافي إحاطة العلم، أو عدم استطاعة التمكن منه وهذا ينافي عموم القدرة. فبتوافر الأمرين ينتفي العجز ويكون القهر للمخلوق حيث لا يفلت من قبضة الله^(١).

٢ ٢ ٢

(عجل)

تدور مادة (عجل) في اللغة حول الإسراع وبعض الحيوان^(٢). فأما الإسراع فمعناه العَجَلَةُ في الأمر^(٣). يقال: هو عَجِلٌ وَعَجَلٌ، لغتان^(٤). واستَعَجَلْتُ فلاناً؛ حثثته^(٥). وعَجَلْتُهُ؛ سَبَقْتُهُ^(٦).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٣٩/٢٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٢٧/٤ (عجل).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (٤٧) مرة، دلت الصيغة المضارعية ﴿يُعَجِّلُ﴾ على الإسراع بالأمر الدال على القدرة.

تجلت الدلالة على الشريعة بالشيء الدال على القدرة في سياق الإخبار أنه سبحانه لو يعجل الشر للناس كما يعجل لهم الخير الذي يستعجلونه لماتوا وهلكوا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١]، أي: «ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير إلا أنه وضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله الخير إشعاراً بسرعة إجابته وإسعافه بطلبهم، حتى كأن استعجالهم تعجيل لهم»^(١). وقيل: «لو أراد الله عجلة الشر للناس كما أرادوا عجلة الخير لهم لقضى إليهم أجلهم»^(٢). وقيل: «ولو استعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير إلا أنه تعالى وصف نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها، لأن اللائق به تعالى هو التكوين واللائق بهم هو الطلب»^(٣).

وقوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ إجمال ينبئ أن الله جعل نظام الوجود على الفرق بمخلوقاته واستبقاء الأنواع إلى أجل أراده، وجعل لبقاء الأنواع وسائل الإمداد بالنعم التي بها دوام الحياة، فخيراته تعالى المفاضة على مخلوقاته كثيرة، والشرور العارضة قليلة ومعظمها مسبب عن أسباب مجعولة في نظام الكون وتصرفات أهله، ومنها ما يأتي على خلاف العادة. فهذه الآية الكريمة معطوفة على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [يونس: ١٧]، فحيث ذكر عذابهم الذي هم آيلون إليه ناسب أن يبين لهم سبحانه سبب تأخيرهم

(١) التفسير الكبير: ٥١/١٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.



العذاب عنهم في الدنيا لتكشف شبهة غرورهم وليعلم الذين آمنوا حكمة من حكم تصرف الله في هذا الكون والقرينة على اتصال هذه الآية بآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا..﴾، قوله في آخر هذه الآية ﴿فَنَذُرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فَبَيَّنَتْ هذه الآية أن الرفق جعله الله مستمراً على عباده غير منقطع عنهم لأنه أقام عليه نظام العالم إذ أراد ثبات بنائه، وأنه لم يقدّر توازي الشر في هذا العالم بالخير لطفاً منه ورفقاً. فالله لطيف بعباده، وفي ذلك مِثَّةٌ عظيمة عليهم، وأن الذين يستحقون الشرَّ لو عُجل لهم ما استحقوه لبطل النظام الذي وضع عليه العالم. وقد جاء نظام الآية على إيجاز محكم بديع، فذكر في جانب الشرَّ (يُعَجَّلُ) الدال على أصل جنس التعجيل ولو بأقل ما يتحقق معناه، وعبر عن تعجيل الله الخير لهم بلفظ (استعجالهم) الدال على المبالغة في التعجيل كما تفيد زيادة الهمزة والسين والتاء لغير الطلب. والمعنى: تعجلهم الخير للإشارة إلى أن تعجيل الخير من لديه، فليس الاستعجال في الآية بمعنى طلب التعجيل لأن المشركين لم يسألوا تعجيل الخير ولا سألوه فحصل، بل هو بمعنى التعجل الكثير. والمعنى: ولو يعجل الله للناس الشرَّ كما يعجل لهم الخير كثيراً، والباء في قوله: ﴿بِالْخَيْرِ﴾ لتأكيد اللصوق، كالتي في قوله: ﴿وَأَمْسَحُوا رُءُوسَكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

وأصله: استعجالهم الخير، فدلّت المبالغة بالسين والتاء وتأكيد اللصوق على الامتنان بأن الخير لهم كثير ومكين^(١).

٧ ٧ ٧

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠٦/١، ١٠٧.

(عدد)

العين والدال أصل صحيح واحد لا يخلو من العدّ الذي هو الإحصاء^(١)، ومن الإعداد الذي هو تهيئة الشيء^(٢). فالعدّ: إحصاء الشيء^(٣). تقول: عددت الشيء أعده عدّاً فأنا عاّد، والشيء معدود^(٤). والعديد: الكثرة^(٥). واستعددت للشيء^(٦). والعدّ: القديمة من الرّكايا الغزيرة^(٧).

أما في القرآن فقد وردت (٥٧) مرّة. دلت الصيغة «وَعَدَهُمْ» المؤكدة بـ (عدّاً) على العدّ الدالّ على قدرته تعالى. قال تعالى في سياق الإخبار أن كل من في السموات والأرض أتى الرحمن عبداً: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِلَىٰ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۚ﴾ [مریم: ٩٣-٩٤]، أي: كلهم تحت أمره وتدبيره وقهره وقدرته، فهو سبحانه محيط بهم، ويعلم مجمل أمورهم وتفصيلها، لا يفوته شيء من أحوالهم^(٨). فلا ينفلت أحد منهم من عذابه^(٩).

واستعمل القرآن الصيغة المبتدئة بنون العظمة والمسبوق بـ (إنما) للقصّر (نعدّ)، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ۖ فَلَا تَعَجَّلْ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۚ﴾ [مریم: ٨٣-٨٤]، أي: نعدّ لهم ولنسنا ناسين لهم

(١) مقاييس اللغة: ٢٩/٤ (عد).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) التفسير الكبير: ٢١/٢٥٦.

(٩) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦/١٧٤.



كما يعتقدون أو لسنّا تاركينهم من عقابنا وعذابنا بل نؤخرهم إلى يوم موعود. قيل: نَعُدُّ أنفاسهم وأعمالهم فنجازيهم على قليلها وكثيرها^(١). وقيل: نَعُدُّ الأوقات إلى وقت الأجل المعين لكل أحد الذي لا يتطرق إليه الزيادة والنقصان^(٢).



■ (عدل)

تدور مادة (عدل) في اللّغة حَوْلَ مَعْنَى الْمَسَاوَةِ، وَالْإِعْوَجَاجِ^(٣). فَالشَّيْءُ إِذَا سَاوَى الشَّيْءَ: فَهُوَ عَدْلُهُ^(٤). وَعَدَلْتُ بِفُلَانٍ فَلَانًا وَهُوَ يُعَادِلُهُ^(٥). إِذَا سَاوَيْتُهُ بِهِ. وَتَعْنِي الْحُكْمَ. فَالْعَدْلُ: الْحُكْمُ بِالِاسْتِواءِ^(٦). وَتَدُلُّ عَلَى الْإِعْوَجَاجِ وَالْحَيْدَةِ عَنِ الطَّرِيقِ يُقَالُ: عَدَلَ فُلَانٌ عَنِ الْحَقِّ عُذُولًا، أَيْ: حَادَ عَنْهُ^(٧).

أما في القرآن: فقد وردت مادة (عدل) (٢٨) مرة في (٢٦) موضعاً مشعرة بدلالة الجعل الدال على عظيم قدرة الله.

تجلت دلالة الجعل الدال على القدرة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيرِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الأنفطار: ٦-٨].

(١) التفسير الكبير: ٢٥٣/٢١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٤٦/٤، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٥١ (عدل).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٤٧/٤، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٥١ (عدل).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٤٦/٤ (عدل).

(٧) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٥٣ (عدل).



قرئت بالتشديد: (فَعَدَّلَكَ)^(١). أي: «جعلك معتدلاً معدل الخلق»^(٢).
وقيل: «خلقك في أحسن تقويم»^(٣). وقيل: «قَوِّمَ خلقك»^(٤).

وعلى قراءة التخفيف: (فعدلك)^(٥)، أي: «فصرك إلى أي صورة شاء إما حسن، أو قبيح، أو طويل، أو قصير»^(٦). فصيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه، فلو كانت إحدى اليدين أطول، أو أن واحدة في الجنب وأخرى في الظهر لاختلَّ عملهما، ولو جعلت العينان في الخلف، لانعدمت فائدتهما في المشي^(٧).

ثم: إنك أيها الإنسان خلقت منتصباً مستقيماً القائمة، ولست كالبهائم^(٨).

وفي الآية تفریع^(٩)، فلقد فرع القرآن فعل (سَوَّأَكَ) على (خلقك) وفعل (عدلك) على (سَوَّأَكَ) تفریعاً في الذكر لأن معانيها مترتبة في اعتبار المعتبر ولو أن الحصول كان في آن واحد إذ هي أطوار التكوين من المضغة إلى إتمام الخلق فكان للفاء في عطفهما أحسن وقع^(١٠) كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ قَوَّيْ ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهْدًى ﴾ [الأعلى: ٢-٣]. والذي جعل الإنسان معتدلاً

(١) ينظر: السبعة في القراءات: ص ٦٧٤، وينظر: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ

المنتهي، شرح منظومة حرز الأمانى ووجه التهاني: ص ٣٨١.

(٢) معاني القرآن: ٢٤٤/٣.

(٣) معاني القرآن وإعراجه: ٢٩٥/٥.

(٤) تفسير غريب القرآن: ص ٥١٨.

(٥) ينظر: السبعة في القراءات: ص ٦٧٤.

(٦) معاني القرآن: ٢٤٤/٣، وينظر: التفسير الكبير: ٨١/٣٢.

(٧) ينظر: الكشاف: ٧٠٢/٣، وينظر: التفسير الكبير: ٢٨١/٣٢، وينظر: التحرير والتنوير: ١٧٦/٣٠.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) والتفریع: «وهو أن يثبت لمتعلق أمر حكم بعد إثباته لمتعلق له آخر» الإيضاح في علوم

البلاغة: ص ٥٣٢.

(١٠) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧٦/٣٠.



الخلق سواً مستقيماً منتصباً في أحسن الهيئات، تحقق التوازن بين أعضائه،
وجميع ما ظهر وبطن من بدنه لهو قادر. قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].



■ (عدن)

تدل المادة (عدن) في اللغة على الإقامة^(١). قيل: جنةٌ عَدْنٌ؛ أي: إقامة^(٢).
والمَعْدِنُ: مَعْدِنُ الجواهر^(٣). وقيل: معدن الخير والكرم^(٤). وقيل: العَدَانُ،
والعَدَانُ: ساحل البحر^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (١١) مرة، دلت الصيغة ﴿عَدْنٍ﴾ على الخلود
الدال على القدرة والتمكين.

تجلت دلالة الصيغة ﴿عَدْنٍ﴾ على خلود في سياق يتحدث عن وعد الله
المؤمنين والمؤمنات بالإثابة العظيمة. قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ
عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

أي: جنات الخلود والاستقرار المستمر، فجئات عدن هي الجنات
المذكورة قبل، فذكرها بهذا اللفظ من الإظهار في مقام الإضمار مع التفتن

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٤٨/٤ (عدن).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.



في التعبير والتنويه بالجئات، ولذلك لم يقل: ومساكن طيبة فيها^(١). هذا الخلود وهذا الاستقرار المستمر إنما يعني المكانة الرفيعة لمن يحظى بتلك الدرجة من التنعيم والتكريم.



(عدو)

تدل المادة (عدو) في اللغة على تجاوز في الشيء وتقدم.
 من ذلك العَدُو^(٢). تقول: عدا يعدو عَدُوًّا، وهو عادٍ^(٣). والتعدّي تجاوز
 ما ينبغي أن يُقتَصَر عليه^(٤). والعادي: الذي يعدو على الناس ظلماً وعدواناً^(٥).
 وَعَدَوَانُ الفرس، أي: جيّد عَدُوها وكثيره^(٦).
 والعُدوان: الظلم الصّراح^(٧). والعُدوة: ضلابة من شاطئ الواد^(٨).
 أما في القرآن فقد وردت (١٠٦) مرّة، دلت الصيغة المعرفة المصدرة بواو
 القسم ﴿وَالْعَدِيَّتِ﴾ على الخيل السريعة.
 تجلت هذه الدلالة في سياق القسم، والله يقسم ببعض مخلوقاته:
 ﴿وَالْعَدِيَّتِ﴾ [العاديات: ١] أقسم الله سبحانه بخيل الغزاة تعدو في سبيله^(٩).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦٤/١٠.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٤٩/٤ (عدو).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه: ٢٥٢/٤ (عدو).

(٩) ينظر: البيضاوي: ٦١٥/٢.



وتجلّت دلالة الصيغة «لِنَعْنُدُوا» في موضع من القرآن على القدرة، وذلك في سياق الأمر والنهي: «وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلِهِنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْنُدُوا» [البقرة: ٢٣١].

تقدمت قرائن سياقية وهي «طَلَقْتُمُ»، «فَأَمْسِكُوهُنَّ»، «سَرِّحُوهُنَّ»، «وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ» على الصيغة «لِنَعْنُدُوا» وهو تقدم أكسب الصيغة الدلالة على القدرة قدرة الرجل على المرأة، فهو قادر على أن يمنعها بعض حقوقها إن أراد، لذا حذره القرآن من ذلك، وعَدَّ القرآن ذلك عدواناً فقال: (لتعتدوا)، أي: لتظلموا وتتجاوزوا الحد، فتخالفوا المشرع، وظلم الرجل للمرأة فيه دلالة على تسلطه عليها وتمكنه من إلحاق الأذى بها إن هو منعها من حق التسريح بإحسان.



■ (عذب)

وردت مادة (عذب) في اللغة بدلالات منها طَرَفُ السُّوط يقال له عَذَبَةٌ والجمع عَذَبٌ^(١). وتدل على الماء الطيب العذب. يقال: عَذَبَ ماء البئر يَعْذُبُ عَذُوبَةً فهو عَذْبٌ: طَيِّبٌ^(٢). وتعني الضرب. يقال: أصل العذاب الضرب، واستعير لكل شِدَّةٍ^(٣). وتعني الامتناع عن الشيء، ومن يمتنع عن الشيء فقد أعذب^(٤). وأعذبَ غَيْرُهُ: مَنَعَهُ^(٥).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٦٠/٤ (عذب).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة: ٣٢١/٢، وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٥٩/٤ (عذب).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٦٠/٤ (عذب).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: ٣٢٢/٢ (عذب).

(٥) المصدر نفسه.



أما في القرآن: فقد وردت مادة (عذب) (٣٧٢) مرة في (٣٦٤) موضعاً بدلالات منها الدلالة على العقوبة المقرونة بقدرة المعاقب في قصة سليمان عليه السلام والهدهد: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١]. وتعذيب سليمان للطير فيه أقوال عند المفسرين منها: عذاب مادي: كنتف ريشه^(١)، أو يطليه بالقطران ويشمسه^(٢)، أو يلقيه للنمل لتأكله^(٣). ومنها عذاب معنوي: كأن يلزمه صحبة الأضداد^(٤).

وقيل: لألزمه خدمة الأقران^(٥). وقيل: التفريق بينه وبينهم. وقيل: الجمع بين الأمرين^(٦). وقيل: إن سليمان عليه السلام كلف سيد الطير وهو العقاب أن يأتيه بالهدهد الغائب من غير إذن فارتفعت فظرت، فإذا هو مقبل فقصدته، فناشدها الله، أي: الهدهد وقال: «بحق الذي قواك وأقدرك علي إلا رحمتني، فتركته وقالت: ثكلتك أمك، إن نبي الله قد حلف ليعذبك»^(٧) وفي ذلك دلالة على جواز أن يعاقب سليمان عليه السلام من تحت إمرته من الإنس والجن والطير إذا رأى من المصلحة والمنفعة ذلك.

فغيب الهدهد من دون إذنه عصيان يقتضي العقوبة وذلك موكل لاجتهاد سليمان عليه السلام في المقدار الذي يراه استصلاحاً له، فإن لم يك ذلك فالإهلاك حتى لا يُلقن الهدهد الفساد غيره، ولتكون العقوبة ردعاً لغيره^(٨).

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن: ص ٣٢٣، وينظر: الكشف: ٣/٣٤٧، وينظر: التفسير الكبير: ١٨٩/٢٤.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٨٩/٢٤.

(٣) ينظر: الكشف: ٣/٣٤٧.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٨٩/٢٤.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) الكشف: ٣/٣٤٧.

(٧) الكشف: ٣/٣٤٧.

(٨) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤٦/١٩.



وإذا كان الهدهد قد توعدده سليمان ﷺ بالعذاب الشديد لمجرد أن غاب من غير إذنه، فما حق الأعراب ممن عتوا ومرنوا على النفاق وجروا على العصيان من العذاب. قال تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١١٠] قال أهل التأويل في عذاب المرة الأولى: أنه: القتل^(١). أو الفضيحة^(٢)، أو أخذ الزكاة من أموالهم^(٣)، أو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم^(٤)، أو الأمراض في الدنيا، فمرض المؤمن تكفير للذنوب، ومرض المنافق والكافر زيادة الكفر وكفران النعم^(٥). والذي عليه أغلب أهل التأويل في أمر عذاب المرة الثانية. أنه عذاب القبر^(٦). وقيل: يوكل بهم عتق النار^(٧). وقيل: عذاب الآخرة^(٨).

وقوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ «استثناف بياني للجواب عن سؤال يثيره قوله: ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ وهو أن يسأل سائل عن أثر كون الله يعلمهم. فأعلم أن سيعذبهم على نفاقهم ولا يفلتهم منه عدم علم الرسول ﷺ بهم والعذاب الموصوف بمرتين عذاب في الدنيا لقوله بعده: ﴿ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ والظاهر.. أن العدد مستعمل قصد التكرير المفيد للتأكيد كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِجَّعَ الْبَصَرُ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٤] أي: تأمل تأملاً متكرراً... والمعنى: سنعذبهم

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن: ص ١٩٢، وينظر: الكشاف: ٢٩٥/٢.

(٢) ينظر: الكشاف: ٢٩٥/٢، ٢٩٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٦/١٧٧، ١٧٨.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: تفسير غريب القرآن: ص ١٩٢، وينظر: الكشاف: ٢٩٥/٢.

(٧) ينظر: التفسير الكبير: ١٦/١٧٨.

(٨) المصدر نفسه.



عذاباً شديداً متكرراً مضاعفاً، كقوله تعالى: ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠].

وهذا التكرار تختلف أعداده باختلاف أحوال المنافقين واختلاف أزمان عذابهم. والعذاب العظيم هو عذاب جهنم في الآخرة^(١). يقول تعالى: ﴿وَكَنْ يَنْفَعَكُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩]. وهذا بليغ في التحسير والتنذيم^(٢).

وتجلت دلالة قدرته سبحانه على تعذيب من يشاء من عباده، في سياق الحوار بين موسى ﷺ وربه جل جلاله. قال تعالى لنبيه موسى ﷺ: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. والمراد بالعذاب في الآية عذاب الدنيا لأن الكلام جواب لسؤال موسى ﷺ: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْأُسُفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥].

والإهلاك عذاب، فوضح أنه عذاب الدنيا يصيب الله به من يشاء من عباده، وقد أجمل سبحانه سبب مشيئته وهو أعلم به، وفي الآية طمأنة لموسى ﷺ من أن يكون مقصوداً، لأن الله تعالى لا يعذب أنبياءه وأتباعهم. أي: إني قادر على تخصيص عذابي بمن عصوني وتنجية من أطاعني، والكلام في الآية على طريقة مجملة شأن كلام من لا يسأل عما يفعل^(٣).

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠/١١.

(٢) إعجاز القرآن، القاضي أبو بكر الباقلاني: ط ٣، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م، هامش الإتيان في علوم القرآن للسيوطي، شركة مصطفى الباني الحلبي وأولاده: ١٧٩/٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢٩/٩.



(عذر)

العُذْر معروف، وهو رَوْمُ الإنسان إصلاح ما أُنْكِرَ عليه بكلام^(١). يقال منه: عَذَرْتُهُ فَأَنَا أَعَذِرُهُ عَذْرًا، والاسم العُذْر^(٢).

تقول: اعتذر يعتذر اعتذاراً وعذرة من ذنبه فعذرته. والمُعذرة الاسم^(١٧).
وأعذر فلان، إذا أبدى عذراً فلم يُلَمَّ^(١٨). والمُعذرون بالتخفيف هم الذين لهم العذر.

أما في القرآن فقد وردت (١٢) مرّة، دلت الصيغة «عَذْرًا» على محو الإساءة وهو نوع من الإقذار والتمكين.

تجلت هذه الدلالة في سياق القسم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ أَعْتَبَا هَذِهِ الْآيَةَ أَنْ يُدْعَوْا إِلَى اللَّهِ أَنْ يَقُولُوا هَذِهِ الْقُرْآنُ لِلرَّسُولِ وَلَئِنْ بَدَّلْنَاهُ بِآخَرٍ لَنَبَدَّلَنَّهُ بِالْآخَرِ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ فَلَا يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٩).^(٥)

وتجلت الدلالة على قوة الموقف وأحقته في قصة أهل الكهف إذ كانت
صحة سفر بين موسى والخضر عليهما السلام. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ
أَبْرَحَ حَتَّىٰ أَتِلَّغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۖ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَبَسَا
حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۖ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَعِينَا مِنْ
سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَبِئْتُ الْخَوْتُ وَمَا أَسْنِيهِ إِلَّا
الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۖ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٥٣/٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٢٥٤/٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر : الضاوي : ٥٥٦/٢.



ءَاتَاهُمَا قَصَصًا * فَرَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَالِيَهُ رَحِمَهُ مِّنْ عِبَادِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا
 عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبَعَكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن
 تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ
 صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ
 ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقَهَا لِنُفُورِ أَهْلِهَا لَقَدْ جِئْتَ
 شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
 تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ
 لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ
 سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْنِجْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿الكهف: ٦٠-٧٦﴾، أي:
 بمقدورك تركي وأنت على حق في ذلك؛ لأنني خالفتك ثلاث مرات دون أن
 يكون منك إخلاف بعهد قطعته على نفسك أو وعد وعدتني إياه^(١).

٢ ٢ ٢

■ (عرب)

من دلالات المادة الإفصاح^(١). أَعْرَبَ الرَّجُلُ عن نفسه، إذا بَيَّنَّ
 وَأَوْضَحَ^(٢). والمرأةُ العَرُوبُ: الضحاكة الطَّيِّبَةُ النفس^(٣).

والأُمَةُ التي تُسَمَّى العَرَبُ سُمِّيت عَرَبًا؛ لأن لسانها أَعْرَبُ الألسنة وبيانها
 أجود البيان^(٤).

(١) ينظر: البيضاوي: ١٩/٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٩٩/٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٠/٤.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.



والعُزْبُ بسكون الراء: النَّشَاطُ^(١).

أما في القرآن فقد وردت (٢٢) مرّة، دلت الصيغة المنكرة ﴿عُرْبًا﴾ على التحجب المفضي إلى القدرة على اكتساب محبة الآخرين.

تجلت هذه الدلالة في سياق الحديث عن نعيم أصحاب اليمين: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُورٍ * وَطَلْحٍ مَّنْضُورٍ * وَظِلِّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَكَهْمٍ كَثِيرٍ * لَا مَقْطُوعٍ وَلَا مَمْنُوعٍ * وَفُرُشٍ مَّرْجُوعَةٍ * إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنْشَاءً * جَعَلْنَاهُمْ أَكْبَارًا * عُرْبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٧]، قوله: ﴿عُرْبًا﴾ متحبيات إلى أزواجهن جمع غروب، أي: عندهن القدرة على جذب أزواجهن^(٢) وجعلهم يحبونهن. والعُزْبُ: جمع غروب بفتح العين، ويقال: غربة بفتح فكسر فيجمع على غربات كذلك، وهو اسم خاص بالمرأة. والعُزُوب: المرأة المتحبة إلى الرجل، أو التي لها كيفية المتحبة، وإن لم تقصد التحبب، بأن تكثر الضحك بمرأى الرجل أو المزاح أو اللهو أو الخضوع في القول أو اللثغ في الكلام بدون علة أو التغزل في الرجل والمساهلة في مجالسته والتدلل وإظهار معاكسة أميال الرجل لعيباً لا جِداً وإظهار أذاه كذلك كالمغاضبة من غير غضب.

ويقال للعروب بلغة أهل مكة العربة والشَّكْلَةُ، ويقال لها بلغة المدينة: الغَبيجة، وبلغة العراق: الشَّكْلَةُ، أي: ذات الشَّكْل بفتح الكاف وهو الدلال^(٣).

٧ ٧ ٧

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠١/٤.

(٢) ينظر: البيضاوي: ٤٦١/٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠٢/٢٧.

(عرج) ■

من دلالات المادة (عرج) في اللغة دلالتها في إحدى صيغها على الارتقاء. يقال: «عَرَجَ يَعْرِجُ عُرْجاً وَمَعْرِجاً أَي: ارتقى»^(١). «وَالْمَعْرِجُ: الْمَصْعَدُ»^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٩) مرّات، دلت الصيغة «الْمَعَارِجُ» زنة (مفاعل) على المصاعد الدالة على قدرة القدير تعالى.

تجلت الدلالة على المصاعد في ملك الله الدالة على قدرته سبحانه باستعمال الصيغة «الْمَعَارِجُ» في سياق يتحدث عن الذي سأل عذاباً يقع به من الله لا يكون له دافع مستهيناً ومنكراً قدرة الله عليه.

قال تعالى: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» [المعارج: ٤-١].

أي: ذي السموات التي تعرج الملائكة فيها^(٣). وقيل: ذي الفواضل والنعم وذلك لأن لأيديه ووجوه إنعامه مراتب، وهي تصل إلى الناس على مراتب مختلفة^(٤). وقيل: المعارج هي الدرجات التي يعطيها أوليائه في الجنة^(٥). وقيل: كما أن هذه السموات متفاوتة في الارتفاع والانخفاض والكبر والصغر، فكذا الأرواح الملكية مختلفة في القوة، ومختلفة في كثرة المعارف الإلهية

(١) مقاييس اللغة: ٣٠٤/٤ (عرج).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٢٢/٣٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.



وشدة القوة على تدبير هذا العالم، فقوله: ﴿مِنْكَ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ إشارة إلى تلك الأرواح المقتدرة بقدرة الله وتمكينه والمتنوعة في قدراتها التي هي كالمصاعد لارتفاع مراتب الحاجات من هذا العالم إليها وكالمنازل لنزول أثر الرحمة من ذلك العالم وقوله: ﴿تَمْزُجُ الْمَلَكُوتَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قيل: إنَّ الروح نور عظيم هو أقرب الأنوار إلى جلال الله، ومنه تتشعب أرواح سائر الملائكة والبشر في آخر درجات منازل الأرواح الملكية ومدارج منازل الأرواح القدسية، ولا يعلم كميتها إلا الله^(١). وقيل: إنه جبريل عليه السلام أعظم الملائكة قدراً^(٢)، وإجراء وصف (ذي المعارج) على اسم الجلالة لاستحضار عظمة جلاله ولإدماج الإشعار بكثرة مراتب القرب من رضاه وثوابه، فإن المعارج من خصائص منازل العظماء^(٣).



■ (عرش)

من دلالات المادة (عرش) في اللغة دلالتها في صيغة من صيغها على سرير المَلِك. فالعرش: سرير المَلِك^(٤). والمعروش: الجمل الشديد الجنين^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (٣٣) مرّة، دل قوله تعالى: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ على القوة والقدرة. تجلّت الدلالة على صاحب القوة والقدرة في سياق

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٢٣/٣٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٦/٢٩.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٦٤/٤ (عرش).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٦٦/٤ (عرش).



القسم بعظيم مخلوقاته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا عَسَسَ * وَالصَّبِيحَ إِذَا نَفَسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٧-٢٠]. غُذِلَ عن اسم الجلالة إلى (ذي العرش) لتمثيل حال الملك جبريل عليه السلام ومكانته عند القدير تعالى، بحالة الأمير الماضي في تنفيذ أمر وهو بمحل الكرامة لديه^(١).

٢٢٢

■ (عرض)

دلت مادة (عرض) على إمرار الشيء أمام البَصَرِ. يُقَالُ: عَرَضَ الْحَاكِمُ جَيْشَهُ عَرْضَ عَيْنٍ إِذَا أَمَرَهُ عَلَى أَبْصَارِ الْجُمُوعِ^(٢). «وَالْتَعَرَّضَ التَّصَدِّي»^(٣). وَتَغْنِي الْقَتْلَ. يُقَالُ: عَرَضَ الْأَمِيرُ خُصُومَهُ عَلَى السَّيْفِ، أَي: قَتَلَهُمْ، وَعَلَى النَّارِ فَأَحْرَقَهُمْ^(٤). «وَالْعَرَضُ: مَا لَا يَكُونُ لَهُ ثَبَاتٌ»^(٥).
وَالْمُجَابَةُ بِالشَّرِّ عَرِضٌ^(٦). وَتَغْنِي الْجُنُونَ. يُقَالُ: «وَعَرِضَ لِفُلَانٍ إِذَا جُنَّ»^(٧).

أما في القرآن: فقد وردت (٧٩) مرة في (٧٧) موضعاً، دلت الصيغة «يُعَرَّضُونَ» على قدرة الله إذ يُعَرَّضُ بأمره الكافرون في الغدو والعشي على جهنم. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُعَرَّضُونَ عَلَيْهَا عَذَابًا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]. «لأنه لم يرد أن ذلك يكون في الآخرة، وإنما أراد أنهم يعرضون عليها بعد مماتهم في

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٦/٣٠.

(٢) ينظر: أساس البلاغة: ١٠٩/٢، وينظر: المصباح المنير: ٤٠٢/٢ (عرض).

(٣) المصباح المنير: ٤٠٤/٢ (عرض).

(٤) ينظر: أساس البلاغة: ١٠٩/٢، وينظر: المصباح المنير: ٤٠٣/٢ (عرض).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٦٠ (عرض).

(٦) ينظر: أساس البلاغة: ١٠٨/٢ (عرض).

(٧) المصدر نفسه.



القبور. وهذا شاهد من كتاب الله بعذاب القبر. يدللك على ذلك قوله: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ أَذْخَلُوا أَلْ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فهم في البرزخ يعرضون على النار غدواً وعشياً، وفي القيامة يدخلون أشدَّ العذاب»^(١).

قوله: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ فيه تعظيم للنار وفيه تهويل من عذابها، والعرض عليها ليس إلا الإحراق بها من قولهم: عرض الإمام الأسرى على السيف إذا قتلهم به^(٢).

وقوله: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ حالٌ من (النار) فيكون المذكور في الآية عذاباً قبل عذاب يوم القيامة.

والعرض حقيقته: إظهار شيء لمن يراه لترغيب أو لتحذير وهو يتعدى إلى الشيء المظهر بنفسه وإلى من يظهر لأجله بحرف (على)، وهذا يقتضي أن يكون المعروض عليه من العاقلين ومنزلاً منزلة العاقلين، وقد يقلب هذا الاستعمال لقصد المبالغة كقول العرب: «عرضت الناقة على الحوض» والحقيقة: عرضت الحوض على الناقة وهو الاستعمال الذي في هذه الآية. وقوله ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأحاف: ٣٤]. وقد عد علماء المعاني القلب من أنواع تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، ومثلوا له بقول العرب: «عرضت الناقة على الحوض». ومعنى عرض الكافرين على النار في الغدو والعشي بعد الموت وقبل القيامة عرض أرواحهم تشاهد المواضع المعدة لها في جهنم^(٣).

ومن العرض أن تعرض الخليفة من البشر على الله صفوفاً بعد صفوف كل أمة منهم زمرة ووصفاً. قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا

(١) تأويل مشكل القرآن: ص ٨٣.

(٢) ينظر: الكشف: ١٦٦/٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٨/٢٤، ١٥٩.



حَلَقْتَنَّهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿الكهف: ٤٨﴾. «شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان... مصطفين ظاهرين، يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحداً»^(١).

قيل: إن الخلق كلهم يعرضون على الله صفاً واحداً ظاهرين بحيث لا يحجب بعضهم بعضاً، وقيل: يعرضون صفوفاً يقف بعضهم وراء بعض مثل الصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض، وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله صفاً صفوفاً^(٢).

وانتصب (صفاً) على الحال من واو (عرضوا) وهي حالة تؤذن أنهم أحضروا بحالة الجناة الذين لا يخفى منهم على الله أحد إيقاعاً للرعب في قلوبهم.

وقوله: ﴿وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رَيْكِ﴾ معطوفة على جملة (وحشروناهم)، فهي في موضع الحال من الضمير المنصوب في (حشروناهم). أي: حشروناهم وقد عرضوا إشعاراً بسرعة عرضهم في حين حشرهم.

وعدل عن الإظهار إلى التعريف بالإضافة في قوله (على ربك) دون أن يقال (علينا) لتضمن الإضافة تنوياً بشأن المضاف إليه بأن في هذا العرض وما فيه من التهديد نصيباً من الانتصار للمخاطب إذ كذبه حين أخبرهم وأنذرهم بالبعث.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ مقول لقول محذوف دل عليه أن الجملة خطاب للمعروضين فتعين تقدير القول. وهذه الجملة في محل الحال. والتقدير: قائلين لهم لقد جئتمونا. وذلك بإسماعهم هذا الكلام من جانب

(١) الكشف: ٦٩٨/٢.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٣٤/٢١.



الله تعالى وهم يعلمون أنه من جانبه سبحانه. والخطاب في قوله (لقد جئتمونا) موجه إلى معاد ضمير (عرضوا).

والخبر في قوله (لقد جئتمونا) مستعمل في التهديد والتغليظ والتنديم على إنكارهم البعث. والمجيء: مجاز في الحضور، شبهوا حين الموت بمن كانوا غائبين وشبهت حياتهم بعد الموت بحضور الغائب ومجيئه^(١). ومن العرض أن تعرض جهنم على الكافرين، وذلك أن تبرز لهم ويظهرها خالقها لهم ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل أن يدخلوها ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن، قال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾ [الكهف: ١٠٠]. «وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها»^(٢).

يعرض سبحانه جهنم ويرزها حتى يكون ذلك اليوم مكشوفاً بأهواله، فذلك يجري مجرى عقاب الكفار لما يداخلهم من الغم العظيم، وبين تعالى أنه يكشفه للكافرين الذين عموا وصموا^(٣).

وعرض جهنم مستعمل في إبرازها على الصورة الجليلة الواضحة حين يشرفون عليها وقد سيقوا إليها فيعلمون أنها المهيأة لهم. فشبّه ذلك العرض تهكماً بهم، لأن العرض هو إظهار ما فيه رغبة وشهوة، على حين أن هذا الذي يعرض عليهم تنقطع منه نياط القلوب وتنهار من هول القوى وتنقبض لرؤيته النفوس^(٤).



(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٣٦/١٥.

(٢) الكشف: ٧٢٠/٢.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٧٤/٢١.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٢/١٦.

(عرف)

الغَرْفُ، بالفتح: الرِّيح الطيبة. يقال: ما أَطْيَبَ عَرْفُهُ^(١). والمَعْرُوف: ضِدُّ الْمُنْكَر^(٢). والغَرْف، بالضم: ضِدُّ التُّكْر^(٣).

يقال: أَوْلَاهُ عَرْفًا، أي: معروفًا^(٤).

والعَرَّاف: الكاهن^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (٧١) مرّة، دلت الصيغة الجمعية المصدرة بالفاء «فَعَرَّفَهُمْ» على التمكن والاهتداء إلى إخوته بعد طول غياب، وهذا يدل على قوّة فراسته.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار عن مجيء إخوة يوسف ودخولهم عليه لأخذ الميرة فعرفهم ولم يعرفوه. قال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَّفَهُمْ وَهُمْ لَمْ تُنْكِرْهُمْ﴾ [يوسف: ٥٨]، قوله: «فَعَرَّفَهُمْ» أي: عرف يوسف ﷺ إخوته بعد مضي سنين على فراقهم لقوّة فراسته وذكائه. وجملة (وهم له منكرون) عطف على جملة (فعرّفهم) ووقع الإخبار عنهم بالجملة الاسمية للدلالة على أن عدم معرفتهم به أمر ثابت متمكن منهم. وكان الإخبار عن معرفته إياهم بالجملة الفعلية المفيدة للتجدد للدلالة على أن معرفته إياهم حصلت بحدثان رؤيته إياهم دون توسم وتأمل.

وَقُرْن مفعول (منكرون) الذي هو ضمير يوسف ﷺ بلام التقوية ولم يقل وهم منكرونه لزيادة تقوية جهلهم بمعرفته.

(١) ينظر: تهذيب الصحاح: ٥٤٨/٢ (عرف).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه: ٥٤٩/٢ (عرف).



وتقديم المجرور بلام التقوية في (له منكرون) للرعاية على الفاصلة، وللاهتمام بتعلق نكرانهم إياه للتنبيه على أن ذلك من صنع الله تعالى؛ وإلا فإن شمائل يوسف ﷺ ليست مما شأنه أن يجهل وينسى^(١).

وتجلّت دلالة الصيغة الجمعية «عَرَفُوا» على الفوز بأمرين عظيمين: أولهما مشهد تصديق عيسى فيما بشر به، والآخر حياتهم إلى وقت ظهور الرسول الموعود، وهذه من أعلى المراتب.

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ يَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِيكَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٣]، (من) في قوله «مِمَّا عَرَفُوا» تعليلية، أي: سبب فيضها ما عرفوا عند سماع القرآن من أنه الحق الموعود به. فـ (من) قائمة مقام المفعول لأجله كما في قوله: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ [التوبة: ٩٢]، أي: ففاضت أعينهم من انفعال البهجة بأن حضروا مشهد تصديق عيسى فيما بشر به، وأن حضروا الرسول الموعود به ففاضوا بالفضيلتين وذلك أعلى مراتب التمكين؛ لأنه يؤدي إلى رضوان الله، و(من) في قوله (من الحق) بيانية. أي: مما عرفوا، وهو الحق الخاص أو تبعية مما عرفوه، وهو النبي الموعود به الذي خبره من جملة الحق الذي جاء به عيسى والنبيون من قبلهم^(٢).

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/١٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠/٧ - ١١.



■ (عرم)

العين والراء والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على شِدَّةٍ وجِدَّةٍ^(١). يقال: عَرَمَ الإنسان عَرَامَةً، وهو عارِمٌ^(٢).

وغرام الجيش: كَثُرَتْهُ^(٣). ولذلك يقال: جيشٌ عَرْمَرَمٌ^(٤).

أما في القرآن فقد وردت مرَّةً واحدة، دلت الصيغة المعرفة بالألف واللام والمضاف إليها «سَيْلٌ» على القدرة وذلك في سياق الإخبار عن سبيل الذين عاقبهم الله بسبيل العرم. قال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ» [سبأ: ١٥-١٦]، أي: الماء الغزير المحبوس داخل السد، وقيل: العَرِم: اسم الحجارة التي تشكل جُدراً قوية لحجز الماء. وقيل: الوادي المثقوب للماء الكثير المتجمع فيه^(٥). وجميع التأويلات تدل على القوَّة أو الكثرة الدالة على ذلك.

٢ ٢ ٢

■ (عرو)

من دلالات المادة (عرو) في اللغة دلالتها على ثباتٍ وملازمةٍ وغشيان^(٦). فالعُرْوَة: شَجَرٌ تَبْقَى لَهُ خَضَرَةٌ فِي الشِّتَاءِ تَتَعَلَّقُ بِهِ الْإِبِلُ حَتَّى

(١) مقاييس اللغة: ٢٩٢/٤ (عرم).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩٣/٤ (عرم).

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٢٥٢/٢٥.

(٦) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٩٥/٤، ٢٩٦ (عرو).



يدركَ الرِّبيعَ فهي العُرْوَةُ والمُعْلَقَةُ^(١). وقال بعضهم العُرْوَةُ: الشَّجَرُ الملتف^(٢).
وقيل: العُرْوَةُ من الشَّجَرِ: ما لا يسقط ورقه^(٣). وربما سَمَّوا العِلْقَ الثِّفِيسَ
عُرْوَةً، كما يُسَمَّى عِلْقاً^(٤).

والعَرِيَّ هي الرِّيحُ الباردة^(٥). والعَرَاءُ: الأرض الواسعة^(٦). وأعراء الأرض:
ما ظهر من مُتُونِها وظُهورها^(٧). والفرس طويل القوائم عُريان^(٨).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرَّات، دلت الصيغة المعطوفة والمنفية
﴿وَلَا تَعْرَى﴾ على رفاهية العيش المشعر بالقدرة والتمكين.

تجلت هذه الدلالة في سياق الخطاب والتحذير، خطاب الله لآدم عليه السلام
وتحذيره من إبليس: ﴿فَقُلْنَا يَتَّادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِنْ
الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ [طه: ١١٧-١١٨].

قوله: ﴿وَلَا تَعْرَى﴾ تعليل للشقاء المترتب على الخروج من الجنة المنهي
عنه من الملبس كان الخروج منها مقتضياً فقدان ذلك^(٩).



(١) المصدر نفسه: ٢٩٦/٤ (عرو).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه: ٢٩٨/٤ (عرو).

(٨) المصدر نفسه.

(٩) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٢٢/١٦.

(عزب)

تدل المادة (عزب) في اللغة على تباعدٍ وتَنَحُّ^(١).

يقال: عَزَبَ جِلْمُ فلانٍ، أي: ذهب^(٢)، وأَعَزَبَ اللهُ جِلْمَهُ، أي: أذهب^(٣).
والعازب من الكلاء: البعيدُ المُطْلَبُ^(٤). وكلُّ شيءٍ يفوتك حتى لا تقدر عليه
فقد عَزَبَ عنك^(٥). وأعزب القومُ: أصابوا عازباً من الكلاء^(٦).

أما في القرآن فقد وردت مرّتين، دلت الصيغة المضارعية المنفية ﴿وَمَا
يَعَزُّبُ﴾ على الإحاطة الدالة على القدرة.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ
قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ
رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي
كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ عطف على قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ
فِي شَأْنٍ﴾ وهي بمنزلة التذييل لما فيها من زيادة التعميم في تعلق علم الله
تعالى بجميع الموجودات، أي: وما يخفى عن ربك. دلالة على عظيم القدرة
وواسع العلم^(٧).

وتجلت الدلالة على الحفظ والعلم الدالين على القدرة باستعمال
الصيغة منفية بـ(لا) وذلك في موضع من القرآن: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣١٠/٤ (عزب).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه: ٣١١/٤ (عزب).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١٤/١١.



يُثْقَالُ ذَرَّةً فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿سبأ: ٣﴾، أي: لا يغيب عنه ولا يستتر عليه شيء من الموجودات ولو كان بقدر أصغر نملة، ولا أصغر من الميثاق ولا أكبر منه إلا وهو محفوظ ومثبت في كتاب بين وهو اللوح المحفوظ^(١).

٢ ٢ ٢

﴿عزr﴾

العين والزاء والراء كلمتان: «إحداهما التعظيم والتصر»^(٢). «والكلمة الأخرى جنس من الضرب. وهو الضرب دون الحد»^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرّات، دلت الصيغة «وَعَزَّزْتُمُوهُمْ» على النصر. تجلّت الدلالة على النصر باستعمال القرآن الصيغة «وَعَزَّزْتُمُوهُمْ» في سياقٍ طويل يتحدث عن الميثاق والعهد. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّزْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ١٢)، أي: نصرتموهم ورددتم عنهم أعداءهم^(٤). ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ

(١) ينظر: التفسير المنير: ١٤٠/٢٢.

(٢) مقاييس اللغة: ٣١١/٤ (عزr).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٩٠/١١.



وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ
وَنَصَرُوهُ وَأَتَّعُوا الثَّوَرَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ أي:
حموه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدوه^(١)، قيل: أيدوه وقوّوه^(٢).

٢ ٢ ٢

(عزز)

تدور مادة (عزز) في اللغة حول الصَّلَابَةِ. فَأَرْضُ عَزَازٍ، أي: صَلْبَةٌ^(٣) وقيل:
«العَزَّةُ: حالة مانعة للإنسان من أن يُغْلَبَ»^(٤) يقال: عَزَّه، أي: غَلَبَهُ^(٥) «والعَزِيرُ:
الذي يَقْهَرُ ولا يَقْهَرُ»^(٦)، «والعَزَاءُ: السَّتَّةُ الشَّدِيدَةُ»^(٧).

أما في القرآن: فقد وردت (١٢٠) مرة في (١١٨) موضعاً وقد دلت في
بعض صيغها على القوة والمنعة في سياق التعجب والتوبيخ من حال الذين
يبتغون العزة من غير الله، فالعزة لله جميعاً. قال تعالى: ﴿أَيَبْنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ
فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ [النساء: ١٣٩] أي: المنعة^(٨). وقيل: الغلبة^(٩). وقيل: العزة
والقوة لأن المنافقين كانوا على اتصال باليهود، فهم يتقوون باليهود، فأبطل

(١) ينظر: الكشف: ١٦٠/٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣٨/٩.

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٦٣، وينظر: عمدة الحفاظ: ٦٧/٣ (عزز).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٦٣، ٥٦٤، وينظر: عمدة الحفاظ: ٦٧/٣ (ع ز ز).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥) تحقيق الدكتور عبد الله درويش. مطبعة

العاني، بغداد: ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م: ٨٧/١.

(٨) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٦٣.

(٩) ينظر: الكشف: ٥٦٥/١.



عليهم سبحانه هذا التفكير والرأي فأخبرهم: أن العزة لله جميعاً. فإن قيل إن الله قال في موضع من القرآن: ﴿وَلِلَّهِ الْغَنَاءُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ١٨] فالجواب أن القدرة الكاملة لله، وكل ما سواه فبتمكين الله صار قادراً، وبإعزازه صار عزيزاً، فعزة الرسول ﷺ وعزة المؤمنين لم تحصل إلا منه سبحانه، فكان الأمر عند التحقيق أن العزة لله جميعاً^(١).

قوله: ﴿أَيَبْنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْغَزَّةَ فَإِنَّ الْغَزَّةَ﴾ استئناف بياني باعتبار المعطوف وهو (فإن العزة لله) وقوله: ﴿أَيَبْنَعُونَ﴾ هو منشأ الاستئناف، وفي ذلك إيحاء إلى أن المنافقين لم تكن موالاتهم للمشركين لأجل المماثلة في الدين والعقيدة، لأن غالبية المنافقين من اليهود، بل اتخذوهم ليعتزوا بهم على المؤمنين، وإيحاء أن المنافقين شعروا بضعفهم فراحوا يبحثون عمن يعتزون به ويتقون، وفي ذلك نهاية التجهيل والذم. والاستفهام إنكار وتوبيخ، لذا صح التفريع عنه بالقول: (فإن العزة لله جميعاً)، أي: لا عزة إلا به، لأن الاعتزاز بغير الله باطل... وإن كان المراد بالكافرين اليهود فالاستفهام تهكم^(٢) بالفريقين، وهذا يشعر بالتحذير من مخالطتهم بطريق الكناية^(٣). نظيرها قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْغَزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ [يونس: ٦٥] كلام مستأنف سيق لتعليل النهي، وقيل: جواب سؤال مقدر كأنه قيل: لم لا يحزنه؟ فقيل: لأن الغلبة والقهر لله سبحانه لا يملك أحد شيئاً منها أصلاً لا هم ولا غيرهم، فهم بقدرته مهجورون مغلوبون ينصرك عليهم ويعصمك منهم^(٤).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٨١/١١، ٨٢.

(٢) «استفهام التهكم ويكون للاستهزاء». معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٩٢/١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣٤/٥.

(٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - لأبي الفضل شهاب الدين

السيد محمود الألوسي البغدادى، ت ١٢٧٠هـ طبعة جديدة مصححة ومنقحة ١٣٩٨هـ

١٩٧٨م دار الفكر بيروت: ١٥٣/١١.

والعزيز: الذي يَقْهَرُ ولا يُقْهَرُ وهو الله تعالى شأنه^(١). قال تعالى في سياق الحديث عن إبراهيم عليه السلام ودعوته قومه الذين لم يستجيبوا له، سوى لوط: «وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [العنكبوت: ٢٦] أي: «الذي يمنعني من أعدائي»^(٢).

لقد اتبع القرآن وصف (العزيز) بـ(الحكيم) لإفادة أن عزة الله محكمة واقعة موقعها المحمود عند العقلاء من نصر المظلوم، ونصر الدعاة إلى الله أصحاب الحق، ويجوز أن يكون الحكيم، بمعنى الحاكم فيكون زيادة تأكيد معنى (العزيز)^(٣). واستعمل القرآن في موضع منه الصيغة (عَزَّزْنَا) على زنة (فَعَلْنَا) للتدليل على التقوية، لأن التعزيز يعني التقوية^(٤).

وقال تعالى: «وَأَضْرَبَ لَهم مَثَلًا مِّنَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهم اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٥﴾ أَي: قوينا الاثنين بثالث^(٥). وقرئت بالتخفيف^(٦): (فعززنا) «من عزه يعزه: إذا غلبه، أي: فغلبنا وقهرنا»^(٧). كأنه قال: فغلبنا نحن وقهرنا بثالث، والأوّل: أي: «قوينا» أظهر وأشهر، وترك المفعول حيث لم يقل فعززناهما لمعنى لطيف وهو أن القصد من إرسالهما للقريّة هو نصره الحق لا نصره تخصهما نفسيهما والكل مقوون للدين المتين بالبرهان المبين^(٨).

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٦٣.

(٢) الكشف: ٤٣٦/٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣٨/٢٠.

(٤) ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر: ص ٣٢٤.

(٥) ينظر: مجاز القرآن: ١٥٨/٢، وينظر: الكشف: ٨/٤.

(٦) ينظر: السبعة في القراءات: ص ٥٣٩.

(٧) الكشف: ٨/٤.

(٨) ينظر: التفسير الكبير: ٥١/٢٦.



أسند القرآن الإرسال والتعزیز إلى الله. والتعزیز هو النصر. وأكد قولهم: (إنا إليكم مرسلون) لأن القوم كذبوهم فأكدوا الخبر تأكيداً^(١).

وتجلت دلالة العزيز على القدرة في سياق القدرة، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] أي: «الغالب القاهر»^(٢) قيل: (العزيز) الذي عز فقهر وغلب الأشياء، لا يُنَالُ جانبه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه^(٣). بيده الأمور كلها خيرها وشرها، فهو يعطي ويمنع، ويعز ويذل، وينفع ويضر، لأنه القادر على كل شيء، ومن الدلائل على قدرته أن الأمر كله له وحده لا شريك له^(٤).



■ (عزل)

تدل المادة (عزل) في اللغة على تنحية وإمالة^(٥).

تقول: عَزَلَ الإنسانُ الشَّيْءَ يَعْزِلُهُ إِذَا نَحَّاهُ فِي جَانِبٍ^(٦).

ويقال: أَرْسَلَتِ السَّمَاءُ عَزَّالِيهَا، إِذَا جَاءَتْ بِمَنْهَمٍ مِنَ الْمَطَرِ^(٧).

أما في القرآن فقد وردت (١٠) مرَّات، دلت صيغة الخطاب الجمعي المُصدرة بواو العطف ﴿وَأَعَزَّلَكُمْ﴾ على قوَّة العقيدة والثبات على الدين والقدرة على اتخاذ القرار الصعب.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٦٠/٢٢.

(٢) التفسير الكبير: ٢٩٤/٢٩.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٤٤/٤.

(٤) العقائد الإسلامية. تأليف السيد سابق: ص ٩٣.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٠٧/٤ (عزل).

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٨/٤ (عزل).



تَجَلَّتْ هذه الدلالة في سياق الخطاب، خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه الذي أصرَّ على الكفر، قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ سَلَّمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رِجْئًا إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا ۝ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم: ٤٧-٤٨].

جملة ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ عطف على جملة (سأستغفر لكم ربي) ؛ أي: يقع الاستغفار في المستقبل ويقع اعتزالي إياكم الآن؛ لأن المضارع غالب في الحال، أظهر إبراهيم العزم على اعتزالهم وأنه لا يتوانى في ذلك ولا بأسف له إذ كان في ذات الله تعالى، خرج من بلد الكلدان عازماً على الالتحاق بالشام على أمر الله تعالى.

رأى إبراهيم أن هجرانه أباه غير مغنٍ؛ لأن بقية القوم هم على رأي أبيه فرأى أن يهجرهم جميعاً، ولذلك قال له (واعتزلكم) وضمير جماعة المخاطبين عائد إلى أبي إبراهيم وقومه تنزيلاً لهم منزلة الحضور في ذلك المجلس؛ لأن أباه واحد منهم وأمرهم سواء، أو كان هذا المقال جرى بمحض جماعة منهم.

وعطف على ضمير القوم أصنامهم للإشارة إلى عداوته لتلك الأصنام إعلاناً بتغيير المنكر، وهذا يدل على قوته وثباته وتصميمه على الدعوى إلى الله مهما كلفه ذلك.



(عزم)

العين والزاء والميم أصل واحد صحيح يدلُّ على الصَّريمة والْقَطْع^(١).

(١) مقاييس اللغة: ٣٠٨/٤، ٣٠٩ (عزم).



يقال: عَزَمْتُ أَعَزِمُ عَزْماً^(١). والعزم ما عَقِدَ عليه القلب من أمرٍ أنت فاعله، أي: مُتَيَقِّنُهُ^(٢).

وأولو العَزْمِ من الرُّسُلِ ﷺ: الذين قطعوا العلائق بينهم وبين من لم يؤمن من الذين بُعِثُوا إليهم، كنوح ﷺ^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٩) مرّات. دلت الصيغة المعرفة بـأل على الثبات والصبر والجد.

تجلت هذه الدلالة على الثبات والصبر والجد باستعمال القرآن الصيغة المعرفة بـأل «الْعَزِمُ» في سياق الدعوة إلى الصبر. قال تعالى: «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» [الأحزاب: ٢٥]، والعزم قوامه الصبر، وباعثه التقوى، وقوّته شدّة المراقبة^(٤). وقوله تعالى: «أُولُوا الْعَزْمِ» أي: أولو الثبات والصبر والجد^(٥).

واستعمل القرآن الصيغة المنفية فقال «وَلَمْ يَحْذِلْهُ عَزْماً» للتدليل على نفي المغالبة إلى ما يدعو إليه الخاطر، قال تعالى: «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ فِي الْأَرْضِ أَنْ لَا يَبْلُغَ الْمَعْلُومَ» [البقرة: ١٢٩]، أي: لم يقدّر ولم يقو على مقاومة النفس^(٦). فالصيغة قبل أن يسبقها النفي كانت تدل على القوّة والقدرة والمغالبة.

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٧/٢٦.

(٥) ينظر: الكشف: ٣٠٥/٤.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٣١٩/١٦.



واستعمل القرآن الصيغة «عَزَمَ» المضافة إلى (الأمر). أي: الأمور المعزوم عليها من غير تردد وفي ثبات ووثوق بالنجاح.

قال تعالى: «وَإِنْ نَصَرُوا وَنَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» [آل عمران: ١٨٦]، أي: من صواب التدبير الذي لا شك في ظهور الرشد فيه، والحزم بالعمل به والإلزام في عدم الترخيص بتركه^(١).

٢ ٢ ٢

عَزَا (عزوا)

تدل المادة (عزوا) على الانتماء والاتصال^(٢). قيل: الاعتزاء: الاتصال في الدَّعْوَى إذا كانت حرباً، فكلُّ من ادَّعى في شعاره فقد اعتَزَى، إذا قال: أنا فلانُ بنُ فلان فقد اعتزى إليه^(٣). ويقال: إن فلاناً لَعَزَى: أي: صبور^(٤).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة «عَزَيْنَ» على الاجتماع المظنون به قدرة.

تجلّت هذه الدلالة في سياق إنكاري تعجبي من تجمع المشركين وهم يظنون بأنفسهم أنهم أصحاب قدرة، أي: اجتماع يخدع أصحابه أنهم أصحاب غلبة، تجلّى ذلك في تصوير القرآن لهم بوصفهم (مُهْطِعِينَ) وقال: (عن اليمين) (وعن الشمال)، وأخبر أنهم (عزّين) أي: جماعة تعتقد بنفسها القدرة سواء كانت القدرة دنيوية أم فوزاً بالآخرة ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قِلَافًا مُّطْعِينَ ۖ عَنِ الْآيِينَ وَعَنِ الْقِتَالِ عَزِينَ﴾ [المعارج: ٣٦-٣٧]، أي: مجتمعين اجتماعاً يظنون في

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٣٣/٩.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٠٩/٤ (عزوى).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه: ٣١٠/٤ (عزوى).



أنفسهم أنهم أصحاب قدرة وأنهم عصبية تعتز بما عندها من أسباب الفوز والنجاح وأنهم على أمرٍ واحدٍ يعاند ما جاء به محمد ﷺ لذلك كذبوه واستهزأ جميعهم بما جاء به ﷺ.



■ (عسل)

تدل المادة في بعض صيغها على الطعام المعروف الحلو المذاق، أي: العسل^(١). يقال: خَلَيْتُ عَاسِلَةً، وَجِنَحْتُ عَاسِلًا، أي: كثير العسل^(٢).

والجِنَحُ: شِقٌّ في الجبل^(٣). يقال: فلان معسول الخُلُق، أي: طَيِّبُه^(٤). وَعَسَلْتُ فلاناً: جعلتُ زاده العسل^(٥).

وتدل المادة على شدة اهتزاز الرُمَح إذا هُزَّ يقال لذلك عَسَلَاناً^(٦). يقال: عَسَلُ يَغْسِلُ عَسَلَاناً كما يَغْسِلُ الدُّبُّ، إذا مَضَى مسرعاً. والذُّبُ عَاسِلٌ، والجمع عُسَلٌ وَعَوَاسِلُ^(٧). ويقال رُمَحٌ عَسَالٌ. والدَّلِيلُ يَغْسِلُ في المفازة إذا أُسْرِعَ^(٨).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة المنكرة والموصوفة بـ (مُصَفَّى) ﴿عَسَلِ مُصَفًّى﴾ على العسل الذي لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها.

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣١٣/٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣١٤/٤.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

(٧) ينظر: المصدر نفسه.

(٨) ينظر: المصدر نفسه.

تَجَلَّتْ هَذِهِ الدَّلَالَةُ فِي سِيَاقِ التَّذْكِيرِ بِمَا فِي الْجَنَّةِ مِنَ النِّعَمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَرٌ مِنْ حَمْرِ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]، أَي: عَسَلٌ لَمْ يَخَالِطَهُ الشَّمْعُ وَفَضَلَاتِ النَحْلِ وَغَيْرَهَا، وَفِي ذَلِكَ تَمَثِيلٌ لِمَا يَقُومُ مَقَامَ الْأَشْرَبَةِ فِي الْجَنَّةِ بِأَنْوَاعٍ مَا يَسْتَلْذِقُ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا بِالتَّجْرِيدِ عَمَّا يُنْقَضُهَا وَيُنْغَضُهَا، وَالتَّوَصُّيفُ بِمَا يُوْجِبُ غَزْرَاتِهَا وَاسْتِمْرَارَهَا^(١)، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى تَمَكِينِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ.

❦ ❦ ❦

■ (عشر)

يَقَالُ: كُنْتُ عَاشِرَ عَشْرَةٍ؛ أَي: كَانُوا تِسْعَةً فَتَمُّوا بِإِثْنِ عَشْرَةِ رِجَالٍ^(٢). وَيَقَالُ: جَاءَ الْقَوْمُ عَشَارَ عَشَارَ، وَمَعْشَرٌ مَعْشَرٌ، أَي: عَشْرَةٌ عَشْرَةٌ^(٣).

وَالْمَعْشَرُ: الْحِمَارُ الشَّدِيدُ التَّهَيُّقِ^(٤).

وَالْمَعْشَرُ: كُلُّ جَمَاعَةٍ أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ، نَحْوُ: مَعْشَرِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْإِنْسِ مَعْشَرٌ وَالْجَنُّ مَعْشَرٌ، وَالْجَمْعُ مَعَاشِرٌ^(٥).

أَمَّا فِي الْقُرْآنِ فَقَدْ وَرَدَتْ (٢٧) مَرَّةً، دَلَّتْ صِيغَةُ الْخُطَابِ «عَشِيرَتَكَ» عَلَى الْأَقَارِبِ الَّذِينَ هُمْ عَصَبَةُ الْإِنْسَانِ وَقُوَّتُهُ وَسِنْدُهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ بَعْدَ اللَّهِ.

(١) ينظر: البيضاوي: ٤٠٣/٢.

(٢) مقاييس اللغة: ٣٢٤/٤.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٢٤/٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٥/٤.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٧/٤.



تجلت هذه الدلالة في سياق الأمر: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].
الأقرب منهم فالأقرب، فإنَّ الاهتمام بشأنهم أهم.

روي أنه لما نزلت صعد رسول الله ﷺ الصفا وناداهم فخذاً فخذاً حتى اجتمعوا إليه، فقال: لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد^(١).



■ (عشو)

العين والشين والحرف المعتل أصل صحيح يدلُّ على ظلامٍ وقِلَّةٍ وضوح في الشيء^(٢)، والعِشاء: أول الظلام، وعِشَاء الليل: ظلمته، والعِشْي: آخر النَّهار^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (١٤) مرَّة، دلت الصيغة المعرفة المتصدرة بالباء ﴿بِالْعِشْيِ﴾ على وقت من الأوقات حدده الآية.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار عن نذر نذرته امرأة عمران، وما حصل بعد ذلك: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُكَ إِنِّي لِلْهِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

(١) ينظر: البيضاوي: ١٦٧/٢.

(٢) مقاييس اللغة: ٣٢٢/٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.



إِنَّ اللَّهَ يَرُؤُكَ مِنْ يَشَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ. قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَدَافَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا لِّكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّٰلِحِيْنَ * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِىَ غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّىَ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرَٔمًا وَادَّكُرَ رَبُّكَ كَثِيْرًا وَسَمِعَ بِالْعَصَىٰ وَالْإِبْرٰكِيْرِ ﴿ آل عمران: ٣٥-٤١ ﴾، أي: من الزوال إلى الغروب. وقيل: من العصر إلى صدر الليل، وقيل: من الغروب إلى صدر الليل^(١).

وهذا الوقت وأيّ وقت من الليل أو النهار يُنمُّ على قدرة الله يحصل بسبب حركة الأرض وعلاقتها بالشمس، والذي ينتج عن أمر يدل على قدرة الله فهو يدل بدوره على قدرة الله، فالشمس والأرض وحركتهما في الفراغ تدلان على عظيم القدرة، والعشي والإبكار الناتجان عن هذه الحركة والعلاقة بينهما يدلان على قدرة الله مكون الليل والنهار والعشي والإبكار.

٧ ٧ ٧

■ (عصب)

تدل (عصب) في اللغة في بعض صيغها على اللحم المكتنز الكثير العصب^(٢). وفلانٌ معصوب الخلق، أي: شديد اكتناز اللحم^(٣).

(١) ينظر: البضاوي: ١٥٩/١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.



وَالْعُصْبَةُ: هم من الرجال عشرة^(١). واعصوَصِبَ القَوْمُ: صاروا عَصَابَةً^(٢)
واليوم العَصِيب: الشديد^(٣). واعصُوَصِبَ اليومُ: اشتدَّ^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٥) مرّات، دلت الصيغة «عَصِيبٌ» على الشدّة.

تجلت الدلالة على الشدّة في سياق الإخبار عن حوارٍ دار بين إبراهيم عليه السلام ورسول الله من الملائكة جاؤوا لتدمير قرى لوط حيث قال لهم: (إِنَّ فِيهَا لُوطًا) فأخبروه (نحن أعلم بمن فيها)، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ مُجْتَدِلًا فِي قَوْمٍ لُّوطٍ﴾ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يَكَاذِبُهُمْ عَنْ هَذَا إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَّبِّكَ وَإِنَّهُمْ عَنِ إِبْرَاهِيمَ عَدَاؤٌ عَرِضٌ * وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ يَوْمٍ * وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿هود: ٧٤-٧٧﴾، أي: شديد^(٥). قوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ قاله في نفسه كما يناجي المرء نفسه إذا اشتد عليه أمر، يقال: يوم عصيب إذا حدث فيه أمر عظيم من أحوال الناس أو أحوال الجو كشدة البرد وشدّة الحر. وهو بزنة (فعليل) بمعنى (فاعل)، ولا يُعرَفُ له فعل مجرد وإنما يقال: اعصُوَصِبَ الشَّرُّ اشتدَّ^(٦).

وتجلت دلالة القوّة باستعمال القرآن الصيغة «عُصْبَةٌ» في سياق إجابة أولاد يعقوب أباهم حيث سألوه أن يرسل أخاهم يوسف معهم، وكان شديد الحرص عليه: ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَيْرُونَ﴾

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: الكشف: ٣٩٧/٢، وينظر: التفسير الكبير: ٣٢/١٨.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/١٢٥.



ابوسف: ١٤)، حلفوا لئن حصل ما خافه من خطف الذئب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال يمثلهم تعصب الأمور وتُكْفَى الخطوب دلالة على القوة والقدرة، إذ بمقدور العصبة الذود عن حياض المجموع بحيث يمتنع الواحد منهم ولا يُنال بمكروه^(١).

٢ ٢ ٢

(عصر)

من دلالات المادة (عصر) دلالتها على سحائب تجيء بمطر^(٢). وأُعْصِرَ القَوْمُ إذا أتاهم المطر^(٣). وسميت الرياح معصرات لأنها تثير السحاب^(٤)، وسميت إعصاراً^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (٥) مرّات، دلت الصيغة (إِعْصَار) زنة (إِفْعَال) على الرّيح الشديدة القوية.

تجلت الدلالة على الريح الشديدة القوية باستعمال القرآن الصيغة «إِعْصَارٌ» في سياق ضرب المثل، قال تعالى: ﴿أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦]. أي: أصابتها ريح في غاية الشدة تقلع الشجر والنبات^(٦).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣٢/١٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٤٢/٤ (عصر).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ٦٤/٧، وينظر: التحرير والتنوير: ٥٤/٣.



وتجلت الدلالة على القدرة في سياق الخبر أن الغيوم تثقل بالماء فإذا جاءتها الرياح عصرتها فأنزلت ماءها كل ذلك بقدرة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجَاً﴾ [النبا: ١٤]، أي: السحاب ذوات الأعاصير فإن السحاب إذا عصرتها الأعاصير لا بد أن ينزل المطر منها^(١).



(عصف)

من بين دلالات المادة (عصف) في اللغة. دلالتها على الشدة^(٢). فالريُّحُ العاصِفُ هي الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ، تَشْتَخِفُ الأشياء فتذهب بها أي: تَعْصِفُ بها^(٣) والعَصْفُ الحِجْفُ والسُّرْعَةُ^(٤). وتعني الكسر فالريُّحُ العاصِفَةُ والمُعْصِفَةُ التي تَكْثِرُ ما فيه قابلية الكسر^(٥). ومن المجاز: «الْحَزْبُ تَعْصِفُ بِالْقَوْمِ: تَذْهَبُ بِهِمْ»^(٦) و«الثَّاقَةُ الْعُصُوفُ: التي تعصف براكبها فتمضي كأنها ريح في السُّرْعَةِ»^(٧).

أما في القرآن: فقد وردت (٧) مرات في (٦) مواضع دالة على الشدة والقوة. استعمل القرآن الصيغة «عاصِفٌ» للدلالة على قوة الريح وشدتها. فقال تعالى في سياق التسيير في البر والبحر: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِإِيمٍ رِيحٍ طَئِبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٣٩/٤، ٣٤٠ (عصف).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٢٨/٤ (عصف).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٢٩/٤ (عصف).

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٦٩ (عصف).

(٦) معجم مقاييس اللغة: ٣٢٩/٤ (عصف).

(٧) المصدر نفسه.

ابن: ١٢٢]. والانتقال من الأحوال الموافقة للمقصود كجريان السفن بريح طيبة تبعث على تمام المسرة، والانتقال إلى الأحوال القاهرة الشديدة توجب الخوف العظيم والرعب الشديد، فالبلاء وقتها عظيم يدل على قدرة الله مرسل الريح الشديدة لتعصف بهم وتغير حالهم من حال إلى حال بقدرته وقهره^(١).

وفي ذكر ﴿وَجَرَيْنَ يَمِ بِرِيحٍ طَبَّيَّةٍ﴾ والفرح بها إيماء إلى أن مجيء العاصفة حدث فجأة دون توقع من دلالة علامات النوتية كما هو الغالب. وفيه إيماء إلى أن ذلك بتقدير مراد الله تعالى ليخوفهم ويذكرهم بوحدانيته. والعاصف: وصف خصت به الريح، أي: ريح شديدة السرعة. وإنما لم تلحقه علامة التأنيث لاختصاصه بوصف الريح فاستغنى عن التأنيث، فشاع استعماله^(٢).

وأقسام الجليل ببعض مخلوقاته دلالة على عظيم شأنها عنده وإشعار بقدرة خالقها. قال تعالى: ﴿وَالرَّسُلُ عُرُفًا * فَأَلْعَصِفْنَ عَصْفًا﴾ [المرسلات: ١-٢]. أي: الرياح تعصف بتمكين الله لها بمن تشاء مشيئته عقابه بعذاب من عنده^(٣). وقيل: إنها الملائكة تعصف بأرواح الكافرين أرسلهن بأمره فعصفن في مضيهن كما تعصف الريح^(٤)، تخففاً في امتثال أمره^(٥). أو قسم بريح عذاب أرسلت فعصفن^(٦). وحمل المعنى على القسم بمخلوقات عظيمة تدل على عظيم القدرة، والمقصود منه تأكيد الخبر، وتطويل القسم للتشويق لتلقي المقسم عليه^(٧).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٧٢/١٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣٧/١١.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٦٥/٥.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: الكشاف: ٦٦٤/٤.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ٢٦٥/٣٠.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٤١٩/١٩.



(عصم)

تدور مادة (عَصَمَ) في اللغة حول الحماية والمنعة أَنْ يَعْصِمَ الله عَبْدَهُ من سوء يقع فيه^(١). واعتَصَمَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، أي: امْتَنَعَ^(٢). «وَاسْتَعْصَمَ: التَّجَأُ»^(٣). وَيُقَالُ: «أَعَصَمْتُ فُلَانًا، أَي: هَيَأْتُ لَهُ شَيْئًا يَعْصِمُ بِمَا نَالَتهُ يَدُهُ، أَي: يَلْتَحِجِي وَيَتَمَسَّكُ بِهِ»^(٤). «وَاسْتَعْصَمَ: اسْتَمْسَكَ»^(٥).

أما في القرآن: فقد وردت (١٣) مرة في (١٢) موضعاً، ودلت الصيغة «يَعْصِمُكَ» على الحفظ الدال على قدرة الحافظ المانع لأي أذى بالمحفوظ. قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» [المائدة: ٦٧]. أي: يمنعك فلا يقدرّون عليك^(٦). قيل: «حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم»^(٧).

قوله: «وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» افتتح باسم الجلالة للاهتمام به لأن المخاطب والسامعين يترقبون عقب الأمر بتبليغ كل ما أنزل إليه، أن يلاقي عنثاً وتكالباً عليه من أعدائه فافتتح تطمينه بذكر الله اسم الله، لأن المعنى أن هذا ما عليك، فأما ما علينا فالله يعصمك، فموقع تقديم اسم الجلالة هنا مغنٍ عن الإتيان بأما. ومما يحسن فيه تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي؛ الوعد والضمان، لأن ذلك ينفي أن يشك من يوعده في تمام الوعد والوفاء به^(٨).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٣١/٤ (عصم).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٣٣١/٤ (عصم).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٦٩ (عصم).

(٦) مجاز القرآن: ١٧١/١.

(٧) تفسير القرآن العظيم: ٧٤/٢.

(٨) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦٣/٦.



وأشعر بالدلالة نفسها سياق آخر، تحدث فيه القرآن عن نوح عليه السلام، وهو يحاور ابنه في أثناء الطوفان يريد له النجاة من الغرق والركوب مع المؤمنين في السفينة لكنه أبى واستبدل سفينة أبيه بجبل يعصمه من الماء ويمنعه منها. لكنه تناسى أن لا عاصم من أمر الله إلا الله. قال تعالى على لسان نوح عليه السلام وابنه وهما يتحاوران في أثناء الطوفان. «قَالَ سَتَأْتِي إِلَيَّ جَبَلٌ يَعْصِي مِنِّي أَمْرًا قَالَا لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعَهُ» [هود: ٤٣].

قوله: «يَعْصِي مِنِّي» أي: يمتنعني من الغرق^(١).

قوله: «يَعْصِي مِنِّي أَمْرًا» إما صفة لـ (جبل) أي: جبل عال، وإما استئناف بياني، لأنه استشعر أن نوحاً عليه السلام يسأل لماذا يأوي إلى جبل عال إذ ابنه قد سمعه وهو ينذر قومه بطوفان عظيم فاعتقد الابن أن الطوفان لا يبلغ أعالي الجبال، وأن أباه لم يقصد إلا غالب المرتفعات دون الشامخات من الجبال. لذا كانت الإجابة أنه «لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ». واستثناء (مَنْ رَجَعَهُ) من مفعول يتضمنه (عَاصِمٌ) إذ العاصم يقتضي معصوماً وهو المستثنى منه. وأراد بـ (مَنْ رَجَعَهُ) من قدر الله له النجاة من الغرق برحمته. وهذا التقدير مظهره الوحي بصنع الفلك والإرشاد إلى كيفية ركوبه، ومتى يركبه نوح ومن آمن معه^(٢).

وإذا كان الكافر يعتقد أن بمقدور غير الله أن يمتنعه من الهلاك كما حصل مع ولد نوح عليه السلام حين اعتصم بالجبل العالي ليحميه من الغرق فإن المؤمن يعتقد أن الله وحده هو القادر على أن يحمي من يلوذ به ويمنعه من أن تمتد إليه يد المخلوقين بأذى.

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن: ص ٢٠٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٧/١٢.



وتجلت دلالة القدرة في استعمال القرآن للصيغة «يَعِصُّكُمْ» في معرض الإخبار إخبار القرآن أنه لا راد لمشئته الله إن أراد بقوم عذاباً أو هلاكاً فلا قدرة لأحد منع ذلك. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ أَلَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧].

يجوز أن تكون هذه الآية واقعة موقع التعليل لقوله: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ﴾ [الأحزاب: ١٦]؛ فكأنه قيل: فمن ذا الذي يعصمكم من الله، أي: فلا عاصم لكم من نفوذ مراده فيكم. وإعادة الفعل (قل) تكرير لغرض الاهتمام بمضمون الآية.

والمعنى: لأن قدرة الله وإرادته محيطة بالمخلوقات فمتى شاء حصل تأثير الأسباب أو عرقلها بالموانع، فهو سبحانه وتعالى إن يشأ حرم الانتفاع بالأسباب أو الانتقاء بالموانع، فربما أتت الرزايا من وجوه الفوائد، ومتى شاء خيراً خاصاً بأحد هياً له الأسباب ويسرها حتى يجد من التيسير ما لم يكن مترقباً، ومتى لم تتعلق مشيئته بخصوص خلقٍ بين الناس وبين ما سببه في أحوال الكائنات فنال كل أحد نصيباً على حسب فطنته ومقدرته واهتدائه، فإن الله أودع في النفوس مراتب التفكير والتقدير؛ فعصيان الله ورسوله وخذل المؤمنين من قبلكم يؤدي إلى إرادة السوء بكم من ربكم فلا عاصم لكم من مراده وعقابه، فالاستنفهام إنكار في معنى النفي لاعتقادهم لما يعتقدون من أن المكر والكيد والحيلة برسول الله ﷺ تنفعهم وأن الفرار يعصمهم من الموت إن طلب منهم القتال.

وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ﴾ جواب شرط في قوله: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ وقبول السوء بالرحمة لأن المراد سوء خاص وهو السوء المجعول عذاباً لهم على معصية الرسول ﷺ وهو سوء النعمة، فهو سوء خاص مقدر من الله لأجل تعذيبهم إن أراد، فيجري على خلاف القوانين المعتادة^(١).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩١/٢١، ٢٩٢.



(عصو)

العصا سُمِّيَتْ بذلك لاشتغال يدِ مُمَسِّكِهَا عَلَيْهَا^(١)، ثم قيس ذلك فقليل للجماعة عصاً^(٢). يقال: العَصَا: جماعة الإسلام، فمن خالفَهُمْ فقد شَقَّ عصا المسلمين^(٣). ويقال: عَصَوْتُ الْجُرْخَ: أَغْضَوْتُهُ، أي: دَاوَيْتُهُ^(٤)، وأصل العصا: الاجتماع والائتلاف^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (١٢) مرّة، دلت الصيغة المضافة إلى كاف الخطاب والمتصدرة بالباء ﴿يَعَصَاكَ﴾ على القدرة، وتجلت هذه الدلالة في سياق الأمر، فقد أمر ربنا سبحانه نبيه موسى ﷺ أن يضرب بعصاه الحجر حين طالبه قومه أن يسأل ربّه الماء ليشربوا وينتفعوا بها: ﴿وَإِذْ أَسْتَشَقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]، اللام فيه للعهد على ما روي أنه كان حجراً طورياً حمله معه، وكانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين، تسيل كل عين في جدول إلى سبط، وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلاً، أو حجراً أهبطه آدم من الجنة، ووقع إلى شعيب عليه السلام فأعطاه لموسى مع العصا، أو الحجر الذي قَرَّ بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الأدرّة، فأشار إليه جبريل عليه السلام بحمله، أو للجنس وهذا أظهر في الحجة.

قل: لم يأمره بأن يضرب حجراً بعينه، ولكن لما قالوا: كيف بنا لو أفضينا إلى أرض لا حجارة فيها؟ حمل حجراً في مخلاته، وكان يضربه بعصاه إذا نزل فينفجر، ويضربه بهذا إذا ارتحل فييس، فقالوا: إن فقد موسى عصاه متنا

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٣٤/٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٥/٤.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.



عطشاً، فأوحى الله إليه لا تفرح الحجر، وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون، وقيل: كان الحجر من رخام الجنة وكان ذراعاً في ذراع، والعصا عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة^(١).

وتتحول العصا في موضع من القرآن إلى حية عظيمة دلالة على قدرة الله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ • حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ • قَالَ إِن كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٤-١٠٧] ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وهو الحية العظيمة.

روي أنه لما ألقاها صارت ثعباناً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعاً، وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر، ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث، وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً، وصاح فرعون: يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذه وأنا أومن بك، وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه فعاد عصا^(٢).



■ (عضد)

تدل المادة (عَضَدَ) في اللغة في بعض صيغها على القُوَّة والمُعِين، يقال للعضو ما بين المرفق إلى الكتف: عَضُدٌ^(٣). يقال: فلانُ: عَضْدِي لمكان القُوَّة التي في العَضْدِ^(٤). ورجلٌ عَضْدِيَّ وَعَضَادِيَّ^(٥).

(١) ينظر: البيضاوي: ٦٤/١.

(٢) ينظر: البيضاوي: ٣٥٢/١.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٤٨/٤ (عضد).

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

قال الخليل: والعَضُدُ: المَمْعُونَةُ^(١)، ويقال: غَضَدْتُ فلاناً، أي: أَعْتَمْتُه^(٢).
وقيل: عَضُدُ الرجل: قَوْمُهُ وعشيرته^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مرّتين، دلت الصيغة «عَضُدًا» على القوّة.

تجلّت الدلالة على القوّة باستعمال الصيغة «عَضُدًا» في سياق الإخبار: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا * مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥٠-٥١]، أي: أعواناً فلا يصح منك الاعتضاد بهم، وما ينبغي لك أن تعتز بهم وتتقوى وتستعين^(٤).

وتجلت الدلالة على الشدّة والقوّة باستعمال القرآن الصيغة «عَضُدَكَ» في سياق الوعد الصادق بالنصرة والتقوية والإعانة: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيْنِئْنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [النصر: ٣٥]، أي: إنك مُعَانٌ مُقَوَّى به، فيما أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدّة العضد، وإما لأن الرّجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد، فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة^(٥). وقيل المراد: أننا سنؤيدك بفصاحة أخيك، وتعليقه بالشدّ ملحق بباب المجاز العقلي. وهذا كله تمثيل لحال إيضاح حجته بحال تقوية من يريد عملاً عظيماً أن يشدّ يده وهو التأييد الذي شاع في معنى الإعانة والإمداد، وإلا فالتأييد أيضاً مشتق من اليد فأصل معنى (أَيَّدَ) جعل يداً، فهو استعارة لإيجاد الإعانة^(٦).

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: الكشف: ٧٠٠/٢، وينظر: التفسير الكبير: ١٣٩/٢١، ١٤٠.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤٠/٢٤.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٧/٢١.



■ (عضل)

من دلالات المادة (عضل) في اللغة دلالتها على شدة^(١). من ذلك كلُّ لحمه ضُلْبَةٌ في عَصَبَةٍ فهي عَضَلَةٌ^(٢). يقال: عَضِلَ الرَّجُلُ يُعْضَلُ عَضَلًا^(٣).

ويقال: هو عَضْلَةٌ من العَضَل، أي: مُنْكَر داهية. كأنه وُصِفَ بالشَّدة^(٤). والعَضَل من الرِّجال: القوي^(٥). والمُعْضِلات: الشَّدائد^(٦).

ويقال: عَضَلْتُ عليه، أي: ضَيَّعْتُ في أمره^(٧). وعَضَلْتُ المرأةَ عَضَلًا، وعَضَلْتُهَا تعضيلًا، إذا منعتها من التَّزْوَج ظلماً^(٨).

أما في القرآن فقد وردت مرَّتين، دلت الصيغة الجمعية المؤنثة المسبوقة بلام التَّهْيِي المصدرة بالفاء ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ على القدرة.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعَنَ آجُلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

أي: لا يمنع أولياء النساء النساء من العودة إلى أزواجهن. وشاع في كلام العرب منع الولي مولاته من النكاح. وفي الشرع هو المنع بدون وجه صلاح.

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٤٥/٤ (عضل).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٦/٤ (عضل).

(٧) ينظر: المصدر نفسه.

(٨) ينظر: المصدر نفسه.



ولأن جانب المرأة ضعيف، مطموع فيه، فلا يليق تركها تتولى مثل هذا الأمر بنفسها؛ لأنه ينافي نفاستها وضعفها فقد يستخف بحقوقها الرجال، حرصاً على منافعهم وهي تضعف عن المعارضة لذا كان لها ولي ينافح عنها ويدفع عنها طمع المستخفين بها^(١).

وتجلت الدلالة نفسها في موضع من القرآن وذلك في سياق النهي: «وَلَا تَعْمَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ» [النساء: ١٩].

عطف النهي على العَظْل على النهي عن إرث النساء (كرهاً) لمناسبة التماثل في الإكراه وفي أن متعلقه سوء معاملة المرأة.

وفي أن العَظْل لأجل أخذ مالٍ مِنْهُنَّ. أي: إنه النهي عن أن يعضل الولي المرأة من أن تتزوج لتبقى عنده فإذا ماتت ورثها، وهذا ينطبق في الغالب على الأزواج^(٢).



■ (عطا)

«الإِعْطَاءُ، وَالْمُعَاطَاةُ: الْمُنَاوَلَةُ»^(٣). وَالْعَطْوُ: التَّنَاوُلُ بِالْيَدِ^(٤). وَالْعَطَاءُ: اسْمٌ لِمَا يُعْطَى أَيُّ: الْعَطِيَّةُ وَجَفْمُهَا عَطَايَا^(٥). «وَعَاطَانِي وَتَعَاطَانِي فَعَطَوْتُهُ»^(٦). وَإِذَا كَثُرَ عَطَاءُ امْرِئٍ صَارَ مِعْطَاءً^(٧).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٢٧/٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨١/٤، ٢٨٢.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٣٥٣/٤، وينظر: معجم متن اللغة: ١٣٩/٤ (عطا).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٥٣/٤ (عطا).

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٥٣/٤، وينظر: معجم متن اللغة: ١٤٠/٤ (تعاطى).

(٦) معجم متن اللغة: ١٤٠/٤.

(٧) ينظر: معجم متن اللغة: ١٤٠/٤.



أما في القرآن: فقد وردت (١٤) مرة في (١٢) موضعاً، دلت الصيغة ﴿أَعْطَى﴾ على المنح الدال على القدرة، ففي سياق الحوار بين موسى وهارون من جهة، وفرعون من جهة أخرى. قال تعالى على لسان المتحاورين: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَى﴾ * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ ﴿طه: ٤٩-٥٠﴾. ربنا خالق الوجود، وخص بقدرته كل مخلوق بهيئة وصورة، لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديراً. خلق اليد للبطش، والرجل للمشي، واللسان للنطق، والعين للنظر، والأذن للسمع. أعطى خليقته كل شيء يحتاجونه ويرتفقون به^(١). «يكون المراد من الخلق الشكل والصورة المطابقة للمنفعة، فكأنه سبحانه قال: أعطى كل شيء الشكل الذي يطابق منفعته ومصلحته»^(٢).

لقد استدل موسى ﷺ على إثبات الصانع بما في المخلوقات من الدلائل، وهو قوله: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ﴾ وهذه الدلالة هي التي ذكرت في قوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ * الَّذِي خَلَقَ فَتَوَصَّيْ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿[الأعلى: ١-٣]﴾. وإجابة موسى بإثبات الربوبية لله لجميع الموجودات جزئي على قاعدة الاستدلال بالكلية على الجزئية بحيث ينتظم من مجموعها قياس، وفرعون من جملة الأشياء، فهو داخل في العموم، إذ هو من بين (كل شيء).

والخلق: مصدر بمعنى الإيجاد. وفعل الإعطاء للتدليل والتنبيه على أن الخلق والتكوين نعمة، فهو استدلال على الربوبية وتذكير بالنعمة معاً. ويجوز أن يكون الخلق بالمعنى الأخص، وهو الخلق على شكل مخصوص،

(١) ينظر: الكشف: ٦٥/٣، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٦/١٥، ٢٠٧.

(٢) التفسير الكبير: ٦٦/٢٢.



فهو بمعنى الجعل، أي: الذي أعطى كل شيء من الموجودات شكله المختص به، فكونت بذلك الأجناس والأنواع والأصناف والأشخاص من آثار ذلك الخلق. وقد يكون (كل شيء) مفعولاً ثانياً لـ (أعطى) ومفعوله الأول (خلقه)، أي: أعطى خلقه ما يحتاجونه. فتكيب الجملة صالح للمعنيين.

والاستغراق المستفاد من (كل) عرفي، أي: كل شيء من شأنه أن يعطاه أصناف الخلق ويناسب المعطي، أو هو استغراق على قصد التوزيع بمقابلة الأشياء بالخلق. والمعنى: هل أنت معطي الخلق خلقهم أم لا؟ فلا شك أنك تعلم ما أعطيت شيئاً خلقه، فإذا تأمل فرعون أدرك في نفسه أن الله عَلَّمَكَ هو الذي أعطى كل شيء خلقه، وأعطى المخلوقات نعمه وفضله.

و(ثم) للترتيب بمعنييه الزمني والرتبي، أي: كان الخلق أولاً ثم هداهم إلى الذي خلقهم لأجله، هداهم إلى الحق بعد أن خلقهم، وأفاض عليهم النعم^(١). قال الزمخشري: «لله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالباً للحق»^(٢). وما يعطيه المخلوق بتمكين الله، غير ما يعطيه الخالق، فالمخلوق محدود العطاء، والخالق لا حدود لعطاءه؛ لأن عطاءه شامل كامل.

واستعمل القرآن في موضع منه الصيغة (عطاؤنا) تدليلاً على سعة العطاء وعظمته المشعرين بقدرة المعطي. قال تعالى في سياق الحديث عن سليمان عَلَيْهِ وطلبه من ربه ملكاً لا يكون لأحد من بعده: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُتَبَدَّلُ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣٢/١٦، ٢٣٣.

(٢) الكشف: ٦٥/٣.



رُحَاهُ حَيْثُ أَصَابَ * وَالْقَيْطِينَ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرٍ * وَالْخَرَيْنَ مُقَرَّبَيْنَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَأَمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ يُغَيِّرُ حِسَابٍ ﴿ (ص: ٣٥-٣٩) أي: «هذا الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا) بغير حساب، يعني جعلاً كثيراً لا يكاد يقدر على حسبه وحصره»^(١)

والإيماءُ إلى التسخير مُستفادةٌ من: (سخرنا له الريح) إلى قوله: ﴿وَالْقَيْطِينَ﴾، أي: هذا التسخير عطاؤنا. والإضافة لتعظيم شأن المضاف لانتسابه إلى المضاف إليه، فكأنه قيل: هذا عطاؤنا عظيم أعطيناكه. والعطاء مصدر بمعنى المعطى مثل الخلق بمعنى المخلوق، والمعنى: هذا عطاؤنا أعطيناكه عطاء غير محدد ولا مقتر فيه، أي: كان عطاؤنا واسعاً وافياً من قادر على العطاء لا تضيق فيه عليك^(٢).



■ (عظم)

من دلالات المادة (عظم) في اللغة دلالاتها في بعض صيغها على الذي كَبُرَ. يقال: عَظُمَ الشَّيْءُ عِظْماً: كَبُرَ، فهو عظيم^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (١٢٨) مرّة، دلت الصيغة «عَظِيمٌ» زنة (فعيل) على العذاب القوي الشديد.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار على الختم على قلوب الكافرين وعلى أسماعهم، قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ

(١) الكشف: ٩٣/٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦٧/٣.

(٣) تهذيب الصحاح: ٦٧٤/٢ (عظم).



غَشَوَتْ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿البقرة: ١٧﴾، أي: لهم عذاب آلام لا يعلم كنهها إلا الله^(١). عذاب شديد الوطأة عليهم بحيث لا يعلم شدته وقوته إلا الذي هيأه وأعداه لهم^(٢).

وقابل القرآن في موضع منه بين عفو الله عن طائفة تابت وأخلصت لله بعد عصيان ونفاق وبين تعذيب طائفة مصرة على النفاق غير تائبة منه. قال تعالى: ﴿لَا تَقْنَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ إِنْ تَقِفْ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦]، قيل: إن نفع عن طائفة منكم لم يؤدوا رسول الله ﷺ ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في العاجل، نعذب في العاجل طائفة بأنهم كانوا مجرمين مؤذنين لرسول الله ﷺ^(٣). وفي قراءة: (يُعَذَّب)^(٤). وقيل: لما كان جرم الطائفة الثانية أكبر وأقوى من جرم الطائفة الأولى كان عذابها أغلظ وأقوى، فوق التعليل بذلك الجرم الغليظ، وفي ذلك تنبيه أيضاً على أن جرم الطائفة الثانية بقي واستمر ولم يزل، فوجب التعذيب^(٥). هذا التقابل الدلالي بين العفو عن طائفة وبين تعذيب طائفة أخرى يدل على قدرة الذي يعفو ويعذب وهو نفسه الجليل القادر تعالى.

وتجلت دلالة (العظيم) في موضع من القرآن على الملك والقدرة، قال تعالى: ﴿وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي: العظيم الملك

(١) ينظر: الكشف: ٦٢/١.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٦٠/٢.

(٣) ينظر: الكشف: ٢٨٧/٢.

(٤) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: مكي بن أبي طالب،: تحقيق:

د. محيي الدين رمضان، ط ٥، مؤسسة الرسالة بيروت، ٥٠٤/١.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ١٦/١٢٨.



والقدرة^(١). وعظمته سبحانه كائنة بالمهابة والقهر والكبرياء^(٢)، والعلو والعظمة مستعاران لشرف القدر وجلال القدرة^(٣).

٢ ٢ ٢

■ (عفا)

من دلالات المادة (عفا) في صيغة من صيغها الدلالة على الصفوة قيل: «عَفُوهُ الشَّيْءُ، بالكسر صَفُوته»^(٤). «والعافية: دفاع الله عن العبد»^(٥). «وَعَفَتْ الرِّيحُ المنزل دَرَسَتْهُ»^(٦). «وَعَفُوْتُ عَنْ ذَنْبِهِ؛ إِذَا تَرَكْتَهُ وَلَمْ تَعَاقِبْهُ»^(٧). «وَالْعَفْوُ عَلَى فَعُولٍ: الْكَثِيرُ الْعَفْوُ»^(٨). «وَعَفَا الشَّيْءُ: كَثُرَ»^(٩).

أما في القرآن فقد وردت (٣٥) مرة، دلت الصيغة «وَعَفَا» على التوسعة، تجلّت هذه الدلالة على التوسعة باستعمال القرآن الصيغة «وَعَفَا» في سياق الحديث عن الصوم، وماذا يحل للصائم في الليل والنهار، قال تعالى: «أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْفَصَائِرِ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ يُسَاقِيكُمْ مِنْ لَيْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ» [البقرة: ١٨٧]، أي: وسّع عليكم أن أباح لكم الأكل والشرب والمعاشرة في كل الليل^(١٠).

(١) ينظر: الكشاف: ٢٩٧/١.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٤/٧، ١٥.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٤/٣.

(٤) تهذيب الصحاح: ١٠٢٨/٣ (عفا).

(٥) تهذيب الصحاح: ١٠٢٨/٣ (عفا).

(٦) تهذيب الصحاح: ١٠٢٨/٣ (عفا).

(٧) تهذيب الصحاح: ١٠٢٨/٣ (عفا).

(٨) تهذيب الصحاح: ١٠٢٨/٣ (عفا).

(٩) تهذيب الصحاح: ١٠٢٨/٣ (عفا).

(١٠) ينظر: التفسير الكبير: ١١٦/٥.

(عَفَرْتُ)

تدل المادة (عفر) في اللغة في صيغة من صيغها على التمرغ بالتراب يقال: عَفَرَهُ في التُّراب يَعْفُرُهُ، وَعَفَّرَهُ تَعْفِيرًا، أَي: مَرَّعَهُ^(١). والعَفَار: شَجَرٌ يُقَدَحُ مِنْهُ النَّارُ^(٢). وَعَفَرِيْتُ نَفْرِيْتُ، وَعَفْرِيَّةٌ نَفْرِيَّةٌ الَّذِي لَا يُزْرَأُ فِي أَهْلِ وَلَا مَالٍ^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة، دلت صيغة «عَفَرِيْتُ» المنكرة على التمكين.

تجلت الدلالة على التمكين باستعمال القرآن صيغة «عَفَرِيْتُ» في سياق الطلب حين طلب سليمان عليه السلام من جنوده الأقوياء أن ينبري أحدهم إلى أمرٍ عظيم يأتياه بعرش ملكة (سبأ) رغم المسافات الشاسعة بين فلسطين واليمن: ﴿قَالَ عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا بَيْنَكَ بِهٖ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩]، والعفريت اسم لعتاة الجن، يوصف به الناس على معنى التشبيه^(٤).

(عَفَفَ)

تدل المادة (عَفَفَ) في اللغة على الكف عن القبيح^(٥). فالعَفَّة: الكَفُّ عَمَّا لَا يَنْبَغِي^(٦). وَرَجُلٌ عَفَفٌ وَعَفِيفٌ. وَقَدْ عَفَفَ يَعْفُ عَفَّةً وَعَفَافَةً وَعَفَافًا^(٧).

(١) ينظر: تهذيب الصحاح: ٣٠٨/١ (عفر).

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٨/١ (عفر).

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٨/١ (عفر).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٠/١٩.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/٤ (عَفَفَ).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (٤) مرّات، ودلت الصيغة المعرفة ﴿التَّعَفُّفِ﴾ على النزاهة عمّا لا يليق وفي ذلك قدرة.

تجلّت هذه الدلالة في سياق يصف الذين أُخْصِرُوا في سبيل الله. قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، أي: تكلف العفاف وهو النزاهة عمّا لا يليق بالمؤمن العزيز النفس^(١) قوتها يترفع عن الطمع مما في أيدي الناس. حتى إن الجاهل بحقيقة حاله يظنه غنياً، لصبره وشدة احتماله وقناعته^(٢).

ودلت الصيغة المتصدرة بلام الأمر والمسبوقه بالواو ﴿وَلَسْتَغْفِرِ﴾ على الاجتهاد في العفة والتصبر. قال تعالى: ﴿وَلَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَالًا﴾ [النور: ٢٣]، أي: لِيُصْبِرْ نفسه ويعفها ويجتهد في ذلك، ويحملها على ذلك. أي: ليقدّرها على العفة وليمكنها من الصبر والتصبر^(٣).



■ (عقب)

لمادة عقب في اللغة دلالات حسية ومعنوية، فمن دلالتها الحسية الدالة على القدرة والتمكين: «المعقّب: السائق الحاذق بالسوق»^(٤)، والعُقَاب من الطيور سمّيت بذلك لشدها^(٥).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٥/٣.

(٢) ينظر: التفسير المنير: ٧٨/٣.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢١٦/٢٣.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: ٢٧٥/١، ٢٧٦ (عقب).

(٥) ينظر: نفس المصدر: ٢٧٦/١ (عقب).



ومن دلالات المادة المعنوية الدالة على القدرة قولهم: «والعقاب والمعاقبة أن تجزي الرجل بما فعل سُوءاً والاسم العُقوبة. ويقال: أعقبته بمعنى عاقبته»^(١).

ويقال: «أعقبه الله خيراً بإحسانه، بمعنى عوّضه وأبدله»^(٢).

و«المعاقب الذي أدرك ثأره»^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٨٠) مرة، أشعرت الصيغة «عِقَابٍ» زنة (فَعَال) بالقدرة وذلك بإلحاق العذاب بأعداء الدين.

تجلى ذلك من خلال المقابلة بين المغفرة والعقوبة في قوله تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣] أي: إنه سبحانه لذو مغفرة ورحمة بأنبيائه وإنه لذو عِقَابٍ لأعدائهم^(٤). فالتقابل الدلالي في الآية الكريمة بين المغفرة والعقوبة دلل على قدرة الله تعالى القادر على أن يثيب من يستحق المثوبة ويعاقب من يستأهل ويستحق العقوبة.

والآية تسلية للرسول ﷺ ووعد بأن الله يغفر له، ووقوع هذا الخبر عقب قوله: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يؤمى إلى أن الوعد جاء جزاءً على ما لقيه من أذى المشركين والوعيد في الآية للذين آذوه. ومعنى المغفرة للرسول ﷺ: التجاوز عما لحقه من الحزن بما سمع من المشركين من أذى كثير. وحرف (إنّ) فيه لإفادة التعليل والتسبب لا للتأكيد. وكلمة

(١) ينظر: نفس المصدر: ٢٧٧/١ (عقب).

(٢) ينظر: نفس المصدر: ٢٧٧/١ (عقب).

(٣) مقاييس اللغة: ٧٨/٤ (عقب).

(٤) ينظر: الكشف: ١٩٦/٤، ١٩٧.



(ذو) مؤذنة بأن المغفرة والعقاب كليهما من شأنه تعالى وهو يضعهما بحكمته في المواضع المستحقة لكل منهما.

ووصف العقاب بـ (أليم) دون وصف آخر للإشارة إلى أنه مناسب لما عوقبوا لأجله فإنهم ألموا نفس النبي ﷺ بما عصوا وأذوا. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ حُسن الجمع ثم التقسيم. نظير ذلك قوله ﴿وَسَتَعْلَمُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، قوله (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) عطف على قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾ وهذا كشف لغرورهم بتأخير العذاب عنهم لأنهم لما استهزؤوا بالنبي ﷺ وتعرضوا لسؤال حلول العذاب بهم ورأوا أنه لم يجعل لهم حلوله اعترتهم ضراوة التكذيب وحسبوا تأخير العذاب عجزاً من المتوعد وكذبوا النبي ﷺ وهم يجهلون أن الله حكيم يمهل عباده لعلهم يرجعون. فالمغفرة هنا مستعملة في المغفرة المؤقتة، وهي التجاوز عن شدة تكذيبهم وتأخير عذابهم إلى أجل. والعذاب المقصود في الآية يراد به عذاب الدنيا الذي يقبل التأخير كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]، أي: عذاب الدنيا، وهو الجوع الذي أصيب به قريش بعد أن كان يطعمهم من جوع.

وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ احتراص لثلاثا يكون اعتقاد أن المغفرة المرادة مغفرة دائمة، وفيه إشعارٌ لهم أن العقاب خالٌّ بهم وواقعٌ عليهم من بعد ذلك الإمهال^(١)، وفي ذلك دلالة على قدرة الله تعالى موقع العقوبة بالكافرين والتي لا فكاك لهم منها.

(عقد)

تدل المادة (عقد) في اللغة على اللحمة والتماسك من ذلك عقد البناء، والجمع أعقاد وعُقود^(١). قال الخليل: ولم أسمع له فعلاً. ولو قيل عَقَدَ تعقيداً، أي: بنى عَقْداً لجاز^(٢). وعَقَدَ قَلْبَهُ على كذا فلا يَنْزِع عنه^(٣). واعتَقَدَ الشَّيْءَ: صَلَّبَ^(٤). واعتقد الإخاء؛ ثَبَّتَ^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (٧) مرّات، دلت الصيغة «عَقَدْتُمْ» على إحكام اليمين وتغليظها.

تجلت هذه الدلالة على الإحكام والتغليظ في اليمين باستعمال الصيغة «عَقَدْتُمْ» في سياقٍ يفرق بين يمينين: يمين اللغو التي لا تقع ولا يُؤَاخَذُ عليها، واليمين المحكمة التي تقع ويؤاخذُ عليها.

قال تعالى: «لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ» [المائدة: ٨٩]، أي: أحكمت أيمانكم وغلظتموها وقصدتم إيقاعها. فعلى من قرأ بالتشديد عنى التكرير مرة بعد مرة^(٦). والمبالغة في فعل عَقَدَ. ومن قرأ بالتخفيف فقد قصد التثبيت^(٧). فالصيغة (عَقَدْتُمْ) توحى بقوة اليمين وقوتها جاءت من العزم على إيقاعها والقصد إلى ذلك. وسواء أكان المراد التكرير والتكثير أم التثبيت، ففي ذلك إشعار أن موقعها يريد أن تكون نافذة.

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٨٦/٤ (عقد).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٨٧/٤ (عقد).

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ٧٨/١٢.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/٧.



(عقر)

تدور مادة (عقر) في اللغة على معانٍ حسيّةٍ ومعنوية. الحسيّة ما دل منها على الثبات. يقال: تَعَقَّرَ الغيثُ أقام وثبت فكأنه عَقِرَ^(١). والعَقْرُ كالجرح: عَقَرْتُ الخيل، أي: ضَرَبْتُ قوائمها بالسيف^(٢).

ومن دلالتها المعنوية المعارقة: المنافرة^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٨) مرّات، دلت الصيغة «فَعَقَرَ» المتصلة بالفاء على القتل.

تجلّت دلالة القتل باستعمال الصيغة «فَعَقَرَ» المتصلة بالفاء في سياق الخبر، قال تعالى: ﴿فَادَا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩]، قيل: «تعاطى آلة العقر فعقر»^(٤). أي: أقدم على الفعل العظيم المخالف لأمر الله فقتل الناقة^(٥).

وأخبر القرآن عن هذا الحدث في موضع آخر منه فقال: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَتَيْنَا بِمَا قَدَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧]، أسند العقر إلى جميعهم؛ لأنه كان بتخطيطهم جميعاً وإن لم يباشر العقر إلا بعضهم^(٦).

والفاء للتعقيب لحكاية قول الذين استكبروا: ﴿إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنُكُمْ بِهِ كَفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦]، أي: قالوا ذلك فعقروا، والتعقيب في كل شيء

(١) مقاييس اللغة: ٩١/٤ (عقر).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٩٠/٤ (عقر)، الصحاح: ٧٥٣/٢ (عقر).

(٣) ينظر: الصحاح: ٧٥٣/٢ (عقر).

(٤) التفسير الكبير: ٥٥/٢٩.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٢/٢٧.

(٦) ينظر: الكشاف: ١١٩/٢، وينظر: التفسير الكبير: ١٧٢/١٤.



بحسبه، وذلك أنهم حين قالوا ذلك كانوا قد صدعوا بالكذب، وصَمَمُوا عليه، وعجزوا عن المحاجة والاستدلال فعزموا على النكاية والإغاطة لصالح عليه السلام ومن آمن به، ورسوموا لابتداء علمهم أن يعتدوا على الناقة التي جعلها صالح عليه السلام لهم، وأقامها بينَهُ وبينهم علامة مواعدة ما داموا غير متعرضين لها بسوء، ومقصدهم من نيتهم إهلاك الناقة أن يزيلوا آية صالح عليه السلام لئلا يزيد عدد المؤمنين به.

والضمير في قوله: ﴿فَعَقَرُوا﴾ عائد إلى (الذين استكبروا) وقد أسند العقر إليهم وإن كان فاعله واحداً منهم؛ لأنه كان عن تمالؤ ورضى من جميع الكبراء، كما دلَّ عليه قوله في سورة القمر: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾، وأطلق العقر على النحر على وجه الكناية^(١). فعقر الناقة يدل على التمكن من المعقور والذي باشر العقر (فُدار) بضم القاف. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «... انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه»^(٢).



(عقل)

«العقل: نقيض الجهل. يقال: عَقْلٌ يَعْقِلُ عَقْلاً، إذا عَرَفَ ما كان يجهله قبل»^(٣). و«رجل عاقل وقوم عَقْلَاء وعاقلون»^(٤). و«رجل عَقُول، إذا كان حَسَنَ الفهم وافر العقل»^(٥). و«المَعْقِلُ: الحصن وجمعه عَقُول»^(٦).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٢٥/٨، ٢٢٦.

(٢) صحيح البخاري رقم الحديث (٤٩٤٢) العارم: الجبار.

(٣) مقاييس اللغة: ٦٩/٤ (عقل).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه: ٧٠/٤ (عقل).



أما في القرآن فقد وردت (٤٩) مرّة، دلت الصيغة «عَقَلُوهُ» على الفهم المشعر بالتمكن بعد تمكين.

تجلّت الدلالة على الفهم المشعر بتمكن الفاهم لما فهم في سياق الإخبار. فقد أخبر سبحانه نبيه ﷺ والمؤمنين معه عن حال اليهود عندما دعوا إلى كتاب الله: «أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَدٍ مَّا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» [البقرة: ١٧٥، أي: تمكنوا من معرفة صحة ما تدعونهم إليه وتيقنوا أنكم على الحق لكنهم أصروا على فسادهم وكانوا معاندين مقدمين على ذلك بالعمد وهم خاصتهم العلماء منهم فعلوا ذلك لضرب من الأغراض وقد أخبر تعالى عن معرفتهم الدالة على تمكنهم فقال: «يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ» [البقرة: ١٧٦، فأهل الكتاب يعلمون القصص التي حصلت لأسلافهم حيث سمعوها وتناقلوها فلما سمعوها من محمد ﷺ علموا لا محالة أنه ما أخذها إلا من الوحي. فلقد عدد لهم القرآن النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل: كالإنجاء من آل فرعون بعد أن كانوا مقهورين مستعبدين ونصره إياهم وجعله منهم أنبياء وملوكاً ممكنين في الأرض، وفرق بهم البحر وأهلك عدوّهم، وإنزاله النور والبيان عليهم بنزول التوراة، والصفح عن الذنوب التي ارتكبوها يوم عبدوا العجل ونقضوا الميثاق ويوم سألو موسى ﷺ رؤية الله جهرة، ثم ما كان من إنعامه سبحانه عليهم في التيه يوم أخرج الماء العذب من الحجر، وإنزاله سبحانه عليهم المن والسلوى، ويوم وقاهم من حرّ الشمس بتظليل الغمام. ثم إنه سبحانه وصفهم في القرآن بتقديم كفرهم وخلافهم وشقاقهم وتعنتهم مع الأنبياء ومعاندتهم وبلوغهم في ذلك ما لم يبلغه أحد من الأمم قبلهم لأنهم بعد كل الدلائل والآيات الباهرات عبدوا العجل بعد مفارقة موسى ﷺ إياهم بمدة يسيرة، ثم إنهم لما أمروا بدخول



الباب سجداً والقول حطة فإن فعلوا يُغْفَرْ لهم فبدلوا القول وفسقوا، ثم إنهم لجحدهم النعم سألوا نبيهم الفوم والبصل بدل المن والسلوى، ثم امتنعوا من قبول التوراة بعد إيمانهم بموسى وضمنهم له الموائيق أن يؤمنوا به وينقادوا لما يأتي به حتى رفع فوقهم الجبل، ثم استحلوا الصيد في السبت واعتدوا، ثم إنهم لما أمروا بذبح البقرة شافهوا موسى ﷺ بقولهم: ﴿أَتَنَذِرُنَا هُرُورًا﴾ [البقرة: ٦٧]، ثم لما شاهدوا إحياء الموتى ازدادوا قسوة، فكأن الله يقول: إذا كانت هذه أفعالهم فيما بينهم وفيما بينهم وبين نبيهم الذي أعزهم الله به وأنقذهم من الرِّق بسببه فليس بدعة معاملة أخلافهم محمداً ﷺ، فليهن عليك أيها النبي ومن معك من المؤمنين ما تراه من عنادهم وإعراضهم عن الحق. فالصيغة (عقلوه) دلت على التمكن من صدق ما جاء به محمد ﷺ والتيقن من أخبار الوحي.



■ (عقم)

من دلالات المادة (عقم) في اللغة دلالتها في صيغة من صيغها على الحرب الشديدة^(١) يقال: «حَزَبَ عَقَامٌ وَعُقَامٌ». لا يلوي فيها أحدٌ على أحد لشدتها^(٢). «وداءٌ عُقَامٌ: لا يُثْرَأُ منه»^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرّات، دلت الصيغة «الْعَقِيمَ» على الإهلاك. تجلّت الدلالة على الإهلاك باستعمال «الْعَقِيمَ» في سياق الإخبار الصادق عن إهلاك عاد بالريح المهلكة التي سماها القرآن بـ (العقيم). قال

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٧٥/٤ (عقم).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.



تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، وهي الريح التي لا خير فيها وهي ريح الهلاك^(١). ريح تكسر وتقلع^(٢)، ولأنها ريح تكسر وتقلع وتهلك فهي ريح قوية تفعل ما تفعل بتمكين الله لها.



(علم)

تدل المادة (علم) في اللغة في بعض صيغها على الجبل. فالعَلْمُ هو الجبل، والعَلْمُ نقيض الجهل^(٣). والعَلْمُ: البَحْرُ^(٤). ويقال: إنه البئر الكثيرة الماء^(٥).

وردت مادة (عَلِمَ) في القرآن (٨٥٣) مرة، دَلَّت الصيغة (عَلَّمَ) على زنة (فَعَّلَ) على القدرة والتمكين.

تجلت الدلالة على القدرة والتمكين باستعمال القرآن الصيغة (عَلَّمَ) زنة (فَعَّلَ) في سياق الإخبار، فقد أخبر سبحانه أنه عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا فَعَلَّمَهَا بِتَمَكِينِ اللَّهِ لَهُ.

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، أي: عَلَّمَهُ صفات الأشياء ونعوتها وخواصها، وهذا الذي ظهر من آدَمَ ﷺ من علمه بالأسماء معجزة دالة على قدرة الله تعالى وتمكين نبيه ﷺ من معرفة ما لم تعرفه الملائكة^(٦).

(١) ينظر: الكشف: ٣٩٤/٤.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢٢٢/٢٨.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ١٠٩/٤ (علم).

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١١٠/٤ (علم).

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١١١/٤ (علم).

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ١٩٢/٢، ١٩٣.



وَعَلَّمَ سَبْحَانَهُ سَيِّدَنَا يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمًا خَاصًّا هُوَ عِلْمُ التَّأْوِيلِ، فَقَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ يَوْسُفَ مُخَاطَبًا الْغُلَامِينَ الَّذِينَ اسْتَفْتِيَاهُ فِيمَا رَأَيَاهُ وَهِيَ رُؤْيَا مَنَامِيَّةٍ: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْكَاهُمَا إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ. قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ استئناف بياني لأن وعده بتأويل الرؤيا في وقت قريب يثير عجب السائلين عن قُوَّةِ علمه وطريقة حصوله على العلم الذي قدر على تعلمه وتمكنه من استيعابه يجيب بأن ذلك بتمكين الله له تخلصاً إلى دعوتهما للإيمان بإله واحد. وكان القبط مشركين يدينون بتعدد الآلهة.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾: إشعار بأنه تمكن من علوم أخرى قدر على علمها وهي علوم الشريعة والحكمة والاقتصاد والأمانة إذ قال للملك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾ [يوسف: ٥٥] وزاد في الاستئناف البياني قوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧]، لأن الإخبار بأن الله علَّمه التأويل ومكنه وقدره على تعلمه مع علوم أخرى مما يثير التساؤل عن الوسيلة التي تمكن من تعلم ما علم، فأخبر بالسبب أنه انفرد في ذلك المكان بتوحيد الله وترك ملة أهل المدينة، فأراد الله اختياره لهدايتهم^(١).

٢ ٢ ٢

﴿علو﴾

دلت مادة (علو) في اللغة على السُّمُو والارتفاع. كقول القائل: تعالى النهار، فالمعنى ارتفع^(٢). والْعُلُوُّ يعني الْعَظَمَةُ وَالتَّجَبُّرُ، يُقَالُ: عَلَا فِي الْأَرْضِ

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧١/١٢، ٢٧٢.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١١٢/٤.



إذا ازدادَ سلطانهُ وملْكُهُ^(١). والعلاء: الرَّفْعَةُ^(٢). وتعني القَهْر. فالذي يَقْهَرُ أمراً فقد اغْتَلَاهُ واستَغْلَى عليه^(٣).

أما في القرآن: فقد وردت (٧٠) مرة دالة في الصيغة «الْعَلِيُّ» على قدرة الله. قال تعالى في سياق يتحدث عن وحدانيته وأنه قيوم السموات والأرض والعالم المحيط بعلم كل شيء ولا يحاط بشيء من علمه إلا بما شاء: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي: «علو القدر لا علو المكان؛ لأن الله منزّه عن التحيز»^(٤) «والعالي والعلي: القاهر الغالب للأشياء»^(٥).

عطف القرآن على قوله: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ لأنه من تمامه.

والعلو والعظمة مستعاران لشرف القدر وجلال القدرة^(٦).

واستعمل القرآن الصيغة (علا) للدلالة على الغلبة والقهر. قال تعالى في سياق التذليل على وحدانية الله وتفنيد معتقد المشركين من أن يكون آلهة غير الله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ مِمَّا خَلَقَ

(١) ينظر: كتاب الأضداد للأصمعي: ص ٧.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١١٣/٤ (علو)، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٨٣ (علا).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١١٣/٤ (علو)، وينظر: أقرب الموارد في فصحح العربية والشوارد تأليف سعيد الخوري الشرنونبي اللبناني: ٣٠٣/٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٨/٣.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤/٣.



وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿[المؤمنون: ٩١]. أي: لبغى بعضهم على بعض وسيطر بعضهم على بعض وغلب^(١). فهم متغالبون وحيث لم تشاهدوا أيها المشركون أثر التمايز في الممالك والتغالب، فاعلموا أنه إله واحد قادر بيده ملكوت كل شيء^(٢). ولو أن هناك آلهة غير الله لاستلزم أن تصير مخلوقات بعض الآلهة أوفر وأقوى من مخلوقات إله آخر وهذا يفضي إلى اعتزاز الإله الذي تفوقت مخلوقاته على الإله الذي هو دونه في القوة والقدرة، وهذا يقتضي أن يصير بعض تلك الآلهة أقوى من بعض وذلك منافٍ للتساوي في الألوهية^(٣).

وساق القرآن خبر علو بني إسرائيل في الأرض مرتين، وفي كل مرة يبعث الله عليهم من عباده من يجوس خلال ديارهم فيهلكهم بعد علوهم وقوتهم ويخرب ديارهم. قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، أي: «لتعظمن ولتبغن لأنه يقال لكل متجبر قد علا وتعظم»^(٤)؛ أي: تبلغ بهم القدرة؛ أن يتجبروا على الناس ويتعظموا عليهم معتدين بقوتهم وجبروتهم.

فالعلو في قوله تعالى: ﴿وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ مجاز في الطغيان والعصيان^(٥)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الفصص: ٤]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا مِنَ الْمُتْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١].

(١) معاني القرآن: ٢٤١/٢.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١١٨/٢٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٥/١٨، ١١٦.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٢٢٧/٣.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/١٥.



ويدعو فرعون قومه إلى جمع الكيد والمجيء صفاً ليكونوا في مجيئهم ذاك أقوىاء، حتى تكون لهم الغلبة التي عبر عنها قول الله على لسانه: ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه: ١٦٤]. «أي: من غلب»^(١) وقوله: ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أي: لا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جثتم به^(٢). يعني: لا تتركوا مصدر قوة لكم وقدرة إلا استعملتموه، ثم إن الدعوة إلى المجيء صفاً دعوة إلى القوة والقدرة وإرهاب الخصم، والمفلاح من غلب وقهر وكان القوي والأقدر، أي: جيئوا بما تملكون من كيد تقدرتون عليه، ولا تبقوا من دواعي قدرتكم شيئاً إلا أحضرتموه^(٣).

وقوله: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ تذييل^(٤) للكلام يجمع ما قصدوه من تأمرهم بأن الفلاح يكون لمن غلب خصمه وظهر عليه بالقوة والقدرة. فـ(استعلى) مبالغة في علا، أي: علا ما قابله وقهره، فالسين والتاء للتأكيد^(٥). وهو طلب العلى أو ادعاه فتاله وتحقق له.

٢ ٢ ٢

■ (عمد)

من دلالات المادة (عمد) في اللغة دلالتها في صيغة من صيغها على الإسناد. يقال: عَمَدْتُ الشَّيْءَ: أَسْنَدْتُهُ^(٦). والشَّيْءُ الذي يُسْنَدُ إليه

(١) معاني القرآن: ١٨٥/٢، وينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٦٥/٣.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ١٨٥/٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٦٥/٣، وينظر: التفسير الكبير: ٨١/٢٢.

(٤) التذييل: «وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد» الإيضاح في علوم البلاغة: ص ٣٠٧.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٧/١٦.

(٦) مقاييس اللغة: ١٣٧/٤ - ١٣٩.



عِمَاد^(١)، وجمع العِمَاد عُمُد^(٢). وَعَمِيد القوم: سَيِّدُهُمْ وَمُعْتَمِدُهُم الذي يعتمدونه إذا خَزَبَهُمْ أَمْرٌ فزَعَوْا إِلَيْهِ^(٣). وَرَجُلٌ مَعْمَدٌ، أي: طَوِيل^(٤). والعِمَاد: الطُّول^(٥). والعُمْدُ، الدال شديدة والعين والميم مضمومتان: الشَّابُّ الممتلئ شباباً^(٦). وهو العُمْدَانِيّ، والجمع العُمْدَانِيُّونَ، وامرأةٌ عُمْدَانِيَّةٌ، أي: ذات جسم^(٧).

أما في القرآن فقد وردت (٧) مرَّات، دلت الصيغة (العماد) على القوَّة وطول الأجسام.

تجلَّت هذه الدلالة باستعمال القرآن الصيغة «أَلْعِمَادِ» في سياق الإخبار عن إرم. قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَعَلْ رَبُّكَ عِمَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ أَلْعِمَادِ * أَلَيْسَ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي آلِ لَيْدٍ» [الفجر: ٦-٨]، كانوا طوال الأجسام، كأنَّهم لعظم أجسامهم الأعمدة، ووصفت عاد بـ (ذات العماد) لقوَّتْها وشدَّتْها، أي: أن الله أهلك قومًا أشدَّ من القوم الذين يكذبونك^(٨).



(عمر)

دلت مادة (عَمَرَ) في اللُّغَةِ على الحياة. فَالْعُمُرُ هُوَ الْحَيَاةُ^(٩). وفي الْقَسَمِ:

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) ينظر: التحرير والتنوير: ٣١٨/٣٠، ٣١٩.

(٩) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٤٠/٤ (عمر).



«لَعَمْرُكَ، يَخْلِفُ بِعُمْرِهِ، أَي: بِحَيَاتِهِ»^(١). وللتدليل عَلَى طُولِ الْغَمْرِ. يُقَالُ: «عَمِرَ النَّاسُ: طَالَتْ أَعْمَارُهُمْ. وَعَمَّرَهُمُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَعْمِيرًا»^(٢). وَيُقَالُ أَيْضًا: «أَطَالَ اللَّهُ عُمْرَكَ وَعَمَّرَكَ»^(٣). يُقَالُ: «عَمَرَ النَّاسُ الْأَرْضَ عِمَارَةً، وَهُمْ يَعْمُرُونَهَا، وَهِيَ عَامِرَةٌ مَعْمُورَةٌ»^(٤). «وَاسْتَعَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ فِي الْأَرْضِ لِيَعْمُرُوهَا»^(٥).

أما في القرآن: فقد وردت (٢٧) مرة في (٢٣) موضعاً، دلت على صيغة «الْمَعْمُورِ» على الكثرة.

تجلت دلالة الكثرة الدالة على القدرة في سياق قسم القدير سبحانه ببعض مخلوقاته لما لها من شأن عنده، ولما لها من دلالة على عظيم قدرته تعالى. قال تعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾.. إلى قوله تعالى... ﴿وَالْيَتِيبِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤]. وعمرانه: كثرة ما يغشاه من الملائكة^(٦). وقيل: إنه الكعبة لأن الحجاج يعمرونها بالطواف حولها وكذلك العمار والمجاورون^(٧). و«البيت المعمور اللام فيه لتعريف الجنس كأنه يقسم بالبيوت المعمورة والعمائر المشهورة»^(٨).

قيل: إن الله اختار الطور، والبيت المعمور، والبحر المسجور ليقسم بها لأنها أماكن لثلاثة أنبياء ينفردون فيها للخلوة بربهم والخلاص من الخلق

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٤٠/٤ (عمر).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الصحاح: ٧٦٥/٢ (عمر).

(٤) معجم مقاييس اللغة: ١٤١/٤ (عمر).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: الكشف: ٣٩٨/٤، وينظر: التفسير الكبير: ٢٣٩/٢٨.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) التفسير الكبير: ٢٣٩/٢٨.



مخاطبين الله تعالى. أما الطور فانتقل إليه موسى عليه السلام، والبيت المعمور خلا فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع ربه، والبحر المسجور خلا فيه يونس عليه السلام بربه من دون خلق الله خلوة تدل على قدرة مقدر المقادير جل في علاه^(١). أما موسى فقال: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْأَسُفُهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]. وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وأما النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فقال: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)^(٢). وأما يونس عليه السلام فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. فزادت هذه الأماكن شرفاً على شرف. وتعليل اقتران المقسم بها بـ (أل التعريف) دون الكتاب يعود إلى ما يحتمل من الخفاء في الأمور الملتبسة بأمثالها من الأجناس، فيقال رأيت الأمير، ودخلت على الوزير. فإذا بلغ الأمير الشهرة بحيث يؤمن الالتباس مع شهرته، ويراد وصفه بالعظمة، يقال: اليوم رأيت أميراً ماله نظير جالساً وعليه سيما الملوك ويراد الأمير المعلوم. فأنت بالتنكير تشير إلى أنه خرج عن أن يعلم ويعرف بكنه عظمته، فيكون كقوله تعالى: ﴿الْمَآءَةُ * مَا لَمَآءَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَمَآءَةُ﴾ [الحاقة: ١-٣] فاللام وإن كانت معرفة لكن أخرجها عن المعرفة كون شدة هولها غير معروف، فكَذلك ههنا البيت المعمور ليس له في الشهرة بحيث يؤمن اللبس عند التنكير، وأما الكتاب الكريم فقد تميز عن سائر الكتب، بحيث لا يسبق إلى الأفهام غيره إذ كان قد نطق بذلك النبي صلى الله عليه وسلم به. فلما أمن اللبس وحصلت فائدة التعريف سواء ذكر باللام أو لم يذكر قصداً للفائدة الأخرى وهي الذكر بالتنكير نكر. وفي تلك الأشياء التي منها البيت المعمور لما لم تحصل فائدة التعريف إلا بآلة التعريف استعملها القرآن^(٣).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣٩/٢٨، ٢٤٠.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤٠/٢٨.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤٠/٢٨.



قيل: إن البيت المعمور: «بيت في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً»^(١).

والواوات التي في الآية كلها واوات قسم لأن شأن القسم أن يعاد ويكرر وإنما يعطفون بالفاء إذا أرادوا صفات المقسم به.

ويجوز صرف الواو الأولى للقسم والواوات التي بعدها عاطفات على القسم، والمعطوف على القسم قسم^(٢).

وأشعر القرآن في موضع منه بدلالة التمكين بإعمار الأرض والإسكان فيها. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾ [فاطر: ٢٧] والألف في الآية للتقرير وليس للاستفهام والواو بعدها مفتوحة لأنها غير واو (أو) و(ما) هنا مجاز المصدر: أولم نعمركم عمراً يتذكر فيه، (من تذكر) يراجع نفسه^(٣). لقد عمرناكم عمراً كان يمكنكم فيه التوبة وكان بمقدوركم ذلك فلم تفعلوا، وما إمهالنا لكم سوى أننا منحناكم القدرة على الاختيار بين التوبة أو الإصرار على الذنب فما تذكر منكم متذكر، فهو توبيخ منه سبحانه. أي فنقول لهم: والتوبة كانت في متناول كل عمر مكلف من إصلاح شأنه وإن قصر؛ إلا أن التوبيخ في المتناول أعظم^(٤).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾ إشارة إلى أن التمكين والإمهال مدة يمكن فيها التعرف على الحقيقة قد حصل لهم ولم يكن منهم الإيمان زد على ذلك أنه تعالى قال: ﴿رَبَّاءَكُمْ أَلْتَذِيبُ﴾ [فاطر: ٢٧]، أي: أوتيتهم أسباب الإيمان. كان لكم عقول، وأُرسِلتْ لكم رُسُلٌ ليؤيد المعقول الدليل المنقول ثم زاد القرآن الحجة عليهم ليقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٩]، أي:

(١) التحرير والتنوير: ٣٩/٢٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٠/٢٧.

(٣) ينظر: مجاز القرآن: ١٥٦/٢.

(٤) ينظر: الكشف: ٥٩٧/٣.



نبهتهم بمن مضى وحال من انقضى فلم تؤمنوا، وعمرناكم وأمهلناكم وجعلتم خلائف في الأرض تتمتعون، بالقدرة فكنتم خليفة في إثر خليفة تعلمون حال الماضين وتصبحون بحالهم راضين، فكفرتم فعليكم كفركم^(١): ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ [فاطر: ٣٩].

وأخبر القرآن عن تمكين آخر لأمم عمرت الأعمار الطويلة، وأوتيت أسباب القوة، فعمرت الأرض بفلاحها وزراعتها وحفر الآبار فيها، وغرست الأشجار وانتفعت بالخيرات. قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]. أي: «جعلكم عمار الأرض»^(٢) والعمارة متنوعة منها واجب ومنها ندب ومنها مباح، ومنها ما هو مكروه، والمعنى: مكنكم من زراعة الأراضي، وغرس الأشجار، وحفر الآبار، وقيل: استعمركم من العمر، نحو: استبقاكم من البقاء، وقيل: استعمر في معنى أعمار، أي: أعماركم فيها دياركم، ثم هو وارثها منكم عند انقضاء آجالكم، وقيل: بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها، لأن الرجل إذا ورث داره من بعده كأنما أعمارها إياها، لأنه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره^(٣).

وجعل القرآن خبري الضمير فعلين ولم يجعلهما اسمين: هو منشئكم ومستعمركم لإفادة القصر، أي: لم ينشئكم من الأرض إلا هو، ولم يستعمركم فيها غيره.

والسين والتاء في قوله: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾ للمبالغة في جعل الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع. والزرع والغرس يعد تعميراً حتى سمي الحرث عمارة، لأن القصد منه عمر الأرض^(٤).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٣١/٢٦.

(٢) مجاز القرآن: ٢٩١/١.

(٣) ينظر: الكشف: ٣٩١/٢، ٣٩٢.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠٨/١٢.



وأخبر القرآن أن عاداً و ثمود عمروا الأرض أكثر مما عمرها أهل مكة، وأن عاداً و ثمود أثاروا الأرض وكانوا أشد قوة ومع ذلك دمرهم الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩]. أي: عمرها أولئك الذين دمرهم الله. وقوله: ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أكثر من عمارة أهل مكة. وأهل مكة أهل وادٍ غير ذي زرع. فمن أين لهم الإثارة للأرض أصلاً، ولا عمارة لهم فيها، فما هو إلا تهكم بهم، وهذا ما أضعف حالهم في دنياهم، لأن أغلب ما استظهر به أهل الدنيا ويستظهرون على سواهم هو أمر الزراعة والتشديد، وأهل مكة مع أنهم ضعاف في أمور الزراعة لقلة توفر أسبابها، فإنهم ضعاف القوى إذا قورنوا بعاد و ثمود وأضرابهم^(١).

و ضمير جمع المذكر في قوله: ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ راجع الأول إلى ما رجع إليه ضمير (أثاروا)، والثاني راجع إلى ما رجع إليه ضمير (يسيروا في الأرض).

ويعرف توزيع الضميرين بالقرنية، أي: عمر الذين من قبلهم الأرض أكثر مما عمرها هؤلاء، فإن لقريش في الأرض من غرس غير ذي بال إذا قورن بإعمار سبقه، إنه إعمار يتضاءل أمام عمارة الأمم التي مكناهم قبلكم من عاد و ثمود^(٢).

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: الكشف: ٤٥٤/٣، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٩/١٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٨/٢١.

(عمل)

عَمِلَ يَعْمَلُ عَمَلًا، فهو عامل^(١). والعَمَلَة: القوم يعملون بأيديهم ضروباً من العمل^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٣٥٩) مرة، دلت صيغة المضارع الجمعي ﴿يَعْمَلُونَ﴾ على القدرة التي تمتع بها جند سليمان من الجن، قال تعالى في سياق الإخبار: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ لِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا مَا لَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٢-١٣)، أي: يشيدون له الحصون التي يحارب منها العدو والمهاجم للمدينة أو القصور الحصينة ويصنعون له التماثيل المجسمة وكانت غير محرمة في الأديان السابقة، وكذلك يصنعون الجفان العظيمة التي يجفن فيها الماء وشبهت الجفان في عظمتها وسعها بالجوابي، وهي جمع جابية وهي الحوض العظيم الواسع العميق الذي يجمع فيه الماء لسقي الأشجار والزروع، وكذلك القدور الراسيات، أي: أواني الطبخ العظيمة لجند سليمان من الجن والإنس ولسنده الهيكل.

وقوله: ﴿رَاسِيَتٍ﴾ ثابتات في الأرض. كل هذا يدل على قدرة العاملين، ويدل على عظمة ملكه ﷺ، وما حظي به من تمكين وقدرة.

(عمى)

للمادة (عمى) في اللغة دلالات منها التغمية وهي أن تَغْمِيَ على إنسان شيئاً فتلبسه عليه لبساً^(٣).

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ١٤٥/٤ (عمل).

(٢) سبأ: ١٢، ١٣.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ١٣٤/٤ (عمى).



ودلت على الكبر «إن الله تعالى قد أذهب عنكم عمية الجاهلية» أراد الكبر^(١). والعَمَاء: السحاب الكثيف المطبق، والقطعة منه عَمَاءة^(٢). والعُمى، على وزن رَمَى: دَفَعَ الأمواج القَدَى والزَّبَد في أعاليها^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٣٣) مرّة، دلت الصيغة الماضوية المصدرة بواو العطف: ﴿وَأَعْمَى﴾ على إفقاد العصاة بقدرته عوامل رضوانه سبحانه.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الإشارة إلى الذين في قلوبهم مرض وعقوبتهم المستحقة. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٣].

استعير العمى هنا لعدم الفهم على طريقة التمثيل؛ لأن حال الأعمى أن يكون مضطرباً فيما يحيط به لا يدري نفعه من ضارّه إلا بمعونة من يرشده، وكثير أن يقال: أعمى الله بصره، مراداً به أنه لم يهده، والقادر على الهداية وعدمها هو الله تعالى؛ فالله سبحانه قد طرد المنافقين من رحمته فلم يتركهم بقدرته أن ينتفعوا بالمسموعات من آيات القرآن ومواعظ النبي ﷺ؛ ولا يفهموا ولا يهتدوا لأنهم استحقوا عقابه جزاءه^(٤).

٢ ٢ ٢

(عنب)

العين والنون والباء أصل يدلُّ على ثمر معروف^(٥). فالعنب واحدته

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٥/٤ (عمى).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٢/٢٦، ١١٣.

(٥) مقاييس اللغة: ١٤٩/٤.



عِنَبَةٌ^(١). ويقولون: ليس في كلام العرب فِعْلَةٌ إِلَّا عِنَبَةٌ^(٢). وَرَبُّمَا قَالُوا: لِلْعِنَبِ الْعِنَبَاءُ^(٣). وربما جمعوا العنب على الأعناب^(٤). ويقال: رجل عَانِبٌ، أي: كثير العنب^(٥)، كما يقال: تَامَرَ وَلَايْنٌ^(٦).

ومن دلالات المادة دلالتها على الوعل الطويل القرون فالعَبَنَان: الْوَعْلُ الطَّوِيلُ القرون^(٧). ويقال للطَّيْبِ النَّشْطُ: الْعَبَنَانُ^(٨)، وَلَا يُبْنَى مِنْهُ فِعْلٌ^(٩).

أما في القرآن فقد وردت (١١) مرّة، ذَلَّتِ الصَّيْغَةُ الْجَمْعِيَّةُ الْمُنْكَرَةُ (أَعْتَابٍ) على ما يشعر بتمكين وقدره مادية.

تجلت هذه الدلالة في سياق المثل: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ مَبْتَغَاءً مَرْضَاتٍ لِلَّهِ وَتَنْصِيحًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا ضِغْفَرَاتٍ فَإِنْ لَمْ يُمْسِكْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥-٢٦٦]، جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الأشجار تغلياً لهما لشرفهما وكثرة منافعهما^(١٠)، دلالة على تمكين صاحب الجنة وراثته وقدرته المادية.



(١) ينظر: مقاييس اللغة: ١٥٠/٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

(٧) ينظر: المصدر نفسه.

(٨) ينظر: المصدر نفسه.

(٩) ينظر: المصدر نفسه.

(١٠) ينظر: البيضاوي: ١٣٩/١.



(عنت)

من دلالات المادة (عنت) في اللغة دلالتها على الطول المقرون بمشقة الصعود. يقال: «أكمة عنوت: طويلة شاقة المصعد»^(١).

وتدل على عدم الرفق: «أَعْنَتَ الطبيبُ المريضَ إذا لم يَرْفُقْ به فَضَرَهُ»^(٢). ودلت على إدخال الأذى يقال: «تعنته: أدخل عليه الأذى»^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٥) مرّات، دلت الصيغة «لَأَعْنَتَكُمْ» على قدرة الله القادر على التكليف تكليف من يشاء بما لا يُطاق إن شاء.

تجلّت هذه الدلالة باستعمال القرآن الصيغة «لَأَعْنَتَكُمْ» في معرض الحديث عن اليتامى. قال تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا عَنْ خَوَانِكُمْ فَلَا وَهْنَ لَهُمْ ذَلِكَ وَهُمْ يَصْغُرُونَ»^(٤) [البقرة: ٢٢٠]، أي: لو شاء لحملكم على المشقة وأخرجكم لأنّه الغالب الذي يقدر على إعانات عباده وإحراجهم^(٥) بتكليفهم ما يشد وما لا يطيقون لقدرته عليهم^(٥).

قوله: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ» تذييل لما دلّ عليه قوله: «قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ»، أي: ولو شاء الله لكلفكم ما فيه عنتكم وهو تحريمه عليكم مخالطة أيتامكم، فهو عزيز غالب قادر عليكم ولكنه رؤوف بكم^(٦).



(١) أساس البلاغة: ١٤٣/٢ (عنت).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصباح المنير: ٤٣١/٢ (العنت).

(٤) ينظر: الكشف: ٢٦٠/١، ٢٦١.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٥٦/٦.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٥٨/٢، ٣٥٩.

(عند)

تدل مادة (عند) في اللغة في بعض صيغها على العتو والطغيان. يقال: «عِنْدَ الرَّجُلِ، وهو عَائِدٌ، يَغْتَدُّ عُتُودًا، إِذَا عَتَا وَطَغَى وَجَاوَزَ قَدْرَهُ»^(١). «ومنه: المعاندة، وهي أن يعرف الرَّجُلُ الشَّيْءَ وَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ»^(٢). «وَأَمَّا الْعَنِيدُ، فهو من التَّجْبِيرِ، ويقال لِلجَبَّارِ الْعَنِيدِ: لَقَدْ عِنْدَ عُنْدًا وَعُتُودًا»^(٣). «وَنَاقَةُ عُنُودٍ، إِذَا تَنَكَّبَتِ الطَّرِيقَ مِنْ نَشَاطِهَا وَقُوَّتِهَا»^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (١٩٩) مرة، دلت الصيغة «وَعِنْدَهُ» المضافة إلى (مفاتيح الغيب) على القدرة والغنى والملك في سياق التقرير والقطع أنه سبحانه المالك القادر. قال تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ» [الأنعام: ٥٩]، جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة، لأن المفاتيح يتوصل بها إلى ما في الخزائن المحكمة الإغلاق والإقفال. ومن علم مفاتيحها وكيف فتحها، توصل إليها فأراد أنه هو وحده عالم الغيب لا يتوصل إلى المغيبات إلا هو كمن عنده مفاتيح أقفال المخازن ويعلم فتحها، فهو القادر على التوصل إلى ما فيها^(٥). أي: الآية بيان لاختصاصه تعالى بعلم الغيب وسعة علمه ثم سعة قدرته وأن الخلائق كلها في قبضة قدرته^(٦).

وتجلت الدلالة على التمكين في سياق الإخبار عن خصوصية الذي عنده علم من الكتاب وما هو عليه من قدرة مكّنه الله منها ميّزته تلك القدرة

(١) مقاييس اللغة: ١٥٣/٤ (عند).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: الكشف: ٢٨/٢.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٠/٧.



عن سواه من الممكنين من أصحاب القدرة. قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ١٤٠]، قيل: كان من الملائكة، وقيل: كان من الإنس. والذين قالوا إنه من الملائكة^(١) قالوا: إنه جبريل عليه السلام، ومنهم من قال: إنه ملك أئد الله تعالى به سليمان عليه السلام.

أما من ذهب إلى أن الذي عنده علم من الكتاب هو من الإنس فمنهم من قال: إنه الخضر عليه السلام، ومنهم من قال: إنه آصف بن برخيا وزير سليمان، وكان صديقاً يعلم الاسم الأعظم إذا دعا به أجيب.

ومنهم من قال: إنه سليمان عليه السلام نفسه والمخاطب هو العفريت الذي كلمه، وأراد سليمان عليه السلام إظهار معجزة فتحدهام أولاً، ثم يبين للعفريت أنه يأتي له من سرعة الإتيان بالعرش ما لا يتهيأ للعفريت وهذا القول أقرب الوجوه^(٢).

لأن سليمان كان أعرف بالكتاب من وزيره آصف لأنه النبي، وصرف هذا اللفظ إلى سليمان عليه السلام أولى. فإحضار العرش في تلك الساعة يشعر بدرجة عالية في الكرامة عند الله فلو أنها حصلت لآصف دون سليمان لاقضى ذلك تفضيل آصف على سليمان عليه السلام، ولو أن سليمان افتقر في ذلك إلى آصف لاقضى قصور حال سليمان في أعين الناس ثم إن سليمان قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ١٤٠]، وظاهره يقتضي أن يكون ذلك الأمر المعجز وتلك القدرة وذلك التمكين النادر قد حظي به سليمان عليه السلام^(٣).

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٩٧/٢٤.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٩٧/٢٤.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٩٧/٢٤، ١٩٨.



وخير دليل على ذلك أن سليمان عليه السلام قد دعا ربه من قبل: ﴿رَبِّ آعِزِّي لِىْ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]، وهذا من الملك لا يكون لأحد غير سليمان، وهو تمكين لم تمكنه حتى عفاريت الجن.

وتجلّت الدلالة على القدرة بإسناد الأمر إلى القدير، فدلّ التركيب الإسنادي في سياق الإخبار عما كان من المنافقين من مودة لليهود ونصارى نجران وما كان يصدر عنهم من إشاعة اليأس في نفوس المؤمنين. قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْتَعْجِلُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فُتُصِيحُوا عَلَىٰ مَا أَصْرُوا ۚ فِي أَنْفُسِهِمْ تُدْمِكُ﴾ [المائدة: ٥٢]، أي: قدرة لا يكون للناس فيها فعل البتة تفعل فعلها ببني النضير كالذي حصل أن طرح الله في قلوبهم الرعب، فأعطوا بأيديهم من غير محاربة ولا عسكر، فآل أمرهم إلى القتل والسبي^(١).



■ (عنق)

العين والنون والقاف أصل واحد صحيح يدلّ على امتدادٍ في شيءٍ إمّا في ارتفاع وإمّا في انسياب^(٢).

فالأول العنق: وهو وُصلة ما بين الرّأس والجسد، مذكّر ومؤنث، وجمعه أعناق^(٣). ورجل أعنق، أي: طويل العنق^(٤). وجبلٌ أَعْنَقُ: مشرف^(٥)، ونجدٌ

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٩/١٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١٥٩/٤.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ١٥٩/٤، ١٦٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.



أعنق، وهضبة عنقاء^(١). والمطية عنقاء^(٢). وامرأة عنقاء: طويلة العنق^(٣)
وهضبة مُعْنِقَةٌ أيضاً^(٤). والمُعْنَق: الطويل^(٥). ويقال للجماعة عُنُق^(٦). ويقال
لما سطع من الرِّيح: أعناق الرِّيح^(٧).
والمعانقَةُ في المودة، والاعتناقُ في الحرب^(٨). تقول: اعتنقوا في
الحرب، ولا تقول تعانقوا^(٩).

أما في القرآن فقد وردت (٩) مرّات، دلت الصيغة الجمعية المنكرة
﴿أَعْنَاقُ﴾ على الرقاب، رقاب التابعين والمتبوعين والرقبة يرتكز عليها الرأس
وما فيه من قدرات التفكير، والنظر، والسمع، والشم، والذوق، فهي التي
تحمله وتشمخ به فيرتفع إلى الأعلى فهي إذاً مستند القوة والقدرة، فإذا
كانت منتصبه شامخة شمخ الرأس، وإذا انحنت ومالت انحنى الرأس وذل
صاحبه، لذا عندما يراد للكافرين المهانة والإذلال توضع السلاسل في
موضع استعلاء الكافرين ويسحبون إلى جهنم كناية عن ضعف مُذِلّ قاتل،
بعد قوّة وشموخ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آلَ غُلَظَّ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سأ: ٣٣]،
أي: رقاب الذين كفروا.

وتجلت الدلالة على مكانة العنق في الإنسان والحيوان، فإذا بُيِّزَت العنق
يستحيل على المخلوق صاحبها الحياة لأهميتها؛ لأنها عماد الرأس.

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

(٧) ينظر: المصدر نفسه.

(٨) ينظر: المصدر نفسه.

(٩) ينظر: المصدر نفسه.



تجلّت هذه الدلالة في سياق يتحدث عن سليمان وكيف أنّه أمر بإعادة الخيل التي استعرضها فشرع في قطع سوقها ورقابها.

قال تعالى: ﴿ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ يَالْعِشْيَ الصَّنِيعَتُ لِلْيَادِ ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ رُدُّهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿ (ص: ٣٠-٣٣)، أي: بسوقها وأعناقها يقطعها، من قولهم: مسح علاوته إذا ضرب عنقه^(١). فكان هذا المكان موضع المنعة فإذا سيطر عليه الخصم هلك صاحبه.

وتجلّت دلالة الصيغة الجمعية ﴿أَعْنَقُهُمْ﴾ على الرؤساء أو الجماعات إشعاراً بأهميتها، قال تعالى: ﴿ طَسَرَ ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ إِنْ تَشَاءْ نَنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنْ سَمَاءٍ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿ (الشعراء: ٤١-٤٢)، قيل: لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم، وقيل المراد بها: الرؤساء أو الجماعات^(٢). فإذا كانت (أعناقهم) تدل على الرؤساء فهي أدل على القدرة والتمكين وأقرب إلى ذلك.

٢ ٣ ٢

﴿عهد﴾

العَهْدُ: المَوْثِقُ، وجمعه عهود^(٣). والعَهْدُ معناه الالتقاء والإلمام، يقال: هو قريب العهد به، وذلك أنّ الإمامة به احتفاظ به وإقبال^(٤). والعَهْدَةُ: الكتاب الذي يُسْتَوْثَقُ به في البِيعَاتِ^(٥).

(١) ينظر: البياضوي: ٣١٢/٢.

(٢) ينظر: البياضوي: ١٥٠/٢.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ١٦٧/٤ (عهد).

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفس: ١٦٨/٤ (عهد).



ويقولون: إنَّ في هذه الأمر لَعَهْدَةٌ مَا أُخِجِمْتُ، والمعنى: أنه قد بقي فيه ما ينبغي التوثُّق له^(١).

أما في القرآن فقد وردت (٤٦) مرة. دلت الصيغة المنكرة «عَهْدًا» على الوعد اليقين بالإقدار والتمكين بالمال والولد.

تجلَّت هذه الدلالة في سياق الحديث عن قصَّة خباب بن الأرت المسلم مع العاصي بن وائل السَّهمي الذي كفر بآيات الله، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم: ٧٧-٧٨)، قوله: «عَهْدًا» أي: عهد الله إليه بأنه معطيه ذلك فأيقن بحصوله؟ وهذا تهكم لأنه لا سبيل لكافر للحصول على مثل هذا العهد. وعهد الله المقطوع للمخلوق؛ لو تَمَّ فَإِنْ ذَلِكَ غَايَةُ الإِقْدَارِ والتمكين.

ومتعلِّق العهد محذوف يدل عليه السياق. تقديره: بأن يعطيه مالا وولداً. واختير هنا من أسمائه (الرحمن) لأن استحضار مدلوله أجدر في وفائه بما عهد به من النُّعْمَةِ المزعومة لهذا الكافر^(٢).

ودلَّت الصيغة «عَهْدًا» أيضاً في موضع آخر من القرآن على اليقين أو الوعد المؤكد. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً قُلْ أَتُخَذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

و(العهد) هنا الوعد المؤكد استعارة؛ لأن أصل العهد هو الوعد المؤكد بقسم والتزام، ووعد الذي لا يخلف الوعد كالعهد، ويجوز أن يكون العهد هنا حقيقة لأنه في مقام التقرير دال على انتفاء ذلك، وذكر الاتخاذ «أَتُخَذُكُمْ»

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦/١٦٠، ١٦١.



دون أعاهدتم أو عاهدكم لما في الاتخاذ من توكيد العهد. و(عند) لزيادة التأكيد، يقولون: اتخذ يدأ عند فلان. وقوله (فلن يخلف الله عهده) الفاء فصيحة دالة على شرط مقدر وجزائه وما بعد الفاء هو علّة الجزاء، والتقدير: فإن كان ذلكم فلکم العذر في قولكم لأن الله لا يخلف عهده^(١).

ولكن ما بعد فاء الفصيحة دليل شرطه وجزائه لم يلزم أن يكون ما بعدها مسبباً عما قبلها، ولا مترتباً عنه حتى يشكل عليه عدم صحة ترتب الجزاء في الآية على الشرط المقدر؛ لأن لن للاستقبال^(٢).



■ (عود)

تدل مادة (عود) في اللغة على جملة من الدلالات يقال: «بَطَّلَ مُعَاوِدٌ، أي: لا يمنعه ما رآه من شِدَّةِ الحرب أن يعاودها»^(٣). والمواظب عل الشيء: مُعَاوِدٌ^(٤). (والله تعالى المبدئ المعيد، وذلك أنه أبدأ الخلق ثم يعيدهم)^(٥). (والعَادَةُ: الدُّرْبَةُ. والتَّمَادِي في شيء حتى يصير له سجية)^(٦).

أما في القرآن: فقد وردت (٦٣) مرة في (٥٩) موضعاً، بجملة من الدلالات منها الدلالة على قدرة الله في تحويل عصا موسى عليه السلام من صورة إلى صورة حين ألقاها تحولت إلى حية عظيمة بقدرة الله، فلما أمر

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٨٠/١.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٨٧/٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ١٨٢/٤، وينظر: معجم متن اللغة: ٢٣٨/٤ (عود).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٨٢/٤ (عود).

(٥) معجم مقاييس اللغة: ١٨٢/٤ (عود).

(٦) معجم مقاييس اللغة: ١٨١/٤، وينظر: معجم متن اللغة: ٢٣٦/٤ (عود).



بأخذها عادت إلى ما كانت عليه عصا يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: ٢١]، أي: (سنعيدها سائرة سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المأرب التي عرفتها)^(١).

فقلب العصا حية ثم إعادتها إلى ما كانت عليه دليل قاهر على قدرة الله تعالى الذي حولها من صورة إلى صورة، فللعصا خواص الجماد، وللحية خواص الحياة.

قال أتوكأ عليها فصدقه الله تعالى فيه. وجعلها متكأ له بأن جعلها معجزة^(٢). وقلبها حية، ثم ردها عصا حتى يعرف موسى ﷺ أن العصا تطبعت بالانقلاب حية، فيتذكر ذلك عند مناظرة السحرة لثلا يحتاج وقتها إلى وحي^(٣). ومع ذلك فلهول الموقف عندما ألقى السحرة حبالهم وعصيمهم أوجس خيفة موسى ﷺ على دعوته إلى الله، فالرسل لا تخاف على نفسها، فأمره الله أن يلقي العصا ليجد من عظام قدرة الله تعالى من المؤيدات ما يجعله هو الأعلى في المنازلة.

ومن صور الإعادة الدالة على عظم القدرة الإلهية أن يعيد الإنسان الذي خلقه إلى الأرض التي نشأ منها. قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥] أي: نعيدكم إليها بعد موتكم^(٤). فيصبرون بعد الموت والبلى تراباً حيث كان آدم ﷺ^(٥).

(١) الكشاف: ٥٧/٣، وينظر: التفسير الكبير: ٢٩/٢٢.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢٨/٢٢، ٢٩.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٧/١٦.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١١/١١.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١٥٢/٣.



(فلا شبهة في أن المراد الإعادة إلى القبور حتى تكون الأرض مكاناً وظرفاً لكل من مات إلا من رفعه الله إلى السماء، ومن هذا حاله يحتمل أن يعاد إليها أيضاً بعد ذلك)^(١). هذه الأرض التي جعلها الله سبحانه كما أخبرنا هي بالنسبة لنا منها المبدأ وإليها المصير، ومنها إخراجنا للبعث، فأن تكون الأرض كذلك فذلك دليل على إرادة الله وعنايته وعلمه وقدرته، وفي ذلك تذكير للإنسان ليعلم المنعم فيشكره^(٢). قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: ١١]. قوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ إدماج لأنه إذا سلم له القدرة على بدء الخلق كان التسليم بقدرته على الإعادة أولى وأجدر، وحسن موقع الاستئناف ووروده بعد ذكر أمم غابرة وأمم حاضرة خلف بعضها بعضاً، وإذا كان ذلك مثلاً وشاهداً لإعادة الخلق بعد موتهم، وذكر عاقبة مصير المكذابين للرسل في الدنيا، ناسب في مقام الاعتبار أن يقام لهم الدليل على قدرة الله على البعث ليقع ذكر ما يعقبه من المحاسبة والجزاء موقع الإقناع للخصم. وتقديم اسم الجلالة على المسند الفعلي لمجرد التقوي. و(ثُمَّ) هنا للتراخي كما هو شأنها في عطف الجمل، وذلك أن شأن الإعادة والإرجاع إلى الله أعظم من إعادة الخلق، إذ هو المقصد من الإعادة ومن بدء الخلق. فخلق الخلق لاختبارهم في عبوديتهم لله، ومن ثم الإعادة إلى ما كانوا عليه قبل الخلق، من أجل بعث يقتص فيه القادر الجليل من المكذابين بعد بعثهم ونشرهم، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، وفي ذلك كله دلالة على قدرة الله^(٣).

(١) التفسير الكبير: ٧٠/٢٢.

(٢) ينظر: الأساس في التفسير: ٣٣٦٥/٧.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٦١/٢١.



(عوذ)

«العين والواو والذال، أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الالتجاء إلى الشيء»^(١). تقول: أعوذ بالله، جل ثناؤه، أي: ألتجأ إليه تبارك وتعالى، عوداً أو عياداً^(٢). ذُكِرَ أيضاً قولهم: «فَلَانٌ عِيَادٌ لَكَ، أي: ملجأ»^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (١٧) مرة، دلت الصيغة «أُعِيذُهَا» على الاحتماء بذِي قدرة.

تجلت الدلالة على الاستقدار بالله والاحتماء به باستعمال الصيغة «أُعِيذُهَا» في سياق الحديث عما قالته امرأة عمران: ﴿إِذْ قَالَتْ أَمْرَأْتُ غَمَزَنَ رَبِّي إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٦]، أي: سألت ربها أن يحفظها بقدرته من الشيطان الرجيم، وأن يجعلها سالحة قانتة، أي: إنها استقدرت ربها واستمكنته تسألته حفظ ابنتها من الشيطان الرجيم.

والمؤمن يستقدر ربه ويحتمي به وغير المؤمن يستقدر المخلوق سواءً أكان المخلوق شيطاناً أم جناً أم غير ذلك. أخبر القرآن عن رجال يحتمون بالجن فقال: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُؤْذُونَ رِجَالًا مِنَ آلِ بْنِ قَرْظٍ وَهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، أي: أن الإنس باستعاذتهم بهم زادوهم كبراً وكفراً وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى في وادٍ قفر في سفره وخاف على نفسه يقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد الجنّ وكبيرهم؛ فإذا سمعوا بذلك استكبروا قائلين: سدنا

(١) مقاييس اللغة: ١٨٣/٤ (عوذ).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١٨٤/٤ (عوذ).

(٣) مقاييس اللغة: ١٨٤/٤ (عوذ).



الجن والإنس؛ فذلك رهقهم، وقيل: فزاد الجن الإنس رهقاً بياغوائهم وإضلالهم لاحتمائهم بهم. وطلب الاستقدار والتمكن من أسباب السلامة^(١).

٢ ٢ ٢

■ (عون)

العَوْنُ: الظهير على الأمر، والجَمْعُ الأعوان^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (١١) مرة، دلت الصيغة «نَسَعْتُ» على الاستقواء بالله وصولاً إلى صلاح الإيمان والفوز بالدنيا والآخرة.

تجلت الدلالة على الاستقواء بالله والاستعانة به في سياق حمد الله رب العالمين وتعظيمه جلّت قدرته: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَوْمَ الْبَرَقِ * إِلَآكَ نَبُّدُ وَإِيَّاكَ نَسَعْتُ﴾ [الفاتحة: ٢-٥]^(٣).

ثبت بالدلائل العقلية أنه لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوّة على طاعة الله إلا بتوفيق الله؛ لأن المخلوق القادر متمكن من الفعل والترك على السوية، فما لم يحصل المرجح لم يحصل الرجحان، وذلك المرجع ليس من العبد، فهو من الله تعالى، فثبت أن العبد لا يمكنه الإقدام على الفعل إلا بإعانة الله، ولا يمكنه الفوز بدرك الحق إلا بإعانة الله، فالذي يشرع في العبادة فيستعين بالله كأنه يقول: لا تمنعني يا رب من إتمامها بالموت ولا بالمرض ولا بقلب الدواعي وتغيرها. وكأنه يقول: يا إلهي إني أتيت بنفسي إلا أن لي قلباً يفر مني فأستعين بك في إحضاره.

(١) ينظر: الكشف: ٦١١/٤.

(٢) ينظر: تهذيب الصحاح: ٨٦١/٢ (عون).

(٣) الفاتحة: ٢-٥.



والقول: (إياك نعبد) يقتضي حصول رتبة عظيمة للنفس بعبادة الله تعالى، وذلك يورث العجب فأردف بالقول: (وإياك نستعين) ليدل ذلك على أن تلك الرتبة بسبب العبادة لم تحصل بقوة العبد، بل حصلت بقوة الله وتمكينه العبد وبإعانتته سبحانه^(١).



■ (عير)

العير: سيّد القوم وذلك أنه أرفعهم منزلة^(٢). والعير: الحمار الوحشي والأهلي^(٣).

أما في القرآن فقد وردت ثلاث مرات، دلت الصيغة المعرفة بآل التعريف ﴿أَلْعِيرُ﴾ على الإبل التي عليها الأحمال وهذا مشعر بقوة وتمكين.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار عن يوسف وإخوته: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَدَ إِلَى أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ * فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا أَلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسُرْقُونَ﴾ [يوسف: ٦٩-٧٠]، والعير هي: الإبل التي عليها الأحمال. والمراد هنا أصحاب العير، كقوله: يا خيل الله اركبي^(٤).

أي: يا أصحاب المؤون والأرزاق التي أقدرناكم بها فحملتموها على إبلكم إنكم لسارقون.



(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٥٦/١، ٢٥٧.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١٩١/٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٨٢/١٨.

(عيش)

تدل المادة (عيش) في اللغة على حياة وبقاء. فالعيش: الحياة^(١). والمعاش يجري مجرى العيش^(٢). تقول: عاشَ يعيش عَيْشاً ومعاشاً.

وكلُّ شيء يُعاش به أو فيه فهو معاش^(٣). والأرضُ معاشٌ للخلق، فيها يلتمسون معاشَهُمْ^(٤). ورجلٌ عَائِشٌ، إذا كانت حالُهُ حسنة^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (٨) مرّات، دلت الصيغة المنكرة «عَيْشَةً» والمضافة إلى «رَأَيْيَةٍ» على التمكين في الآخرة.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الحديث عمّا يقوله الذين يتلقون كتابهم بيمينهم: «فَأَمَّا مَنْ أَوْفَكَ كُنُتَهُ، يَمِينَهُ، يَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كُنْيَتَهُ * إِنْ ظَنَنْتُ أَنْ يَكُنِّي حَسْبِي * فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ» [الحاقة: ١٩-٢٣]، ذكروا في حد الثواب أنه لا بدّ أن يكون منفعة، ولا بدّ أن تكون خالصة عن الشوائب، ولا بدّ أن تكون دائمة، ولا بدّ أن تكون مقرونة بالتعظيم، فالمعنى: أن يكون مَرْضِيّاً به من جميع الجهات. فقولـه: «عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ» كلمة حاوية لمجموع هذه الشرائط المذكورة آنفاً^(٦). وهذا يدل على التمكين في الآخرة.

وتجلّت الدلالة نفسها في موضع آخر من القرآن استعمل الصيغة «عَيْشَةٍ» مضافة إلى راضية مسبوقة بحرف الجر (في)، قال تعالى: «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ» [القارعة: ٦-٧]، أي:

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ١٩٤/٤ (عيش).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ١١٣/٣٠.



عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها. فمن ثقلت موازينه يستحق التمكين في الآخرة، وذلك يكون بعيشة هنية سعيدة.

٢٢٢

■ (عين)

دلت المادة (عَيْنَ) في اللغة على العَيْنِ النَّاطِرَةِ لكل ذي بَصَرٍ، وَجَمْعُ العَيْنِ عُيُونٌ وَأَعْيُنٌ^(١). و«رَأَيْتُ الشَّيْءَ عَيْنَانِ، أَي: مُعَايَنَةً»^(٢). والعَيْنُ: عَيْنُ المَاءِ الجَارِيَةِ تَشْبِيهَا لَهَا بِعَيْنِ نَاطِرَةِ لَصَفَاءِ مَائِهَا^(٣). والعَيْنُ مَنْ تُرْسِلُهُ يَتَجَسَّسُ الْأَخْبَارَ كَأَنَّكَ تَرَى بِهِ مَا يَغِيبُ عَنْكَ^(٤). والرَّجُلُ الصُّبُورُ عَلَى السَّهْرِ يُدْعَى شَدِيدَ جَفْنِ العَيْنِ^(٥). وتعني الحَسَدَ. يُقَالُ: عَنَتُ الرَّجُلَ حَسَدَتُهُ فَهُوَ مَعْيُونٌ^(٦).

أما في القرآن: فقد وردت (٦٧) مرة في (٦٦) موضعاً بصيغ دل بعضها على الحفظ من شر الكافرين. قال تعالى في سياق الأمر بصنع السفينة لتكون آية. قال تعالى: ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَ كَأَنَّكُمُ الْمَاءُ بِعَيْنَيْنَا وَوَجَّيْنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (هود: ٣٧). اصنعها محفوظاً من كل شر يريدونه بك، ونحن ممكنوك من صنعها^(٧). فعن طريق الملك نعرفك كيف

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٩٩/٤ (عين).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: معجم متن اللغة: ٢٥٦/٤ (العين).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٠٠/٤، وينظر: معجم متن اللغة: ٢٥٤/٤ (عين).

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٩٩/٤ (ين).

(٦) ينظر: معجم متن اللغة: ٢٥٤/٤ (عين).

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥٠/٣، وينظر: الكشف: ٣٧٧/٢، وينظر: دراسات لأسلوب

القرآن الكريم، تأليف: محمد عبد الخالق عضيمة، مطبعة السعادة: ٣٤/٢.

تتخذ السفينة^(١). فأنت بحفظنا الحفظ الذي يرعاك ويملك دفع
السوء عنك^(٢).

وجميع التأويلات لا تخرج عن الدلالة على قدرة الله الحافظ المعين
الذي بأمره كل شيء والقادر على حماية نبيه ﷺ من كيد الكافرين
وتمكينه من صنع السفينة بإحكام وإتقان وإبطال كل تدبير منهم بغية إعاقتك
عن تنفيذ أمرنا ووحينا. «والباء في (بأعيننا) للملابسة^(٣) وهي في موضع
الحال من ضمير (اصنع). والأعين استعارة للمراقبة والملاحظة^(٤).

قيل: جمع العين: للمبالغة في التمثيل كأن الملاحظة بأعين عديدة. أو
يكون الجمع باعتبار تعدد متعلقات الملاحظة للدفاع عنه ﷺ، ملاحظة
لتوجيه الثواب ورفع درجاته، وملاحظة لجزاء أعدائه بما يستحقونه،
وملاحظة لنصرته عليهم بعموم الإيمان به.

ويأمر سبحانه نبيه ﷺ بالصبر على الدعوة إلى الله وهو حاميه وناصره
وحافظه. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِمُحَرِّرِكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. أي: «بحيث نراك
ونكلؤك»^(٥). قيل: «بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك»^(٦).

قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ لما ذكر ضمير الجمع جمع العين، ولما وحد الضمير
في (ولتصنع على عيني) وحد العين^(٧).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣١/١٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أي متلبساً ومصحوباً بالعناية والحفظ. ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: ٢٩/٢.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٦/١٢.

(٥) الكشف: ٤٠٤/٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٧٨/١٧.

(٧) ينظر: التفسير الكبير: ٢٧٥/٢٨.



والتفريع في قوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ تفريع العلة على المعلول، ففي قوله: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، أي: اصبر لأنك بأعيننا، أي: إنك بمكان العناية منا والكلاءة، نحن نعلم ما تلاقيه وما يريدونه منك، فنحن نجازيك بقدرتنا على ما تلقاه ونحرسك من شرهم ونتقم لك منهم، أي: لا نغفل عنك، وذكر العين تمثيل لشدة الملاحظة، وهذا التمثيل كناية عن لازم الملاحظة من النصر والجزاء والحفظ^(١).



■ (عبي)

العبي: ضدّ البَيَان^(٢). وقد عَيَّ في مَنْطِقِهِ وَعَبَّى أيضاً، فهو عَبِيٌّ^(٣). وعَيَّ بأمره وعَبَّى، إذا لم يهتدٍ لوجهه^(٤).

وتقول في الجمع: عَبَّوْا بالتخفيف، وَعَبَّوْا بالتشديد أيضاً، وقوم أَعْيَاءُ وَأَعْيَاءُ^(٥). وأَعْيَا الرَّجُلُ في الْمَشْيِ فهو مُعْيٍ^(٦).

أما في القرآن فقد وردت مرّتين، دلت الصيغة المنفية ﴿وَلَمْ يَكُنْ عَلَى الْقُدْرَةِ﴾.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ يَغْدِرْ عَلَيْكُمْ إِنْ يُخَيِّطِ الْمَوْتَ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٣/٢٧، ٨٤.

(٢) ينظر: تهذيب الصحاح: ١٠٣٤/٣ (عبي).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.



الأحقاف: ١٣٣، أي: ولم يتعب ولم يعجز، والمعنى: أن قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالإيجاد أبد الآباد^(١).

قوله: ﴿وَلَمْ يَئِمْ﴾ دالٌّ على سعة علمه تعالى بدقائق ما يقتضيه نظام السموات والأرض ليوجدهما وافيين به، وتكون دلالته على أنه قدير على إيجادهما بدلالة الفحوى أو يكون إكمال أمر قدرته على خلقهما إلى علم المخاطبين، لأنهم لم ينكروا ذلك، وإنما قصد تنبيههم إلى ما في نظام خلقهما من الدقائق والحكم ومن جملتها لزوم الجزاء على عمل الصالحات والسيئات^(٢).



(١) ينظر: البيضاوي: ٣٩٨/٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٥/٢٦.

حرف الغين

■ (غبن)

الْغَبْنُ بالتسكين، في البيع^(١)؛ وَالْغَبْنُ بالتحريك، في الرأْي^(٢). والتَّغَابُنُ: أَنْ يَغْنِيَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(٣). ومنه قيل ليوم الْقِيَامَةِ: يَوْمُ التَّغَابُنِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَغْنُونُ أَهْلَ النَّارِ^(٤).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة. دلت الصيغة المعرفة بالألف واللام «التَّغَابُنِ» على بعد الهوة بين أهل الجنة وأهل النار.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار عن جمع الله الخلائق ليعلم المكذبون بالبعث أنهم في مواجهة أيام عصيبة وأحوال شديدة: «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ» (التغابن: ٩)، قوله: «ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ» اعتراض بين

(١) ينظر: تهذيب الصحاح: ٨٦٣/٢ (غبن).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.



جملة: ﴿ثُمَّ لِلَّذِينَ يَمَّا عَلِمْتُمْ﴾ [التغابن: ٧] بمتعلقها وبين جملة: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ [التغابن: ٩]، وهو اعتراض يفيد التهويل لهذا اليوم تعريضاً بوعيد المشركين بالخسارة الشديدة في ذلك اليوم، أي: بسوء المنقلب.

والإتيان باسم الإشارة في مقام الضمير لقصد الاهتمام بهذا اليوم بتمييزه أكمل تمييز مع ما يفيد اسم الإشارة البعيد من علو المرتبة على نحو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْكَبْتُ﴾، والمعنى: أن أهل الجنة تمكنوا واقتدروا فأخذوا الجنة، وأهل جهنم ضعفوا وذلوا وأخذوا جهنم. فهو تمثيل لحال الفريقين بحال متبايعين أخذ أحدهما الثمن الوافي، وأخذ الآخر الثمن المغبون، فيكون في الآية مجاز وتشبيه وتمثيل، فالمجاز في مادة الغبن، والتمثيل في صيغة التغابن، وهو تشبيه مركب بمنزلة التشبيه البليغ إذ التقدير: ذلك يوم مثل التغابن، وذهب بعض أهل التأويل إلى أن صيغة (التغابن) زنة (التفاعل) على معنى الكثرة وشدة الفعل كما في قولنا: (عافاك الله وتبارك الله) فتكون استعارة، أي: خسارة الكافرين شديدة وكثيرة، إذ هم مناط الإنذار، أي: غبنهم كثير شديد. والذي غبنهم هو الله تعالى القدير عليهم.

وأفاد تعريف جزأي جملة (ذلك يوم التغابن) قصر المسند على المسند إليه، أي: قصر جنس يوم التغابن على يوم الجمعة المشار إليه باسم الإشارة وهو من قبيل قصر الصفة على الموصوف قصرأ ادعائياً، أي: ذلك يوم الغبن لا أيام أسواقكم ولا غيرها، فإن عدم أهمية غبن الناس في الدنيا جعل غبن الدنيا كالعدم وجعل يوم القيامة منحصرأ فيه جنس الغبن، وأما لام التعريف في قوله: ﴿الَّتَغَابُنِ﴾ فهي لام الجنس^(١).



وعلى كلا التأويلين نجد دلالة الصيغة تشعر بالكثرة المنفضية إلى الزيادة في الشيء والموحية بقوته.

فعلى التأويل الأول يتضح تمكين أهل الجنة وضعف أهل النار.

وعلى التأويل الثاني: نجد كثرة الخيبة وشدتها على أهل النار.

وفي الحالين نجد أن الله هو الذي قَدَّر أهل الجنة بقدرته وهو الذي ضاعف الخيبات لأهل النار بقدرته فأخزاهم وأذلهم.



(غدر)

دَلَّتُ مَادَةَ (عَدَرَ) فِي اللُّغَةِ عَلَى تَرْكِ الشَّيْءِ. يُقَالُ: غَادَرَهُ تَرْكُهُ^(١). وَتَدَلُّ عَلَى الظُّلْمَةِ. يُقَالُ: «لَيْلَةُ عَدِيرَةٍ؛ بَيِّنَةُ الْعَدْرِ، أَيِ: مُظْلِمَةٌ. وَقِيلَ لَهَا ذَلِكَ لِأَنَّهَا تُغَادِرُ النَّاسَ فِي بُيُوتِهِمْ فَلَا يَخْرُجُونَ مِنْ شِدَّةِ ظُلْمَتِهَا»^(٢). «وَالْعَدِيرُ: مُسْتَنْقَعُ مَاءِ الْمَطَرِ، وَسَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ السَّيْلَ غَادَرَهُ، أَيِ: تَرَكَهُ»^(٣). وَ«رَجُلٌ ثَبَّتَ الْعَدْرَ، أَيِ: ثَابِتٌ فِي كَلَامٍ وَقِتَالٍ»^(٤).

أما في القرآن فقد وردت مرّتين، ودارت حول الترك.

تجلت هذه الدلالة في سياق الحديث عن اليوم الذي فيه يسير الله بقدرته الجبال، ويحشر الناس، ولا يتخلف متخلف لإحاطته بالكون وقدرته على حشر الخلائق. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرَتُهُمْ فَلَمَّ

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٠٢، وينظر: عمدة الحفاظ: ١٥٣/٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٤١٣/٤، وينظر: عمدة الحفاظ: ١٥٤/٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤١٣/٤، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٠٢ (غدر).

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٤١٣/٤ (غدر).



فُعَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿الكهف: ٤٧﴾، «أي: لم نترك»^(١). أي: جمعناهم لنحاسبهم فلم نترك أحداً من الأولين والآخرين إلا وأحضرناه، نظيره قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّا لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿۞﴾ لَمَجْبُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿الواقعة: ٤٩-٥٠﴾. والقادر على حشر الخلائق دون أن يغادر أحداً منهم قادر على إيجاد كتاب يحصي أعمالهم لا يغادر منها شيئاً.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ بَوْلَنَّا مَالَ هَذَا أَلَكُتَبِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]. قوله تعالى: ﴿لَا يُعَادِرُ﴾ في موضع الحال، وهي مثار للتعجب. وقوله: ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ وصفان لموصوف محذوف لدلالة المقام، أي: فعلة أو هنة. والمقصود بالصغر والكبر في الآية الأفعال الكبيرة العظيمة، والأفعال الصغيرة الحقيرة. والعظم والحقارة المعنيان هنا في هذا الموضع بحسب الوضوح والخفاء أو يكونان بحسب القوة والضعف.

والملاحظ أن القرآن قدم الصغيرة في الآية على حين أن الأسبقية في الأمور تكون للأعظم والأكبر والأهم، ولكنه قدم الصغيرة في هذا الموضع لأنها الأهم من حيث إنها مثار التعجب إذ كم تكون عظمة هذه الإحاطة وهذه القدرة على إحصاء أصغر الأمور أين كانت في الأرض أو في السماء مهما دقت وصغرت واختفت. وقدم الصغيرة لأن الصغائر من حيث الوقوع أكثر بكثير من الكبائر مع ما فيه من التنبيه إلى أن الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبا: ٣]، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] وأن علم الله بالصغائر والكبائر سواء، وكلها في كتاب لا يضل ولا ينسى، وعطف الكبيرة عليها لإرادة التعميم في الإحصاء لأن التعميم أيضاً مما يثير التعجب، فقد تعجب المتعجبون من مدى التمكين الذي مكنته

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٠٣.



ملائكة الله حتى إنها أحاطت بتمكين الله بكل صغيرة وكبيرة تفعلها المخلوقات العاقلة. والاستثناء من عموم أحوال الصغيرة والكبيرة، أي: لا يبقى صغيرة ولا كبيرة في جميع أحوالهما إلا في حال إحصائه إياها، أي: لا يغادره غير محصي. فالاستثناء في هذا الموضع من تأكيد الشيء بما يشبه ضده لأنه إذا أحصاه فهو لم يغادره، فآل المعنى إلى معنى أنه لا يغادر شيئاً، وانتفت حقيقة الاستثناء.

وقوله: ﴿أَخَصَّنَهَا﴾ في موضع الحال. والرباط بينها وبين ذي الحال حرف الاستثناء.. فالمعنى كانت أفعالهم معدودة مفصلة بقدرة الله^(١).

بل إن الله ﷻ قد أمر ملائكته باستنساخ ما كانوا يعملون: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].



(غَدَقَ)

«الماء الغَدَقُ: الماء الكثير»^(٢). والغَيْدَاق: الرَّجُل الكريم^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت على الكثرة المشعرة بالقدرة. تجلت دلالة الكثرة المشعرة بالقدرة في سياق الحديث عن إنعامه سبحانه على مَنْ يستقيم. قال تعالى: ﴿وَالْوِاسْطَقُمُوا عَلَى الطَّرِيقِ لِأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، أي: لأسقيناهم الماء الكثير^(٤). وقيل: لأنعمنا عليهم بالمنافع والخيرات،

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٣٨/١٥، ٣٣٩.

(٢) تهذيب الصحاح: ٩٣/٢ (غَدَقَ).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٦١/٣٠.



جُعِلَ الماء كناية عنها، لأن الماء أصل الخيرات كلها في الدنيا^(١). وَحَمَلُ المعنى على الأصل أولى، فالماء الغدق هو الماء الكثير الجاري لهم في العيون والنازل من السماء تحت جناتهم وفي زروعهم^(٢). وفي الماء دلالة على قدرة الخالق العظيم، فكيف بالماء الكثير الذي بدوره لا حياة للمخلوقات؟



■ (غدو)

الغين والذال والحرف المعتلّ أصلٌ صحيح يدلُّ على زمان من ذلك الغُدُو، يقال: غدا يغدو. والغُدوة والغَداء، وجمع الغُدوة غُدَى، وجمع الغَداء غَدَوَات^(٣). والغادية: سحابة تنشأ صباحاً^(٤). وأفعلُ ذلك غَدَأَ^(٥). والغَداء: الطعام بعينه^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (١٦) مرّة، دلت صيغة الأمر الجمعي «أَغْدُوا» على الخروج الموحى بالقدرة والتمكين من حرمان الفقراء حَقَّهُم المعهود. تجلّت هذه الدلالة في سياق الأمر: «فَنَادَوْا مُصِيبِينَ * أَلِنْ أَعْدُوًا عَلَى حَرْيَكُورٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» [القلم: ٢١-٢٢]، أي: اخرجوا أو بأن اخرجوا إليه غدوة، وتعدية الفعل بعلى إما لتضمنه معنى الإقبال وإما لتشبيهه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء^(٧).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٦١/٣٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣٩/٢٩.

(٣) مقاييس اللغة: ٤/٤١٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

(٧) ينظر: البيضاوي: ٥١٦/٢.



وتجلَّت الدلالة على الجريان بقدرة باستعمال القرآن الصيغة ﴿غُدُوْهَا شَهْرٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلِسَلَمُنَ الرِّيحَ غُدُوْهَا شَهْرٌ﴾ [سبا: ١٢]، أي: جريها بالغداة مسيرة شهر^(١).

ودلت الصيغة ﴿غَدَاءَنَا﴾ في موضع من القرآن على الطعام الذي بدونه يضعف الجسم، تجلت هذه الدلالة في سياق الأمر، فقد طلب موسى من رفيق دربه أن يأتي بالطعام ليأكل. قال تعالى على لسان موسى: ﴿.. قَالَ لِفَتْنَهُ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، أي: ما نتغذى به ونقتدر^(٢).



■ (غرب)

يقال: أَسُوْدُ غَرِيْبٌ، أي: شديد السواد^(٣).

وَالْغَرْبُ وَالْمَغْرِبُ بمعنى^(٤). والغرب الدلو العظيمة^(٥). والغَرْبُ بالتحريك: الْفِضَّةُ^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (١٩) مرّة، دلت الصيغة ﴿وَالْمَغْرِبِ﴾ المعطوفة والمعرفة على القدرة.

تجلَّت هذه الدلالة في سياق الأمر بذكر الله والانقطاع إليه: ﴿وَأَذْكُرْ أَنْتَمَ رَبَّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ * رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٨-٩]،

(١) ينظر: البيضاوي: ٢٥٧/٢.

(٢) ينظر: البيضاوي: ١٧/٢.

(٣) ينظر: تهذيب الصحاح: ٨٠/١ (غرب).

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.



وصف الله بأنه (رب المشرق والمغرب) لمناسبة الأمر بذكره في الليل وذكره في النهار وهما وقتا ابتداء غياب الشمس وطلوعها، وذلك يشعر بامتداد كل زمان منهما إلى أن يأتي ضده؛ فيصح أن يكون المشرق والمغرب جهتي الشروق والغروب فيكون لاستيعاب جهات الأرض، أي رب جميع العالم وذلك يشعر بوقتي الشروق والغروب الدالين على قدرة الله، فغياب الشمس المفضي إلى حلول الظلام فيه دلالة على قدرة الله القادرة وحده الذي جعل الشمس تختفي على الأنظار^(١). ويتحول النور إلى ظلمة.

وقيل المعنى: وقتا الشروق والغروب، أي: مبدأ ذينك الوقتين ومنتهاهما. وعُقب وصف الله بـ (رب المشرق والمغرب) بالإخبار عنه أو بوصفه بأنه لا إله إلا هو لأن تفردته بالإلهية بمنزلة النتيجة لربوبية المشرق والمغرب، فلما كانت ربوبيته للعالم لا ينافي فيها المشركون أعقبت بما يقتضي إبطال دعوى المشركين تعدد الآلهة بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المزمل: ٩]، تعريضاً بهم في أثناء الكلام، وإن كان الكلام مسوقاً إلى النبي ﷺ.

ولذلك فرع عليه قوله: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، وإذا كان الأمر باتخاذهِ وكيلاً مسبباً عن كونه لا إله إلا هو كان ذلك في قوة النهي عن اتخاذ وكيل غيره، إذ ليس غيره بأهل لاتخاذهِ وكيلاً^(٢).

٢ ٢ ٢

(غرر)

الغَرِير: الضَّمِين، يقال: أنا غَرِيرُكَ من فلان، أي: كفيلُكَ^(٣).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦٦/٢٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦٦/٢٩، ٢٦٧.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٨١/٤.



وغيرِ السَّيف: حَذُّهُ^(١). والغُرَّةُ شُئَّةُ الإنسان، وهي وجهه، ثُمَّ يُعْبَرُ عن الجسم كله به. وَغُرَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ: أكرمهُ^(٢). والغَرِير: الخُلُقُ الحَسَنُ^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٢٧) مرَّةً، دَلَّتْ صيغة النهي الجمعي ﴿وَلَا يَغْرَنَكُم﴾، و﴿وَلَا يَغْرَنَكُم﴾ على القدرة، فالحياة الدنيا، والغرور إبليس عليه اللعنة قد يكون لهما قدرة وقوة يستعملانها في إزاحة الإنسان عن الصواب ويزينان له الباطل، وفي ذلك خسارته وبواره، وهلاكه وتباره.

تجلَّتْ هذه الدلالة في سياق النهي والتحذير: ﴿فَلَا تَغْرَنَكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الفمان: ٣٣]، أي: لا ينبغي أن تقدر عليكم الدنيا فتغركم بنفسها، فتحملكم على محبتها، أو يحملكم الشيطان على الغواية ويزين الدنيا في أعينكم، فتكون غاية قصدكم وتنسون الآخرة^(٤).

وتجلت الدلالة نفسها في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرَنَكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥]، أي: فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها، (ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية. وفي كلتا الحالتين نجد أنَّ للدنيا والشيطان قدرةً يستعملانها لإغواء الإنسان وما عليه إلا الحذر والانتباه وعدم الوقوع في حباثلهما وشرائعهما^(٥).

وأشعرت الصيغة الجمعوية الماضية المتصدرة بواو العطف: ﴿وَعَرَّيْنَهُمْ﴾ بقدرة الدنيا وتغلبها على قسم من بني البشر. قال تعالى في

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٢/٤.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٦٥/٢٥.

(٥) ينظر: البيضاوي: ٢٦٨/٢.



سياق الأمر: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتَهُمْ أَلْحَيَوَةُ الدُّنْيَا﴾ (الأنعام: ٧٠)، أي: بنوا دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلاً وأجلاً، كعبادة الأصنام وتحريم البحائر والسوائب، واتخذوا دينهم الذي كلفوه لعباً ولهواً حيث سخرُوا به، أو جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب. وقوله: ﴿وَعَرَّتَهُمُ أَلْحَيَوَةُ الدُّنْيَا﴾ أي: أغوتهم فأنكروا البعث، وإنكارهم البعث يدل على سيطرة الدنيا وقدرتها عليهم^(١).

٢ ٢ ٢

■ (غرف)

يقال: غَرَفْتُ الماءَ وَغَيْرَهُ أَغْرِفُهُ غَرْفًا^(٢). وفلانٌ غَرَفَ ناصيةَ قَرْسِهِ، إذا استأصلها جزأً^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٧) مرَّات، دلت الصيغة المؤنثة المفردة ﴿الْفَرْقَةَ﴾ على التمكين في الآخرة.

تجلت هذه الدلالة في سياق طويل يذكر صفات عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ * وَالَّذِينَ يَبْسُتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ

(١) ينظر: البضاوي: ٣٠٦/١.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤١٨/٤ (غرف).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(غرق)

الغين والراء والقاف أصل واحد صحيح يدل على انتهاء في أمر يبلغ أقصى مداه^(١). من ذلك الغَرْقَةُ: الأرض في غَايَةِ الرِّي^(٢). والعَيْنُ تَغْرُقُ في دَمْعِهَا. يقال: اغْرُوزَقَتِ الْعَيْنُ في دَمْعِهَا كَأَنَّهُ غَرَقُهَا^(٣). ويقال في القوس: «أَغْرَقْتُ فِي الْقَوْسِ: مَدَدْتُهَا غَايَةَ الْمَدِّ»^(٤). فهي قادرة في هذه الحالة على إيصال السهم إلى الهدف مع قوة التأثير في الرميّة.

وأبرز دلالتها القتل غرقاً. يقال: أَغْرَقَهُ وَغَرَقَهُ، فَهُوَ مُغْرَقٌ، وَغَرِيقٌ^(٥). ودلت في المعنى على الاستيعاب. يقال: الاسْتِغْرَاقُ؛ الاسْتِيعَابُ^(٦).

أما في القرآن: فقد وردت (٢٣) مرة، دلت الصيغة «وَأَغْرَقْنَا» على الإهلاك بالغرق. فقد أشعر سياق التفضل على بني إسرائيل وإنقاذهم من فرعون وإهلاكه بالغرق بهذه الدلالة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَمَجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠] أي: بإطباق البحر عليهم^(٧). وقيل: «وأنتم ترونهم يغرقون»^(٨). إن قوم موسى لما شاهدوا تلك المعجزة الباهرة زالت عن قلوبهم الشكوك والشبهات. إذ بمعاينتهم غرق فرعون وجنده صار ذلك داعياً لهم إلى الثبات وتصديق موسى ﷺ والانقياد له، وعرفوا أن الأمور كلها بيد الله؛ فإنه لا عزّ في الدنيا أكمل مما كان

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤/٤١٨، وينظر: المحكم المحيط الأعظم: ٥/٢٢٩ (غرق).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤/٤١٨ (غرق).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٤/٤١٨، وينظر: الصحاح: ٤/١٥٣٦ (غرق).

(٥) ينظر: الصحاح: ٤/١٥٣٦، وينظر: المحكم المحيط الأعظم: ٥/٢٢٩ (غرق).

(٦) ينظر: الصحاح: ٤/١٥٣٦ (غرق).

(٧) ينظر: جامع البيان: ١/٢٧٦.

(٨) معاني القرآن وإعرابه: ١/١٣٢، ١٣٣.



لفرعون ولا شدة أشد مما كانت ببني إسرائيل، ثم إن الله تعالى في لحظة واحدة جعل العزيز ذليلاً والذليل عزيزاً بقدرته. لقد رأى بنو إسرائيل التطام أمواج البحر بفرعون وقومه، ثم إنهم سألوا موسى عليه السلام أن يريهم الله حال فرعون ومن معه بعد غرقهم فلفظهم البحر ألوفاً مؤلفة وفرعون معهم فنظروا إليهم طافين وإن البحر لم يقبل واحداً منهم لشؤم كفرهم^(١): ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ (يونس: ٩٢).

قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ هو محل المنة وذكر النعمة وهو النجاة من الهلاك وهلاك عدوهم في آن واحد. فقوله: ﴿وَأِذَا فَرَغْنَا مِنَّا الْبَحْرَ﴾ هو التمهيد للمنة، لأنه سبب النجاة والهلاك وهو أيضاً معجزة لموسى عليه السلام. ففلق البحر بباهر قدرة الله على إثـر ضربه بعضا موسى عليه السلام إلى طرق عبر منها بنو إسرائيل، ثم لحق بهم فرعون وجنده، وانطبق البحر على الطغاة ليغرقوا دلائل على عظيم قدرة الله. واللافت للنظر أنه لم يذكر في هذه الآية غرق فرعون والتعليل هو أن محل المنة غرق من معه وقد كانوا هم مصدر قوة فرعون وقهره، فأغرقهم الله بقوته وقدرته^(٢).

قوله: ﴿وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾. «جملة حالية من الفاعل وهو ضمير الجلالة في (فرقنا، وأنجينا، وأغرقنا) مقيدة للعوامل الثلاثة على سبيل التنازع فيها، والتنازع عبارة عن توجه عاملين إلى معمول واحد^(٣). ولا يتصور في التنازع في الحال إضمار في الثاني على تقدير إعمال الأول؛ لأن الجملة لا تضم كما لا يضم في التنازع في الظرف، نحو: سكن قرأ عندك، ولعل هذا مما يوجب إعمال الأول، وهذا الحال زيادة في تقرير النعمة وتعظيمها؛ فإن

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٧٧، ٧٦/٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٩٤/١، ٤٩٥.

(٣) ينظر: شرح ابن عقيل: ٥٤٥/١.



مشاهدة المنعم عليه للنعمة لذة عظيمة ولاسيما أن مشاهدة إغراق العدو نعمة زائدة كما أن مشاهدة فرق البحر نعمة عظيمة لما فيها من مشاهدة معجزة تزيدهم إيماناً وحادث لا تتأتى مشاهدته لأحد، ويجوز أن تكون الجملة حالاً من المفعول وهو آل فرعون، أي: تنظرونهم، ومفعول (تنظرون) محذوف، ولا يستقيم جعله منزلاً منزلة اللازم، وإسناد النظر إليهم باعتبار أن أسلافهم كانوا ناظرين ذلك لأن النعمة على السلف نعمة على الأبناء لا محالة^(١) فضمير الخطاب مجاز^(٢)

قال تعالى: ﴿وَأَيُّكُمْ لَمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُورِ ۖ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ۖ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقَهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ [يس: ٤١-٤٣] أي: «وإن نشأ نغرق هؤلاء المشركين إذا ركبوا الفلك»^(٣).

قوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقَهُمْ﴾ يفيد أن على من حلت به النعمة أن لا يأمن عذاب الله، ولا شيء يمنع من إغراق قوم إن أراد الله ذلك حتى لو بدا أن جميع الأسباب لا تفضي إلى الإغراق، فكل ذلك مرهون بمشيئة الله القادر على كل شيء^(٤). وقوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقَهُمْ﴾. «عطف على قوله: ﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ باعتبار دلالتها الكنائية على استمرار هذه الآية وهذه المنة تذكيراً بأن الله تعالى الذي امتن عليهم: إذا شاء جعل فيما هو نعمة على الناس نقمة لهم لحكمة يعلمها. وهذا جرى على عادة القرآن في تعقيب الترغيب بالترهيب وعكسه لئلا يبطر الناس النعمة ولا ييأسوا من الرحمن. وقرينة ذلك أنه جيء

(١) التحرير والتنوير: ٤٩٦/١.

(٢) والمجاز: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ص ٣٩٤.

(٣) جامع البيان: ١١/٢٣.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٨٢/٢٦.



في هذه الجملة بالمضارع المتمحض في سياق الشرط لكونه مستقبلاً^(١)، وهو كقوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنْتَ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ جَانِبَ الْوَرَىٰ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ آمَنْتُمْ أَنْ يُمِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنًا بِهِ ذَبْيًا ﴾ [الإسراء: ٦٨-٦٩].



■ (غرم)

من بين دلالات المادة (غرم) في اللغة دلالتها على الدائن. فالغريم هو الدائن^(٢). وتدل على الدَّيَّة، يقال: «وَأَغْرَمَهُ إِيَّاهُ وَغَرَّمْتُهُ وَقَدْ غَرِمَ الدَّيَّةُ»^(٣). وكلتا الدالتين تشعران بالقدرة، لأن الدائن قادر ومن يدفع الدَّيَّة قادر على دفعها.

أما في القرآن فقد وردت (٦) مرَّات، دلت في إحدى صيغها على القدرة. قال تعالى على لسان عباد الرحمن الموصوفين بأنهم يمشون على الأرض هوناً: ﴿ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۚ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٥]، أي: هلاكاً تلحقه جهنم بالكافرين بأمرٍ من ربها وتمكين منه تعالى لها.



■ (غرو)

دلت مادة (غرو) في اللغة على الحض والحث والإغراء على الفعل. ويتعدى فعل الإغراء بحرف (على) وبالباء، والأكثر أن تعديته بـ(على) تفيد

(١) التحرير والتنوير: ٢٩/٢٣.

(٢) ينظر: القاموس المحيط: ١٥٨/٤ (غَرَمِي).

(٣) القاموس المحيط: ١٥٨/٤ (غَرَمِي).



الحدث على الفعل مطلقاً في حد ذاته وأن تعديته بالباء تفيد حثاً على الإيقاع بشخص لأن الباء للملابسة. فالمغري عليه ملابس لذات المجرور بالباء، أي واقعاً عليها. فلا يقال: أغريته به، إذا حرصه على إحسان إليه. وعليه فإن المعنى: لنغرينك بعقوبتهم، أي: بأن تغري المؤمنين بهم^(١).

و«أغريته بالشيء الذي تلصق به الأشياء»^(٢)، والمعنى: «لَهَجَ بِهِ وَلَصَقَ، وأصل ذلك من الغِرَاء، وهو ما يُلصَقُ بِهِ»^(٣)، و«أَغْرَيْتُ فلاناً بكذا... أَلْهَجْتُ بِهِ»^(٤).

أما في القرآن فقد درات حول التسليط الدال على القدرة. ففي سياق الحديث عن المنافقين الذين في قلوبهم مرض، والمرجفين في المدينة، وما هم عليه من معادة النبي ﷺ، وإنذارهم إن استمروا على ذلك فإن الله ﷻ يسلط رسوله عليهم فيستأصلهم. قال تعالى: «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا» [الأحزاب: ٦٠] أي: لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوءهم وتؤذونهم، ثم تضطربهم إلى طلب الجلاء عن المدينة، وإلى أن لا يساكنوك فيها (إلا) زمناً (قليلاً) ريثما يرتحلون ويضطربون عيالهم معهم، فسمي ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز^(٥). أو أننا نسلطك عليهم فتستأصلهم بالقتل^(٦). وقد أغراه بهم في الآية التي تلت مع اتصال الكلام بها؛ وهو قوله: «مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أُخْذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا» [الأحزاب: ٦١].

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠٩/٢٢. (من مصدر لغوي).

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٤١٩/٤ (غرو).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٠٦ (غرو)، وينظر: عمدة الحفاظ: ١٦١/٣ (غري).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: الكشف: ٥٤٤/٣.

(٦) ينظر: معاني القرآن: ٣٤٩/٢، وينظر: التفسير الكبير: ٢٣٢/٢٥.



ففي ذلك دلالة على الأمر بقتلهم وأخذهم، فذلك حكم الله فيهم إذا كانوا مقيمين على النفاق والإرجاف^(١). واللام في (لنغرينك) لام جواب القسم، وجواب القسم دليل على جواب الشرط.

واختيار عطف قوله (لا يجاورونك) بـ (ثم) دون الفاء للدلالة على تراخي انتفاء المجاورة عن الإغراء بهم تراخي رتبة لأن الخروج من الأوطان أشد وطأة على النفوس مما يلحقها من ضر الأبدان. كقوله تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالَّذِينَ أَشَدُّ مِّنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] يعني: وفتنة الإخراج من بلدهم أشد عليهم وطأة من القتل^(٢).

والله سبحانه لم يغر نبيه بالمنافقين أو الكافرين إلا بعد تمكين وتقدير لهم على خصومهم. فلا يمكن عقلاً أن يأمر تعالى نبيه بأمر لا يقدر عليه. وبذا دلت الصيغة (لنغرينك) على القدرة. فإذا أغراه يكون قد قواه على المغرئ به.

■ (غزل)

الغَزَلُ، يقال: غزلت المرأة غزلها، والخشبة مَغْزَلٌ، والجمع مغازل^(٣). والغَزَلُ: حديث الفتيان والفتيات. ويقل: غَزَلَ الكَلْبُ غَزْلاً، وهو أن يطلب الغزالَ حتى إذا أدركه تركه ولها عنه. والغزالُ، وهو معروف، والأنثى غزالة^(٤).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٦/١٤، ٢٤٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠٩/٢٢.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٢٢/٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة. دلت الصيغة المضافة إلى ضمير المؤنثة الغائبة «غَزَلَهَا» على النسيج المحكم وذلك في سياق النهي نهى المؤمنين عن نقض البيعة مع الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ [النحل: ٩٢]، أي: لا تفسدوا ما كان نافعاً محكماً. لا ترجعوا إلى الكفر بعد الإيمان. لا تعودوا إلى الفساد بعد التلبس بالصلاح والرّشاد.

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ دلالة صريحة وقرينة واضحة على أن الصيغة (غزلهـا) توجي بالاحكام في الصنعة وهو النسيج، والقوّة في الآية إحكام الغزل والفتل^(١).



■ (غزو)

تدل المادة (غزو) في اللغة في بعض صيغها على طلب شيء. فالغَزُو، وَغَزَوْتُ أَغْزُو، والغازي: الطَّالِبُ لذلك، والجمع غُزَاةٌ وَغَزِيٌّ أيضاً^(٢). والمُغْزِيّة: المرأة التي غزا زوجها^(٣).

ودلت المادة على الناقة التي يعسر لقاحها. يقال: أَغْزَتِ النَّاقَةُ، إِذْ عَسُرَ لِقَاحُهَا^(٤).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة المنكرة «غُزِيَّ» على الجهاد في سبيل الله.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦٤/١٤، ٢٦٥.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٢٣/٤ (غزو).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.



تجلت هذه الدلالة في سياق النهي: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لِّو كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦]، أي: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا لمن يريد الخروج إلى الجهاد: لو لم تخرجوا لما متم وما قتلتم، فإن الله هو المحيي والمميت فمن قُدِّر له البقاء لم يقتل في الجهاد، ومن قُدِّر له الموت لم يبق وإن لم يجاهد^(١). إذاً الجهاد هو قدرة ولا يستطيع الجهاد إلا قوي الإيمان المعتقد بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

إذاً لا داعي للخوف من الموت ولا بديل عن الجهاد في سبيل الله لتقوم دولة الإسلام ولا يغزو في سبيل الله إلا من رسخت عقيدته وتجدد حب الله في قلبه.



(غسق)

الغَسَقُ: الظلمة^(٢). والغاسِقُ: الليل^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرّات، دلت الصيغة المنكرة «غَاسِقٍ» على الليل الذي تكثر فيه الشرورُ وذلك مشعر بالقدرة على اختلاف أشكالها. تجلّت هذه الدلالة في سياق الأمر بالاستعاذة والاحتماء والاستقدار بالله تعالى من الشرور، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝﴾ [الفلق: ١-٣].

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٥٦/٥.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤/٢٥٠ (غسق).

(٣) المصدر نفسه.



عطف أشياء خاصة هي ممّا شمله عموم (من شر ما خلق)، وهي ثلاثة أنواع من أنواع الشرور: أحدها: وقت يغلب وقوع الشرف فيه وهو الليل. والمعنى: من شر ليل بهيم اشتدت ظلمته وكثرت أخطاؤه. وتنكير (غاسق) في مقام الدعاء يراد به العموم لأن مقام الدعاء يناسب التعميم. والمعلوم أن الليل تكثر فيه حوادث السوء من اللصوص والسباع والهوام، وكلها فيها قدرة تستعمل لإضرار الساري في الليل أو الراقد في مكان نومه. وتقيد ذلك بظرف (إذا وقب) أي: إذا اشتدت ظلمته لأن ذلك وقت مُتَحَيِّن من الشُّطَّار وأصحاب الدعارة والعَبَث، لتحقّق غلبة الغفلة والنوم على الناس فيه^(١).

واستعمل القرآن في موضع منه الصيغة المنكرة «وَعَسَاقٌ» للتدليل على سائل شديد الكراهة وبالحق التأثير في الشاربين المعذبين.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَيِّرٌ وَعَسَاقٌ﴾ [ص: ٥٧] وهو سائل كربه شديد الكراهة وقوي التأثير في المعذبين أهل النار، كقوله تعالى: ﴿يَمَاءٌ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [الكهف: ٢٩].

قيل: إنه الذي يغسق من صديد أهل النار، وقيل: الذي يسيل منهم يجتمع فيسقونه، وقيل: الغساق يحرق ببرده، وقيل: الغاسق البارد شديد البرودة. وقيل: إن الغساق المتنن شديد كراهة الرائحة لو أن قطرة منه في المشرق لأننت بتأثيرها أهل المغرب، وقيل: الغساق عين في جهنم يسيل إليها شُمُّ كلِّ ذاتِ حَمَةٍ من عقرب وحية^(٢). وكلها تدور حول معنى واحد وهو شدّة العذاب بها وقدرة المعذب جلّ جلاله وعظم شأنه.

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٢٦/٣٠، ٦٢٧.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢٢٢/٢٦.



(غسل)

غَسَلْتُ الشَّيْءَ غَسْلًا^(١).

والغُسُول: الماء الذي تَغْتَسِلُ به، وكذلك الْمُغْتَسَل^(٢). والغسالة: ما غَسَلْتَ به الشَّيْءَ^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (١٢) مرّة، دلت الصيغة المنكرة «غِلِينَ» زنة (فعلين) على الماء السائل من أجساد أهل النار وما تفرزه هي من سواثل الله أعلم وحده بشدّة تأثيرها في الكافرين.

تجلت هذه الدلالة في سياق طويل يتحدث عن أصحاب الشمال، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كَيْدَهُ، يَقُولُ يَلَيِّنِي لَوْ أُوتِ كَيْبَةٌ * وَلَوْ أَدْرِمَ مَا حَسْبِيَةِ * يَلَيِّنَهَا كَانَتْ الْفَاقِصَةِ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ * خُدُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْيُسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِلِينَ﴾ [الحاقة: ٢٥-٣٦]، أي: ما يدخل في أفواه أهل النار من المواد السائلة من الأجساد وماء النار ونحو ذلك مما يعلمه الله. قيل: إنّه من فَعَلِينَ من الغسل لأنه سال من الأبدان فكأنه غُسِلَ عنها^(٤).

واستعمل القرآن في موضع منه الصيغة «مُغْتَسَلٌ» للتدليل على ما فيه شفاء من سقم مضن.

(١) ينظر: تهذيب الصحاح: ٦٨٠/٢ (غسل).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤٠/٢٩.



تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الحديث عن أيوب عليه السلام: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ يُفْسِدْ وَعَذَابٌ ﴿٤١﴾ أَزْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤١-٤٢]، ووصف الماء بذلك في سياق الثناء على أيوب عليه السلام مشير إلى أن ذلك الماء فيه شفاؤه إذا اغتسل به وشرب منه ليتناسب قول الله له مع ندائه ربّه لظهور أن القول عقب النداء هو قول استجابة الدعاء من المدعو.

ووصفه بـ (بارد) إيماء إلى أن به زوال ما بأيوب من الحمى والقروح. أي: نافع شاف، وبالتنوين استغني عن وصف (شراب)، إذ من المعلوم أن الماء شراب، فلولا إرادة التعظيم بالتنوين لكان الإخبار عن الماء بأنه شراب إخباراً بأمر معلوم، ومرجع تعظيم (شراب) إلى كونه عظيماً لأيوب وهو شفاء ما به من مرض^(١).



■ (غشى)

تدور مادة (غشى) في اللغة حول الستر. يقال: (غَشِيَهُ غِشَاوَةً وَغِشَاءً: أَتَاهُ إِتْيَانًا مَا قَدْ غَشِيَهُ، أي: سَتَرَهُ. وَالْغِشَاوَةُ مَا يُعْطَى بِهِ الشَّيْءُ)^(٢). يقال: غَشِيَهُ وَتَغَشَّاهُ، وَغَشَّيْتُهُ^(٣). تعني الإتيان. (وَعَشَيْتُ مَوْضِعَ كَذَا: أَتَيْتُهُ)^(٤). والغاشية: القيامة^(٥)، ومن المجاز قولهم: نزلت

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣/٢٧٠، ٢٧١.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٠٧.

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٠٧.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٠٧.

(٥) المصدر نفسه.



به غشية الموت^(١). والغاشية: الداهية. يقال: غشيت فلان غاشية أي: داهية^(٢).

أما في القرآن: فقد وردت مادة (غشي) (٢٩) مرة في (٢٦) موضعاً تحمل معنى الغطاء. ففي سياق القسم بالليل. قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ [النبي: ١] (والمعنى: إذا يغشى الليل الأرض توارى الأفق وجميع ما بين السماء والأرض)^(٣). بغشيانه يأوي الحيوان إلى مأواه، ويسكن الخلق عن الاضطراب، ويغشاهم النوم لأنه راحة الأبدان وغذاء الأرواح^(٤). وقابل القرآن بين الليل والنهار، فلو كان الدهر كله ليلاً لتعذرت الحياة، ولو كان كله نهاراً لما كانت هناك راحة، والمصلحة في هذا التعاقب الدال على قدرة الله على خلقه والتصرف بهم^(٥) ولم يذكر القرآن مفعول (يغشى) ليذهب الفكر فيه كل مذهب، فكل ما يمكن أن يغشاه قد يكون قد غشيه، ولو ذكر لما أفاد ذلك، فمما يغشى أنه يغشى الشمس من قوله: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ [الشمس: ٤]. وأنه يغشى النهار من قوله: ﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٤٤]. وأنه يوارى بظلامه كل شيء^(٦) من قوله: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]. وفي القسم بالليل وبالنهار التنبيه إلى الاعتبار بهما في الاستدلال على عظيم قدرة الله وبديع خلقه. وخص بالذكر ما في الليل من غشيان لجانب من الأرض، فيخيم الظلام عليه فلا ترى الموجودات وهذه أقوى أحوال الليل وصفاته^(٧). وابتداء

(١) ينظر: أساس البلاغة: ١٦٥/٢ (غشي).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٣٣٥/٥.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٩٨/٣١.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ١٩٨/٣١.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٧٨/٣٠.



القرآن بذكر الليل وغشيانه الأرض ثم ذكر النهار عكس ما في سورة الشمس. قال تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّهَا ۖ وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: ٣-٤] له دلالة، فيوم نزلت هذه السورة كان الكفر مخيماً على الناس إلا نفرأ قليلاً، وكان الإسلام في بداياته، فناسب تمثيله بحالة الليل حين يعقبه ظهور النهار.

وحذف مفعول (يغشى) لتنزيل الفعل منزلة اللازم لأن العبرة بغشيانه كل ماتغشاه ظلمته. وأشير إلى أن ظلمة الليل كانت هي غالبية ضوء النهار وأن النهار هو الذي يليها، والظلمة هي أصل أحوال أهل الأرض، ولم يكن لها إضاءة إلا بعد خلق الشمس^(١). وقيل: (يغطي بظلمته ما كان مضيئاً)^(٢). فغشيان الليل النهار يعني طمسه وإزالته، فإذا طمسه وأزاله يكون كأنه غطاه وحجبه، والليل والنهار آيتان دالتان على كمال قدرته تعالى. وذلك لأن المخلوقات كانت قبل الوجود مغطاة بظلمة الوجود، فأخرجها الله سبحانه إلى نور الوجود بقدرته وإرادته.

وأشعر القرآن في موضع منه بدلالة الإلقاء إلقاء النعاس على النفوس القلقة التي لولا قدرة الله التي شاءت ذلك ما كان ليكون في وقت تضطرب فيه النفوس وتقلق وهو رحمة من الله ليكون مدعاة للأمن وتهدة النفوس، فهو تحويل القلق أمناً بقدرة الله^(٣). قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ۖ﴾ [الأنفال: ١١] (أي: يلقي)^(٤). وهذا الإلقاء عند بعض أهل التأويل ناتج عن الأمن الذي أمنهم الله به، فالنعاس لا يكون مع القلق عقلاً فالقلق لا ينام. وفي الآية استعارة لأن النعاس أمر معنوي، والغشاء مادي، ففيه

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/٣٧٩.

(٢) فتح القدير: ٤٥٢/٥.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٥/١٣٦.

(٤) إصلاح الوجوه والنظائر: ص ٣٤١.



استعارة المادي لإبراز المعنوي، حتى صار كأنه غشاوة على عقولهم ونفوسهم فناموا.

قيل: (إن الله أَمَنَهُمْ أَمناً حتى غشيهم النعاس لما وعدهم من النصر)^(١). وغشيان النعاس الجمع الكثير دفعة واحدة، في الخوف الشديد أمر خارق للعادة. لذا قيل إنه كان في حكم المعجز، وهذا نوع من النعاس الذي لا يمكن العدو منهم بل كان من النوع الذي يزيل الإعياء والكلال ولو قصدهم العدو لعرفوا وصوله ولقدروا على دفعه^(٢). وانتقال القرآن من قصة لأخرى بواسطة إذ الزمانية في السياق كان من أبدع التخلص وهو أسلوب قرآني لم تعهده اللغة من قبل. ولذا فالوجه أن يكون هذا الظرف مفعولاً فيه لقوله (وما النصر) فإن إغشاءهم النعاس كان من أسباب النصر فلا جرم أن يكون وقت حصوله ظرفاً للنصر^(٣).

ويمكن إسناد الإغشاء إلى الله تعالى كونه أنامهم بقدرته في وقت لا ينام في مثله الخائف ولا يمكن أن يعم الجيش كله، فهو نوم ممنوح منه سبحانه لهم لفائدتهم. ويمكن إسناده إلى النعاس على الحقيقة وعلى ما هو متعارف عليه. وقد علم أنه من تقدير الله لقوله تعالى: ﴿أَمَنَةً مِنْهُ﴾. وإنما كان النعاس أَمناً لهم، لأنهم حين ناموا زال أثر الخوف والقلق من نفوسهم مدة النوم، وذلك فضل ونعمة، وحين اليقظة وجدوا نشاطاً، ونشاط الأعصاب يجلب الشجاعة ويزيل شعور الخوف الذي يجلب فتور الأعصاب، فنعاسهم لطف منه وسكينة ورحمة، ويتأكد به إسناد الإغشاء إلى الله، على قراءة من نصبوا

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٤٠٣/٢.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٣٧/١٥.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٧/٩.



النعاس^(١)، تنبيهاً على أنه إسناده مخصص، وليس هو إسناداً يعم المقدورات كلها وعلى قراءة من رفعوا النعاس^(٢) يكون وصف الأمانة منه سارياً إلى الغشي، فيعلم أنه غشي قدسي مخصص، وليس هو كسائر غشيان النعاس فهو غشيان معجز دال على قدرة محدثه وهو كرامة لمن حل بهم، وحصل هذا التكريم للمسلمين مرتين يوم بدر كما ورد صريحاً في الآية وفي أحد لطائفه من جيش المسلمين^(٣). قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ أَلْفٍ أَمَنَةً تُؤَسِّسُ لَكُمْ طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. وتتجلى القدرة الإلهية فيما يخبره القرآن عن أمر عظيم فيقول: ﴿إِذْ يَفْتَنَى آلِ يَدْرَةَ مَا يَفْتَنَى﴾ [النجم: ١٦] قوله (ما يغشى): (تعظيم وتكثير لما يغشاها، لا يكتنفها النعت ولا يحيط بها الوصف. وقد قيل: يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها)^(٤). وقيل: الذي غشي السدرة هو نور الله لأنه بوصول محمد ﷺ السدرة تجلى ربه لها، كما تجلى للجبل، وظهرت أنوار الله، لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت، لأن الجبل اندك، على حين أن السدرة لم تتحرك، وخَرَّ موسى صعقاً، ولم يتزلزل محمد ﷺ^(٥).

قوله: ﴿مَا يَفْتَنَى﴾ إيهام للتفخيم الإجمالي^(٦)، وعبارات الوصف في اللغة تضيق عن وصفه. وقوله: ﴿إِذْ يَفْتَنَى آلِ يَدْرَةَ مَا يَفْتَنَى﴾ ظرف مستقر في موضع

(١) ينظر: السبعة في القراءات: ص ٣٠٤، وينظر: غيث النفع في القراءات السبع. الصفاقسي

هامش حرز الأمانى ووجه التهاني للرعيني: ص ٢٣٣..

(٢) ينظر: السبعة في القراءات: ص ٣٠٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٨/٩، ٢٧٩.

(٤) الكشف: ٤١١/٤، وينظر: التفسير الكبير: ٢٩٣/٢٨.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٢٩٣/٢٨.

(٦) التفخيم: كتوبه تعالى: ﴿أَلْفَايَةُ * مَا أَلْفَايَةُ﴾ ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٠٦/٢.



الحال من (سدره المنتهى) أريد به الإشعار بما حَفَّ بهذه البقعة المباركة المسماة سدره المنتهى من الجلال المتولد من عظيم القدرة^(١).

ويخبر سبحانه بعذاب أليم يحيق بالكافرين يوم تأتيهم السماء بدخان مبين. قال تعالى متوعداً محذراً: ﴿فَأَرْقَبَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانًا مُّبِينًا * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠-١١]. أي: (يملاً ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً و ليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره)^(٢). فهو دخان يحيط بهم كما تحيط الغاشية بالجسد، وقوله: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يجوز أن يكون إخباراً من جانب القدير سبحانه تعجيباً منه. (ويحتمل أن يكون ذلك من قول الناس الذين يغشاهم العذاب بتقدير: يقولون هذا عذاب أليم. والإشارة في (هذا عذاب أليم) إلى الدخان المذكور آنفاً، عدل عن استحضاره بالإضمار وأن يقال هو عذاب أليم، إلى استحضاره بالإشارة، لتزيله منزلة الحاضر المشاهد تهويلاً لأمره)^(٣).



(غصب)

الغَصْبُ: أَخَذَ الشَّيْءَ ظُلْمًا^(٤). وَغَصَبَهُ عَلَيْهِ^(٥). وَغَصَبَهُ مِنْهُ^(٦).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠١/٢٧.

(٢) جامع البيان: ١١٤/١٥، ١١٥، وينظر: الكشف: ٢٦٥/٤، وينظر: التفسير الكبير: ٢٤٣/٢٧.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٨٨/٢٥، ٢٨٩.

(٤) ينظر: تهذيب الصحاح: ٨٠/١ (غصب).

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت مرّةً واحد، دلت الصيغة المنكرة ﴿عَصَبًا﴾ على قدرة الغاصب وضعف المغضوب.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى في قصة موسى مع الخضر عليه السلام وخرق الخضر لسفينة المساكين قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف: ٧٩)، أي: بدون عوض، وهذا يدل على قدرة الملك الغاصب للسفينة وضعف المساكين.

أي: إن ملك بلاد المساكين بالمرصاد لهم ولأمثالهم يسخر السفن المغضوبة في مصالحه الخاصة وشهواته. كما كان الفراعنة يسخرون الناس لعمل الأهرامات^(١).



■ (غضب)

الغين والضاد والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على شِدَّةٍ وقُوَّةٍ^(٢).

يقال: إن الغَضْبَةَ: الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ^(٣). قالوا: ومنه اشتقَّ الغَضَبُ^(٤)، لأنَّه اشتدادُ السُّخْطِ^(٥). يقال: غَضِبَ يَغْضَبُ غَضَبًا، وهو غضبانٌ وَغَضُوبٌ^(٦). ويقال: إن الغَضُوبَ: الحيَّة العظيمة^(٧).

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٦/.

(٢) مقاييس اللغة: ٤٢٨/٤ (غضب).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (٢٤) مرة، دلت الصيغة المنكرة والمعطوفة و«وَعَصَبُ» على القدرة قدرة الله في المعذبين.

تجلّت هذه الدلالة في سياق طويل يتحدث عن هود ودعوته قومه عاد بعد أن طال جدالهم واثباتهم على الكفر، قال تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَزِقِكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبُ﴾ [الأعراف: ٧١]، أي: قدّر الله عليهم العذاب والعقوبة والتحقيق، وهي كلها من آثار الغضب لأن الغضب: انفعال ينشأ عن كراهية المغضوب عليه، ومن ثمّ إبعاده وإضراره وإلحاق شتى صنوف العقوبة به. وتأخير الغضب عن الرّجس لأنّ الرّجس وهو خبث نفوسهم، قد دلّ على أن الله فطرهم على خبث بحيث كان استمرارهم على الضلال أمراً جلياً، فدل ذلك على أن الله غضب عليهم. فوقع الرّجس والغضب عليهم حاصل في الزّمن الماضي بالنسبة لوقت قول هود، واقترائه بـ(قد) للدلالة على تقريب زمن الماضي من الحال، مثل: قد قامت الصلاة^(١).

وتجلّت الدلالة نفسها في موضع آخر من السورة نفسها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ١٥٢]، جعل الله جزاءهم على الافتراء: الغضب والذلة، وذلك إذا فعلوا مثل ما فعلت بنو إسرائيل مع موسى بعد أن جاءتهم الموعظة من الله، ولذلك لم يكن مشركو العرب أذلاء، فلما جاء محمد ﷺ وهداهم فاستمروا على الافتراء عاقبهم الله بالذلة، فأزال مهابتهم من قلوب العرب، واستأصلهم قتلاً وأسرّاً، وسلب ديارهم، فلما أسلم منهم من أسلم صاروا أعزّة بالإسلام. وغضب الله تعالى هو إرادته السوء بعبده وعقابه في الدنيا والآخرة أو في إحداهما^(٢).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١٠/٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٩/٩٠.



وغضب الله يعني أن قدرة الله استعملت في تعذيب من يكفر به ولا يؤمن.

وتجلت دلالة الصيغة المضافة إلى ياء المتكلم الدالة على الجليل القدير (غضبي) على القدرة. وذلك في سياق المن والتفضل: ﴿يَبْقَىٰ إِيمَانُكَ يَلَّ قَدْ أَجَبْتُكَ مِنْ عَذُوكَ وَوَعَدْتُكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوىٰ ۖ كُؤُوا مِنْ طِبِّئَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۖ﴾ (طه: ٨٠-٨١)، تنزل بكم عقوبتي، شُبِّهَتْ إصابة آثار الغضب إياهم بحلول جيش قوي ونحوه بديار قوم^(١).



■ (غطش)

قال ابن فارس: «الغين والطاء والشين أصل واحد صحيح يدل على ظُلْمَةٍ وما أَشْبَهَهَا، من ذلك الْأَغْطَشُ: وهو الذي في عَيْنِهِ شِبْهُ الْعَمَشِ، والمِرْأَةُ غَطْشَاءُ»^(٢).

يقال: «وَعَطَشَ اللَّيْلُ: أَظْلَمَ. والله تعالى أَعْطَشَهُ»^(٣). «وَالْمُتَغَاطِشُ: الْمُتَغَامِي عَنِ الشَّيْءِ. وَيُقَالُ: هُوَ يَتَغَاطِشُ»^(٤).

أما في القرآن: فقد دارت المادة حول الإظلام الدال على القدرة. تجلّت دلالة المادة على القدرة في سياق سرد الدلائل والحجج والبراهين التي تدل على قدرته سبحانه مقارناً بين خلق الناس وخلق السماء

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٥/١٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٤٣٩/٤، ٤٣٠، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٠٨ (غطش).

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤٣٠/٤، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٠٨ (غطش).

(٤) المصدر نفسه.



والأرض وما سوى الله فيهما من آيات دالات على قدرته. قال تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٩]. معناه: أظلم ليلها^(١). وأن الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان إنما حصلت بتدبير الله وتقديره ومشيتته^(٢).

وقوله: «وأغطش ليلها» معطوفة على جملة «بناها» وليست معطوفة على «رفع سمكها» لأن إغطاش وإخراج الضحى ليس مما يبين به البناء.

والإغطاش: جعله غاطشاً، أي: ظلاماً، يقال: غطش الليل من باب ضرب، أي: أظلم. والمعنى: أنه سبحانه خص الليل بالظلمة وجعله ظلاماً، أي جعل ليلها ظلاماً، من باب القول: ليل أليل^(٣).



■ (غفر)

من دلالات المادة (غفر) في اللغة السَّتْر. فالغُفْر: السَّتْر^(٤). والغُفْران والغُفْرُ بمعنى^(٥). يقال: غفر الله ذنبه غُفْرًا ومَغْفَرَةً وغُفْراناً^(٦). والغُفِيرَة: الغُفْران^(٧).

أما في القرآن فقد وردت (٢٣٤) مرّة، دلت الصيغة المتصدرة بلام التوكيد ﴿لَغَفَّارٌ﴾ زنة (فعال) على القدرة.

(١) ينظر: معاني القرآن: ٢٣٣/٣، وينظر: مجاز القرآن: ٢٨٥/٢.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٤٨/٣١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٥/٣٠.

(٤) مقاييس اللغة: ٣٨٥/٤ (غفر).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه: ٣٦٨/٤ (غفر).



تجلت هذه الدلالة في سياق المن والتفضل: ﴿يَبْتَئِي إِتْرَؤَيْلَ قَدْ أَبْجَيْتَكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدَكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوىَ * كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى * وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ (طه: ٨٠-٨٢)، قوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ إلى آخرها استطراد بعد التحذير من الطغيان إن وقع بالتوبة والعمل الصالح^(١).

فالقرائن الدلالية التي تقدمت الصيغة (لغفار) هي: (أنجيناكم) و(نزلنا عليكم المن والسلوى) و(غضبي) ثم جاءت الصيغة فدلَّت على قدرة الله وتفضله بالمغفرة على من يتوب، فالذي يغفر الذنوب هو نفسه الذي نزل المن والسلوى وهو نفسه الذي (عَذَّبَ) بقدرته.



■ (غلب)

تدل مادة (غلب) في اللُّغَةِ على الْقَهْرِ، والقُوَّةِ والشَّدَّةِ. يُقَالُ: غَلَبَ الرَّجُلُ غَلْبًا وَغَلْبًا وَغَلْبَةً، أَي: قَهَرَ خَصْمَهُ وَقَوَّى وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ^(٢).

وَتَغَلَّبَ الْعَدُوُّ عَلَى الْبَلَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا قَهْرًا^(٣). والغَلَابُ: إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْغَلْبَةِ^(٤). وَرَجُلٌ غُلْبَةٌ إِذَا كَانَ يَغْلِبُ سَرِيعًا^(٥).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٦/١٦.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٨٨/٤، وينظر: الصحاح: ١٩٥/١ (غلب).

(٣) ينظر: الصحاح: ١٩٥/١ (غلب).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: الصحاح: ١٩٦٦/١ (غلب).



وَالْمُغْلَبُ مَنْ غَلَبَ خَصْمَهُ كَأَنَّهُ قَدْ غَلَبَ عَلَى خَصْمِهِ، فَكَانَتْ لَهُ
الْغَلَبَةُ^(١). وَالْغَلَبَةُ نَظِيرُ الْقُدْرَةِ^(٢).

أما في القرآن: فقد وردت (٣١) مرة في (٢٩) موضعاً، ودلت على القهر
والغلبة والقدرة على الخصم، وتجلت دلالة هزيمة الخصم وقهره في سياق
الدعوة إلى الصبر ومغالبة النفس وحملها على الصبر والمصابرة على الجهاد
في سبيل الله. قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ حَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْفِتَالِ إِنْ يَكُنْ
مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِدُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥]. أي: يهزموا^(٣). والمعنى: يقدرُوا
على قهرهم وإلحاق الهزيمة بهم^(٤).

والآية فيها بشارة بأن الجماعة من المؤمنين تغلب عشرة أمثالها إن
صبرت بعون الله وتأييده وتمكينه^(٥). ثم إن قوله: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ترغيب
في الثبات والجهاد، فعندما أمر سبحانه بالجهاد وهو يعلم سبحانه مشقته
على النفوس، حبيبهم به إذ جعل الصابرين عليه في عناية الله وتمكينه.

ثم إن قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِدُونَ﴾ يشعر أنه سبحانه
وتعالى أوجب هذا الحكم عندما يكون المؤمن قادراً على مواجهة الكفار
وأن عليه الصبر في مواضع الشدة ليتحقق الوعد الذي لا يتخلف.

وإذا أراد المخلوق شيئاً وأراد الخالق شيئاً فإن مشيئة الخالق هي النافذة
وهي الغالبة لأن قدرة المخلوق ممنوحة له من الخالق، فإذا أراد سلبها أو
إبطال مفعولها فإنه على ذلك قادر.

(١) ينظر: كتاب الأضداد السجستاني ص ١٤٥، وينظر: ابن السكيت ٢٠٥.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ص ٨٥.

(٣) ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر ص ٣٤٢.

(٤) ينظر: الفروق اللغوية ص ٨٥.

(٥) الكشف: ٢٢٧/٢.



قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١]. أي: أبطل الله كيد إخوة يوسف. ومن سعى إلى عمل يخالف إرادة الله فحاله كحال المنازع على أن يحقق الأمر الذي يريده، ويمنع مراد الله، ولا يكون إلا ما يريده الله، فشان الله كحال الغالب لمن ينازعه. والمراد: أن الله متم ما يقدره، ولذلك عقب بالاستدراك بقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ استدراكاً على ما يقتضيه هذا الحكم من كونه حقيقة ثابتة شأنها أن لا تجهل لأن عليها شواهد من أحوال الحدثن، ولكن أكثر الناس يجهلون مع ظهورها^(١). فهو تعالى: لا يمنع عما أراد ولا ينازع فيما يريد ويقضي^(٢). فهو القاهر الغالب لا يغلبه شيء إذا قال للشيء كن فيكون^(٣).

وأخبر القرآن في سياق التأكيد والقطع والقضاء الثابت اليقيني أن الله هو الغالب إذ قابل القرآن بين الله ورسله من جهة، والمحادين له ولرسله من جهة أخرى. فقد استعمل القرآن الصيغة المكتنفة من جانبها بمؤكدين اللام التي سبقت ونون التوكيد التي لحقت.

قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] والعزیز هو الله الذي لا يغلبه أحد ولا يقهره أحد بل هو الغالب القاهر لعباده^(٤). «كتب الله في اللوح المحفوظ ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجة والسيف أو بأحدهما»^(٥) وقوله: ﴿لَأَغْلِبَنَّ﴾ مصوغ صيغة القول ترشيحاً لاستعارة (كتب)

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤٧/١٢، ٢٤٨.

(٢) ينظر: الكشف: ٤٣٧/٢١.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦١/٩، وينظر: إصلاح الوجه والنظائر: ص ٣٤٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٤١/٥، وينظر: كتاب الأسماء والصفات: ص ١٥٥.

(٥) الكشف: ٤٨٤/٤.



إلى معنى قضى وقدر. والمعنى: قضى مدلول هذه الآية، أي: قضى بالغلبة لله ورسوله ﷺ، فكان هذه الآية هي المكتوبة منه سبحانه، والمراد: الغلبة بالقوة لأن الكلام مسوق مساق التهديد. وأما الغلبة بالحجة فأمر معلوم. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ تعليل لقوله ﴿لَا غَلَبَ لَكَ﴾، لأن الذي يغالب الغالب مغلوب^(١).



(غَلَطَ)

من دلالات المادة (غلط) في اللغة دلالاتها على الشدة والاستطالة يقال: «وفيه غُلْظَةٌ، وَغُلْظَةٌ، وَغُلْظَةٌ، وَغِلَظَةٌ، وأي: شِدَّةٌ واستطالة»^(٢). «وأمرٌ غليظ: شديدٌ صعب»^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (١٣) مرّة، دلت الصيغة «غُلْظَةٌ» على الشدة في سياق الأمر بقتال الكافرين. قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً﴾ [التوبة: ١٣٣]، أي: ليجدوا منكم شدة عظيمة وعنفاً في القتل والأسر^(٤). وقيل: ليجدوا منكم شجاعة وغيظاً فإن الغلظة قوّة التأثير والزجر عن القبيح^(٥).

وأخبر القرآن في موضع منه عن إنجاء من عذاب شديد. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِنَا مِن مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٧/٢٨.

(٢) المحكم: ٢٨٣/٥ (غلط).

(٣) المحكم: ٢٨٣/٥ (غلط).

(٤) ينظر: الكشف: ٣١٣/٢.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣٥/١٦.



هود: ٥٨، قيل: بعث الله على الكافرين من قوم هود سموماً كانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضواً عضواً، وقيل: المراد عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد^(١). والغليظ مستعار للشديد^(٢).

واستعمل القرآن الصيغة «غَلَّظَ» زنة (فعال) في سياق الإخبار عن ملائكة خاصين بعذاب الكافرين في جهنم. قال تعالى: «عَلَيْهَا مَلَكُتُكُمُ غَلَّظُ شِدَادُ» [التحریم: ١٦]، أي: في أجسامهم غلظة وقوة^(٣). فالاستعلاء المفاد من حرف (على) مستعار للتمكن. و(غلاظ) مستعار لقساوة المعاملة. والمعنى: أنهم أقوياء في معاملة أهل النار^(٤).



■ (غلق)

الغين واللام والقاف أصل واحد صحيح يدل على نُشوب شيء في شيء. من ذلك الغَلَقُ، يقال منه: أغلقتُ الباب فهو مُغْلَقٌ^(٥).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة الماضوية المتصدرة بالواو العاطفة «وَعَلَّقَتِ» على كثرة الغلق الموحى بالقدرة.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: «وَرَزَوْدَتُهُ أَلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ» وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ» [يوسف: ١٣]، قيل: كانت سبعة أبواب

(١) ينظر: الكشف: ٣٨٩/٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠٤/١٢.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٤٦/٣٠.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٦٦/٢٨.

(٥) مقاييس اللغة: ٣٩٠/٤.



والتشديد للتكثير أو للمبالغة في الإيثاق^(١). وكثرة الأبواب توحى بقدرتها المادية، فهي زوجة العزيز، ومنزلها يدل على ثراء صاحبه، وكثرة أبوابه تدل على سعته وقدره قاطنه ومالكه.

٢ ٢ ٢

■ (غلال)

الْغُلُّ: وَاجِدُ الْأَغْلَالِ، يُقَالُ: فِي يَدِهِ غُلٌّ مِنَ الْأَغْلَالِ، وَغَلَّتْ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدْ غُلَّ فَهُوَ مَغْلُولٌ^(٢). «وَالْغَلْلَةُ: سُرْعَةُ السَّيْرِ»^(٣). وَالْغَلَّةُ وَالْغَلِيلُ حَرَارَةُ الْعَطَشِ وَشِدَّتُهُ^(٤). وَتَغْنِي التَّثْنِيتُ. يُقَالُ: غَلَّتْ الشَّيْءُ فِي الشَّيْءِ إِذَا أَثْبَتَهُ فِيهِ كَأَنَّكَ غَرَزْتَهُ^(٥).

ودلت في المعنى على الغِشِّ والضَّغْنِ وَالْحَسَدِ. يُقَالُ: الْغِلُّ: الْغِشُّ وَالضَّغْنُ وَالْحَسَدُ يَنْغَلُّ فِي الصَّدْرِ^(٦). وَتَغْنِي الْخِيَانَةُ. يُقَالُ: «يَغْلُ: يَخُونُ»^(٧).

أما في القرآن: فقد وردت (١٤) مرة في (١٢) موضعاً. دلت الصيغة «فَعْلُوهُ» على وضع الأغلال في الأعناق يوم القيامة. قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَعْلُوهُ ۖ ثُمَّ لَبِّجِمَ صَلْوَهُ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣١]. قيل: يتلده ملائكة كثيرون ثم يجمعون يده

(١) ينظر: البضاوي: ٤٨٠/١.

(٢) ينظر: الصحاح: ١٧٨٣/٥، وينظر: لسان العرب: ١٧/١٤ (غل).

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٣٧٧/٤، وينظر: الصحاح: ١٧٨٣/٥، وينظر: لسان العرب: ١٨/١٤ (غل).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٧٦/٤، وينظر: الصحاح: ١٧٨٤/٥ (غل).

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٧٦/٤ (غل).

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٧٦/٤، وينظر: الصحاح: ١٧٨٣/٥ (غل).

(٧) الصحاح: ١٧٨٤/٥، وينظر: الصحاح: ١٧٨٣/٥ (غل).



إلى عنقه ويشدونه بالأغلال^(١). وقيل: يؤخذ الكافر بعنف وقوة من المحشر فيغل ثم يورد في النار^(٢).

وعطف القرآن الغل على الأخذ بالفاء فاء التعقيب لإفادة الإسراع بوضعه في الأغلال عقب أخذه^(٣).

﴿فَلَوْ﴾ أمر بالغل في القيود تجعل في أعناق الكافرين بعد الأخذ مباشرة يدل على قدرة الله الذي جعل ملائكة موكلين بسوق الكافرين إلى ما أعد لهم من عذاب بعد غل في القيود. وللعقل أن يتصور تلك القدرة التي خلقت هذه الملائكة وخصصتهم لتعذيب الكافرين، بالأخذ والغل، والتصلية، والسلك في السلاسل لأصحاب القدرة والجبروت في الدنيا فكم تجبروا وظلموا واستعلوا وتفاخروا بقوتهم وقدرتهم على الناس. إنهم يوم الدين مغلولون أيديهم إلى أعناقهم بقدرة الله الذي مكن ملائكته من تعذيبهم بمشيئته أشد العذاب.



﴿غَلَمٌ﴾

من دلالات المادة (غلم) في اللغة دلالتها على الفتوة والشباب. فالغِلْمُ: الشَّابُّ. وتعني الهياج والثورة. يقال: اغْتَلَمَ الفحلُ غُلْمَةً: هاج من شهوة الضراب^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (١٣) مرّة، دلت الصيغة الجمع على المنكرة ﴿غِلْمَانٌ﴾ على ما يشعر بالقدرة والتمكن في الجنة.

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١١٤/٣٠.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤١٦/٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣٧/٢٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.



تجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار إذ أخبر سبحانه أنه أمدّ المنعمين بالفاكهة واللحم مما تشتهي نفوسهم: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ﴿يَشْرَعُونَ فِيهَا كَأَنَّهُمْ لَفَوْهُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُزُوفٌ مَّكَوُونٌ﴾ [الطور: ٢٢-٢٤]، أي: ممالك مخصوصون بهم. وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لُزُوفٌ مَّكَوُونٌ﴾ أي: مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم. فهؤلاء الغلمان ليسوا في الحقيقة إلا قدرات يتمتع بها المتنعم في الجنة ويلتذ، وبهم وبسواهم من النعم يتمكن بإذن الله^(١).



﴿غلو﴾

العين واللام والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ في الأمر يدلُّ على ارتفاع ومجاورة قدر. يقال: غلا بسهمه غلواً، إذا رمى به سهماً أقصى غايته^(٢). وتعالى الثبْتُ: ارتفع وطال^(٣).

وتعالى لحم الدابة، إذا انحسر عنه وبره. وذلك لا يكون إلا عن قوةٍ وسمِنَ وغلُو^(٤). وغلّت القِدْرُ تغلي غلياناً^(٥). والغلواء: أن يمرَّ على وجهه جامحاً^(٦).

أما في القرآن فقد وردت مرّتين، دلت الصيغتان المضارعية ﴿يَغْلِي﴾ والصيغة المتصدرة بالكاف ﴿كَغْلِي﴾ على الغليان والفوران الدالّين على شدة ارتفاع درجة الحرارة.

(١) ينظر: البيضاوي: ٤٣٥/٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٨٨/٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.



تَجَلَّتْ هذه الدلالة في قوله تعالى مخبراً عن طعام الأثيم: ﴿إِنَّ سَجَرَكِ
الرَّقُومَ • طَعَامَ الْأَثِيمِ • كَأَلْمَهْلِ يَقِلُّ فِي الْبُطُونِ • كَعَلَى الْحَمِيرِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦].
قوله: ﴿يَقِلُّ﴾ ؛ أي: شديد الحرارة، وقوله: ﴿كَعَلَى الْحَمِيرِ﴾: غلياناً مثل
غليه^(١). والماء إذا اشتد غليانه فهو حميم^(٢).



■ (غم)

تدل المادة (غم) في اللغة. على التغطية. تقول: غَمَمْتُ الشَّيْءَ أَغْمُهُ،
أي: غَطَّيْتَهُ^(٣). والغَمَمَةُ أصوات الثيران عند الذُّعُر، والأبطال عند الوغى^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (١١) مرّة، دلت الصيغة المعرّفة بالألف واللام
﴿الْغَمَامَ﴾ على السحاب الدال على قدرة الله.

تجلت هذه الدلالة في سياق التفضل والمن: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾
[البقرة: ٥٧]، سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلمهم من الشمس^(٥).

واستعمل القرآن الصيغة نفسها ﴿الْغَمَامَ﴾ في موضع آخر من السورة
استعمالاً يُشْعِرُ بالعذاب، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ
مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، أي:
العذاب الذي يأتيهم في الغمام مع الملائكة. وقيل: المقصود من الآية تصوير

(١) ينظر: البيضاوي: ٣٨٤/٢.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢٥٢/٢٧.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٧٧/٤ (غم).

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٩٤/٣.



عظمة يوم القيامة وهولها وشدّتها. وقيل: المعنى ما ينظرون إلا أن يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام، أي: في ظلل من القدرة. وذكر سبحانه أن العذاب يأتيهم في الغمام لتفطيع الأمر لأن الغمام مظنة الرحمة، فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفضع^(١).

واستعمل القرآن في موضع آخر الصيغة المتصدرة بالباء ﴿يَالْغَمِّمِ﴾ للتدليل على القوّة.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار عمّا يحصل يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ﴾ [الفرقان: ٢٥].

قيل: الباء للسببية، أي: يكون غمام يخلقه الله فيه قوّة تنشق بها السماء لينزل الملائكة مثل قوّة البرق التي تشق السحاب^(٢).



■ (غمر)

«الغمر الماء الكثير»^(٣)، «والفَرَسُ الجواد»^(٤). «ورجل غَمَرُ الخُلُقِ وَغَمَرُ الرِّدَاءِ، إذا كان سخيّاً»^(٥). «والغَمَرَةُ: الشَّدَّةُ»^(٦). «وغمرات الموت: شدائده»^(٧). «والغَمَرَةُ: الرَّحمة من النَّاسِ، والجمع غَمَارٌ»^(٨).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣٥/٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/١٠.

(٣) تهذيب الصحاح: ٣١٥/١ (غمر).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

أما في القرآن فقد وردت (٤) مرّات، دلت الصيغة «غَمَرَتِ» على الشدة الغالبة في سياق الخبر عن حالة الظالمين وقت النزع، أي: عند سكرات الموت.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٩٣]، أي: لو تراهم لرأيت أمراً عظيماً فللموت شدائده وسكراته، واستعيرت الغمرة للشدة الغالبة^(١). وغمرة كل شيء كثرته ومعظمه^(٢)، والمقصود من هذا الشرط تهويل هذا الحال، ولذلك حذف جواب (لو) كما هو الشأن في مقام التهويل. واستعادت للشدة تشبيهاً بالشدة الحاصلة للغريق حين يغمره الوادي أو السيل حتى صارت الغمرة حقيقة عرفية في الشدة الشديدة. وجُمع الغمرات يجوز أن يكون لتعدد الغمرات بعدد الظالمين فتكون صيغة الجمع مستعملة في حقيقتها، ويجوز أن يكون القصد المبالغة في تهويل ما يصيبهم بأن أصنافاً من الشدائد هي لتعدد أشكالها وأحوالها لا يُعَبَّرُ عنها باسم مفرد. فجائز أن يكون هذا وعيداً بعذاب يلقونه في الدنيا في وقت النزع، ولما كان للموت سكرات جُعِلَتْ غمرة الموت غَمَرَات. و(في) للظرفية المجازية للدلالة على شدة ملابسة الغمرات لهم حتى كأنها ظرف يحويهم ويحيط بهم.

فالموت على هذا الوجه مستعمل في معناه الحقيقي وغمراته هي آلام النزع^(٣).

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: الكشف: ٤٤/٢.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٩٠/١٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٧٨/٧.



(غمض)

من دلالات المادة (غمض) في اللغة دلالتها على الزيادة في حدّ السيف.
يقال: أغمضت حدّ السيف؛ إذا رققته، أي: كأنك لرقته أخفّيته عن العيون^(١).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة المضارعية الجمعية
﴿تُغْمِضُوا﴾ على المسامحة المشعرة بقدرة المسامح على التساهل.

تجلت هذه الدلالة في سياق الحض على الإنفاق من الشيء المحبوب
إلى النفوس من الطيبات: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ
وَمِمَّا أَرْجَبْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَمَمُّوا الْحَبِيبَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِعَاجِزِينَ إِلَّا أَنْ
تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، أي: إلا أن تتسامحوا فيه^(٢). والتسامح قدرة.



(غنم)

تدور مادة (غَنِمَ) في اللغة حول «إفادَة شيءٍ لَمْ يُمْلِكْ مِنْ قَبْلُ، ثُمَّ
يَخْتَصُّ بِهِ مَا أُخِذَ مِنْ مَالِ الْمَشْرِكِينَ بِقَهْرٍ وَغَلَبَةٍ»^(٣).

أما في القرآن: فقد وردت (٩) مرات، منها ما دل على الغنيمة بعد قدرة،
فقد شرعها القرآن عند حرب الكافرين تؤخذ أموالهم بالقوة والقهر لتوزع
على المؤمنين كما فصل ذلك القرآن: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ
خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٩٦/٤.

(٢) ينظر: البيضاوي: ١٤٠/١.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٣٩٧/٤ (غنم)، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦١٥ (غنم)، وينظر:
عمدة الحفاظ: ١٧٦/٣ (غ. ن. م).



والغنيمة في الشريعة ما دخل في أيدي المؤمنين من أموال الكافرين على سبيل القهر^(١)، بقتل أو أسر، أو اقتحام ديارهم غازين، أو ما يتركه الأعداء في ديارهم إذا فروا عند هجوم جيش المسلمين عليهم بعد بداية القتال^(٢). ولا يكون ذلك إلا بقدرة وغلبة.



■ (غني)

دلت مادة (غَنِيَ) في اللغة على الاكتفاء وَعَدَمُ الْحَاجَةِ الدَّالَّةُ عَلَى الْقُدْرَةِ. فَالْغَنَاءُ: الْكِفَايَةُ^(٣). وَأَغْنَى فُلَانٌ غَنَاءً فُلَانٍ، أَي: كَفَى كِفَايَتَهُ^(٤). وَغَنَى بِهِ عَنْهُ غُنْيَةً إِذَا اكْتَفَى^(٥). وَالْغَنَاءُ: النَّفْعُ^(٦).

أما في القرآن: فقد وردت (٧٣) مرة، ودلت على الغنى الذي لا حاجة تصاحبه أبداً وليس ذلك إلا لله القادر الغني الذي تنتفي عنه الحاجة مطلقاً^(٧). قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَىٰ اللَّهِ لَهُوَالْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾ [الحج: ٦٤]. أي: أنه تعالى غني عن الأشياء كلها، فهو غني عن حمد الحامدين لأنه كامل لذاته، والكامل لذاته غني عن كل ما سواه في كل الأمور، وإنعامه خال عن الغرض فهو مستحق الحمد. فكأنه قال: إنه لكونه غنياً لم يفعل ما فعله إلا لإحسانه، ومن كان كذلك فهو مستحق

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٧٠/١٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٦/١٠، ٧.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٩٧/٤ (غني).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: الصحاح: ٢٤٤٩/٦ (غنى).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦١٥.



للحمد فوجب أن يكون حميداً^(١). وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ عطف على قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. وتقديم المجرور للدلالة على القصر، أي: له ذلك لا لغيره من الأصنام التي تعبدونها^(٢).

ونبه بوصف الغنى على أنه غير مفتقر إلى غيره، وهو معنى الغنى في صفاته تعالى أنه لا يفتقر بذاته وصفاته لا إلى محل ولا إلى مخصص بالوجود دون العدم والعكس تنبيهاً على أن افتقار الأصنام إلى من يصنعها ومن ينقلها من موضع إلى موضع، ومن يزيل عنها اتساخها وقدرها مما ينفي عنها الغنى والقدرة وصفة الألوهية. وأما وصف (الحميد) بمعنى المحمود كثيراً، فذكره لمزاوجة وصف الغنى الدال على القدرة لأن الغنى يفيض على الناس فهم يحمدونه.

وضمير الفصل يدل على أنه سبحانه المختص بوصف الغنى دون الأصنام وهو المختص بالمحمودية. وأكد الحصر بحرف التوكيد وبلاد الابتداء تحقيقاً لنسبة القصر على المقصور والتأكيد في الآية لتنزيل تحققهم بغناه سبحانه أو بمحموديته منزلة الشك أو الإنكار؛ لأنهم لم يسيروا على موجب علمهم حين عبدوا سواه^(٣).

وقابل القرآن في موضع منه بين غناه سبحانه وفقر الآدميين وحاجتهم له تعالى، فدلل بهذا التقابل على قدرة الله وضعف المخلوقين. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. عرف القرآن الفقراء ليري الناس أنهم لشدة افتقارهم إليه أنهم هم جنس الفقراء، وإن كانت الخلائق كلها مفتقرة إليه من الناس وغيرهم، لأن الفقر مما يتبع

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٦٣/٢٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣١٩/١٧، ٣٢٠.

(٣) المصدر نفسه.



الضعف، وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر. ولو نكر القرآن الفقر في الآية لكانت الدلالة: أنتم بعض الفقراء. وقوبل الفقر بالغنى في الآية ثم جيء بالحميد لأنه ليس كل غني نافعاً بغناه إلا إذا كان الغني جواداً منعماً، فإذا جاد وأنعم حمد من قبل المنعم عليهم واستحق الحمد منهم، وذكر (الحميد) ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه، الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمده. الحميد على ألسنة الموقنين^(١).

وقوله: ﴿أَنْتُمْ أَفْقَرَاءُ﴾ يفيد القصر لتعريف الجزأين فيه، أي: قصر صفة الفقر على المخاطبين قصراً إضافياً بالنسبة إلى الجليل، أي: أنتم المفتقرون إلى الله وليس الله مفتقراً إليكم. فحمل القصر المستفاد من قوله: ﴿أَنْتُمْ أَفْقَرَاءُ﴾ على القصر الإضافي وهو قصر قلب^(٢)، وإتباع صفة (الغني) بـ (الحميد) تكميل، فهو احتراش لدفع ما يكون منهم من توهم أنه لما كان غنياً عن استجابتهم وامثالهم لأوامر الله بعبادتهم له فهم معذرون في أن لا يعبدوه، فبه على أنه موصوف بالحمد لمن عبده واستجاب لدعوته^(٣).

وتجلت دلالة القدرة، من خلال التقابل الدلالي بين إغنائه سبحانه أناساً وإفقاره آخرين. قال تعالى في سياق يقابل فيه بين الإضحاك والإبكاء، والإماتة والإحياء، والإغناء والإفقار: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَابْكِي * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * مِن تُلْفَعٍ إِذَا تُفْعَلُ * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ الْآخِرَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ (النجم: ٤٣-٤٨) أي: «أغنى من شاء وأفقر من شاء»^(٤). وحمل

(١) ينظر: الكشف: ٥٨٨/٣.

(٢) قصر القلب: كالقول لمن يعتقد زيدا منجماً لا شاعراً: ما زيد منجم بل شاعر، أو زيد شاعر لا منجم، بمعنى أن المتكلم يقلب فيه حكم السامع. ينظر: مفتاح العلوم، ص ٢٨٨.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٥/٢٢، ٢٨٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١١٨/١٧، وينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٦١/٤.



قوله تعالى: ﴿وَأَقْنَى﴾ على القنية والنشب^(١). وذهب آخرون إلى أنه أصل مال، والمعنى: «أغنى أقواماً وجعل لهم قنية أصل مال»^(٢).

والغنى التمكن من الانتفاع بما يحب أن ينتفع به.

والذي يظهر أن المعنى لـ (أقنى) هو نقيض (أغنى) رعيّاً للنظائر التي سبقت والتي زاوجت بين المتقابلات. والإتيان بضمير الفصل لقصر صفة الإغناء والإقناء عليه دون غيره سبحانه^(٣).

✽ ✽ ✽

■ (غوث)

الغين والواو والفاء كلمة واحدة، وهي الغوث من الإغاثة، وهي الإعانة والنصرة عند الشدة^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٥) مرّات، دلت الصيغة الماضية المصدرة بالفاء ﴿فَاسْتَعْنَاهُ﴾ على طلب النصرة والاستقدار.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار عن موسى حين دخل المدينة، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْنَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (القصص: ١٥)، أي: طلب النصرة والغوث للتخلص من خطر القبطي الذي اشتد عليه وكان

(١) ينظر: معاني القرآن: ١٠٢/٣، وينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٧٦/٥، وينظر: تفسير غريب القرآن: ص ٤٣٠، وينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٣١/١.

(٢) مجاز القرآن: ٢٣٨/٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤٩/٢٧، ١٥٠.

(٤) مقاييس اللغة: ٤٠٠/٤ (غوث).



ظالمًا له، أي: طلب التمكين والقدرة بإعانتة على القبطي حتى يقوى عليه ويردّ ظلمه وشره^(١).

واستعمل القرآن الصيغة الجمعية المضارعية «تَسْتَغِيثُونَ» في موضع آخر منه وذلك في سياق الإخبار عن استجابته سبحانه لنداء الاستغاثة استغاثة الرسول الكريم والمؤمنين بربههم وطلب عونه ونصرته وتمكينهم من عدوهم، قال تعالى: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ» [الأنفال: ٩].

يتعلق ظرف (إذ تستغيثون ربكم) بفعل (يريد الله) لأنّ إرادة الله مستمر تعلّقها بأزمنة منها زمان استغاثة النبي ﷺ والمسلمين بربههم على عدوهم، حين لقائهم مع عدوهم يوم بدر، فكانت استجابة الله لهم بإمدادهم بالملائكة، من مظاهر تحقيق الحق فكانت الاستغاثة يوم القتال في بدر وإرادة الله أن يحق الحق حصلت في المدينة يوم وعدهم الله إحدى الطائفتين، ورشح لهم أن تكون إحدى الطائفتين ذات الشوكة، وبَيَّنَّ وقت الإرادة ووقت الاستغاثة مدة أيام، ولكن لما كانت الإرادة مستمرة إلى حين النصر يوم بدر ضحّ تعليق ظرف الاستغاثة بفعلها؛ لأنه اقترن ببعضها في امتدادها، والإمداد بالملائكة ناتج عن الاستغاثة، فكانها سلاحٌ اتشح به فقوي من اتشح به وتمكن، فهو سبب للقوة والتمكن والانتصار على العدو.

قيل: إن ضمير (تستغيثون) مراد به النبي ﷺ وعبر عنه بضمير الجماعة لأنه كان يدعو لأجلهم، ولأنه كان معلناً بدعائه وهم يسمعون، فهم بحال من يدعون، وقد جاء في السيرة أن المسلمين لما نزلوا بدرًا ورأوا كثرة المشركين استغاثوا الله تعالى، فتكون الاستغاثة في جميع الجيش والضمير شاملاً لهم^(٢).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٩/٢٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٤/٩.



(غوص)

«الغين والواو والصاد أصل صحيح يدل على هجوم على أمرٍ متسفلٍ، من ذلك الغَوْصُ: الدُّخُولُ تحت الماء»^(١). «والهاجم على الشيء غائص»^(٢). «وغاصَّ على العلم الغاوض حتى استنبطه»^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مرّتين، دلت الصيغة المضارعية «يَغْوُصُونَ» على الغوص في البحار لاستخراج الجواهر. قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨٢﴾ وَكَانَ الشَّيَاطِينُ مَن يَغْوُصُونَ لَهُ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمُ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١-٨٢]، أي: يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر دلالة على عظيم القدرة وعظيم التمكين^(٤). قوله: «يَغْوُصُونَ» معجزة وكرامة لسليمان. وهي تسخير سبحانه لسليمان ﷺ القوى المجردة من طوائف الجنّ والشياطين التي تتأتى لها معرفة الأعمال العظيمة كغوص البحار لاستخراج المعادن الثمينة.



(غوى)

«الغَيُّ: الضلال»^(٥). «وقد غَوَى بالفتح، يَغْوِي غَيًّا وَغَوَاةً فهو غاوي، وأغواه غيره فهو غَوِيٌّ»^(٦). والغَوَاءُ: الجراؤُ بعد الدُّبَا، وبه سُمِّيَ الغوغاء

(١) مقاييس اللغة: ٤/٤٠٢ (غوص).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: الكشف: ٣/١٢٧، وينظر: التفسير الكبير: ٢٢/٢٠١.

(٥) تهذيب الصحاح: ٣/١٠٤ (غوى).

(٦) المصدر نفسه.



من النَّاس^(١). والأغويَّةُ: الدَّاهية^(٢). والمُغْوَاةُ، بتشديد الواو: حُفْرَةٌ كالزُّبْيَةِ^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٢٢) مرَّةً في (١٩) موضعاً، ذَلَّت الصيغة المؤكدة باللام ﴿لَأَغْوِيَنَّهُمْ﴾ على التمكين من الوسوسة والإضلال. قال تعالى على لسان إبليس في سياق القسم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]، أي: لأضلنهم ولأوسوسنَّ لهم، وبوسوستي وإضلالِي لهم أتمكن من إبعادي لهم عن الدين، فيكون مصيرهم مصيري وجزاؤهم جزائي. والباء في (بما أغويتني) للسببية، و(ما) موصولة، أي: بسبب إغوائك إياي، أي: بسبب خلقك لي غاوياً فسيكون مني إغواء الناس، أي: جعلهم غاوين. فقول الله على لسان إبليس (بما أغويتني) إشارة إلى غواية يعلمها الله، وهي التي جبله عليها، لذا اختير لحكايتها طريق الموصولية، وإشارة إلى أن كلام إبليس يصدر عما في جبلته، وليس تشفياً أو إغاظة للجليل القدير لأن العظمة الإلهية تصده عن ذلك ولا يقدر على ذلك ولا يمكنه ذلك لأنه أقل من أن يغيظ المولى تعالى ذا العظمة والسلطان صاحب القدرة والقهر والجبروت^(٤).

نظيره في القرآن قوله تعالى على لسان إبليس في سياق القسم بعزة الله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، لقد أقسم الشيطان بعزة الله تحقيقاً لقيامه بالإغواء دون تخلف، وإنما أقسم على ذلك وهو يعلم عظمة هذا القسم لأنه وجد في نفسه أن الله أقدره ومكَّنه من القيام بالإغواء والوسوسة،

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٠/١٤.



وأنه لا يستطيع الإغواء إلا لأن الله قدّره ومكنه من ذلك ولولا ذلك لم يستطع أن يغوي أحداً^(١).

❦ ❦ ❦

❦ (غيب)

من أهم دلالات المادة (غيب) في اللغة دلالتها على تستر الشيء عن العيون^(٢). «من ذلك الغيب: ما غاب، مما لا يعلمه إلا الله»^(٣). يقال: «غابت الشمس تغيب غيبة وغيوباً وغيباً»^(٤)، ويقال: «وقعنا في غيبة وغَيابة، أي: هبطت من الأرض يغابُ فيها»^(٥). «والغابة: الأجمة، والجمع غاباتٌ وغابٌ. وسمَّيتْ لأنه يغاب فيها»^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (٦٠) مرّة، من ذلك ما دلّ عليه التركيب الإسنادي: ﴿أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ [الطور: ٤]، والغيب هنا هو اللوح المحفوظ الذي فيه علم ما كان وما هو كائن وما سيكون وهو سر من أسرار القدرة العظيمة التي انفرد بها الجليل القادر وحده. ولأن الله استأثر بعلم الغيب وهو سر من أسرار قدرته ودليل عظيم على عظمته فإنه لا يمكن لأحد من الخلق أن يعلم الغيب أو يطلع عليه إلا بمقدار ما تشاء المشيئة^(٧). قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٦/٢٨.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٠٣/٤ (غيب).

(٣) مقاييس اللغة: ٤٠٣/٤ (غيب).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ينظر: الكشف: ٤٠٤/٤.



﴿آل عمران: ١٧٩﴾، أي: وما كان الله ليؤتي أحداً منكم علم الغيب، فإن ذلك مما استأثر به القدير تعالى^(١).

ولما أراد المعاندون من محمد ﷺ آية من الآيات التي كانوا يقترحونها، وكانوا لا يعتدون بما أنزل من آيات عظام منها هذا الكتاب العظيم المعجز ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠]، أي: الله المختص بعلم الغيب المستأثر به القادر وحده على ذلك^(٢).

ويتكرر الإخبار عن تفرده سبحانه بعلم غيب السموات والأرض في القرآن، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النحل: ٧٧]، أي: يختص بعلم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه، أو أنه أراد بغيب السموات والأرض: يوم القيامة، على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم^(٣).



(غِيث)

الغين والياء والثاء أصل صحيح، وهو الحَيَا النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ^(٤). يقال: جَادَنَا غَيْثٌ^(٥).

(١) ينظر: الكشف: ٤٣٥/١، ٤٣٦.

(٢) ينظر: الكشف: ٣٢٥/٢.

(٣) ينظر: الكشف: ٥٩٩/٢.

(٤) مقاييس اللغة: ٤٠٣/٤ (غِيث).

(٥) المصدر نفسه.



وهذه أرض مَغِيثٌ ومغيوثة^(١). وَغُنَا، أي: أصابنا الغيث

أما في القرآن فقد وردت ست مرّات، دلت الصيغة المضارعية ﴿يُعَاثُ﴾ على الخير والرزق المفضيين إلى القدرة والتمكين.

تجلت هذه الدلالة في سياق يتحدث عن رؤيا الملك وتأويل يوسف عليه السلام تلك الرؤيا، قال تعالى على لسان الساقى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلَّكَ أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابَا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ﴾ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِصُونَ﴾ (يوسف: ٤٦-٤٩، أي: يعطون التمكين والقدرة، أي: الغيث، وهو المطر الذي ينتج عنه الخير من زيوت وأعناب، وفي ذلك قدرة مادية لهم وتمكين.

واستعمل القرآن الصيغة المعرفة بالألف واللام ﴿الْفَيْثُ﴾ في موضع منه وفي سياق القدرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْفَيْثَ﴾ (لقمان: ٣٤)، وجملة (وينزل الغيث) عطف على جملة الخبر. والتقدير: وإن الله ينزل الغيث، فيفيد التخصص بتنزيل الغيث. المقصود أيضاً عنه علم وقت نزول الغيث وليس المقصود مجرد الإخبار بأنه ينزل الغيث لأن ذلك ليس مما ينكرونه ولكن نظمت الجملة بأسلوب الفعل المضارع ليحصل مع الدلالة على الاستثثار بالعلم به والامتنان بذلك المعلوم، الذي هو نعمة لهم وقدرة وتمكين.

وفي اختيار الفعل المضارع إفادة أنه يحدد إنزال هذه النعمة وهي الغيث المرة بعد المرّة لإقذارهم وتمكينهم كلما احتاجوا إلى ذلك^(٢).

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩٧/٢١.

(غير)

من دلالات المادة (غير) في اللغة دلالتها في إحدى صيغها على إصلاح الشأن. يقال: «غَارَهُمَ اللهُ تَعَالَى بِالْغَيْثِ يَغَيِّرُهُمْ وَيَغُورُهُمْ، أَي: أَصْلَحَ شَأْنَهُمْ وَنَفَعَهُمْ»^(١).

أما في القرآن فقد وردت (١٥٤) مرة، دلت الصيغة «فَالْمُغِيرَاتِ» المسبوقة بفاء التعقيب على الإغارة على العدو بخيل سريعة. قال تعالى في سياق القسم: «وَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * وَالْمُؤَبِّرَاتِ قَدْحًا * فَاَلْمُغِيرَاتِ صُبْحًا» [العديات: ١-٣]، والمغيرات: الخيل التي تغير في الصباح فَتَنْزِلُ بالعدو الرُّعب والخوف^(٢). وَحُمِلَ المعنى على الإبل التي تسرع للإفاضة^(٣)، وكلا التأويلين يشعران بالقدرة والتمكين. وَحُمِلَ المعنى على الخيل الغازية لأجل إخافة المشركين وترويعهم هو الأولى لأنَّ في ذلك إبرازاً لقوَّة المسلمين وبثاً للرعب في نفوس المشركين.

٢ ٢ ٢

(غيض)

من دلالات المادة (غيض) في اللغة، دلالتها في صيغة من صيغها على الأجمة «فَالْغَيْضَةُ: الْأَجْمَةُ، سُمِّيَتْ لَغُمُوضِهَا، وَلأنَّ الشَّائِرَ فِيهَا لَا يَكَادُ يُرَى»^(٤). أما في القرآن فقد وردت مرَّتين، دلت الصيغة «وَعِصْرَ» المسندة إلى الماء على النقصان بفعل قدرة قادرة. قال تعالى في سياق الأمر الدال على

(١) مقاييس اللغة: ٤٠٤/٤ (غير).

(٢) ينظر: الكشف: ٧٧٩/٤.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٦٥/٣٢.

(٤) مقاييس اللغة: ٤٠٥/٤ (غيض).



القدرة: ﴿يَتَأَرَضُ آبَايَ مَاءٍ لِي وَكَسَمَاءُ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٤]، أي: ما بقي منه شيء على كثرته الكاثرة والتي بلغت ذرا الجبال العالية. وبني فعل (غِصَ الماء) لمثل ما بني فعل (وقيل) باعتبار سبب الغيض، أو لأنه لا فاعل له حقيقة لأن حصوله حصول مسبب عن سبب، وبناء الفعل للنائب ليذهب ذهن السامع إلى أن الفاعل ليس غير القدير تعالى^(١).



(غِيظَ)

الغين والياء والظاء أصلٌ أصيلٌ فيه كلمة واحدة، يدلُّ على كَرْبٍ يلحقُ الإنسانَ من غيره^(٢).

يقال: غَاظَنِي يَغِيظُنِي^(٣). وقد غِظَّنِي يا هذا^(٤). ورجلٌ غَاظٌ وَغَيَاطٌ^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (١١) مرّة، دلت الصيغة المعرفة بالألف واللام ﴿الْفَيْظُ﴾ على قوّة التأثير والشدّة.

تجلت هذه الدلالة في سياقِ الحَضِّ، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنِّدْ عَرْشَهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّارِ وَالضَّرَاءِ وَالْكُظُمِ الْفَيْظِ وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]، والغِظ من أقوى القوى تأثيراً في النفس، فهو القوّة الغاضبة التي تشتهي إظهار آثارها^(٦).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٩/١٢.

(٢) مقاييس اللغة: ٤٠٥/٤ (غِظ).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٩١/٤.



واستعمل القرآن في موضع آخر منه الصيغة نفسها ﴿أَلْفَيْطٌ﴾ للتدليل على حالة جهنم المخيفة المهولة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٨-٦﴾، مثلت حالة فورانها وتصادع ألسنة لهيبها وحطمها ما فيها والتهام ما يُلقون إليها، بحال مغتاض شديد الغيظ لا يترك شيئاً مما غاظه إلا سلط عليه ما يستطيع من الإضرار، ولشدة اضطرابها وقوة تأثيرها قاربت أجزاءها أن تنقطع^(١).

واستعمل القرآن في موضع آخر منه الصيغة المنكرة ﴿تَغَيْطًا﴾ لتشعر بالدلالة نفسها. فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ﴿١٢-١١﴾، صوت تغيط، شبه صوت غليانها بصوت المغتاض وزفيره وهو صوت مخيف يُسمع من جوفه، وقيل: إن ذلك الصوت المهول لزبانيته، وقيل: إن الله يخلق فيها حياة فترى وتغيظ وتزفر^(٢).



(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤/٢٩.

(٢) ينظر: البيضاوي: ١٣٦/٢.

حرف الفاء

﴿فَادُ﴾ (فَادُ)

الفاء والألف والذال هذا أصل صحيح يدل على حُمى وشِدَّةِ حرارة^(١). من ذلك فَادُتُ اللَّحْمُ: شويته^(٢). وهذا فَيِّدٌ، أي: مشوي^(٣). والفؤاد، سُمِّيَ بذلك لحرارته^(٤). والفاء: مصدر فَادَتْهُ، إذا أصبتْ فُؤَادَهُ^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (١٦) مرَّةً، دَلَّتْ الصِّيغَةُ الجَمْعِيَّةُ المنكرَةُ المعطوفةُ: ﴿وَأَفْئِدَةً﴾ على العقول، ومعروف ما للعقول من أثر في حياة الإنسان، فهي التي مكنته وتمكنه من الحياة في الدنيا بقدرة.

تجلَّتْ هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ

(١) مقاييس اللغة: ٤/٤٦٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.



مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْعَلُونَ إِعَانَتَ اللَّهِ وَمَآقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ (الأحاف: ٢٦)، أي: إنهم لم ينقصهم شيء من شأنه أن يخل بإدراكهم وقدرتهم العقلية الثابتة لولا العناد، وهذا تعريض بمشركي قريش، أي: إنكم حرمت أنفسكم الانتفاع بعقولكم التي تمكنكم من النجاة من عذاب الله وتقدركم على الوصول إلى أرفع الغايات وأسمها دخول الجنة ورضوان الله^(١).

ودلت صيغة الخطاب ﴿فُوَادَكَ﴾ خطاب الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ على زيادة اليقين: يقين القلب بنصر الله وإعلاء كلمة الدين. قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ١٢٠)، أي: نزيد يقينك ومعلوماتك بما وعدك الله لأن كل ما يعاد ذكره من قصص الأنبياء وأحوال أممهم معهم يزيدهم تذكراً وعلماً بأن حالك جارٍ على سنن الأنبياء وتزداد تذكراً بأن عاقبتك النصر على أعدائك، ويُجَدِّد تسليتك على ما تلقاه من قومك من التكذيب فتزداد صبراً فيقوى الفؤاد لديك ويقدر ويتمكن ويثبت. ومراتب العقول البشرية متفاوتة وقوتها متفاوتة وقبولها للهدى متفاوت، فالعقل حين يقبل الهدى فهو في منتهى الارتقاء. ولما كنت في منتهى القبول للهدى كان فؤادك في ذروة الارتقاء والتمكن^(٢).



﴿فَأَوَّ﴾

فَأَوَّتْ رَأْسَهُ فَأَوَّأَ، فَأَيْتَهُ فَأَيَّأَ، إِذَا فَلَقَتْهُ بِالسَّيْفِ^(٣).
والفتة: الطائفة من الناس، والجمع فُتُون^(٤).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٥/٢٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٥٢، ٣٥١/١١.

(٣) تهذيب الصحاح: ١٠٤٢/٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (٩) مرّات، دلت الصيغة المنكرة «فَتَحَرَّ» على الجماعة من الرجال المقاتلين، والجماعة المقاتلة قوة وقدرة.

تجلّت هذه الدلالة في سياق النهي عن تولية الكافرين الأدبار والفرار من أرض المعركة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمْ الْأَدْبَارَ ۚ وَمَنْ يُؤَلِّمْهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لَقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ ۚ فَقَدْ بَكَتْ يَغْضِبُ مَرْكَ اللَّهُ وَمَا وَدَّ جَهَنَّمَ وَيَسْكُ الْأَصِيرُ ۚ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦]، أي: يرجع القهقري ليلتحق بقوة وقدرة وهم أصحابه وجماعته من المقاتلين فيتقوى بهم، وتطلق في العادة على مؤخرة الجيش، وهي أكثرها قدرة وقوة وتحصيناً، فانحيازه إليها عندما يحتاج إلى إصلاح أمره أو يكون غرض له ما يمنعه من متابعة القتال من مرض أو جراحة فهو تولّ لمقصد القتال، وليس المراد أن ينحاز إلى جماعة مستريحين لأن ذلك من الفرار، ويدخل في معنى التحيز إلى الفئة الرجوع إلى مقر أمير الجيش للاستنجاد بفئة أخرى، وكذلك القبول إلى مقر أمير مصر الذي وجه الجيش للاستمداد بجيش آخر إذا رأى أمير الجيش ذلك من المصلحة كما فعل المسلمون في فتح أفريقية وغيره في زمن الخلفاء، ولما انهزم أبو عبيد بن مسعود الثقفي يوم الجسر بالقادسية، وقتل هو ومن معه من المسلمين، قال عمر بن الخطاب: هَلَّا تَحَيَّرَ إِلَيَّ فَأَنَا فَتَنَهُ^(١).



■ (فتح)

تدل مادة (فتح) في اللغة على نقيض الغلق. يقال: فَتَحْتُ الْبَابَ وَغَيَّرَهُ فَتْحًا، وَفَتَحَهُ يَفْتَحُهُ فَتْحًا وَافْتَتَحَهُ وَفَتَحَهُ فَانْفَتَحَ^(٢). وَبَابُ فَتَحَ، أي: وَاسِعٌ

(١) ينظر: التحرير والتنوير.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤/٤٦٩، وينظر: لسان العرب: ٣/٣٦٩ (فتح).

مَفْتُوحٌ^(١). وَالْفَتْحُ الْمَاءُ يَخْرُجُ وَيَجْرِي مِنْ عَيْنٍ أَوْ غَيْرِهَا^(٢). وَذَلَّتْ فِي الْمَعْنَى عَلَى الْحُكْمِ. فَالْفَتْحُ وَالْفُتَاخَةُ: الْحُكْمُ^(٣). وَاسْتَفْتَحَ اللَّهُ عَلَى فُلَانٍ سَأَلَهُ الْفَتْحَ بِالنَّظَرِ^(٤). وَاللَّهُ الْفَاتِحُ، أَي: الْحَاكِمُ^(٥).

أما في القرآن: فقد وردت (٤١) مرة في (٣٨) موضعاً دالة على جملة من الدلالات منها إنزال المطر الغزير.

تجلت دلالة إنزال المطر الغزير المقرون بالقدرة في سياق الحديث عن قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لما كذبوا نبيهم: ﴿وَقَالُوا بَجْنُونٌ وَازْدُجِرْ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُثَمَرٍ﴾ [القم: ٩-١١]. قيل: (إنه فتح رتاجها وسعة مسالكها)^(٦). والفتح إما على الحقيقة، أي: تفتح أبواب السماء، أو أن فتح أبواب السماء على سبيل الاستعارة، لأن الماء من السحاب، وكل ما علا الإنسان فهو سماء، وكل ما تحته فهو أرض. (فهو كما يقول القائل في المطر الوابل: جرت ميازيب السماء وفتح أفواه القرب، أي: كأنه ذلك، فالمطر في الطوفان كان بحيث يقول القائل: فتحت أبواب السماء، ولاشك أن المطر من فوق كان في غاية الهطلان)^(٧). قوله تعالى: ﴿فَفَتْحْنَا﴾ بيان أن الله بقدرة

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤/٤٧١، وينظر: الصحاح: ١/٣٨٩، وينظر: لسان العرب: ٣/٣٧٠ (فتح).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤/٤٦٩، وينظر: الصحاح: ١/٣٨٩، وينظر: لسان العرب: ٣/٣٧٠ (فتح).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: لسان العرب: ١٣/٣٧١ (فتح).

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤/٤٦٩، وينظر: الصحاح: ١/٣٨٩، وينظر: لسان العرب: ٣/٣٧١ (فتح).

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٧/١٣٢.

(٧) التفسير الكبير: ٣٧/٢٩، ٣٨.



نصر نوحاً عليه السلام، وانتقم من قومه بماء أنزله من السماء لا بجند وعساكر، كما قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۖ وَجَعَلْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ﴾ [القم: ١١-١٢]، وفعل ذلك بياناً لكمال القدرة، فمن العجيب أنهم كانوا يتلهفون لنزول المطر، فأهلكهم القادر بمطلوبهم لما عصوا^(١). والباء في قوله: ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ كما هي في قول من يقول: فتحت الباب بالمفتاح، والتقدير: هو أن يجعل كأن الماء جاء وفتح الباب. وعلى هذا تفسير قول من يقول: يفتح الله لك بخير. أي: يقدر لك خيراً يأتي ويفتح الباب، فيكون المقصود مقدماً في الوجود، ويقول: كأن مقصودك جاء إلى باب مغلق ففتحه وجاءك، وهذا من بدائع المعاني، وكذلك قول القائل: لعل الله يفتح برزق، أي: يقدر رزقاً يأتي إلى الباب المغلق فيدفعه ويفتحه، فيكون الله قد فتحه بالرزق. أو أن ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ مقرونة (بماء منهمر) ومنهمر: منصب، والانهمار الانسكاب والانصباب صباً شديداً، والتحقيق فيه أن المطر يخرج من السحاب خروج مترشح من ظرفه، وفي ذلك الحدث المعجز كأن يخرج خروج مرسل خارج من باب^(٢). فالآية ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ مفرعة على جملة (فدعا ربه)، ففهم من التفریع أن الله استجاب دعوة نوح عليه السلام، وأن إرسال المياه كان عقوبة لهم، والمعنى: فأرسلنا عليهم الطوفان بهذه الشاكلة والكيفية المحكمة السريعة المقتدرة. ومن القراء من قرأ: (فتحننا) بتخفيف التاء. ومنهم من قرأها بالتشديد^(٣) على سبيل المبالغة. لأن قوة اللفظ لقوة المعنى^(٤). وقوله: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ مركب تمثيلي،

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٣٨/٢٩.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٣٨/٢٩.

(٣) ينظر: السبعة في القراءات: ص ٦١٨.

(٤) ينظر: الخصائص: ٣/٣٥٢.



أي: استعارة تمثيلية، هيئة بهيئة^(١)، هيئة اندفاق الأمطار من السماء بهيئة خروج الجماعات من أبواب الدار. و(منهمر) نازل بقوة^(٢). والذي قدر على فتح أبواب السماء بماء منهمر على قوم عصوا نبيهم فأهلكهم به قادر على رحمة من يشاء رحمته، ولا راد لمشيئته. قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]. أي: (ما يأتيهم به من مطر ورزق فلا يقدر أحد أن يمسكه)^(٣). (استعير الفتح للإطلاق والإرسال. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢] مكان: لا فاتح له، يعني: أي شيء يطلقه الله من رحمة، أي: من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها)^(٤) وتنكير الرحمة في الآية للإشاعة والإبهام، فكأنه قال: من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية، فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها، وأي شيء يمسكه الله فلا أحد يقدر على إطلاقه^(٥).

(لما بين كمال القدرة ذكر بيان نفوذ المشيئة ونفاذ الأمر، وقال ما يفتح الله للناس، يعني إن رحم فلا مانع له)^(٦). وقوله (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) (هذا من بقية تصدير السورة بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] وهو عطف على (فاطر السموات والأرض)، والتقدير: وفاتح الرحمة للناس وممسكها عنهم فلا يقدر أحد على إمساك ما

(١) الاستعارة التمثيلية هيئة بهيئة وهي نوع من أنواع الاستعارة تنقسم باعتبار الجامع وتعد من وجوه الغرابة في الاستعارة، وذلك بأن الغرابة تكون في الشبه نفسه، كتشبيه هيئة بهيئة. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ص ٤٢٣ - ٤٢٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٢/٢٧.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٢٦٢/٤.

(٤) الكشف: ٥٧٨/٣، ٥٧٩.

(٥) ينظر: الكشف: ٥٧٩/٣.

(٦) التفسير الكبير: ٣/٢٦.



فتحه ولا على فتح ما أمسكه^(١). والفتح: للتفضل والمن بالرحمة إذ هي من النفائس النظيرة للمدخرات المتنافس عليها، فكانت حالة التفضل بالرحمة منه سبحانه شبيهة بحالة فتح الخزائن للعطاء، فأشير إلى هذا التمثيل بفعل الفتح^(٢)، وبيانه بقوله: ﴿مِنْ رَّحْمَةٍ﴾ قرينة الاستعارة التمثيلية^(٣). فكل ما في الكون من خير أو شر مغلق إلا أن يفتحه الله. والله وَكَلَّ بِقُوَّتِهِ وقدرته يجعل من مواطن الخير والسعادة إن شاء أبواباً للشر والبلاء، فالمطر ينزل ليغيث العباد والبلاد ولكن إذا زاد عن حده كان سبباً للهلاك والغرق والدمار. كما في إغراق قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَام.

والله وَكَلَّ عنده مفاتيح الغيب والشهادة، بيده مقاليد السموات والأرض. قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] (جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة، لأن المفاتيح يتوصل بها إلى ما في المخازن الموثوق منها بالأغلال والأقفال. ومن علم مفاتيحها وكيف تفتح، توصل إليها، فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتيح أقفال المخازن ويعلم فتحها، فهو المتوصل إلى ما في المخازن^(٤). فأفاد ذلك كمال القدرة على كل الممكنات^(٥)، كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

(١) التحرير والتنوير: ٢٥٢/٢٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٢/٢٢.

(٣) الاستعارة التمثيلية سميت بالمجاز المركب «وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبهة بها مبالغة في التشبيه فنذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه». معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٥٦/١.

(٤) الكشف: ٣٠/٢، وينظر: التفسير الكبير: ١٠/١٣.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ١٠/١٣.



قوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ عطف على قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٨] فهو الأعم بما يناسب حال الظالمين من تعجيل الوعيد أو تأخيرهِ فهو وحده المختص القادر بعلم الغيب وهو واسع العلم وواسع القدرة وأن الخلائق كلها في قبضته وقدرته^(١).. وتقديم الظرف لإفادة الاختصاص، أي: عنده سبحانه لا عند المخلوقين، والعندية في الآية عندية علم واستثثار بعلم الأشياء والموجودات على سبيل الإحاطة والاستقصاء، وليست عندية مكان. ومفاتيح الغيب جمع مضاف يعم والجمع المضاف من صيغ العموم فيعم كل المغيبات، لأن علمها كلها خاص به تعالى، لا يشاركه في علمها أحد على سبيل الاستقلالية^(٢).



■ (فتر)

من دلالات المادة في اللغة (فتر) دلالتها على السحاب الساكن المتهيء للمطر الدال على القدرة. يقال: فَتَرَ السَّحَابُ تَفْتِيرًا^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرّات، دلت في إحداها المنفية بـ (لا) على قدرة الملائكة بتمكين الله لهم على مواصلة التسبيح من غير تعب ولا ملل. قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠-٢١]، أي: تسبيحهم دائم متصل في جميع الأوقات والظروف لا يتخلله فراغ أو شغل آخر^(٤).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٠/٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٠/٧، ٢٧١.

(٣) ينظر: القاموس المحيط: ١١١/٢ (فتر).

(٤) ينظر: الكشف: ١٠٦/٣.



وَذَلَّتِ الصَّيْغَةُ الْمُنْفِيَّةُ ﴿لَا يُعَذَّرُ﴾ والمبنيَّة للمجهول على قدرة الله الذي شاء دوام العذاب للكافرين من غير تخفيف، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُعَذَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوْنَ﴾ [الرَّحْف: ٧٤-٧٥]، أي: لا يخفف ولا يقل ولا ينقص^(١).



(فتق)

تدور مادة (فَتَقَ) في اللغة حول فتح في شيء^(٢). «فُتِقَتِ السَّمَاءُ بِالْقَطْرِ والأَرْضُ بِالنَّبَاتِ»^(٣). «وَالْفَتْقُ: انفلاقُ الصُّبْحِ»^(٤). وَنَضَلُ فُتَيْقُ الشَّفَرَتَيْنِ، إِذَا كَانَ فِيهِ شُعْبَتَانِ فَكَأَنَّ إِحْدَاهُمَا فُتِقَتْ مِنَ الْآخَرَى^(٥). وَالسَّيْفُ ذُو الْحَدِّ يُقَالُ لَهُ: فُتَيْقٌ؛ أَي: مُحَدَّدُ الْحَدِّ^(٦). «وَأَعْوَامُ الْفَتْقِ أَي: أَعْوَامُ الْخِصْبِ»^(٧).

أما في القرآن: فقد وردت مادة (فتق) مرة واحدة بدلالة الفصل المشعر بقدرة في سياق التعجب من إصرار الكافرين على الكفر مع عظمة الأدلة على قدرته تعالى. فالسَّمَوَاتِ والأَرْضِ كانتا مجتمعتين، ففصلهما خالقهما فرفع السماء ووضع الأرض. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]. قوله: ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ أي: «فصدعناهما

(١) ينظر: جامع البيان: ٩٨/٢٥، وينظر: الكشف: ٢٦٤/٤.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٨١/٤ (فتق).

(٣) تهذيب اللغة: ٦٢/٩ (فتق).

(٤) تهذيب اللغة: ٦٣/٩، وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٧١/٤ (فتق).

(٥) ينظر: تهذيب اللغة: ٦٤/٩ (فتق).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) معجم مقاييس اللغة: ٤٧١/٤ (فتق).



وفرجناهما»^(١) كانت السماء ملتصقة بالأرض لا فضاء بينهما^(٢)، أو كانت السموات متلاصقات، وكذلك الأرضون لا فراغ بينهما ففتقها الله، أي: جعل بينهما فرجات^(٣). وقيل: «كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين ففصل الله بينهما، ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض»^(٤). وإخباره سبحانه عن السموات والأرض أنهما كذلك إخبار بالمصدر للمبالغة في حصول الصفة. ثم إن قوله: ﴿كَانَتَا﴾ يحتمل أن تكونا معاً واحداً، أي: تكون السموات والأرض جسماً متصلاً ملتئماً. ويحتمل أن تكون كل سماء رتقاً على حدها، والأرض رتقاً على حدها وكذلك الاحتمال في (ففتقناهما). «وإنما لم يقل نحو: فصارتا فتقاً، لأن الرتق متمكن منهما أشد تمكن.. ليستدل به على عظيم القدرة في فتقهما، ولدلالة الفعل على حدثان الفتق إيماءً إلى حدوث الموجودات كلها وأن ليس منها أزل»^(٥). وقيل: إن السموات كانت رتقاً لا تمطر والأرض كذلك لا تنبت، ففتقت السماء بالمطر، وفتقت الأرض بالنبات^(٦) لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. فالفتق هو ما يراه الرائي من ضد الرتق حين يرى المطر نازلاً من السماء ويرى البرق يلمع فيها، والصواعق تسقط منها، فكذلك فتقها، وحين يشاهد انشقاق الأرض بماء المطر، وظهور النبات والشجر فيها بعد جفافها، كل

(١) جامع البيان: ١٨/١٧.

(٢) ينظر: الكشاف: ١١٠/٣، وينظر: التفسير الكبير: ١٦٢/٢٢.

(٣) ينظر: الكشاف: ١١٠/٣، ١١١.

(٤) التفسير الكبير: ١٦٢/٢٢.

(٥) التحرير والتنوير: ٥٣/١٧.

(٦) ينظر: جامع البيان: ١٩/١٧، وينظر: الكشاف: ١١١/٣، وينظر: التفسير الكبير: ١٦٣/٢٢، وينظر:

زاد المسير في علم التفسير، تأليف: أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادى، المكتب الإسلامى للطباعة والنشر لصاحبه محمد زهير

الشاويش، ط١: ١٣٨٥ - ١٩٦٥: ٣٤٨/٥.



ذلك بالمعانية البصرية الدالة على تصرف الخالق القدير، وفي هذا المعنى جمع بين العبرة والمنة، أي: عبرة تدل على عظيم القدرة، وليكون ذلك إحياء بالكيفية التي يكون عليها إحياء الموتى^(١).

ومن أهل التأويل من حمل المعنى على أن الليل كان قبل النهار ففتق النهار^(٢)، ومنهم من حمله على العدم. فالرتق العدم، وبالفتق الإيجاد^(٣). «ويحتمل أن يراد بالرتق اتحاد الموجودات حين كانت مادة واحدة أو كانت أثيراً أو عماء.. فكانت جنساً عالياً متحداً ينبغي أن يطلق عليه اسم مخلوق، وهو حينئذٍ كلي انحصار في فرد، ثم خلق الله من ذلك الجنس أبعاضاً، وجعل لكل بعض مميزات ذاتية، فصير كل متميز بحقيقته جنساً فصارت أجناساً، ثم خلق في الأجناس مميزات.. فصارت أنواعاً»^(٤).

وجميع التأويلات تدل على أن الذي فتق السموات والأرض بعد أن كانتا رتقاً قادر على الكمال. وتأويل من أول أن السموات والأرض كانتا شيئاً واحداً ففصلهما فرفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض هو الأولى، لأن القرآن قابل في الآية بين الرتق الذي يعني السد، والفتق الذي هو الفصل. وذهب أكثر أهل التأويل: إلى أن السموات والأرض كانتا رتقاً بالاستواء والصلابة، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات والشجر، والحقيقة أن النبات لا ينفصل عن الأرض حتى لو انتشت بذوره وخرجت وكأنها انفصلت، فالجذور تبقى راسخة في الأرض ومتصلة بها من غير انفصال، ولو انفصلت لماتت، وهذا يجعل التقابل بين الرتق والفتق ناقصاً

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٣/١٧، ٥٤.

(٢) ينظر: جامع البيان: ١٩/١٧، وينظر: التفسير الكبير: ١٦٣/٢٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٤/١٧.

(٤) التحرير والتنوير: ٥٤/١٧، ٥٥.

على حين أن الرق والفتق في اللغة يعني تقابلاً تاماً، لذا فإن تأويل من أول أن السموات والأرض كانتا كياناً واحداً ففصلهما خالقهما، وجعل السماء فوق الأرض، وكل ما علا الإنسان فهو سماء، وفصل بينهما بالهواء، ثم كان من خواص السماء إنزال المطر على الأرض فتحيا بإذن الله بما ينبت فيها من نبات وشجر^(١) هو الأولى والله أعلم. ولنستمع إلى ما قاله العلم:

«إن الأرض والشمس ومختلف الكواكب والأجرام السماوية إنما كانت سديماً في الفضاء (السديم هو السحابة) ويطلق بالاصطلاح الفلكي على المجموعة الكبيرة من النجوم وقد توصل العلماء وأجمعوا على أن الكون في بدء نشأته بعد الانفجار الكبير كان مملوءاً بغاز... ففي هذا الغاز حدثت عمليات التحول النووي في مختلف العناصر، وتحت تأثير الضغط الهائل لهذا الغاز الساخن المضغوط بدأ الكون ينبسط ويتمدد، ثم أخذت كثافة المادة ودرجة حرارتها تهبطان في ببطء وفي مرحلة معينة من مراحل التمدد، فتكثف الغار المنتشر إلى سحب مفردة غير منتظمة في شكلها ولا متساوية في أحجامها مكونة شمساً مفردة غير منتظمة في شكلها ولا متساوية في أحجامها وإن شمسنا هي واحدة منها، ثم إن الأرض انفصلت عن الشمس على هيئة غاز.. وبدوران هذا الغاز حول نفسه وبعده عن الشمس مصدر الحرارة بدأ يبرد شيئاً فشيئاً مكوناً طبقة من السطح الخارجي الذي أخذ يتجمد رويداً رويداً ويزداد في السمك بتوالي الأزمنة التي مرت بملايين السنين فتكونت الأرض... وقد سبق المبدع الخالق العظيم هؤلاء العلماء وقبل أربعة عشر قرناً وقال لهم في منهجه وقانونه الذي رسمه لبني الإنسان في كتابه الكريم^(٢): ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَاقًا فَفَنَقَّْنَهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

(١) ينظر: جامع البيان: ١٩/١٧.

(٢) شهادة الكون، عبد الودود رشيد محمد. رحلات في الفضاء من واقع الحياة: ص ١٠، ١١.



وقيل: «السّموات والأرض قبل أن يخلقا وتظهر فيهما آيات الإبداع الإلهي كانتا كتلة بلا ملامح وشيئاً ملتحم الأجزاء. هكذا يقول خالق الكون العلّيم الخبير بنشأته. إن العلوم الكونية في العصر الحالي مثلاً تقرر أن هذا الكون قبل أن يأخذ ملامحه كان شيئاً متحد الأوصال ثم بعدئذٍ انقسم إلى سدائم، وإن العالم الشمسي قد تشكل نتيجة لهذا الانقسام.. ومما يدعم هذه الأقوال أن علماء الكونيات توصلوا أن جرم الشمس ٦٧ عنصراً من عناصر الأرض البالغة ٩٢ عنصراً»^(١).

«لقد أخبر القرآن أن الكون قبل الخلق كان دخاناً والدخان هو أقرب شيء مفهوم لدى العرب أيام التنزيل، والآن توصل العلماء إلى أنَّ منشأ الإبداع الكوني انبثق من الغاز، فما أروع التعبير القرآني عندما تحدث في وقت مبكر عن خفايا الكون في نشأته، وما أروع أن يأتي الكشف العلمي بعد زهاء ألف سنة معاضداً بكل الدقة ما نص عليه القرآن»^(٢).

«والشيء الذي يثبت هذا الانفصال الكوني الدال على قدرته سبحانه ما أثبتته العلماء من أن العناصر الموجودة في الكواكب الأخرى، هي نفس العناصر التي توجد على الأرض. ويعتقد العلماء أن القوانين الطبيعية التي تتحكم في الأرض هي نفسها القوانين التي تخضع لها النجوم والكواكب الأخرى في أفلاكها النائية المترامية في الفضاء. فحيثما نظرنا نجد الإبداع والنظام والتوافق حتى لم يبق ظل من شك في أن إلهاً قادراً قد أبدع هذا الكون وبناه وحدد وجهته وغايته»^(٣).

(١) شهادة الكون: ص ١٨.

(٢) القرآن يفك لغز الأرض، شاكِر عبد الجبار، ط ٣، مايس ١٩٩٠م: ص ١٨، ١٩.

(٣) الله يتجلى في عصر العلم، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسما، ترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: د. محمد جمال الدين الفندي: ص ١١٠.

■ (فتن)

«الْفَتْنُ: الإِخْرَاقُ. وشيءٌ فُتِنَ: أي: مُخْرَقٌ»^(١). والصائغُ يَفْتِنُ الذَّهَبَ والفِضَّةَ بالنارِ لتمييزِ الرَّذِيءِ من الحَسَنِ^(٢). «وَالْقَاتِنُ: الْمُضِلُّ عَنِ الْحَقِّ»^(٣) والفِتْنَةُ: الكُفْرُ^(٤). والفِتْنَةُ الضَّلَالُ والإِثْمُ^(٥).

أما في القرآن: فقد وردت (٦٠) مرة، دلت الصيغة «يُفْتَنُونَ» على العذاب في النار والحرق فيها، قال تعالى: «يَوْمَ مُمْ عَلَى النَّارٍ يُفْتَنُونَ» [الذاريات: ١٣]. يوم «يُحْرَقُونَ وَيُعَذَّبُونَ»^(٦).

قال الرازي: «والأولى أن يقال معناه يعرضون على النار عرض المجرب الذهب على النار. كلمة على تناسب ذلك، ولو كان المراد يحرقون لكان بالنار أو في النار أليق لأن الفتنة هي التجربة»^(٧).

وانتصب «يَوْمَ مُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» على الظرفية، وهو خبر عن مبتدأ محذوف دل عليه السؤال عنه بقولهم: أيان يوم الدين. والتقدير: يوم الدين يوم هم على النار يفتنون.

وقوله: «ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ» مقول قول محذوف دل عليه الخطاب، أي: يقال لهم حينئذٍ، أو مقولاً لهم: ذوقوا فتنتكم، أي: عذابكم، والأمر في قوله «ذُوقُوا» القصد منه التنكيل والإمعان في التعذيب. والذوق: مستعار

(١) معجم مقاييس اللغة: ٤٧٣/٤ (فتن).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٧٢/٤، وينظر: لسان العرب: ١٩٣/١٧ (فتن).

(٣) لسان العرب: ١٩٥/١٧ (فتن).

(٤) ينظر: لسان العرب: ١٩٣/١٧ (فتن).

(٥) لسان العرب: ١٩٥/١٧ (فتن).

(٦) الكشف: ٣٨٨/٤.

(٧) التفسير الكبير: ١٩٩/٢٨.



للإحساس القوي لأن اللسان أشد الأعضاء إحساساً. وإضافة فتنه إلى ضمير المخاطبين يومئذٍ من إضافة المصدر إلى مفعوله. وفي الإضافة دلالة على اختصاصها لهم لأنهم استحقوها بكفرهم، وجائز أن تكون الإضافة من إضافة المصدر إلى فاعله. فيكون التقدير: ذوقوا جزاء فنتنكم، أي: تكذيبكم^(١).

وسواء أكانت فنتنهم الإحراق بالنار أو كما قال الرازي يعرضون على النار عرض المجرب الذهب على النار. وتجرب الذهب بالعرض على النار يعني إذابته وتحويله من جسم متماسك إلى سائل. فإذا كان الكافرون كذلك يعرضون على النار فتسيل جلودهم وتذوب شحومهم وتتفحم عظامهم فما الفارق بين حرقهم فيها أو عرضهم عليها؟ إنه الحرق والتعذيب في جهنم جزاء ما فعلوا في الدنيا. فثبت ضعفهم وذلهم وتيقنوا من قدرة الله التي أمهلتهم ولم تهملهم.



﴿فتى﴾

من دلالات المادة (فتى) في اللغة دلالتها على الفتيا. يقال: أفتى الفقيه في مسألة، إذا بيّن حكمها^(٢). واستفتيت، إذا سألت عن الحكم^(٣).

يقال: ما فتئتُ وفتأتُ أذكره، أي: ما زلت^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٢١) مرّة، دلت الصيغة المضارعية ﴿يُنْفِيكُمْ﴾ على حصول البغية أو تحقق المراد.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٤٥/٢٦، ٣٤٦.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٧٤/٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.



تَجَلَّتْ هَذِهِ الدَّلَالَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُوهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٢٧]، وعد باستيفاء الإجابة عن الاستفتاء، وهو ضرب من تبشير السائل المتحير بأنه قد وجد طلبته، وتقديم اسم الجلالة للتنويه بشأن هذا الفتيا، وعظمتها^(١).

ودلت الصيغة «أَفْتَنَا» في موضع من القرآن على تأويل الأحكام التأويل الحق. قال تعالى على لسان الذي نجا من المسجونين مع يوسف يوم كانوا معاً في السجن: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ..﴾ [يوسف: ٤٦]، أي: قدرنا على معرفة تأويل رؤيا الملك.

٢٢٢

■ (فَجَّحَ)

الْفَجَّحَ: الطَّرِيقَ الْوَاسِعَ^(٢). وَقِيلَ: أَفَجَّ يُفَجُّ، إِذَا أُسْرِعَ^(٣).

أما في القرآن فقد وردت ثلاث مرات، دلت الصيغة المنكرة «فَجَّحَا» على الطرق الواسعة المفضية إلى القدرة والتمكين.

تَجَلَّتْ هَذِهِ الدَّلَالَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١]، أي: طرقاً واسعة. قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ رجاء اهتداء المشركين إلى وحدانية الله فإن هذه الدلائل

(١) ينظر: ٢٦٤/٤، ٢٦٥.

(٢) مقاييس اللغة: ٤٣٧/٤ (فج).

(٣) المصدر نفسه.



مشاهدة لهم واضحة الدلالة على قدرة الله. ويجوز أن يراد بالاهتداء الاهتداء في السير، أي: طرقات واضحة غير محجوبة بالضيق تمكنهم من قضاء حاجاتهم وتعينهم على الاهتداء في سيرهم، وذلك منه منة سبحانه لأنه مدير الأشياء على نحو يمكن الإنسان في الأرض ويلائمه ويصلح أحواله^(١).

وتجلت الدلالة نفسها في موضع آخر من القرآن: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۖ لَيْسَلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَا۟جًا﴾ [نوح: ١٩-٢٠]، أي: طرقات واسعة بين الجبال وغيرها^(٢) وهذه الطرق تسهل على الناس حركتهم في الأرض.



(فجر)

تدور مادة (فجر) في اللغة حول التفتح في الشيء^(٣). فالْفَجْرُ ضَوْءُ الصَّبَاحِ، أي: انفجار الظلمة عن الصبح^(٤). وَالْفَجْرُ تَفْجِيرُكَ الْمَاءِ^(٥). والمكان الذي يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْمَاءُ: فُجْرَةٌ^(٦). «وَفَجْرَهُ هُوَ يَفْجُرُهُ... فَجْرًا فَاَنْفَجَرَ، أي: بَجَسَهُ فَاَنْبَجَسَ»^(٧). والطَّرِيقُ فِي الرَّمْلِ يُدْعَى مُنْفَجِرَ الرَّمْلِ^(٨). وتعني المال الكثير. «أَفْجَرَ الرَّجُلُ إِذَا جَاءَ بِالْفَجْرِ وَهُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ»^(٩).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٧/١٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٥/٢٩.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٧٥/٤ (فجر).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٧٥/٤، وينظر: لسان العرب: ٣٥٠/٦ (فجر).

(٥) ينظر: لسان العرب: ٣٥١/٦ (فجر).

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٧٥/٤ (فجر).

(٧) لسان العرب: ٣٥١/٦ (فجر).

(٨) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٧٦/٤، وينظر: لسان العرب: ٣٥١/٦ (فجر).

(٩) لسان العرب: ٣٥٢/٦ (فجر).



أما المادة (فجر) في القرآن فقد وردت (٢٤) مرة في (٢٣) موضعاً مشعرة بدلالات حسية ومعنوية فمن الحسية التفجر.

تجلت دلالة التفجر الدال على القدرة في سياق الخبر المعجز عن سقيا بني إسرائيل الماء بالحجر المضروب بعصى موسى ﷺ. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْنَفْتِىَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِمَصَّالِكَ الْحَجَرِ فَأَنْفَجَرْتَ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]. وقيل: أمر موسى بضرب حجر طوري، أي: من جبل الطور كان مع بني إسرائيل لا يرتحلون إلا وهو معهم، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط عين^(١). وقال الفراء: «فضرب فانفجرت، فعرف بقوله: ﴿فَأَنْفَجَرْتَ﴾ أنه قد ضرب، فاكتفي بالجواب، لأنه قد أدى عن المعنى»^(٢). قال الزمخشري: «الفاء متعلقة بمحذوف، أي: فضرب فانفجرت. أو فإن ضربت فقد انفجرت»^(٣). ولا يمتنع في القدرة أن يؤمر موسى فينفجر من غير ضرب، لأنه قد يقال إنه أبلغ في الإعجاز، والصحيح أنه ضرب فانفجرت لأنه لو أمر سبحانه نبيه موسى بشيء ثم لم يفعله لكان ذلك عصياناً، ولأن الحجر لو انفجر من غير ضرب لصار الضرب بالعصا من قبيل العبث^(٤). ومن عظيم قدرة الله أن يخرج الماء الكثير من حجر صغير، لأن الله قادر على خلق الجسم كيف شاء كما خلق البحار وغيرها^(٥). لقد كان ظهور الماء نفسه في ذلك الوقت إعجازاً وكان اندفاع الماء من اثنتي عشرة عيناً من حجر صغير إعجازاً وخروجه بقدر الحاجة إعجازاً، وخروجه من فور الضرب بالعصا إعجازاً، وانقطاع الماء عند الاستغناء عنه إعجازاً، فهذه كلها لا يمكن

(١) ينظر: جامع البيان: ٣٠٧/١.

(٢) معاني القرآن: ٤٠/١.

(٣) الكشف، ١٤٧/١؛ وينظر: التفسير الكبير: ١٠٢/٣.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٠٢/٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.



تحصيلها بحالٍ من الأحوال إلا بقدره تامة نافذة في كل الممكنات وعلم نافذ في جميع المعلومات، وحكمة عالية على الدهر والزمان، وما ذلك إلا للحق سبحانه وتعالى^(١). وتجلت قدرة الله في مشهد آخر من مشاهد الأرض، فإذا كان الماء يتفجر في وقت لترتوي منه الأكباد العطشى فتدب فيها الحياة ديبب الروح في الجسد فإنه يتفجر في موضع ليهلك الحرث والنسل. قال تعالى: ﴿فَفَنَحْنَاهُ تَابُوتَ السَّمَاءِ بِمَاؤُ مُنْهَرٍ ۝ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝﴾ [الفر: ١١-١٢]. أي: «وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر، وهي أبلغ من قولك: وفجرنا عيون الأرض»^(٢). قيل: «نبعت جميع أرجاء الأرض حتى التناير التي هي محال النيران نبعت عيوناً»^(٣). وقيل: «أوحى الله إلى الأرض أن تخرج ماءها فتفجرت بالعيون»^(٤). وحمل بعض أهل التأويل المعنى على الفتح قيل: «فجرنا فتحنا بعضاً إلى بعض»^(٥). وتعدي (فجرنا) إلى اسم الأرض تعدي مجازية إذ جعلت الأرض من كثرة عيونها كأنها عين تتفجر، أو بحر مستقر تحت الأرض يندفع ليكون أعلاها. وفي هذا إجمال جيء من أجله بالتمييز له بقوله: ﴿عُيُونًا﴾ لبيان هذه النسبة، فالمعنى: وفجرنا عيون الأرض^(٦). وإنه ليستشف من الصيغة المستعملة (فجرنا) زنة (فعلنا) اندفاع الماء الكثير من الأرض ليلتقي مع الماء النازل من السماء. فالالتقاء مستعار للاجتماع، شبه الماء النازل من السماء والماء الخارج من الأرض بجماعتين قدمت كل واحدة من مكان فالتقتا في مكان كما تلتقي الفتتان. والتعريف في

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٤/٣.

(٢) الكشف: ٤٢٣/٤، وينظر: التفسير الكبير: ٣٨/٢٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٢٦٥/٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٣٢/١٧.

(٥) إصلاح الوجوه والنظائر: ص ٣٥١.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٣/٢٧.

(الماء) للجنس. وعلم من إسناد الالتقاء أنهما نوعان من الماء: ماء السماء وماء العيون^(١).

وإسناد الفعل إلى الجليل في قوله: ﴿فَنَنْحِتَ﴾، و(فجرنا) يدل على قدرة الله الذي جعل من الماء الذي فيه حياة الناس جعله عذاباً وهلاكاً لقوم نوح، فلقد انتصر سبحانه لنبيه وانتقم بماء لا يجند أنزلهم، بياناً لكمال القدرة، ومن العجيب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين فأهلكهم بقدرته بمطلوبهم^(٢).



(فجوة)

الفاء والجيم والحرف المعتل يدل على اتساع في شيء.

فالفجوة: المتشع بين شيئين^(٣). وفجوة الدار: ساحتها^(٤). والفجاء: تباعد ما بين عُرقوبي البعير^(٥).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة، دلت الصيغة المفردة المنكرة ﴿فَجَوَّةٌ﴾ على المتسع من المكان.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى في معرض الحديث عن حال أهل الكهف: ﴿وَرَبَّى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرُورٌ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ [الكهف: ١٧]، أي: في متسع من داخل الكهف، بحيث لم يكونوا قريبين من فم الكهف. وفي تلك السعة عون على حفظ

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٣/٢٧.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٣٨/٢٩.

(٣) مقاييس اللغة: ٤٧٧/٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.



هذا الكهف كما هو قوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ والإشارة بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إلى المذكور من قوله: ﴿وَرَبَّى الشَّمْسَ﴾ وما بعد ذلك.

وآيات الله: دلائل قدرته وعنايته بأوليائه ومؤيدي دين الحق والإشارة للتعظيم^(١).

والمكان المتسع دائماً يوحى بالإيجاب إن كان في غير العقاب كاتساع جهنم، أو اتساع السجون لكثرة المسجونين فيها، أو اتساع أماكن العذاب بشكل عام، أو اتساع الصحارى المجذبة المراد عبورها.



■ (فخر)

الفاء والخاء والراء أصلٌ صحيحٌ، وهو يدلُّ على عِظَمٍ وقَدَمٍ من ذلك الفخر^(٢). والفِخْرُ: الكثيرُ الفُخْرُ^(٣). والفاخر: الشَّيءُ الجيّدُ^(٤). والتَّفَخُرُ: التعَظُّمُ^(٥). ونخلةٌ فُخُورٌ: عظيمةُ الجذعِ غليظةُ السَّعَفِ^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (٦) مرات، دَلَّتْ الصيغةُ «فُخُورٌ» على شِدَّةِ الفرح والفخر.

تجلَّتْ هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَكَيْنَ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَةٍ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ الْأَسِيَّتَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [مؤد: ١٠]، وجملة (إنه لفرح فخور)

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٥/١٥.

(٢) مقاييس اللغة: ٤٨٠/٤ (فخر).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

استثناف ابتدائي للتعجب من حاله، و(فرح فخور) مثلاً مبالغية، أي: لشديد الفرح، شديد الفخر. وشدة الفرح: تجاوزه الحد وهو البَطَرُ والأَشْرُ، أي: يكون متباهياً على غيره بما له من الأشياء المحبوبة للناس، وفي ذلك دلالة على القدرة والتمكين^(١).

ودلت الصيغة «فَحُورًا» في موضع من القرآن على شدة الفخر. قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا» [النساء: ٣٦]، أي: شديد الفخر بما فعل^(٢). دلالة على شعوره بالقدرة والتمكن.

٢ ٢ ٢

﴿فدى﴾

من دلالات المادة (فدى) في اللغة دلالتها على الحماية، كقولك: فديته أفديه، كأنك تحميه بنفسك^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (١٣) مرة، دلت الصيغة الجمع «لَأَفْتَدُوا» على ما يشعر بالقدرة.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ٤٧]، أي: لو وجد المشركون فديةً منه بالغة ما بلغت لافتدوا بها. و(ما في الأرض) يشمل كل عزيز عليهم من أهل وأموال وأنفس فهو أهون من سوء العذاب يوم القيامة.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤/١١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٥١/٥.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٨٣/٤ (فدى).



والمعنى: لو أن ذلك ملك لهم يوم القيامة لأطلقوا سراح أنفسهم من العذاب، أي: لاقتدروا بتخليص أنفسهم من العذاب بالفدية، أي: لمكنوا أنفسهم من الخلاص من العذاب. فالفدية قدرة تمكن صاحبها من الخلاص من الأسر، ووجه التهويل في ذلك هو ما يستلزمه ملك هذه الأشياء من الشح بها في متعارف النفوس، فالكلام تمثيل كحالهم في شدة الدرك والشقاء بحال من لو كان له ما ذكر فيدفعه ليتخلص من ذلك العذاب^(١).

وتجلّت الدلالة على القدرة باستعمال القرآن الصيغة المضارعية المصدرة بالواو: ﴿وَفَدَيْنَهُ﴾ وذلك في قوله تعالى في سياق الإخبار عن فداء الله إسماعيل بكبش عظيم: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧]، أي: وأقدرناه بأن أرسلنا له كبشاً عظيماً ليذبح بدلاً من إسماعيل عليه السلام.

أي: قد مكناك بذبح ليذبح بدلاً من ذبحك ابنك إسماعيل، وهذا من أعظم أنواع التمكين بعد أن كان ممتحناً بأشد أنواع الابتلاء.



■ (فرت)

الفاء والراء والتاء كلمة واحدة، وهي الماء الفرات، وهو العَذْبُ^(٢). يقال: ماء فراث، ومياه فراث^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرّات، دلت الصيغة ﴿فُرَاتًا﴾ على الأنهار والمنايع في الأرض^(٤).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٣/٢٤.

(٢) مقاييس اللغة: ٤٩٨/٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: البيضاوي: ٥٥٨/٢.



تجلّت هذه الدلالة في سياق التذكير بما جعل الله للإنسان من وسائل
تعيّنه على الحياة وما سخر له، وما يدلّه على الإيمان بهذا الإله القادر. قال
تعالى: ﴿أَتَرِجْعِلِ الْأَرْضَ كَيْفَانَا * أَحْيَاءُ وَأَمْوَاتُا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤُوسَ سُلَيْمٰتٍ وَأَسْقَيْنٰكُمْ
مَاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥-٢٧].

وعطف (وأسقيناكم ماءً فراتاً) لمناسبة ذكر الجبال لأنها تنحدر منها
المياه تجري في أسافلها وهي الأودية وتقر في قرارات وحياض وبحيرات،
أي: وأسقيناكم ماءً عذباً كثيراً وهو ماء المطر الصافي. ونوّنَ (شامخات)
و(ماء فراتاً) للتعظيم لدلالة ذلك على عظيم القدرة^(١).

وتجلّت دلالة الصيغة «فُرَاتٌ» في موضع من القرآن على فرط العذوبة.
وذلك في سياق الإخبار عن قدرة الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ
فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]، قوله: «عَذْبٌ فُرَاتٌ»، أي: قايغ للعطش من
فرط عذوبته^(٢) دلالة على القدرة.

٢ ٢ ٢

﴿فرج﴾

الْفَرْجُ من الغم، بالتحريك^(٣) أي: زوال الكرب.

أما في القرآن فقد وردت (٩) مرات. دلت الصيغة «فُرِجَتْ» على الشقوق
العظيمة في السماء إشعاراً بأحداث عظيمة يوم القيامة وانتهاء نظام الكون،
كل ذلك بقدرة الله.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٠١/٢٩.

(٢) ينظر: البيضاوي: ١٤٤/٢.

(٣) تهذيب الصحاح: ١٥٩/١.



تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ • وَإِذَا السَّمَاءُ فُرجَتْ •﴾ [المرسلات: ٨-٩]، أي: تفرّق ما كان ملتصقاً من هيكلها، أي: حدوث أحاديث عظيمة في الكواكب زيادة على طمس نورها، أو فساد عناصر الجو بحيث تصير فيه طرائق مختلفة الألوان تبدو كأنها شقوق في كرة الهواء. وكل ذلك مفض إلى انقراض العالم الدنيوي بجميع نظامه ومجموع أجسامه^(١). وهذا لا يكون إلا بقدرة الخالق العظيم وهو الله تعالى.



■ (فرح)

تدل المادة في اللغة على خلاف الحزن. يقال: فرّح يُفرّح فرحاً. فهو فرّح^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٢٢) مرّة. دلت الصيغة الماضية الجمعية ﴿فَرِحُوا﴾ على القدرة والتمكين بالغنى والثراء.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَاسِ وَأَلْغَيْنَاهُمْ لَعُنَهُمْ فَبُذِرُوا • فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً •﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٤]، أي: الازدهاء والبطر بالنعمة ونسيان المنعم^(٣). أي: حتى إذا اقتدروا وتمكنوا.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٢٤/٢٩.

(٢) مقاييس اللغة: ٤٩٩/٤ (فرح).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣١/٧.



تجلّت الدلالة على البطر والتكبر المشعرين بقدرة باستعمال القرآن الصيغة المضارعية الجمعية ﴿تَفْرَحُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [غافر: ٧٥]، أي: تبطرون وتتكبرون^(١). والتمكبر البطر يعتقد في نفسه القدرة والتمكن فيستعلي على الناس.



■ (فردوس)

الفردوس: البستان، وحديقة في الجنة^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرّتين، دلت الصيغة المعرفة بالألف واللام ﴿الْفَرْدَوْسِ﴾ على البساتين والكروم الدالة على القدرة والتمكن.

تجلت هذه الدلالة في سياق يخبر عمّا للمؤمنين من جنات وبساتين يوم القيامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفَرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]، أي: بستان جامع لكل ما يكون في البساتين.

وإضافة الجنات إلى الفردوس بيانية، أي: جنات هي من صنف الفردوس. وورد في الحديث أن الفردوس أعلى الجنة أو وسط الجنة. وذلك إطلاق آخر على هذا المكان المخصوص يرجع إلى أنه علم بالغلبة، فإن حُمِلت هذه الآية عليه كانت إضافة (جنات) إلى (الفردوس) إضافة حقيقية. أي: جنات هذا المكان^(٣).

(١) ينظر: البيضاوي: ٣٤٦/٢.

(٢) ينظر: تهذيب الصحاح: ٣٨٤/١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٠/١٦.



وتجلّت الدلالة على أعلى درجات التمكين باستعمال القرآن الصيغة المعرفة بـأل (الفردوس) في موضع من القرآن. قال تعالى في سياق طويل يعدد فيه أصنافاً من المؤمنين يكون جزاؤهم جزاءً عظيماً يوم القيامة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوحِهِمْ خَفِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ أَتَّبَعَ وَرَأَى ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١٢]. أي: البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر، و(الفردوس) من أسماء أشرف جهات الجنات^(١).



❧ (فرر)

فرش مفَرَّ، بكسر الميم: يصلح للفرار عليه^(٢). والفَرَّ فَرَّةً: الخِفَّةُ والطَّيْشُ^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (١١) مرّة. دلت صيغة الأمر الجمعية. (فَفَرُّوا) على النجاة من العقوبة والفوز بالمشوبة.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرُمَةٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠]، أي: أن الفرار إلى الله مستعار للإقلاع عمّا هم فيه من الإشرار، وجحود البعث: استعارة تمثيلية بتشبيه حال تورطهم في الضلالة بحال من

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١/١٨.

(٢) تهذيب الصحاح: ٣١٨/١ (فرر).

(٣) المصدر نفسه.



هو في مكان مخوف يدعو حاله أنه يفرّ إلى من يجيره ويقويه ويمكنه، وتشبيه حال الرسول ﷺ بحال نذير قوم بأن ديارهم عرضة لغزو العدو فاستعمل المركب وهو (فروا إلى الله) في هذا التمثيل.

فالمواجه بـ (فروا إلى الله) المشركون لأن المؤمنين اقتدروا بالفرار إلى الله من الشرك^(١).

وتجلّت الدلالة على القدرة باستعمال القرآن الصيغة المعرفة (الْمَقَرُّ) في موضع منه. قال تعالى في سياق يتحدث عن أحداث مهولة يوم القيامة: ﴿إِنَّا بِرَأْيِ الْبَصَرِ • وَخَصَفَ الْقَمَرِ • وَجَمَعَ النَّفْسُ وَالْقَمَرُ • يَقُولُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْفَرَّ •﴾ [القيامة: ٧ - ١٠]، أي: أين النجاة؟ أين وجدان المتمتّى وهو القدرة والتمكن والخلاص من الأحوال والشدائد؟^(٢)

٢ ٢ ٢

(فرش)

تدور مادة (فرش) في اللغة حول: (تمهيد الشيء وبسطه. يقال: فَرَشْتُ الْفِرَاشَ أَفْرَشُهُ)^(٣) وتعني الغطاء الواسع. يقال: (والْفَرَشُ: الغطاء الواسع)^(٤) والسَّبْعُ الذي يمد يديه على الأرض يكون قد افترشها. يقال: (افترش السَّبْعُ ذِرَاعِيهِ)^(٥). والفَرَشُ ما يُفْرَش من الأنعام، أي: يُزَكَّب^(٦).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/٢٧.

(٢) ينظر: البيضاوي: ٥٤٨/٢.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤٨٦/٤، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٢٩، وينظر: عمدة الحفاظ:

٢١٥/٣ (ف ر ش).

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٤٨٧/٤ (فرش).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٢٩، وينظر: عمدة الحفاظ: ٢١٤/٣ (ف ر ش).



أما في القرآن: فقد وردت (٦١) مرة، دلت الصيغة «فَرَشَتْهَا» على البسط، فقد بسط الله الأرض بقدرته حتى تكون مذلة للناس يسرون عليها ويعملون، ولو أنها كانت نائمة مدبية وعرة لصعب على الناس والمخلوقات الأخرى العيش عليها بيسر. قال تعالى: «وَالْأَرْضُ فَرَشْتَهَا فَيَعْمَ أَلْمَهُدُونَ» [الذاريات: ٤٨]. أي: بسطناها ومددناها^(١). ففرشها بسطها ومدها وجعلها على هيئة الفراش المستقر عليه للراحة دليل قدرة، ولولا قدرة القادر ما كان للأرض أن تكون كما هي عليه الآن صالحة للعيش في رحابها وعلى سطحها. فالقدرة التي جعلت السماء وما فيها من آيات ودلائل على قدرة الصانع، هي نفسها القدرة التي جعلت في الأرض آيات، فما فرشها وبسطها ومدها إلا دليل على قدرة الصانع^(٢). والفرش: بسط الثوب ونحوه للجلوس والاضطجاع، وفي «فَرَشَتْهَا» استعارة شبهت تكوين الأرض على هيئة البسط بفرش البساط ونحوه. وفي هذا البسط دلالة على قدرة الله وحكمته إذ جعل الأرض هكذا مبسوطة لما أراد خلق أنواع المخلوقات لتمشي على سطحها وتضطجع عليها، ولو كانت محدودة لصعب السير عليها. ولما كان فرشها الغاية منه تمهيدها وتسهيل الحياة عليها أتبع «فَرَشَتْهَا» ببناء الله على نفسه على إتقان تمهيدها وإجادة بسطها تذكيراً بعظيم قدرته وعظيم نعمه، أي: فنعم الماهدون نحن. وصيغة الجمع «أَلْمَهُدُونَ» للتعظيم. وروعي عند وصف الأرض والإخبار عن خلقها ذكر ما يظهر للناس مثل سطحها؛ لأنه هو المهم لهم للاستدلال على قدرة الله وامتنانه عليهم بما فيه لطفه بهم ورفقه دون أن يتعرض إلى كرويتها وأنها كبقية ما خلق من النجوم والأقمار معلقة في الفضاء إذ لا يبلغون إدراكه^(٣).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٢/١٧، ٥٣.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٢/١٧، ٥٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧/٢٧.



وعطف القرآن قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَهَا﴾ على قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيَّنَّهَا بِأَيِّدٍ﴾، وبنائها بأيدٍ دل على عظيم قدرة الخالق العظيم على خلق الأجسام العظيمة^(١) ليدل أن تلك القدرة هي التي فرشت الأرض وبسطتها وجعلتها ميسرة لما عليها من المخلوقات الحية.

وتَقْدُمُ المعمول على العامل فيفيدُ الحصر والتخصيص. والفعل هو العامل فقوله: (فرشنا) عامل في (الأرض) ولو قال: وفرشنا الأرض لكان أوجز، ولأن الصانع قبل الصنع عند الناظر في المعرفة، ولأن المقصود إثبات العلم بالصانع، قدم الدليل فقال والأرض المفروشة التي لا تشكون في فرشها فرشناها وبسطناها فاعرفونا بها إن كنتم لا تعرفوننا^(٢).

وقوله: ﴿فَرَشْنَهَا﴾ ولم يقل فرشتها أو فرشها الله أدل على عدم الشريك في التصرف لأنه القادر المطلق ولو قال فرشتها يمكن أن يكون فيه تشريك، وتمام التقدير هو قوله ﴿فَرَشْنَهَا﴾ لا يورث إيهاماً فإن الآلهة التي كانوا يعبدونها هي التي يرجع إليها الضمير في ﴿فَرَشْنَهَا﴾، لأن تلك إما أصنام منحوتة، وإما كواكب جعلوا أصنامهم على صورها، فأما الأصنام التي نحتوها بأيديهم فلا يتطرق ذهنهم إلى أنها بَنَتِ السماء، وكيف بَنَتْهَا، وقد نحتتها أيديهم، وأما الكواكب فهي في السماء محتاجة إليها، فلا تكون بحال من الأحوال بانيتها، وإنما يمكن أن يقولوا إنما بنيت لها. فَلَمَّا لم يتوهم ما قالوا قال بصيغة الجمع ﴿فَرَشْنَهَا﴾ للتعظيم، فالعظمة أنفى للشريك وأدل على عظمة القدرة، فثبت القول ﴿فَرَشْنَهَا﴾ أدل على نفى الشريك من فرشتها، وفرشها الله^(٣).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٨/٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢٨/٢٢٦.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢٨/٢٢٦.



(فرض)

الْفَرْضُ: الحِزُّ في الشَّيْءِ^(١). وَالْفَرْضُ: الثَّقْبُ في الزُّنْدِ^(٢)، في الموضع الذي يُقَدِّحُ منه. وَالْمِفْرَضُ: الحديدة التي يُخَزُّ بها^(٣). وَالْفِرْيَاضُ: الواسع^(٤). وَالْفَرْضُ: الثُّرس^(٥). وَالْفَرْضُ: الذي أَوْجَبَهُ اللهُ تعالى^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (١٨) مرّة، دلت الصيغة الماضوية (فَرَضَ اللهُ لَهُ) على ما قدّره الله له.

تَجَلَّتْ هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٨]، أي: قدّره، إذ أذِنَهُ بفعله^(٧). وتعدية فعل (فرض) باللام تدل على هذا المعنى، بخلاف تعديته بحرف (على)^(٨) كقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وتَجَلَّتْ الدلالة نفسها في موضع آخر من القرآن مستعملاً الصيغة المنكرة (مَفْرُوضاً) قال تعالى في سياق يتوعد فيه إبليس بأن يضل بعضاً من عباد الله فيفعلوا بأمره ما يُغضب الله: ﴿وَقَالَكَ لَا أَخَذْتُ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ ﴿وَلَا صَلَّيْتَهُمْ وَلَا مَنَّيْتَهُمْ وَلَا مَرَّنَهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ إِذَا ذَاكَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّيْتَهُمْ فَلْيَغِيرُوا خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٨، ١١٩]، أي: إن الله خلق في الشيطان علماً ضرورياً أيقن

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٨٨/٤ (فرض).

(٢) المصدر نفسه: ٤٨٩/٤ (فرض).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٠/٢٢.

(٨) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٠/٢٢.



بمقتضاه أن فيه المقدرة على فتنه البشر وتسخيرهم، وكان في نظام البشر فرص تدخل في خلالها آثار فتنه الشيطان، فذلك هو النصيب المفروض، أي: المجهول بفرض الله وتقديره في أصل الجبل^(١).



■ (فرط)

من دلالات المادة في اللغة الدالة على القدرة، الدلالة على الفرس القادرة على السبق. يقال: الفرش الفُرْطُ التي تسبق الخيل^(٢). «وأفرطت القوم تَقَدَّمَتَهُمْ وتركتَهُمْ وراءك»^(٣). وأفرط فلانٌ في الأمر إذا تجاوز الحد فيه^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٨) مرّات، دلت الصيغة المضارعية «يَفْرُطُ» على تعجيل العقوبة الدالة على القدرة.

تجلّت الدلالة على تعجيل العقوبة المشعر بالقدرة قدرة الموضع على الموضع عليه، وذلك في سياق الأمر. فقد أمر الجليل سبحانه نبيه موسى وأخاه هارون عليهما السلام أن يذهبا إلى فرعون ليدعوا للإيمان: ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَآخُوكَ يُبَايِنِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا نَعْلَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ﴿فَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَتَخَفُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٢ - ٤٥]، أي: إننا نخاف تعجيله العقوبة لنا وقد يجاوز الحد في ذلك بقتله لنا لعتوه وقهره وذلك قبل أن نبلغه الرسالة^(٥).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٤/٥.

(٢) مجمل اللغة: ٧١٧/٣ (فرط)، مقاييس اللغة: ٤٩٠/٤ (فرط).

(٣) مجمل اللغة: ٧١٧/٣ (فرط).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٩٠/٤ (فرط).

(٥) ينظر: الكشاف: ٦٤/٣، وينظر: التفسير الكبير: ٢٢٨/١٦.



وتجلّت قدرته تعالى باستعمال القرآن الصيغة المنفية (بما) في سياق الإحصاء التام الشامل للدواب على الأرض والطيور بلا تفريط بشيء. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا قَرَّبْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، أي: ما تركنا وما أغفلنا شيئاً من هذه الأشياء إلا كان أمره محصياً لدينا في كتاب^(١) وقوله: ﴿مَا قَرَّبْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قول معترض لبيان سعة علم الله تعالى وعظيم قدرته، والمراد بالشيء في الآية أحوال المخلوقات كما يدل عليه السياق، فشمل أحوال الدواب والطيور فإنّها معلومة لله تعالى عنده بما أودع فيها من حكمة خلقه تعالى^(٢).



■ (فرع)

الفاء والراء والعين أصلٌ صحيح يدل على علوّ وارتفاع وسموّ وسُبُوغ^(٣). من ذلك الفرع، هو أعلى الشيء^(٤). والفرع: مصدر فَرَعْتُ الشَّيْءَ فرعاً، إذا علوّته^(٥). والفرع: المال الطائل المعَدَّ^(٦).
وَتَفَرَّعْتُ بني فلان: تَزَوَّجْتُ سَيِّدَةً نسائهم^(٧). وفَرَعْتُ رأسه بالسيف: علوّته^(٨). وفَرَعْتُ الجبل: صيرتُ في ذروته^(٩).

(١) ينظر: الكشف: ٢٠/٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١٧/٧.

(٣) مقاييس اللغة: ٤٩١/٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٤٩٢/٤.

(٨) ينظر: المصدر نفسه.

(٩) ينظر: المصدر نفسه.

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة، دلت الصيغة المنكرة (فَرَعُهَا) على الامتداد والعلو والاعتلاء.

تجلت هذه الدلالة في سياق المثل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَبِيبَةً كَشَجَرَةٍ طَبِيبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم ٢٤]، أي: أغصانها ذات امتداد وعلو. والسَّماء مستعمل في الارتفاع، وذلك مما يزيد الشجرة بهجة وحسن منظر دلالة على قدرة الله الخالق^(١).



❦ (فرعون)

فِرْعَوْن: لَقَبُ الْوَلِيدِ بْنِ مُصْعَبٍ، مَلِكُ مِصْرَ^(٢). وكلُّ عَاتٍ متمرّد فِرْعَوْن^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٧٤) مرّة، دلت الصيغة المتصدرة بالواو (وَفِرْعَوْنَ) على فرعون وقومه وقد وصفهم الله بأنهم أصحاب قدرة وتمكين.

تجلت هذه الدلالة في سياق الإخبار عن الأقوام: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَآءِ ۖ إِدَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۖ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۖ وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ ۖ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر ٦-١٠]، والمراد بـ(فرعون) هو وقومه.

ووصف بـ(ذي الأوتاد) لأن مملكته كانت تحتوي على الأهرام التي بناها أسلافه لأنّ صورة الهرم على الأرض تشبه الوتد المدقوق، والأولى أن تكون الدلالة أو المراد بـ(ذي الأوتاد) مستعاراً للتمكن والثبات، أي: ذي القوة^(٤).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٠/١٢.

(٢) تهذيب الصحاح: ٨٦٦/٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٣/٣٠.



وتجلت الدلالة على مَلِكٍ مصر من القبط باستعمال القرآن الصيغة (فرعون) في موضع من القرآن. قال تعالى: ﴿هَلْ أَنتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۚ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ [البروج ١٧، ١٨]، اسم لملك مصر من القبط^(١)، والملك أي ملك يكون صاحب قدرة وتمكين.

٢ ٢ ٢

❏ (فرغ)

«الْفَرَاغُ: خِلَافُ الشُّغْلِ»^(٢). يُقَالُ: «فَرَعَ فَرَاغًا وَفُرُوعًا، وَفَرَعَ أَيْضًا»^(٣). وَالضَّرْبَةُ الْوَاسِعَةُ وَالطَّعْنَةُ. يُقَالُ لَهَا فَرِيعٌ^(٤) وَالطَّرِيقُ الْوَاسِعَةُ تُدْعَى فَرِيعًا^(٥). «وَفَرَسَ فَرِيعًا: وَاسِعُ الْعَدُوِّ كَأَنَّمَا يُفَرِّغُ الْعَدُوَّ إِفْرَاغًا. وَضَرْبَةُ فَرِيعَةٍ: وَاسِعَةٌ يَنْصَبُ مِنْهَا الدَّمُ»^(٦).

أما في القرآن: فقد وردت (٦) مرات بدلالة الحساب يوم القيامة.

تجلت الدلالة على قدرته تعالى في سياق التهديد والوعيد للثقلين الإنس والجن، إذ لا بد من القصد إلى المجازاة والحساب على ما كان من أفعال وأعمال في الدنيا. قال تعالى: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] وهذا وعيد منه سبحانه لأنه لا يشغله شيء عن شيء. وأنت تقول للرجل الذي لا شغل له: قد فرغت لي، وقد فرغت لثمتي، أي: قد شرعت فيه، وأقبلت

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٢٤/٣٠.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٣٢ (فرغ).

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤٩٣/٤، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٣٢ (فرغ).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٩٣/٤ (فرغ).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٣٢.



عليه^(١). والله لا يشلغه شيء عن شيء وإنما خوطب الناس بما عرفوا^(٢). لأن الفراغ من الشغل لا يجوز على الله. قيل: نعمد إلى محاسبتكم وسنقصد^(٣). وقيل: المراد أن الدنيا ستنتهي وتبلغ آخرها، ولم يبق للخلق شؤون ولا يبقى في الآخرة إلا شأن الجزاء، فكان ذلك فراغاً لهم على طريق المثل^(٤).

وقوله: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ تخلص من الاعتبار بأحوال الحياة العاجلة إلى التذكير بأحوال الآخرة والجزاء فيها انتقل إليه بمناسبة اشتغال ما سبق من دلائل سعة قدرة الله تعالى، على تعريض أن فاعل ذلك أهل للتوحيد بالألوهية. وهو المستحق وحده للإفراد بالعبادة. وإذ قد كان المخاطبون بذلك مشركين مع الله في العبادة انتقل إلى تهديدهم بأنهم وأولياءهم من الجن المسؤولين لهم عبادة الأصنام سيعرضون على حكم الله فيهم، وأنهم صائرون إلى قدير يجازيهم.

وحرف التنفيس مستعمل في مطلق التقريب المكنى به عن التحقيق، والفراغ في الآية تمثيل للكنية بحساب الثقلين.

والتمثيل في الآية صالح للاستعمال في الاعتناء، وصالح للاستعمال في الوعيد. والمناسب لسياق الآية باعتبار ما سبقها وما لحق بها، حمل المعنى على الإقبال، أي: على الإقبال على أمور الإنس والجن في الآخرة وهو جزاؤهم، لأن الذي جاء بعده: ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] وهذا لكفار الثقلين^(٥). ومن القراء من قرأ: (سَيُفْرَغُ لَكُمْ)، ومنهم

(١) ينظر: معاني القرآن: ١١٦/٣.

(٢) ينظر: مجاز القرآن: ٢٤٤/٢.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤٣٧/٤، وينظر: التفسير الكبير: ١١١/٢٩.

(٤) ينظر: الكشاف: ٤٣٧/٤.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٦/٢٧، ٢٥٧.



من قرأ: ﴿سَنَفَعُ﴾ وقرأ آخرون: ﴿سَيَفَعُ﴾^(١) وهو الله تعالى الذي يحاسب الثقلين في الآخرة. والغاية من خلق الثقلين معروفة معلومة لغرض عبادة الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. معناه: أن الله قد جعل الدنيا دار امتحان، وجعل الآخرة دار جزاء. والمشغول لا يشغل، فالإنسان مشغول بما يعمل في الدنيا وحسابه في الآخرة بالإثابة على الأعمال الخير بالخير والشر بالشر. والدنيا دار عمل واختبار، لذا كان قوله تعالى: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُمَا أَفْقَلًا﴾ من باب التذكير بذلك اليوم الذي يقف فيه الإنس والجن أمام قدير لا يشغله شيء عن حسابهم العادل، فاختار سبحانه اللفظ الذي يكون مفهوماً للعقل البشري، لأنه موجد العقول ويعلم طاقتها ومدى قدرتها على الفهم. أما هو سبحانه فلا يشغله شيء عن شيء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، سبحانه العليم القدير.



■ (فرق)

تدور مادة (فرق) في اللغة حول جملة من الدلالات منها:

ما دل على الفلق من الشيء. فالفرق: الفلق من الشيء إذا انفلق^(٢)، وتدل على كتاب الله تعالى: إِذْ هُوَ الْفُرْقَانُ يفرق بين الحق والباطل^(٣). والفرقان:

(١) ينظر: حرز الأماني ووجه التهاني لأبي محمد القاسم بن خلف بن أحمد الرعيني الأندلسي الشاطبي وبذيل صحائفه مختصر بلوغ الأمانة شرح الشيخ علي محمد الضباع، وبالهامش غيث النفع في القراءات السبع للصفاسي، دار الفكر: ص ٣٦٢.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤/٤٩٤، وينظر: الصحاح: ٤/١٥٤٢، وينظر: تاج العروس: ٢٦/٢٧٩.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤/٤٩٤، وينظر: الصحاح: ٤/١٥٤١ (فرق).



الصُّبْح يَفْرُق بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَلَآئِنَّهُ يُفَرِّقُ الظُّلُمَةَ^(١). وتدل على الطَّائِفَةِ من النَّاسِ تُسَمَّى: فِرْقَةٌ^(٢). وتعني في المعنى التبديد. يقال: «فَرَّقَهُ: بَدَّدَهُ»^(٣).

أما في القرآن: فقد وردت (٧٢) مرة في (٦٧) موضعاً بدلالات منها الدلالة على الملائكة. قال تعالى: ﴿فَالْفَرَقَنِي فَرَقًا﴾ [المرسلات: ٤] قسم بمخلوقات عظيمة دالة على عظيم علم الله وقدرته. والمراد من قسمه سبحانه أن يؤكد الخبر، وفي تطويل القسم تشويق السامع أن المقسم عليه أمر تعييني وحق^(٤). واختلف أهل التأويل في معنى (الفارقات) قيل: إنها الملائكة تنزل بالفرق ما بين الحلال والحرام^(٥). وقيل: الفاصلات بين الحق والباطل دون تخصيص، فهو قسم بكل فارقة بين الحق والباطل ملكاً كان أو غير ذلك^(٦). وقيل: (إن الرياح تفرق بعض أجزاء السحاب عن بعض)^(٧). وإنها عند حدوث الرياح المختلفة، وترتيب الآثار العجيبة عليها من تموج السحاب وتخريب الديار يصير الخلق مضطرين إلى العودة إلى الله والاتجاء إليه من باب رحمته، فيحصل الفرق بين المقر والمنكر والموحد والملحد^(٨).

وتجلت الدلالة على قدرة الله، في سياق التذكير بفضله سبحانه بما مَنَّ به على بني إسرائيل من منن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠].

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٩٤/٤، وينظر: تاج العروس: ٢٨٥/٢٦ (فرق).

(٢) ينظر: الصحاح: ١٥٤٢/٤ (فرق).

(٣) تاج العروس: ٢٩٤/٢٦ (فرق).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٢٠/٢٩.

(٥) ينظر: معاني القرآن: ٢٢٢/٣، وينظر: جامع البيان: ٢٣٢/٢٩، وينظر: الكشف: ٦٦٤/٤.

(٦) ينظر: جامع البيان: ٢٣٢/٢٩.

(٧) التفسير الكبير: ٣٦٥/٣٠.

(٨) ينظر: التفسير الكبير: ٢٦٦/٣٠.



أي: فصلناه^(١) حتى صارت فيه مسالك لكم، وقيل: فلقناه^(٢). ولفق البحر من الدلالات الباهرات على وجود الصانع القادر، وعلى صدق موسى عليه السلام. وحتى فرعون الكافر لما شاهد فلق البحر فلا بد أنه علم أن ذلك من فعل قادر عظيم فعله مخالف لساثر القادريين^(٣). ويخبر القدير تعالى عباده المؤمنين أنهم إن اتقوا الله يجعل لهم استقامة أحوالهم، ومخرجاً لهم من كل ضائقة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ قُرْآنًا﴾ [الأنفال: ٢٩] أي: (نصراً؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله)^(٤)، وقيل: (بياناً وظهوراً يشهر أمركم ويثبت صيتكم وآثاركم في أقطار الأرض)^(٥) أو (مخرجاً من الشبهات وتوفيقاً وشرحاً للصدور)^(٦)، أو (تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان، وفضلاً ومزية في الدنيا والآخرة)^(٧).

والحقيقة هي كل هذه الأمور، لأن كل واحد منها مترتب على الآخر، وسبب لها، وفي النتيجة تحصل كلها بفضل الله الواعد وعد الحق الذي لا يخلف، فإن وعد القدير فلا حدود لفضله ومنه، فهو ناصر عباده بتقديره لهم على أعدائهم، فإذا نصرهم يكون نصرهم سبباً في اشتهار أمرهم وبث صيتهم وآثارهم في الأرض، والمنتصر بتقدير الله له، لاشك ينشرح صدره،

(١) ينظر: جامع البيان: ٢٧٥/١، وينظر: الكشف: ١٤١/١.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٨٧/١.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٧٧/٣.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الكشف: ٢٠٨/٢.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.



ويكون بينه وبين غيره من أصحاب الأديان ما يميز الواحد عن غيره، فالمتنصر أبداً هو الذي تكون له المزية في الدنيا والآخرة إن كان منصوراً من الله^(١). فالصيغة (فُزِقَانًا) على زِنَةٍ (فُعْلَانًا) لفظ مطلق وجب حمله على جميع الفروق الحاصلة بين المؤمنين والكفار^(٢). وقد أشعر قوله: ﴿لَكُمْ﴾ أن الفرقان شيء نافع لهم، أي: كل ما فيه مخرج لهم ونجاة من التباس الأحوال وارتباك الأمور وانبهام المقاصد، فيؤول أمرهم بقدرة الله إلى استقامة أحوال حياتهم، وما كان ذلك ليكون بمعزل عن قدرة الله تعالى ونصره وتغليب منه تعالى لهم على أعدائهم، وإقدار منه لهم على الخصوم^(٣).

وتتجلى الدلالة على الفصل المشعر بقدرة في سياق الدعاء والرجاء أن يفصل الله بين نبيه موسى ﷺ وأخيه هارون وبين بني إسرائيل الذين ما يكادون يخرجون من كفر وجحد وانتكاس عن الحق حتى يعودوا، فهم أبداً ملة كفر، لا تلين نفوسهم إلا بعذاب وشدة تسلط عليهم من قدير قهار لهم. قال تعالى على لسان نبيه موسى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ * قَالَ فَإِنَّهَا مُخِرمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴿[المائدة: ٢٥، ٢٦]، أي: (باعد وافصل وميز)^(٤). وقوله (محرمة) أي: الأرض المقدسة لا يدخلونها ولا يملكونها أربعين سنة، (يتيهون في الأرض) يسировون فيها متحيرين لا يهتدون طريقاً^(٥). روي أنهم بقوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسировون بجدة في كل يوم حتى إذا تعبوا وملوا السير وأمسوا إذا هم حيث ارتحلوا^(٦).

(١) ينظر: الكشف: ٢٠٨/٢.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٥٨/١٥.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٢٦/٩.

(٤) مجاز القرآن: ١٦٠/١، وينظر: الكشف: ٦١٠/١، وينظر: التفسير الكبير: ٢٥٠/١١.

(٥) ينظر: الكشف: ٦١٠/١.

(٦) ينظر: الكشف: ٦١٠/١، وينظر: التفسير الكبير: ٢٠٧/١١.



وإجابة دعوة موسى ﷺ دليل على قدرة الله مجيب من يدعوه ويلوذ به
لأنه القادر على كل شيء.

❦ ❦ ❦

❦ (فره)

الفارِهُ: الحاذِقُ بالشيء. وقد فَرِه، بالضم، يَفْرِه فهو فاره^(١).
أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت صيغة (فَارِهَيْنَ) على العيش
الرغيد.

قال تعالى على لسان صالح ﷺ يخاطب قومه: ﴿ أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هُمْنَا
ءَامِينَ * فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَحْلٍ طَلَمَهَا هَٰضِمٌ * وَتَنْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ
يُؤْتُوا فَرِهَيْنَ ﴾ [الشعراء: ١٤٦-١٤٩]، أي: منغمسين في اللذات من مأكّل ومشرب
ومسكن طيب حصين^(٢). وفي قراءة (فَرِهَيْنَ) على أنها صيغة مبالغة مشتقة
من الفراهة والحدق والكياسة، أي: عارفين حذقين بنحت البيوت من الجبال
بحيث تصير بالنحت المتقن كأنها مبنية بناءً متقناً^(٣). وهذا دليل قدرة
وتمكن.

❦ ❦ ❦

❦ (فري)

فَرَيْتُ الشيء أفريه فرياً، وذلك قطعك لإصلاحه^(٤).

(١) تهذيب الصحاح: ٩٠٧/٣ (فره).

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٥٩/٢٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧٦/١٩.

(٤) مقاييس اللغة: ٤٩٦/٤، ٤٩٧.



وفلان يُفري الفري، إذا كان يأتي بالعَجَب كأنه يقطع الشيء قطعاً عجباً^(١). ويقال: فَرَى فلان كذباً يُفريه، إذا خَلَقَهُ^(٢). وتَفَرَّتِ الأرض بالعيون: انبجست^(٣). والفُرْوة، هي الغنى^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٦٠) مرّة، دلت الصيغة (افْتَرَاهُ) على الاختلاق بقدرة.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق النفي: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ابنس: ٣٧، ٣٨﴾، أي: افعله بقدرة وتمكن^(٥). (أم) للإضراب الانتقالي من النفي إلى الاستفهام الإنكاري التعجبي، وهو ارتقاء يبطل دعواهم أن يكون القرآن مفترى بقدرة الرسول ﷺ. فالاستفهام الذي تشعر به (أم) استفهام تعجبي إنكاري، والمعنى: بل أيقولون افتراه بعدما تبين لهم الدلائل على صدقه وبراءته من الافتراء^(٦).

ولو قيل: أم يقولون ظلمنا بقدرته على الإتيان من عنده بأمر أعجزنا وقهرا به وهو القرآن، قل: فأتوا بشيء من هذا الذي أتى به فتدحضوا مكيدته إن كنتم صادقين لصح والله أعلم. وبذا دلت الصيغة (افتراه) على القدرة.

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٤٩٧/٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٧٦/١٧.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٤/١١.



وتجلت الدلالة نفسها في سياق آخر من القرآن: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَيْنَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَآخِرُونَ﴾ [الفرقان: ٤] أي: اختلقه فابتكر أخباره عن قدرة وجملته (وأعانه عليه) دلت على اعتقاد المشركين بقدرة محمد على اختلاق الأخبار وابتكارها، كل ذلك بمساندة بعض أهل الكتاب له في فعل ذلك، كعدال مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار أبي فكيهة الرومي مولى العلاء الحضرمي، وجبر مولى عامر^(١).

والقصر المستفاد من قوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَيْنَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَآخِرُونَ﴾ متسلط على كلتا الجملتين، أي: لا يخلو هذا القرآن من مجموع أمرين، هما: أن يكون افتري بعضه من نفسه، وأعانه قوم على بعضه^(٢).

وتجلت الدلالة نفسها في موضع آخر من القرآن: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلَى افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥]، إضراب لهم عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام افتراه، ثم إلى أنه قول شاعر.

فقولهم (افتراه) أي: اختلقه من تلقاء نفسه ولأنهم عجزوا عن أن يأتوا بمثله وهم أهل الفصاحة والبلاغة، فهذا يعني أنهم حين قالوا إنه اختلقه إنما اعتقدوا قدرة محمد المتمثلة في إتيانه بهذا الأمر على ما فيه من البلاغة والفصاحة بحيث صغروا أمامه وعجزوا حتى عن الإتيان بآية واحدة مثله.

فدلت الصيغة (افتراه) على قدرة المُفْتَرِي على النظم والإتيان بأمر لم يستطيعوا الإتيان بمثله وكل قولهم وما ألصقوه بمحمد ﷺ من تُهم إنما هي افتراءات وأكاذيب، وهم أعجز من أن يثبتوا صحة دعواهم الباطلة^(٣).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٢٣/١٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: البيضاوي: ٦٥/٢.



■ (فَزَز)

تدل المادة (فز) في اللغة على خِفَّةٍ^(١). تقول: فَزَّه واستفَزَّه، إذا استخفَّه^(٢). أما في القرآن فقد وردت ثلاث مرَّات، دلت صيغة الأمر المتصدرة بالواو ﴿وَأَسْتَفِزُّ﴾ على شدة الطلب والحث.

تجلَّت هذه الدلالة في سياق التحدي. قال تعالى: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَنْ مَوْفُورًا * وَأَسْتَفِزُّ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِحَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ﴾ [الإسراء: ٦٣، ٦٤]، أي: استخفَّهم فلا يتشاقلون، وحثهم بقدر ما تستطيع^(٣). والسين والتاء للجعل الناشئ عن شدة الطلب والحث الذي هو أصل معنى السين والتاء.

أي: استخفَّهم وأزعجهم^(٤)، واجعلهم أصحاب قدرة وتمكن لتحقيق أهدافك عن طريقهم.

وتجلت دلالة الصيغة المضارعية الجمعية المصدرة بأن المصدرية ﴿أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾ على الإبعاد الدال على قدرة المُبْعِدِ على المُبْعَدِ. قال تعالى في سياق الإخبار عن فرعون يوم أراد إبعاد بني إسرائيل فأغرقه الله: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]، أي: يبعدهم^(٥) إبعاد القادر على ذلك.

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٤/٣٩٩ (فز).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/١٥٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/٢٢٨.



(فزع)

«المَفْزَعُ: المَلْجَأُ»^(١). «والإفزع والتفزع: الإخافة، والإغاثة: من الأضداد»^(٢). يقال: «فزعت إليه فأفزعني، أي: لجأت إليه من الفزع فأغاثني»^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٦) مرّات، دلت الصيغة المسبوقه بـ (من) على الشدة المفردة، أي: شدة الفزع وعظيم تأثيره. قال تعالى في سياق الإخبار عن نجاة المؤمنين من الفزع الشديد يوم القيامة: ﴿وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمٍ مَآمُونُونَ﴾ [النمل: ٨٩]، فزع شديد مفرط الشدة لا يكتننه الوصف، وهو خاص بالكافرين^(٤).

واستعمل القرآن الفعل المبني للمجهول للتدليل على كشف الفزع، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ [السا: ٢٣]، أي: كُشِفَ عنها الفزع^(٥).



(فسح)

الفاء والسين والحاء كلمة واحدة تدل على سعة واتساع^(٦). من ذلك الفسح: الواسع^(٧).

(١) تهذيب الصحاح: ٥٠٣/٢ (فزع).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: الكشف: ٣٧٤/٣، وينظر: التفسير الكبير: ٢٢١/٢٤.

(٥) تهذيب الصحاح: ١٨٦/١ (فسح).

(٦) مقاييس اللغة: ٥٠٣/٤.

(٧) المصدر نفسه.

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرّات، دلت الصيغة المضارعية الجمعية ﴿نَفْسُكُمْ﴾ على التوسع وفيه تمكين لغير الجالسين بالجلوس وإقدار لهم على الحصول على مكان يستقرون فيه.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى في سياق الأمر: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ فَسِّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]، أي: توسعوا. وقوله: ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وعدّ بالجزاء على الامتثال لأمر التفسح من جنس الفعل إذ جعلت توسعة الله على الممثل جزاءً على امتثاله الذي هو إفساحه لغيره.

وحذف متعلق ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ليعمّ كلّ ما يتطلب الناس الإفساح فيه بحقيقته ومجازه في الدنيا والآخرة من مكان ورزق أو جنة عرضها السموات والأرض على حسب النيات، وتقديره الجزاء موكول إلى إرادة الله.

وحذف فاعل القول لظهوره، أي: إذا قال لكم الرسول: تفسحوا فافسحوا، فإن الله يثيبكم على ذلك ومن كانت الإثابة نصيبه أو جزاءه فقد اقتدر وتمكن، وأفهم لفظ التفسح أنه تجنب للمضايقة والمراصة بحيث يفوت المقصود من حضور ذلك المجلس أو يحصل ألم للجالسين^(١).

٢ ٢ ٢

﴿فسد﴾

فَسَدَ الشَّيْءُ يُفْسِدُ فُسَادًا وَفُسُودًا، وهو فاسِدٌ وفَسِيدٌ^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٥٠) مرّة، دلت الصيغة المضارعية المصدرية بلام التعليل ﴿يُفْسِدُ﴾ على القدرة على الإضرار بالغير.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٥، ٣٤/٢٨.

(٢) مقاييس اللغة: ٥٠٣/٤ (فسد).



تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۖ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ أَرْحَامَهُ وَالنَّاسُ لَجِنْدٌ لِلَّهِ﴾ (البقرة ٢٠٤، ٢٠٥)، أي: ليتلف وليغير وليتلصص لغير إعلاء كلمة الله. قوله: ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ اللام للتعليل، لأن الإفساد مقصود لهذا الساعي^(١). والحقيقة أن الإنسان الضعيف لا يقدر أن يفسد في الأرض لأنه يصطدم إن أراد الإفساد بمن يزدع ويمنع، أما المفسد الحق فهو القادر على الإفساد يكون بمقدوره ذلك دون وقوف أحد في وجهه. والقرينة التي تلت الصيغة (ويهلك) دلّت على قدرة ذلك المفسد السابق الذكر.

وتجلّت دلالة الصيغة المضارعية الجمعية المصدرة بلام التعليل ﴿لِيُفْسِدُوا﴾ على القدرة على تحويل الغير من حالة إلى حالة.

قال تعالى مخبراً عن مقولة ملاّ فرعون لسيدهم فرعون: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُسُونَ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ (الأعراف ١٢٧)، أي: ليبطلوا بقدرتهم أصول ديانتك وما ينشأ عن ذلك من تفريق الجماعة وحث بني إسرائيل على الحرية، ومغادرة أرض الاستعباد^(٢).

٢ ٢ ٢

﴿فسر﴾

تدل المادة (فسر) في اللغة على بيان شيء وإيضاحه^(٣). من ذلك الفُسْرُ، يقال: فُسِرْتُ الشَّيْءَ وَفُسِرْتُهُ^(٤).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢/٢٦٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٩/٥٨.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٤/٥٠٤ (فسر).

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة. دلت الصيغة المنكرة «تَقْسِيرًا» على البيان المفضي إلى القدرة.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٣)، أي: أحسن تبياناً وكشفاً عن المعنى، أي: أحسن حجة ودليلاً، ومعنى كونه أحسن، أنه أحق في الاستدلال، فالترفضيل للمبالغة، إذ ليس في حجتهم أي حسن وأي قدرة على إقناع المقابل^(١).



■ (فصح)

«الفِصْح، بالكسر: عيد النَّصارى، وذلك إذا أَكَلُوا اللَّحْمَ»^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة، دلت الصيغة «أَفْصَحُ» زنة (أفعل) على قوة البيان. قال تعالى في سياق الخبر: خبر موسى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۖ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (القصص: ٢٣، ٢٤)، أي: رب أرسل معي أخي هارون إلى فرعون فهو أقدر مني على إظهار الحجّة والبيان بلسانه الفصيح يجيب عن الشُّبهات ويجادل الكفار^(٣).



(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣/١٩.

(٢) ينظر: تهذيب الصحاح: ١٨٦/١ (فصح).

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤٩/٢٤.



(فصل)

تدل مادة (فَصَلَ) في اللغة على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه. يقال: فَصَلْتُ الشيءَ فَصْلًا^(١). «وَالْفَيْصَلُ: الْحَاكِمُ»^(٢)، لِأَنَّهُ يُقَدَّرُ عَلَى الْفَصْلِ بَيْنَ النَّاسِ. «وَالْفَيْصَلُ: وَلَدُ النَّاقَةِ إِذَا افْتَصَلَ عَنْ أُمِّهِ»^(٣) وَلَا يُفَصَّلُ وَلَدُ النَّاقَةِ عَنْ أُمِّهِ إِلَّا إِذَا قَدِّرَ عَلَى الْحَيَاةِ بِذَوْنِهَا. «وَالْمِفْصَلُ اللَّسَانُ، لِأَنَّ بِهِ تُفَصَّلُ الْأُمُورُ وَتُمَيَّزُ»^(٤) فِيهِ يَتِمُّ التَّعْيِيرُ وَيُقَدِّرُ صَاحِبُهُ عَلَى الْإِفْصَاحِ عَمَّا يُرِيدُ «وَالْمَفَاصِلُ: مَفَاصِلُ الْعِظَامِ»^(٥) وَبِهَا تَتِمُّ الْقُدْرَةُ عَلَى الْحَرَكَةِ. «وَفَصِيلَةُ الرَّجُلِ: عَشِيرَتُهُ الْمُتَفَصِّلَةُ عَنْهُ»^(٦) وَالْعَشِيرَةُ تُقَدِّرُ عَلَى مَا لَا يُقَدِّرُ عَلَيْهِ الرَّجُلُ وَخُدَّهُ. «وَالْفَيْصَلُ: الْكَثِيرُ الْفَصْلِ»^(٧).

أما في القرآن: فقد وردت (٤٣) مرة، دلت بعض صيغها على التمييز بين الخلائق؛ وبين المؤمنين وغيرهم ثم القضاء بينهم.

تجلت هذه الدلالة في سياق الحديث عن القضاء بين الناس يوم القيامة فالمؤمن إلى الجنة والكافر إلى النار. قال تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الحج: ١٧]. يعني أنه تعالى يقضي بين المؤمنين والكافرين^(٨). فيتميز المحق من المبطل بالنظر والاستدلال^(٩).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥٠٥/٤، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٣٨ (فصل).

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٥٠٥/٤ (فصل).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٥٠٥/٤، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٣٨.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٣٨، وينظر: عمدة الحفاظ: ٢٣٣/٣.

(٧) عمدة الحفاظ: ٢٣٣/٣.

(٨) ينظر: الكشف: ١٤٥/٣.

(٩) الكشف: ١٤٥/٣.



بينت هذه الآية أن الفصل بين أهل الديانات فيما اختصموا فيه يكون يوم القيامة. فالحجج لم تجد نفعاً في الدنيا.

وسياق الآية المجل جري مجرى التفويض، فالمتخاصمون كُلُّ يُصَوَّبُ طريقته وَيُخَطَّى طَرِيقَةً خَصَّمِهِ. فالذي يفوض الله في الحكم يريد أن يدل على أنه على الحق وهو واثق من ذلك، كقوله تعالى: ﴿لَنَّا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (الشورى: ١٥) وذلك من قبيل الكناية التعريضية^(١). وأخبر القرآن في موضع آخر منه عن الفصل بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ (السجدة: ٢٥). أي: «يقضي ويحكم بين المؤمنين والكفار، فيجازي كلًّا بما يستحق»^(٢)، أي: يقضي، فيميز المحق في دينه من المبطل»^(٣) «أي: يفصل بين المختلفين من أمة واحدة كما يفصل بين المختلفين من الأمم، فينبغي أن لا يأمن من آمن وإن لم يجتهد، فإن المبتدع معذب كالكافر... وأن عذاب الكافر أشد وألم وأمد وأدوم»^(٤). والخطاب للنبي والمراد أمته تنوياً وتحذيراً إلى ضرورة تجنب الاختلاف الذي لا مُسَوِّغَ لوجوده في الأمة، وليس له أساس في الدين.

والضمير (هو) في قوله ﴿هُوَ يَفْصِلُ﴾ ضمير فصل لقصر الفصل عليه تعالى إشعاراً بأن ما يذكر في القرآن من بيان بعض ما اختلفوا فيه على أنبيائهم ليس الغرض منه أن يرتدعوا عن اختلافهم وإنما الغاية التسجيل عليهم ولقطع طريق المعذرة لهم لأنهم عرفوا بعدم قبول الحجج والأدلة، وهم على إصرارهم في طغيانهم فلا فصل بينهم إلا يوم القيامة. وقصر

(١) الكناية التعريضية التي هي ليست على سبيل التصريح. مفتاح العلوم: ص ٤١٠، ٤١١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٠٩/٤.

(٣) الكشف: ٥٠٠/٣.

(٤) التفسير الكبير: ١٨٧/٢٥.



الفصل على الله تعالى يوم القيامة بين هؤلاء إنما يشعر بقدرته تعالى على
الفصل بين الناس بالحق والعدل^(١).



❏ (فصم)

الْفَصْمُ، وهو أن ينصدع الشيء من غير أن يبين^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة، دلت الصيغة المنكرة المنفية بلا
﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾ على القوة وعدم الانقطاع.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدُ مِنَ
الَّذِي فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ
لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، أي: كالحبل المتين الذي لا ينفصم^(٣).



❏ (فضض)

فَضَضْتُ الْقَوْمَ فأنفضوا، أي: فَرَّقْتُهُمْ ففترقوا^(٤). والْفَضْضَةُ معروفة^(٥).
والْفَضْضَةُ: سعة الثوب والدَّرْع والعيش^(٦). يقال: ثوبٌ فضفاضٌ، ودروع
فضفاضة، أي: واسعة^(٧).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣٩/٢١.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٥٠٦/٤ (فصم).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/٣.

(٤) تهذيب الصحاح: ٤٣٨/١ (فضض).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (١٢) مرة، دلت الصيغة المعرفة بالألف واللام (الْفِضَّة) على معدن ثمين القيمة المفضي إلى القدرة والتمكن.

تجلت هذه الدلالة في سياق يذكر المحببات إلى الناس، قال تعالى:

﴿ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهِيدِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٤]، قوله: ﴿وَالْفِضَّةُ﴾: أي: معدن يحسن نظره يتخذ منه حلي للرجال والتقد الذي يدفع عوض الأشياء المحتاج إليها. وامتلاك هذا المعدن يجعل صاحبه ذا قدرة مادية ومعنوية يقتدر به في حياته ويتمكن^(١).

وتجلت الدلالة على التمكن باستعمال القرآن الصيغة المنكرة ﴿فِضَّة﴾ وذلك في موضع منه وفي سياق الإخبار عن نعيم أهل الجنة: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]، ووصفت الأساور هنا بأنها ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾ وفي سورة الكهف بأنها ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ في قوله: ﴿يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١]، أي: مرةً يحلون هذه ومرةً الأخرى أو يحلونهما جميعاً بأن تجعل متزاوجة لأن ذلك أبهج منظرًا^(٢).

كل ذلك دلالة على التمكن في الآخرة.

٢ ٢ ٢

(فضل)

الْفَضْل: الزيادة، والخير^(٣). والإفضال: الإحسان^(٤).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨١/٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٠٠/٢٩.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٥٠٨/٤ (فضل).

(٤) المصدر نفسه.



والمُتَفَضِّلُ: المدعي للفضل على أضرابه وأقرانه^(١).

أما في القرآن فقد وردت (١٠٤) مرّات، دلت الصيغة «فَضَّلَ» زنة (فَعَّل) على القدرة والتمكن.

تجلّت الدلالة على القدرة باستعمال القرآن الصيغة «فَضَّلَ» في سياق التقرير أن للرجل القوامة على المرأة. قال تعالى: «أَلْيَجَالُ قَوْمُوتٍ عَلَى النِّسَاءِ يَمَّا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» [النساء: ٣٤]، أي: لهم السيطرة عليهن بسبب ميزة العقل، والحزم، والعزم، والقوة والفروسية والرمي، ومنهم الأنبياء والعلماء، والجهاد والأذان والخطبة، والاعتكاف، وتكبيرات التشريق، والشهادة في الحدود، والقصاص، وزيادة السهم، والتعصيب في الميراث، والولاية في النكاح، والطلاق والرجعة، وعدد الأزواج، وإليهم الانتساب، وهم أصحاب اللحي، والعمائم، لا بالتغلب والاستطالة والقهر^(٢). والحقيقة أن هذا التفضيل هو تمكين الرجال من أمور لا تقدر المرأة عليها.

قيل: إن فضل الرجال على النساء حاصل من وجوه كثيرة، بعضها صفات حقيقية، وبعضها أحكام شرعية، أما الصفات الحقيقية فاعلم أن الفضائل الحقيقية يرجع حاصلها إلى أمرين: إلى العلم، وإلى القدرة، ولا شك أن عقول الرجال وعلومهم أكثر، ولا شك أن قدرتهم على الأعمال الشاقة أكمل، فلهذين السببين حصلت الفضيلة للرجال على النساء في العقل والحزم والقوة^(٣).

٧ ٧ ٧

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: الكشف: ٤٩٥/١.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٩١/١٠.

(فطر)

تدور مادة (فطر) في اللغة على فتح شيء وإبرازه^(١). والفَطْرُ: الشَّقُّ طُولًا^(٢). والكمأة فُطْرٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَفْطِرُ الْأَرْضَ فَتَخْرُجُ مِنْهَا^(٣). «وفطرت البئر: ابتدعتها وحفرتها»^(٤). «وفطر الله الخلق، وهو إيجاد الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال»^(٥).

أما في القرآن: فقد وردت (٢٠) مرة. دلت الصيغة «أَنْفَطَرْتُ» على الانشقاق. تجلت دلالة الانشقاق الدال على القدرة في قوله تعالى: «إِذَا أَلَمَّاءُ أَنْفَطَرْتُ» [الانفطار: ١]. أي: «انشقت»^(٦). والافتتاح بـ (إذا) افتتاح مشوق للذي يرد بعدها من متعلقها الذي هو جواب ما في (إذا) من معنى الشرط، قال تعالى: «عِلِمْتُ نَفْسٌ مَّا قَدَمْتُ وَأَخَّرْتُ» [الانفطار: ٥]. والمقام هنا في الآيات لم يقتض تطويل الإطناب الذي هو عكس الإيجاز^(٧) كما اقتضاه المقام في سورة التكوين. وإن كان المقام يقتضي في كليهما تطويل الإطناب، لكنه متفاوت لأن سورة التكوين من أول السور نزولاً في القرآن. على حين أن سورة الانفطار متأخرة النزول عن نظيرتها التكوين. ففي التكوين تكرر إثبات البعث والجزاء فأغنى عن تطويل الإطناب والتهويل في الانفطار. وانفطار السماء: انفراج يقع فيما يسمى بالسماء وهو شبه القبة في نظر الرائي يراه تجري فيه الكواكب في مسارات وأسمات مضبوطة تسمى بالأفلاك تشاهد

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥١٠/٤ (فطر).

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٤٠ (فطر).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) عمدة الحفاظ: ٢٣٩/٣ (فطر).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٤٠.

(٦) معاني القرآن: ٢٤٣/٣، وينظر: الكشف: ٧٠١/٤، وينظر: التفسير الكبير: ٧٧/٣٢.

(٧) ينظر: مفتاح العلوم: ص ٢٧٧.



بالليل، ويعلم سميتها في النهار، ورؤيتها على هذه الحال المضبوطة مع تعاقب القرون، يجعل اختلال سيرها مع تخلل أجسام أو عناصر غريبة فيما بينها يجعل تفكك هذه الأطباق، وظهور شقوق هائلة في نظامها علامة على انحلال النظام الكوني كله.

والظاهر أن هذا الانفطار هو الانشقاق، وهو من أحداث يوم القيامة قبل بعث الخلائق، في وقت فساد النظام الكوني^(١) قيل: «إن الشُّركَ فزعت منه السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول منه لعظمة الله»^(٢) فمن الناس من ادعى أن الله ولدأ، لقد جاؤوا شيئاً منكراً كادت السموات تنشق له وتخر الجبال هدأ. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۚ نَكَادُ السَّمَوَاتِ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ۖ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ ۖ وَخِزْتُ لِبَالُ هَذَا ۚ﴾ (مريم: ٨٨ - ٩٠) أي: يتشققن^(٣). وقيل: إن الملائكة قد غضبت، واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا^(٤). وحُمل المعنى على «كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري، وأني لا أعجل بالعقوبة»^(٥). وقيل: تتشق استعظاماً للكلمة، وتهويلاً من فظاعتها، وتصويراً لأثرها في الدين وهدمها لقواعده وأركانها، وإن مثال ذلك الأثر في المحسوسات: أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر^(٦). والحقيقة أن بين الشَّق والفطر فروقاً إذ يقال: انفطر قلبي ولا يقال انشق. فالفطر يستعمل في

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧٠/٣٠، ١٧١.

(٢) جامع البيان: ١٣٠/١٦.

(٣) ينظر: مجاز القرآن: ١٢/٢.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١٣٠/١٦.

(٥) الكشف: ٤٣/٣.

(٦) ينظر: لكشاف: ٤٣/٣.



الماديات والمعنويات والشق في الماديات. والفطر يكون في طرف الشيء ووجهه الآخر ملتئم وليس كذلك الشق، يقال: انشق الثوب، ولا يقال انفطر، فالفطر متعلق بالأشياء السميكة الصلبة على حين أن الشق في الاثنين.

و(مِنْ) في قوله (مِنْهُ) للتعليل، والضمير المجرور بـ(مِنْ) عائد إلى ﴿شَيْئًا إِذَا﴾ أو إلى القول المستفاد من ﴿وَقَالُوا أَتَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ والكلام جار على المبالغة في التهويل من فظاعة قول القائلين وافتراء المفترين أن الله ولدًا بحيث إنه يبلغ إلى الجمادات العظيمة فيؤثر في وجودها ويغير كيانها^(١).

وتتجلى دلالة المادة على قدرة الله بوصف الله تعالى فاطر السموات والأرض، قال تعالى مبيناً ما ينبغي أن يقوله نبيه ﷺ رداً على المشركين والكافرين: ﴿قُلْ أَغْبَرُ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]. أي: خالق السموات والأرض^(٢) ومبتدعهما^(٣).

«وفطر الله الخلق، وهو إيجاد الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال»^(٤) دليل على قدرة الله على الخلق والإبداع ﴿فَظَرَّ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] إشارة منه ودليل على ما فطر، أي: أبدع واخترع وركز في الناس من معرفة به سبحانه. وفطرة الله: هي ما أوجد من قوة في النفس الإنسانية لمعرفة الإيمان^(٥).

أي: الزُّم فطرة الله وهي التوحيد فإن الله قد فطر الناس عليه إذ أخذهم

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦/١٧٠، ١٧١.

(٢) ينظر: مجاز القرآن: ١٨٧/١.

(٣) ينظر: جامع البيان: ١٥٨/٧، وينظر: الكشف: ٩/٢.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٤٠.

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٤٠.



من ظهر آدم ﷺ وسألهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟﴾ فكان الجواب: بلى، وهذا الحدث العظيم الذي عبّر عنه بقوله ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾ لهو دليل على قدرة الجليل على الخلق والإبداع^(١).

ومعنى فطر الناس على الدين الحنيف هو أن الله القدير خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين وجعل تعاليمه مقدوراً عليها إن أرادوا، مناسبة لخلقهم غير مجافية له، غير نائين عنه ولا منكرين له، مثل إثبات الوحداية لله، لأن التوحيد هو الذي يساوق العقل والنظر الصحيح، والبصيرة السليمة. وقوله: ﴿أَلَيْتِي فَطَرَتِ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ بيان لمعنى الإضافة في قوله: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾ وتصريح بأن الله خلق الناس سالمة عقولهم وما دخول أهل الضلال في ضلالهم إلا من باب التلقي والتعود^(٢).



❏ (فعل)

دلت مادة (فعل) في اللغة على إحداث شيء من عمل وغيره. يقال: فعلتُ كذا أفعَلُهُ فَعَلًا^(٣). والفِعْلُ: هو التأثير من جهة مُؤَثِّرٍ^(٤). والفعل تعبيرُ القدرة على الشيء^(٥).

أما في القرآن: فقد دلت على القدرة في سياق الإخبار عن طي السماء كطي السجل للكتب: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ كما بدأنا

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٢٠/٢٥، ١٢١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٩/٢١، ٩٠، ٩١.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥١١/٤ (فعل).

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٤٠ (فعل).

(٥) ينظر: عمدة الحفاظ: ٢٤١/٣ (فعل).



أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾. أي: «قادرين على أن نفعل ذلك»^(١). سنفعل ذلك لا محالة مؤكدين حصول ذلك الوعد الذي يدل على قدرتنا^(٢).

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ قول مؤكد بحرف التوكيد لتنزيل الكافرين منزلة المنكرين للقدرة القادرة على الكمال، لأنهم يوم نفوا البعث بعلّة تعذر إعادة الأجسام بعد موتها فهم عندما حكموا على الأجساد بالفناء حكموا عليها بالعدم، وإعدام الشيء يعني أن لا يوجد أثر من آثاره في الكون فلا يمكن إعادته. ولكن الموت ليس فناء ولا عدماً وإنما انتقال من حال إلى حال ومن دار إلى دار. لقد استحال في نظرهم أمر ذلك الحدث ولم يوقنوا أن الله قادر على ذلك. والمراد بقوله (فاعلين) أنه الفاعل لما وعد به، أي: إنه القادر على ذلك. وفي ذكر فعل الكون دلالة أن قدرته على ذلك قد تحققت بما دل عليه دليل قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾^(٣).

واستعمل القرآن الصيغة ﴿فَعَالٌ﴾ للدلالة على عظيم قدرته تعالى، في سياق الخبر عن القدرة على البطش الشديد وأنه الفعال لما يريد. قال تعالى: ﴿إِنَّا بَطَّشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٍ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْكَبِيرُ ﴿١٥﴾﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿البروج: ١٢-١٦﴾. قال أبو هلال العسكري في معرض التفريق بين دلالات الصيغ: «... وإذا كان قوياً على الفعل قيل: فعول، مثل: صبور وشكور، وإذا فعل الفعل وقتاً بعد وقت قيل: فعال، مثل: غلام وصبار»^(٤).

(١) الكشف: ١٣٥/٣.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢٢٩/٢٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٨/١٧.

(٤) الفروق اللغوية: ص ١٢.



لأن ما يريد سبحانه ويفعل في غاية الكثرة^(١). وقيل: يفعل ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه ولا يغلبه غالب، فهو يدخل بقدرته أولياءه الجنة ولا يمنعه منه مانع، ويدخل أعداءه بقدرته النار ولا ينصرهم منه ناصر، ويمهل العصاة على ما يشاء إلى أن يحين وقت جزائهم، ويعاجل بعضهم في العقوبة إذا شاء ويعذب من يشاء منهم في الدنيا وفي الآخرة. يفعل من هذه الأشياء ومن غيرها ما يريد^(٢). «مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله»^(٣).

لقد ذيل القرآن بصفة جامعة لعظمة الله الذاتية وعظمة نعمائه بالقول: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ أي: إذا تعلقت إرادته سبحانه بفعل، فعله على أكمل ما تعلقت به إرادته لا ينقصه شيء ولا يبطئ به ما أراد تعجيله. فصيغة المبالغة في قول ﴿فَقَالَ﴾ للدلالة على الكثرة التي لا يحيط بها المخلوق في الكم والكيف^(٤).



﴿فَقَدْ﴾

من دلالات المادة (فقد) في اللغة دلالتها على الطلب. يقال: تَفَقَّدْتُ الشَّيْءَ، إذا تَطَلَّبتَه^(٥).

أما في القرآن فقد وردت ثلاث مرّات، دلت الصيغة الماضية المصدرية بالواو (وتفقد) على ما يشعر بقدره المتَّفَقِّدِ.

(١) ينظر: الكشف: ٧٢٠/٤.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٢٤/٣١، ١٢٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٤٩٧/٤.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٠/٣٠.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٤٣/٤ (فقد).



تجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار عمّا قاله سليمان ﷺ عندما تفقد الهدهد ولم يره.

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠]، صيغة التّفَعَّل تدل على التكلف، والتكلف: الطلب.

واشتقاق (تَفَقَّدَ) من الْفَقْدِ يقتضي أن (تَفَقَّدَ) بمعنى طلب الْفَقْد. ولكنهم توسعوا فيه فأطلقوه على طلب معرفة سبب الفقد، ولكنهم توسعوا فيه فأطلقوه على طلب معرفة سبب الفقد، أي: معرفة ما أحدثه الفقد في شيء، فالتفقد: البحث عن الفقد ليعرف بذلك أن الشيء لم يَنْقُصْ وكان الطير من جملة الجند لأن كثيراً من الطير صالح للانتفاع به في أمور الجند، فمنه الحمام الزاجل، ومنه الهدهد أيضاً لمعرفة الماء، ومنه البزاة والصقور لصيد الملك وجنده ولجلب الطعام للجند من الصيد إذا حل الجند في القفار أو نغد الزاد. وللطير جنود يقومون بشؤونها وتفقد الجند من شعار الملك والأمراء وهو من مقاصد حشر الجنود وتسييرها^(١). وبذا دلّت الصيغة على ما وصل إليه سليمان ﷺ من تمكين في الأرض حتى الطير يامرته وتحت سيطرته يتفقدوها.

٢ ٢ ٢

(فقر)

الفاء والقاف والراء أصلٌ صحيحٌ يدل على انفراج في شيء من عضو أو غير ذلك^(٢). يقال: فقرتهم الفاقرة، وهي الداهية، كأنها كاسرة لفقر الظهر^(٣).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤٥/١٩ يتفقدوها.

(٢) مقاييس اللغة: ٤/٤٤٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤/٤٤٤.



وقالوا: أَفَقَرَّكَ الصَّيْدُ، فمعناه أمكنك من فقاره حتى ترميه^(١). ويقال: فَقَرْتُ البعيرَ إذا حَزَزْتَ خَطَمَهُ ثم جعلت على موضع الحَزِّ الجِرِيرَ لئذْله وتَرَوُضَه^(٢). وَفَقَرْتُ الحَرَزَ، إذا ثَقَبْتَه^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (١٤) مرّة، دلت الصيغة ﴿فَافِرَةٌ﴾ على القوّة.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الحديث عن الوجوه الباسرة، قال تعالى: ﴿وَيُجِبُّهُ يَوْمَئِذٍ بِأَمْرٍ ۗ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَافِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٤، ٢٥]، أي: داهية قوية تكسر الفقار^(٤).



﴿فقهه﴾

تدل المادة (فقهه) في اللغة. على إدراك الشيء والعلم به. تقول: فَفَهِتُ الحديثَ أَفَقَّهُهُ. وكلُّ عِلْمٍ بِشَيْءٍ فَهُوَ فِقْهٌ^(٥). وتقول: أَفَقَّهْتُكَ الشَّيْءَ، إذا بَيَّنَّنْتُهُ لَكَ^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (٢٠) مرّة، دلت الصيغة المضارعية الجمعية (يفقهون) على الإدراك القوي حتى يطل الأمور الدقيقة، وتجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ۚ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۗ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۚ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام ٩٧، ٩٨]، عدل عن (يعلمون)

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: البيضاوي: ٥٤٩/٢.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٤٢/٤ (فقهه).

(٦) المصدر نفسه.



إلى (يفقهون) لأن دلالة إنشائهم على هذه الأطوار من الاستقرار والاستيداع وما فيهما من الحكمة دلالة دقيقة تحتاج إلى تدبر، فإن المخاطبين كانوا معرضين عنها فعبّر عن علمها بأنه فقه، بخلاف دلالة النجوم على حكمة الاهتداء فهي دلالة متكررة، وتعريضاً بأنّ المشركين لا يعلمون ولا يفقهون، فإنّ العلم هو المعرفة الموافقة للحقيقة، والفقه هو إدراك الأشياء الدقيقة، فحصل تفصيل الآيات للمؤمنين، وانتفى الانتفاع به للمشركين^(١).

﴿فكر﴾

من دلالات المادة (فكر) في اللغة دلالتها في صيغة من صيغها على كثرة التفكير. تقول: رجلٌ فِكْيرٌ: كثير الفِكر^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (١٨) مرّة، دلت الصيغة الجمعية المضارعية ﴿تَنَفَّكَّرُونَ﴾ على استفادة العلم الصحيح المفضي إلى القدرة المعنوية.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الاستفهام الإنكاري، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، قوله: أفلا تتفكرون استفهام إنكار. وهو معطوف بالفاء على الاستفهام الذي سبقه لأنه مترتب عليه لأن عدم استواء الأعمى والبصير بديهي لا يسعهم إلا الاعتراف بعدم استوائهم فلا جرم أن يتفرع عليه إنكار عدم تفكيرهم في أنهم بأيهما أشبه والكلام على الأمر بالقول. والتفكر جولان الفكر والعقل في طريق استفادة علم صحيح^(٣)، وهو بدوره يفضي إلى التمكين المعنوي.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٩٨/٧.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٤٦/٤ (فكر).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤٤/٧.



وتجلّت الدلالة نفسها في مكان آخر من القرآن باستعمال القرآن الصيغة المضارعية الجمعية ﴿يَنْفَكُّوْنَ﴾.

قال تعالى في سياق الإخبار عن النحل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

أي: من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة حق التدبر علم قطعاً أنه لا بُدَّ له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه^(١). وحين يتيقن الإنسان بعد التفكير بأن صاحب القدرة الحقيقية هو الله تعالى وحده وما سواه مخلوق ضعيف، يتبين أن التفكير سبب الوصول إلى الحقيقة الكبرى وهي معرفة الله حق المعرفة، وهذا يقود إلى أعلى درجات التمكين، إذاً يمكن اعتبار التفكير السليم قدرة تفود صاحبها إلى رضوان الله.



﴿فَكَ﴾

﴿فَكَأَنَّ الزُّهْنُ: مَا يُفْتَكُّ بِهِ. وَفِكَأُ بِالْكَسْرِ، لَغَةٌ فِيهِ﴾^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرّتين. دلت الصيغة ﴿فَكَ﴾ على إطلاق حرّية مملوك إشعاراً بقدرة وتمكين. قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ ﴿١٣﴾ فَكَ رَقَبَةً﴾ [البلد: ١٢، ١٣]، قيل: اقتحام العقبة هو الفك. وفك الرقبة يكون بعق الرجل رقبة

(١) ينظر: البيضاوي: ٥٥٠/١.

(٢) تهذيب الصحاح: ٦١٨/٢ (فَكَ).



من الرِّق، وقد يكون بأن يعطي مكاتباً ما يصرفه إلى جهة فكاك نفسه. وحُمِّلَ المعنى على المرء يفك رقبة نفسه بما يتكلفه من العبادة التي يصير بها إلى الجَنَّة، فهي الحرية التي لا تفوقها حُرِّيَّة، ويتخلص بها من النَّار^(١). وإطلاق الفك على تخليص المأخوذ في أسيرٍ أو ملكٍ، لمشابهة تخليص الأمر العسير بالنزع من يد القابض الممتنع أولى من أن يُحْمَلَ على المرء يفك رقبة نفسه بالعبادة، والله أعلم.

وفك الرقبة يشعر بقدرة. فالمالك للعبد والمطلق له يوحيان بقدرة المالك على المملوك هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن المالك للرقبة يوم يطلقها استجابة لرضوان الله وتقرباً إليه فهو بمنزلة القادر على التصرف ومغالبة النفس التواقة إلى التملك وانتزاع المملوك من قبضتها كمن ينتزع شيئاً مقبوضاً عليه بقوة يمتنع تحصيله إلا بقوة أكبر.



■ (فكه)

تدل المادة (فكه) على طيب واستطابة، من ذلك: الرَّجُلُ الْفَكِيَّةُ: الطَّيِّبُ النَّفْسُ^(٢). والفاكهة، لأنها تُسْتَطَابُ وتُسْتَطَرَفُ^(٣). والمفاكهة، وهي المُمَازحة وما يُسْتَحْلَى من كلام^(٤). وتدل على كثرة حليب الناقة والشاة. يقال: أَفْكَهَتِ النَّاقَةُ وَالشَّاةُ، إِذَا دَرَّتَا عِنْدَ أَكْلِ الرَّبِيعِ^(٥).

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٨٥/٣١، ١٨٦.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٤٦/٤ (فكه).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (١٩) مرة، دلت الصيغة «فَكَيْهِنَّ» على المرح والسرور المشعرين بقدرة المرح وشعوره أنه أحسن حالاً مما هو دونه وهم أهل الإيمان.

تجلّت هذه الدلالة في سياق يخبر عن حال الذين أجزموا في الدنيا وما كانوا يصنعونه مع المؤمنين: «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكَيْهِنَّ ﴿٣١﴾» [المطففين: ٢٩ - ٣١]، أي: تحدثوا أحاديث الفكاهة مع أهلهم بذكر المؤمنين وذمهم. أي: فرحوا ومزحوا وتحدثوا فأضحكوا^(١). وهذا الفعل يدل على الثقة بالنفس والاعتداد وكذلك الاعتقاد بأنهم هم في الموقف الأقوى والأفضل وأنهم على الصواب أما غيرهم وهم أهل الإيمان فهم على خطأ يجرحهم إلى الخسارة والضعف.

وتجلّت الدلالة على الفرح والسرور باستعمال الصيغة نفسها في موضع آخر من القرآن ولكنه هذه المرة مرح المؤمنين يوم القيامة بما أعطاهم الله من النعيم وقدرهم ومكنهم. قال تعالى مخبراً عن حالهم: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَكَانُ ﴿١٧﴾ فَكَيْهِنَّ بِمَا ءَانَهُمْ رَبُّهُنَّ وَوَقَّهُنَّ رُبُّهُنَّ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾» [الطور: ١٧، ١٨]، أي: فرحين محبورين وطابت نفوسهم سروراً بما وجدوا من التمكن.

٢ ٢ ٢

■ (فلح)

«الْفَلَاحُ: الفوز، والبقاء، والنَّجاة»^(٢). «وَحَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، أي: أَقْبِلْ عَلَى النَّجَاةِ»^(٣).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١٢/٣٠، ٢١٣.

(٢) تهذيب الصحاح: ١٨٧/١ (فلح).

(٣) المصدر نفسه.



أما في القرآن فقد وردت (٤٠) مرة، دلت الصيغة «أَفْلَحَ» على زنة (أفعل) على الفوز الدال على القدرة والتمكن.

تجلّت الدلالة على الفوز الدال على القدرة والتمكن باستعمال القرآن الصيغة (أفلق) في سياق جمع الكيد والتخطيط له، قال تعالى على لسان ملائكة فرعون: «فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ» [طه: ٦٤]، أي: فاز^(١). وقوله: «وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ» تذييل للكلام يجمع ما قصده من تأمرهم بأن الفلاح لمن غلب وظهر. والمراد فلاح الدنيا^(٢).

والفوز بالشيء المتنازع عليه بين خصمين لا يكون إلا بغلبة، إذن الفوز هو الاقتدار، ولا يتصور فوز بانهزام وانكسار، فالصيغة (أفلق) دلت على القدرة، وصار المعنى: وقد قدر وتمكن من غلب وظهر، والله أعلم.



﴿فلق﴾

دلت مادة (فلق) في اللغة على الصبح. إذ (الْفَلَقُ: الصُّبْحُ)^(٣)، وسمي الصبح فلقاً، لأن الظلام ينفلق عنه^(٤).

وَتُفْلَقُ الْأَرْضُ بِالنَّبَاتِ وَيُفْلَقُ السَّحَابُ بِالْمَطَرِ، وأكثر الخلق كائن عن انفلاق؛ كأنه شيء فلق عنه شيء حتى أُبرِزَ وأظهر^(٥). وقيل: (الْفَلَقُ جَهَنَّمُ)^(٦).

(١) ينظر: الكشف: ٧١/٣، وينظر: التفسير الكبير: ٨١/٢٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٧/١٦.

(٣) ينظر: كتاب إعراب ثلاثين سورة من سور القرآن، تأليف: أبي عبد الله الحسين المعروف بابن خالويه ص ٢٣٣.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٤/٤٥٢، وينظر: عمدة الحفاظ: ٢٥١/٣ (ف ل ق).

(٥) ينظر: تهذيب اللغة: ١٥٦/٩، ١٥٧ (فلق).

(٦) تهذيب اللغة: ١٥٧/٩، وينظر: معجم متن اللغة: ٤٤٧/٤ (فلق).



وَالْفَلَيْقُ: الْكَثِيبَةُ الْعَظِيمَةُ^(١). وَالْفَلَقُ الشَّقُّ. يُقَالُ: (فَلَقَهُ فَلَقًا: شَقَّهُ)^(٢) وَ(فَلَقَ فَتَفَلَّقَ)^(٣). وَيُقَالُ: (فُتِلَ فُلَانٌ أَفْلَقَ قِتْلَةً، أَيْ: أَشَدَّ قِتْلَةً)^(٤).

أما في القرآن: فقد وردت (٤) مرات بدلالات حسية. ففي سياق يتحدث عن قدرة الله في شق الحب والنوى، فتنبت منه الزروع والشجر وذلك من عجائب خلقه وصنعه. إذ تقف الآلهة المزعومة عاجزة عن أدنى شيء من هذا القبيل^(٥). قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]. أي: (بالنبات والشجر)^(٦). وقيل: «أراد الشقين في النواة والحنطة»^(٧). وحمل المعنى على الخلق^(٨)، أي: إن الله فاطر الحب والنوى. والفطر: الشق، وكذلك الفلق، فالشيء قبل دخوله الوجود كان معدوماً محضاً ونفياً صرفاً، والعقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا انفلاق ولا انشقاق، فإذا أخرجه المبدع الموجد من العدم إلى الوجود فكأنه شَقَّ ذلك العدم وفلقه، وأبرز المحدث من ذلك الشق، فالفالق هو الموجد والمبدع والمحدث^(٩).

وحمل المعنى على أن الفلق هو الشق، والحب هو الذي يكون مقصوداً بذاته من سائر أنواعه، والنوى الذي في داخل الثمرة، فعند وقوع الحبة أو النواة في الأرض الرطبة تَمُرُّ مدة، يظهر في تلك الحبة والنواة من أعلاها شق

(١) ينظر: تهذيب اللغة: ١٥٩/٩، وينظر: معجم متن اللغة (فلق).

(٢) معجم متن اللغة: ٤٤٦/٤ (فلق).

(٣) تهذيب اللغة، ١٥٨/٩، وينظر: معجم متن اللغة: ٤٤٧/٤ (فلق).

(٤) تهذيب اللغة: ١٥٧/٩ (فلق).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٤/٧.

(٦) الكشف: ٤٥/٢.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) ينظر: التفسير الكبير: ٩٤/١٣، ٩٥.

(٩) المصدر نفسه.



ومن أسفلها شق آخر. أما الشق الذي يظهر في أعلى الحبة والنواة فإنه يخرج منه الشجرة الصاعدة إلى الهواء، وأما الشق أسفل الحبة فإنه يخرج منه الشجرة الهابطة في الأرض وهي جذور الشجرة وعروقها، وتصير تلك الحبة والنواة سبباً لاتصال الشجرة الصاعدة في الهواء بالشجرة الهابطة في الأرض.

فالأرض جرم كثيف صلب لا تنفذ المسئلة القوية فيه، ولا يغوص السكين الحاد القوي فيه، فكيف بأطراف تلك العروق وهي في غاية الدقة واللطفة بحيث لو دلكت بأدنى قوة أو بإصبع طفل لصارت كالماء، ثم إنها مع غاية لطافتها تقوى على النفوذ في الأرض الصلبة وتغور في بواطن تلك الأجرام الكثيفة بقدرة قدير. إنه العود كلما احتاج العود إلى التذكير بقدرة الصانع القدير^(١). ثم إن الورقة التي تقوى على جذب الأجزاء اللطيفة من الأرض في مجار دقيقة يعجز البصر عن إبصارها لهي دليل على قدرة الله^(٢). والأكثر من ذلك أن تلك الحبة قد انطوى فيها سِرُّ تلك الشجرة العظيمة، وكلُّ شجرة لها حب أو نوى، ولا تخرج إحداها شجرة الأخرى.

فالصيغة (فَالِقُ) على زنة (فَاعِلُ) كانت الصيغة المختارة من بين الصيغ للدلالة على قدرة الله في فلق ما لا حصر له ولا غَدَّ من الحب والنوى.

وكما أنه سبحانه «فَالِقُ الْخَيِّْ وَالنَّوَى» فهو تعالى ذكره «فَالِقُ الْإِصْبَاحِ» (الأنعام: ٩٦) أي: (شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده)^(٣). وقيل: (فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار، وإسفاره)^(٤) وقيل: (فالق

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٩٤/١٣، ٩٥، ٩٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) جامع البيان: ٢٨٢/٧.

(٤) الكشف: ٤٧/٢.



ظلمة الإصباح، وهي الغبش في آخر الليل، ومنقضاء الذي يلي الصبح^(١). وحمل بعض أهل التأويل المعنى على الخلق، أي: (خالق الإصباح)^(٢) ومن أهل التأويل من قال: (جائز أن يكون خالق الإصباح. وجائز أن يكون معناه شاق الصبح، وهو راجع إلى معنى خالق الصبح)^(٣). وهذا الحدث العظيم المتكرر نوع آخر من دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته، وذلك لأن فُلُقَ ظلمة الليل بنور الصبح هي أعظم في كمال القدرة من فلق الحب والنوى بنبات وشجر، والمعلوم أن الأحوال الفلكية ذات وقع في القلوب أكثر من وقع الأحوال الأرضية^(٤).

قال تعالى أمرأ نبيه ﷺ أن يلوذ ويحتمي برب الصبح إذا انفلق، أي: أن يحتمي بالقادر العظيم لأن فائق الإصباح عن ظلمة الليل قادر يُحتَمَى به ويُلاذ. فهو الحامي والناصر والقادر. قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَكٍ﴾ [الفلق: ١]. إنه الصبح إذا انفلق من ظلمة الليل^(٥). يقال في المثل: هو أبين من فلق الصبح^(٦). وذهب آخرون من أهل التأويل إلى أنه كل ما يفلقه الله، كالأرض عن نباتها، والجبال عن عيونها، والسحاب عن مطرها، والأرحام عن أولادها^(٧). وفلق الصبح عن ظلمة الليل أدل وأبين على عظيم القدرة.

(١) المصدر نفسه.

(٢) التفسير الكبير: ١٠٤/١٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٢٧٤/٢.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٩٩/١٣، ١٠٠.

(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٢٥/١.

(٦) ينظر: مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ١٩٨/٢، رقم

المثل: ٢٠٤٥.

(٧) ينظر: الكشف: ٨١٥/٤.



قال الإمام الرازي: «إذا عرفت هذا فكونه سبحانه فالقاً للإصباح في كونه دليلاً على كمال قدرة الله تعالى أجلُّ أقسام الدلائل، وفي كونه فضلاً ورحمة وإحساناً من الله تعالى على الخلق أجل الأقسام وأشرف الأنواع»^(١). يلحظ أن القرآن استعمل صيغة (فَالِقُ) زنة (فَاعِلٌ) للدلالة على اتساع رقعة الصباح، وقدرة الفالق على الفلق، فلق الصبح عن ظلمة الليل.

ومن الفلق فلق البحر، والبحر لا يفلق إلا بقدرة قدير. لقد أمر سبحانه نبيه موسى ﷺ أن يضرب البحر بعصاه، ففعل موسى، فانفلق البحر اثنتي عشرة فلقة. قال تعالى: ﴿ فَأَوْجَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَوْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣]. أي: (انفلق اثنتي عشرة فلقة)^(٢). أي: صار فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط منهم طريق، فظن كل سبط قتل أصحابه، فدعا موسى ﷺ ربه، فمكّنهم بقدرته رؤية بعضهم بعضاً على أرض يابسة^(٣). ففترق الماء مع اجتماعه فوق كل طرف منه حتى صار كالجبل، ثم إنه سبحانه جعل في تلك الجدران المائية فتحات ينظر بعضهم إلى بعض، وهو أمر يدل على قدرة الله منجي المؤمنين^(٤). فالحدث القرآني آية، فبمجرد أن ضرب موسى البحر بعصاه، انفلق بقدرة الله إلى طرق تعبر وعلى جانبي كل طريق ماء كالجبل العظيم. إنه الدليل على كمال القدرة. وقوله سبحانه على لسان موسى: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ بعد قوله تعالى على لسان أصحاب موسى: (إِنَّا لَمُذْرَكُونَ) ليشعر بأن أمراً وحدثاً عظيماً سيكون. فوجه اقتصاره على نفسه بقوله: ﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ يدل على أن طريق نجاتهم بعد أن

(١) التفسير الكبير: ١٠٣/١٣.

(٢) جامع البيان: ٨٠/١٩، وينظر: الكشاف: ٣٠٨/٣، وينظر: التفسير الكبير: ١٣٩/٢٤.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٣٩/٢٤.

(٤) المصدر نفسه.



أدرکہم فرعون وجنده لا یحصل إلا بأمر یقطع دابر فرعون وجنده، وهذا الفعل خارق للعادة ودال على قدرة الله، فلا یقع إلا على ید رسول^(١).

(فلك)

من دلالات المادة (فلك) في اللغة دلالتها على السفينة. إذ السفينة تسمى فُلْکاً. الواحد والجمع في هذا الاسم سواء^(٢).

أما في القرآن فقد وردت (٢٥) مرة، دلت الصيغة المعرفة المصدرة بالواو (والفلك) على السفن الدالة على قدرة الله خالق البحر الذي تطفو عليه بقدرته.

تجلت هذه الدلالة في سياق سوق الآيات الدالة على قدرة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَنْجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٥]، قوله: ﴿وَالْفُلْكِ﴾ عطف على (خلق) (واختلاف) فهو معمول لفِي، أي: وفي الفلك، ووصفها بالتي تجري الموصول لتعليل العطف، أي: أن عطفها على خلق السماوات والأرض في كونها آية من حيث إنها تجري في البحر، وفي كونها نعمة من حيث إنها تجري بما ينفع الناس، فأما جريها في البحر فهو يتضمن آيتين، إحداهما آية خلق البحر الذي تجري فيه الفلك خلقاً عجباً عظيماً، والثانية: آية سير السفن فيه وهو ماء من شأنه أن يتعذر المشي عليه، فجري السفن آية من آيات إلهام الله تعالى الإنسان للتفطن لهذا التسخير العجيب الذي استطاع به أن يسلك البحر كما يمشي في الأرض، ووضع الفلك من أقدم مخترعات البشر ألهمة الله تعالى نوحاً عليه السلام في أقدم عصور البشر، ثم إن الله تعالى سخر للفلك الرياح.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣٥/١٩.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٥٣/٤ (فلك).

(فَلَنَ)

الفاء واللام والنون كناية عن كلٍّ أحدٍ^(١).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة، دلت الصيغة المنكرة المفردة ﴿فَلَانًا﴾ على الشخص، وقيل: الجنس.

تجلت هذه الدلالة في سياق الندم والحسرة: ﴿يَوَيْلٌ لِّيَ لَوْ أَنِّي دَخَلْتُ فُلَانًا خَلِيلًا • لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾^(٢)، يعني الذي أضله، وفلان كناية عن الأعلام، كما أنه هنا كناية عن الأجناس.

معناه: أن (فلاناً) قدر على إغواء المتحسر والنادم فقال: (ليتني لم أتخذ خليلاً) لأنه تمكن من إبعادي عن الهداية وأوقعني في الغواية.

**(فَنَنَ)**

الفَنُّ: واحد الفنون، وهي الأنواع^(٣). ورجلٌ متفنن، أي: ذو فنون^(٤). وافتنَّ الرَّجُلُ في حديثه، إذا جاء بالأفانين^(٥). والفَنُّ: الطُّرد؛ يقال: فَنَنْتُ الإبلَ، أي: طردتها^(٦).

(١) الفرقان ٢٨، ٢٩.

(٢) ينظر: البيضاوي: ١٤٠/٢.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٨٦٦/٤ (فنن).

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٨٦٧/٤ (فنن).



وَالْفَنَنْ جَمْعُهُ أَفْنَانٌ، ثُمَّ أَفَانِينَ، وَهِيَ الْأَغْصَانُ^(١). وَالْفَنَانُ: الْجِمَارُ
الْوَحْشِيُّ الَّذِي يَأْتِي بِفَنُونٍ مِنَ الْعُدُو^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة، دلت الصيغة المنكرة «أَفْنَانٍ» على
الأغصان العظيمة كثيرة الإبراق والإثمار.

تجلّت هذه الدلالة في سياق يذكر ما أُعِدَّ لِمَنْ يَخَافُونَ مَقَامَ رَبِّهِمْ:
﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿ فَيَأْتِي مَاءً لَّا رِيحًا مُّكْدَبَاتٍ ﴿ ذُرَّاتًا أَفْنَانٍ ﴿﴾﴾ [الرحمن:
٤٦-٤٨]، أي: هما ذواتا أغصان عظيمة، كثيرة الإبراق والإثمار، بقرينة أن
الأفنان لا تخلو عنها الجنات فلا يحتاج إلى ذكر الأفنان لولا قصد ما في
التنكير من التعظيم.

وفصل بين الأفنان وبين ذكر الفاكهة بذكر العينين مع أن الفاكهة
بالأفنان أنسب، لأنه لما جرى ذكر الأفنان وهي من جمال منظر الجنة
أعقب بما هو من محاسن الجنات وهو عيون الماء جمعاً للنظيرين، ثم
أعقب ذلك بما هو من جمال المنظر، أعني: الفواكه في أفنانها ومن ملذات
الذوق^(٣).



(فهم)

الفاء والهاء والميم عِلْمُ الشَّيْءِ^(٤).

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/٢٦٦.

(٤) مقاييس اللغة: ٤٥٧/٤ (فهم).

أما في القرآن فقد وردت مرة واحدة، دَلَّت الصيغة المتصدرة بالفاء ﴿فَفَهَّمْنَهَا﴾ زنة (فَفَعَّلْنَاهَا) على القدرة في القضاء والعمق فيه.

تجلت هذه الدلالة في قصة الحكومة بين صاحب الزرع وصاحب الغنم عند داود وسليمان عليهما السلام : ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَانُ﴾ [الأنبياء، ٧٨، ٧٩]، أنه ألهمه وجهاً آخر في القضاء هو أرجح لما تقتضيه صيغة التفهيم من شدة حصول الفعل أكثر من صيغة الإفهام. فدلَّ على أن فهم سليمان في القضية أعمق وأقوى، والله أراد أن يظهر علم سليمان عند أبيه ليزداد سروره به، وليتعرَّى على مَنْ فقدته من أبنائه قبل ميلاد سليمان^(١).

٢ ٢ ٢

١١٢ (فوت)

الافتيات: افتعالٌ من الفُوت، وهو السَّبق إلى الشيء دون الائتِمار^(٢). يقال: فلانٌ لا يُفْتَاتُ عليه، أي: لا يُعْمَلُ شيءٌ دون أمره^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٥) مرَّات، دلت الصيغة المتصدرة بما الموصولية ﴿مَا فَاتَكُمُ﴾ على ما كانوا عليه من قدرة مادية أو معنوية من مال أو جاهٍ أو ولد وغير ذلك من نعم.

تجلت هذه الدلالة في سياق يواسي المؤمنين الذين يواجهون مصائب تقوض قدراتهم وإمكانياتهم التي كانوا عليها: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كُتُبٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٨/١٧.

(٢) مقاييس اللغة: ٤٥٧/٤ (فوت).

(٣) المصدر نفسه.



تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴿[الحديد ٢٢، ٢٣]، والتعليل بلام العلة (كي) متعلق بمقدر ذلّ عليه هذا الإخبار الحكيم، أي: أعلمناكم بذلك لكي لا تأسوا على ما فاتكم، أي: لفائدة استكمال مدركاتكم وعقولكم، فلا تجزعوا لما يطل قدراتكم، لأن من أيقن أن ما عنده من قدرة ونعمة دينوية مفقود يوماً لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده، لأنّه قد وطّن نفسه على ذلك^(١).

٢ ٢ ٢

﴿فوج﴾

تدل المادة (فوج) في اللغة على التّجمع. من ذلك الفُوج: الجماعة من النَّاس، والجمع أفواج، وجمع الجمع أفاوج وأفابيج^(٢). وأفاج الرّجل، إذا أسرع، فهو من ذوات الياء، والفَيْج منه^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (هـ) مرات. دلت الصيغة الجمعية المنكرة ﴿أَفُولَآ﴾ على الجمع الكثير الدال على التمكين.

تجلّت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ • وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفُولَآ﴾ [النصر: ١، ٢]، أي: جماعات كثيرة. أي قبائل كثيرة دلالة على التمكين وقوّة المسلمين ومنعتهم حينئذ^(٤).

٢ ٢ ٢

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٤١١/٢٧.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٥٨/٤ (فوج).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٩٣/٣٠.

■ (فور)

الفاء والواو والراء كلمة تدل على الغليان، فارت القدر بمائها تفور فوراً وفوراناً^(١). وفورة الحرّ شدّته^(٢). ويقال: فار غضبه: إذا جاش^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٤١) مرّة، دلت الصيغة المضارعية (تَفُورُ) على الغليان الدال على شدّة الحرارة.

تجلت هذه الدلالة باستعمال القرآن الصيغة «تَفُورُ» زنة (تَفْعُلُ) في سياق الإخبار عن جزاء الكافرين يوم القيامة «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَاءَ الْمَصِيرُ» * إِذَا أُنْفِثُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَيْعًا وَهِيَ تَفُورُ [الملك: ٦، ٧]، أي: تغلي بهم غليان المرجل بما فيه، وجُعِلَتْ كالمغتاطة عليهم لشدّة غليانها بهم. وجائز أن يراد غيظ الزبانية^(٤). قوله: «وَهِيَ تَفُورُ» حال من ضمير (فيها) أي: تغلي وترتفع ألسنة لهيبها^(٥) دلالة على شدة حرارتها.



■ (فوز)

الفوز: النجاة، والظفر بالخير^(٦).

أما في القرآن فقد وردت (٣) مرّات، دلت الصيغة الماضوية «فَازَ» على نوال المبتغى، أي: القدرة والتمكن.

(١) مقاييس اللغة: ٤/٤٥٨، الصحاح: ٢/٧٨٣ (فور).

(٢) الصحاح: ٢/٧٨٣.

(٣) مقاييس اللغة: ٤/٤٥٨، الصحاح: ٢/٧٨٣ (فور).

(٤) ينظر: الكشف: ٤/٥٦٦، وينظر: التفسير الكبير: ٣٠/٦٣.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/٢٣.

(٦) ينظر: تهذيب الصحاح: ١/٣٥٨ (فوز).



تجلت هذه الدلالة في سياق تأكيد أن الموت ختمِي لكل نفس، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، أي: نال مُبتغاه من الخير^(١). أي: تمكن من العيش في الجنة والبعد عن النار وذلك غاية في القدرة والتمكين.

وتجلت الدلالة على النعمة الكبيرة باستعمال القرآن الصيغة ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا﴾ في موضع منه. قال تعالى في سياق التحسر والندم: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ بَنَاتٍ جَمِيعًا * وَإِنَّ سِكْرًا لَّمْ يُبْلِغَنَّ فَإِنْ أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَوْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء ٧١ - ٧٣]، شبه حالهم وقت هذا القول بحال من لم تسبق بينه وبين المخاطبين مودة من قبل هذا القول.

ووجه هذا التشبيه أنه لما تمتنى أن لو كان معهم وتحسر على فوات فوزه لو حضر معهم، كان حاله في تفريطه برفقتهم يشبه حال من لم يكن له اتصال بهم بحيث لا يشهد ما أزمعوا عليه من الخروج للجهاد، فهذا التشبيه مسوق مساق زيادة تنديمه وتحسيره، أي: أنه الذي أضاع على نفسه سبب الانتفاع بما حصل لرفقته من الخير، أي: أنه قد كان له من الخلطة مع القائمين ما شأنه أن يكون سبباً في خروجه معهم، وانتفاعه بثواب النصر وفخره ونعمة الغنيمة^(٢).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٩/٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢٠/٥.



■ (فوض)

تدل المادة (فوض) في اللغة على اتكال في الأمر على آخر ورَّده عليه، من ذلك: فَوَضَ إليه أمره، إذا رَدَّه^(١). ويقال: مألهم فَوْضَى بينهم، إذا لم يخالف أحدهما الآخر^(٢). وتفاوت الشريكان في المال، إذا اشتركا ففَوَضَ كُلُّ أَمْرِهِ إلى صاحبه، هذا راضٍ بما صنع ذاك وذاك راضٍ بما صنع هذا، ممَّا أجازته الشريعة^(٣).

أما في القرآن فقد وردت مرَّة واحدة، دلت الصيغة المتصدرة بالواو العاطفة (وَأَفْوَضُ) على الاتكال على الله والاستقدار به.

تجلَّت هذه الدلالة في سياق الحديث عمَّا قاله مؤمن آل فرعون. قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ مَا يَأْتِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ * لَا جَرَمَ أَنَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبَى الْمُتُفَرِّقِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر ٤١-٤٤]، مساق هذه الجملة مساق الانتصاف منهم لما أظهره له من الشرّ، يعني: أني أكُلُ شأني وشأنكم معي إلى الله، فهو يجزي كل فاعل بما فعل، وهذا كلام مُنْصِف، فالمراد بـ (أمر) شأني ومُهمِّي، وهذا غاية الاستقواء بالله والاستقدار. ويدل لمعنى الانتصاف تعقيبه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ معللاً تفويض أمره معهم إلى الله بأن الله عليم بأحوال جميع العباد، فمفهوم العباد شمله وشمل خصومه^(٤).

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٤/٤٦٠ (فوض).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٧/٢٤.



أي: أتوكل على الله وأستعينُ به ليعصمني من كل سوء في مقاطعتي لكم ومباعدتكم. فله القدرة النافذة^(١).

٢ ٢ ٢

(فوق)

«فوق: نقيضُ تَحْتُ»^(٢). يقال: «فلانٌ فاق أصحابه يفوقهم؛ إذا علاهم وأمرٌ فائق، أي: مرتفع عالٍ»^(٣).

أما في القرآن فقد وردت (٤٣) مرّة، دلت الصيغة «فَوْقَهُمْ» على الغلبة.

تجلّت دلالة الصيغة «فَوْقَهُمْ فَتِهْرُونَ» على الغلبة في سياق التحريض على القتل والإيذاء: «وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُكُونَ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ؟ قَالَ سَنَقُولُ بِتْنَاهُمْ وَسَتَجِدُنِي سَاءَ هُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ فَتِهْرُونَ» [الأعراف: ١٢٧]، قوله: «وَإِنَّا فَوْقَهُمْ» أي: إننا غالبون لهم وأنهم تحت أيدينا كما كانوا^(٤). فبين أنه قادر وأنه لم يترك موسى وقومه لعجز منه وخوف، ولو أراد بموسى البطش لقدّر على ذلك.

و(فوقهم) مستعمل مجازاً في التمكن من الشيء، وكلمة (فوقهم) مستعارة لاستطاعة قهرهم لأن الاعتداء على الشيء أقوى أحوال التمكن من قهره. وقوله: «وَإِنَّا فَوْقَهُمْ فَتِهْرُونَ» اعتذار من فرعون للملأ من قومه عن الإبطاء بالاستئصال.

(١) ينظر: التفسير المنير: ١٣١/٢٤.

(٢) تهذيب الصحاح: ٥٩٦/٢ (فوق).

(٣) مقاييس اللغة: ٤٦١/٤ (فوق).

(٤) ينظر: الكشف: ١٣٨/٢.

وأخبر القرآن في موضع منه عن علو لأهل الإيمان أتباع عيسى ﷺ على أهل التكذيب اليهود والنصارى. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥]، يعلنونهم بالحجة، وفي أكثر الأحوال بالحجة والسيف^(١). أي: يظهرون على الكفار وينتصرون عليهم، وهي فوقية دنيوية^(٢). بدليل قوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.



■ (فوه)

الفاء والواو والهاء أصلٌ صحيح يدلُّ على تَفَتْحٌ في شيء، من ذلك الفَوْه: سَعَةُ الفم^(٣). والمَفْوَه: القادر على الكلام^(٤).

أما في القرآن فقد وردت (٨) مرّات. دلت الصيغة الجمعوية المتصدرة بالباء ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ على الطعن باللسان والخصومة، وهو قدرة كلامية يُراد بها أثر عقلي للإنكار والجحود.

تجلّت هذه الدلالة في سياق الإخبار عمّا يريده الكافرون، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، ووصفهم القرآن بأنه سحر ونحو ذلك من تمويهاتهم، فشبه بنفخ النافخين على المصباح، فكان لذكر (بأفواههم) وقع عظيم في هذا التمثيل لأن

(١) ينظر: الكشف: ٣٦٠/١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦٠/٣.

(٣) مقاييس اللغة: ٤٦٢/٤.

(٤) المصدر نفسه.



الإطفاء قد يكون بغير الأفواه، مثل: المروحة والكبر، وهم أرادوا إبطال آيات القرآن بزعم أنها من أقوال السحر^(١).

وأقوالهم التي يريدون من خلالها الطعن بالقرآن كأنها قدرة لهم يستعملونها في مواجهة الهداية ليطفئوا نور تلك الهداية. فالصيغة (بأفاههم) كأنها بمعنى (بقدراتهم)، وبذا دلت على القدرة. والله أعلم.

وتجلت الدلالة نفسها في سياق الإخبار عن الختم على الأفواه يوم القيامة. قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، أي: نمنعها من الكلام، والكلام قدرة يدافع بها الإنسان عن نفسه، فيأتي بالحجة والبرهان. أي: يوم نمنع الكافرين والعصاة من استعمال وسائل قدرتهم وهو الكلام جزاء ما اقترفوه من الذنوب والمعاصي^(٢).



■ (فياً)

«الفاء والهمزة مع معتلّ بينهما، كلمات تدل على الرجوع»^(٣). يقال: فاء الفيء؛ إذا رجع الظلّ من جانب المغرب إلى جانب المشرق^(٤). «وكلّ رجوع فيء»^(٥). «والفسيء: غنائم تُؤخذ من المشركين أفاءها الله تعالى عليهم»^(٦).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧٠/٢٨.

(٢) ينظر: البيضاوي: ٢٨٥/٢.

(٣) مقاييس اللغة: ٤٣٥/٤ (فياً).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه: ٤٣٦/٤ (فياً).



أما في القرآن فقد وردت (٧) مرات. دَلَّت الصيغة الماضية المسبوقة بالواو العاطفة وبما الموصولية (وما أفاء) على الرَّد والإعادة الدال على القدرة. قال تعالى في سياق التقسيم والتبيين ما للرسول ﷺ والمؤمنين من الفياء: ﴿وَمَا آفَاةَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦]، أي: ما رَدَّه الله على المؤمنين من أموال من خالفهم من الكفار بلا قتال، إما بإجلائهم عن أوطانهم أو أَنْ يصلحوا على جزية تؤدي، أو مال غير الجزية يفتدون به من سفك دمائهم كفعل بني النضير حين صالحوا رسول الله ﷺ على أن لكل ثلاثة منهم حمل بعير مما شأوا سوى السلاح، وأن يتركوا الباقي، فهذا المال هو الفياء، وهو ما أفاء الله على المسلمين، أي: ما رده بمشيئته وقدرته من الكفار إلى المسلمين^(١).

فالآية إنما نزلت فيما صار لرسول الله ﷺ من أموال الكفار بغير إيجاب، وبذلك فُسِّرَها عمر رضي الله عنه ولم يخالفه أحد^(٢).

هذا المال المردود من الكفار إلى الرسول ﷺ والمؤمنين بغير إيجاب خيل ولا ركاب يدل على قدرة الله التي أرهبت نفوس الكفار وأحدثت في قلوبهم الرعب فدفعتهم إلى الجلاء، أو الصلح ودفع الجزية أو دفع مال غير الجزية يفتدون به من سفك دمائهم كالذي حصل مع بني النضير، لأن الكافر لا يمكن بحال من الأحوال تصور تخليه عن ماله الذي يعبد من دون الله لولا ما أَحَسَّ به من قهر وهزيمة أمام القوة القاهرة الغالبة له: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٨٦/٢٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٢/٢٨.



يَخْرُجُوا وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿[الحشر: ٢]﴾.



(فيض)

«الفاء والياء والضاد أصلٌ صحيح واحدٌ يدل على جريان الشيء بسهولة»^(١). يقال: «فاض الماء فيفيض»^(٢). وأفاض القوم من عرفة، إذا دفَعُوا، وذلك كجريان السَّيل^(٣). «وأرض ذاتُ فيوض، إذا كان فيها ماءٌ فيفيض»^(٤). «وأعطى فلانٌ فلاناً غيضاً من فيض، أي: قليلاً من كثير»^(٥).

أما في القرآن فقد وردت (٩) مرَّات، دلت الصيغة «أَفِضُوا» على طلب صبِّ الماء أو غيره من الشراب إلى المتحرِّقين عليه. تجلَّتْ هذه الدلالة باستعمال القرآن صيغة الطلب «أَفِضُوا» في سياق المناشدة. قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠]، أي: صبوا لنا ما عندكم من الماء أو سواه من الشراب فأنتم في نعمة وفضل عظيم، وحمل المعنى على الإلقاء، أي: ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة^(٦). وإنما طلبوا الماء خاصة لشدة اللهب في البطون

(١) مقاييس اللغة: ٤/٦٥٥ (فيض).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: الكشف: ٢/١٠٤.

بسبب شدة حرارة جهنم. وقوله: ﴿أَفِيضُوا﴾ فيه دلالة على أن أهل الجنة أعلى مكاناً ومنزلةً يتقلبون في النعمة الدالة على القدرة والتمكن.

وحمل بعض أهل التأويل الفيض على المعنى المجازي، وهو سعة العطاء والسخاء، وهذا الحمل تعريض بأن أصحاب الجنة أهل قدرة وتمكين وأهل جود وسخاء، وأهل تصرف، وتكون (من) على هذا الوجه بيانية لمعنى الإفاضة، ويكون فعل (أفيضوا) منزلاً منزلة اللازم، فتتعلق (من) بفعل (أفيضوا)^(١).



■ (فيل)

من دلالات المادة (فيل) في اللغة. دلالتها على اللحم الذي هو خُزْبة الورك^(٢).

أما في القرآن فقد وردت مرّة واحدة. دلت الصيغة المعرفة «أَلْفِيلِ» على حيوان قادر على حمل الأثقال.

تجلت هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]، أي: حيوان عظيم من ذوات الأربع ذوات الخف من حيوان البلاد الحارة ذات الأنهار من الهند والصين والحبشة والسودان، ذكي قابل للتأنس والتربية، ضخّم الجثّة، كثير اللحم، كبير البيض، له خرطوم طويل يدافع به

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤٨/٨، ١٤٩.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٦٧/٤.



عن نفسه يخطتف به ويلويه على ما يريد أذاه من الحيوان ويلقيه على الأرض ويدوسه بقوائمه، له قوائم غليظة وأهل الهند والصين يجعلون الفيل كالحصن في الحرب^(١).



(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٤٧/٣٠.

الفهرس

حرف الزاي

- ٥ (زبر)
- ٦ (زبن)
- ٧ (زجا)
- ١٠ (زجر)
- ١١ (زحزح)
- ١٢ (زحف)
- ١٣ (زخرف)
- ١٤ (زرب)
- ١٤ (زرع)
- ١٦ (زرى)
- ١٧ (زعم)
- ١٨ (زفر)
- ١٨ (زفف)
- ١٩ (زقم)



- ٢٠ (زكى)
- ٢٢ (زلف)
- ٢٤ (زلق)
- ٢٤ (زلل)
- ٢٨ (زلم)
- ٢٩ (زمر)
- ٣١ (زمهرياً)
- ٣١ (زنجيل)
- ٣٢ (زهد)
- ٣٣ (زهر)
- ٣٤ (زوج)
- ٣٦ (زود)
- ٣٧ (زول)
- ٣٩ (زيت)
- ٤٠ (زيد)
- ٤٣ (زيغ)
- ٤٦ (زين)

حرف السين

- ٤٩ (سأل)
- ٥٠ (سأم)
- ٥١ (سبب)



٥٦	(سبط)
٥٦	(سبع)
٥٧	(سيف)
٥٨	(سبق)
٦١	(سبل)
٦٢	(ستر)
٦٣	(سجد)
٦٤	(سجر)
٦٦	(سجل)
٦٦	(سجن)
٦٧	(سجو)
٦٨	(سحب)
٦٩	(سحت)
٧٠	(سحر)
٧٢	(سحق)
٧٣	(سخر)
٧٧	(سخط)
٧٨	(شدد)
٧٩	(سدر)
٨٠	(سرب)
٨١	(سربل)
٨٢	(سرج)
٨٢	(سرح)



- ٨٤ (سرد)
- ٨٥ (سردق)
- ٨٦ (سرر)
- ٨٧ (سرع)
- ٩٠ (سرف)
- ٩١ (سرق)
- ٩٣ (سرمد)
- ٩٣ (سرو)
- ٩٤ (سطا)
- ٩٦ (سطح)
- ٩٧ (سطر)
- ٩٨ (سعد)
- ٩٩ (سعر)
- ١٠٠ (سمع)
- ١٠١ (سعى)
- ١٠٢ (سفر)
- ١٠٣ (سفع)
- ١٠٥ (سفك)
- ١٠٦ (سفن)
- ١٠٧ (سقر)
- ١٠٨ (سقط)
- ١١١ (سقف)
- ١١٢ (سقى)



- ١١٥ (سكب)
- ١١٦ (سكر)
- ١١٧ (سكن)
- ١١٩ (سلب)
- ١٢١ (سلح)
- ١٢٢ (سلخ)
- ١٢٤ (سلسيلاً)
- ١٢٥ (سلسل)
- ١٢٦ (سلط)
- ١٢٩ (سلف)
- ١٣٠ (سلق)
- ١٣١ (سلك)
- ١٣٣ (سلم)
- ١٣٤ (سلوى)
- ١٣٥ (سمع)
- ١٣٧ (سمك)
- ١٣٨ (سمم)
- ١٣٩ (سمن)
- ١٤١ (سمو)
- ١٤١ (سُنْدُس)
- ١٤٢ (سنم)
- ١٤٣ (سنن)
- ١٤٤ (سنه)



- ١٤٥ (سنى)
- ١٤٦ (سهر)
- ١٤٧ (سهل)
- ١٤٧ (سوا)
- ١٥٠ (سور)
- ١٥١ (سوط)
- ١٥٢ (سوغ)
- ١٥٣ (سوق)
- ١٥٨ (سوم)
- ١٦٠ (سيح)
- ١٦١ (سيد)
- ١٦١ (سير)
- ١٦٣ (سيل)

حرف الشين

- ١٦٧ (شبه)
- ١٦٨ (شجر)
- ١٧٠ (شحن)
- ١٧١ (شدد)
- ١٧٥ (شرب)
- ١٧٦ (شرح)
- ١٧٩ (شرد)



١٨٠	(شرر)
١٨١	(شرع)
١٨٣	(شرق)
١٨٤	(شرك)
١٨٦	(شرى)
١٨٦	(شطن)
١٨٨	(شعر)
١٨٩	(شغل)
١٨٩	(شفع)
١٩١	(شفى)
١٩٢	(شقق)
١٩٦	(شقو)
١٩٧	(شكر)
١٩٨	(شمت)
١٩٩	(شمخ)
٢٠٠	(شمس)
٢٠١	(شهد)
٢٠٣	(شوظ)
٢٠٤	(شوك)
٢٠٥	(شوى)
٢٠٦	(شيد)

حرف الصاد

- ٢٠٩ (صَبَب)
- ٢١٠ (صَبَح)
- ٢١٢ (صَبِر)
- ٢١٣ (صَبِغ)
- ٢١٤ (صَحَب)
- ٢١٥ (صَحَف)
- ٢١٧ (صَخَخ)
- ٢١٨ (صَخَّر)
- ٢١٩ (صَدَد)
- ٢٢٢ (صَدَرَ)
- ٢٢٣ (صَدَعَ)
- ٢٢٤ (صَدَف)
- ٢٢٥ (صَدَق)
- ٢٢٧ (صَرَح)
- ٢٢٨ (صَرَخ)
- ٢٢٩ (صَرَّر)
- ٢٣١ (صَرَط)
- ٢٣٣ (صَرَعَ)
- ٢٣٤ (صَرَف)
- ٢٣٩ (صَرَم)
- ٢٤٠ (صَعَد)



٢٤١	(صعر)
٢٤٢	(صعق)
٢٤٤	(صغو)
٢٤٦	(صفح)
٢٤٧	(صَفَد)
٢٤٨	(صفف)
٢٤٩	(صفن)
٢٥٠	(صَفَو)
٢٥١	(صلا)
٢٥٤	(صلب)
٢٥٦	(صلح)
٢٥٦	(صلد)
٢٥٧	(صمد)
٢٥٩	(صمع)
٢٦٠	(صمم)
٢٦٢	(صنع)
٢٦٣	(صنم)
٢٦٤	(صهر)
٢٦٥	(صوب)
٢٦٦	(صوت)
٢٦٧	(صور)
٢٧٠	(صوع)
٢٧١	(صوف)



- ٢٧٢ (صوم)
- ٢٧٣ (صيح)
- ٢٧٤ (صيد)
- ٢٧٥ (صير)
- ٢٧٧ (صيصر)
- ٢٧٨ (صيف)

حرف الضاد

- ٢٧٩ (ضأن)
- ٢٨٠ (ضبح)
- ٢٨٠ (ضجع)
- ٢٨١ (ضحك)
- ٢٨٣ (ضحى)
- ٢٨٤ (ضرب)
- ٢٨٨ (ضرر)
- ٢٨٩ (ضعف)
- ٢٩٠ (ضفدع)
- ٢٩١ (ضلل)
- ٢٩٢ (ضوأ)
- ٢٩٣ (ضيع)
- ٢٩٥ (ضيف)
- ٢٩٦ (ضيق)

حرف الطاء

- ٢٩٧ (طبع)
- ٢٩٩ (طبق)
- ٣٠٠ (طحو)
- ٣٠١ (طرح)
- ٣٠٣ (طرد)
- ٣٠٤ (طرف)
- ٣٠٦ (طرق)
- ٣٠٧ (طرى)
- ٣٠٨ (طعم)
- ٣١١ (طغى)
- ٣١٤ (طفا)
- ٣١٥ (طَفِقَ)
- ٣١٦ (طلب)
- ٣١٧ (طلت)
- ٣١٨ (طلح)
- ٣١٨ (طلع)
- ٣١٩ (طلق)
- ٣٢٢ (طمس)
- ٣٢٥ (طمع)
- ٣٢٦ (طمم)
- ٣٢٨ (طمن)



- ٣٢٩ (طهر)
- ٣٣١ (طود)
- ٣٣١ (طور)
- ٣٣٣ (طوع)
- ٣٣٧ (طوف)
- ٣٤١ (طوق)
- ٣٤٢ (طول)
- ٣٤٥ (طوى)
- ٣٤٩ (طيب)
- ٣٥٠ (طير)
- ٣٥٢ (طين)

حرف الظاء

- ٣٥٥ (ظعن)
- ٣٥٦ (ظفر)
- ٣٥٨ (ظلل)
- ٣٥٩ (ظلم)
- ٣٦٠ (ظماً)
- ٣٦١ (ظهر)

حرف العين

- ٣٦٥ (عباً)
- ٣٦٦ (عبد)



- ٣٦٧ (عبر)
- ٣٦٩ (عبس)
- ٣٧٠ (عبقر)
- ٣٧٠ (عتد)
- ٣٧٢ (عتق)
- ٣٧٣ (عتل)
- ٣٧٤ (عتو)
- ٣٧٥ (عئا)
- ٣٧٧ (عثر)
- ٣٧٨ (عجب)
- ٣٧٩ (عجز)
- ٣٨١ (عجل)
- ٣٨٤ (عدد)
- ٣٨٥ (عدل)
- ٣٨٧ (عدن)
- ٣٨٨ (عدو)
- ٣٨٩ (عذب)
- ٣٩٣ (عذر)
- ٣٩٤ (عرب)
- ٣٩٦ (عرج)
- ٣٩٧ (عرش)
- ٣٩٨ (عرض)
- ٤٠٢ (عرف)



- ٤٠٤ (عرم)
- ٤٠٤ (عرو)
- ٤٠٦ (عزب)
- ٤٠٧ (عزر)
- ٤٠٨ (عزز)
- ٤١١ (عزل)
- ٤١٢ (عزم)
- ٤١٤ (عزو)
- ٤١٥ (عسل)
- ٤١٦ (عشر)
- ٤١٧ (عشو)
- ٤١٨ (عصب)
- ٤٢٠ (عصر)
- ٤٢١ (عصف)
- ٤٢٣ (عصم)
- ٤٢٦ (عصو)
- ٤٢٧ (عضد)
- ٤٢٩ (عضل)
- ٤٣٠ (عطا)
- ٤٣٣ (عظم)
- ٤٣٥ (عفا)
- ٤٣٦ (عفرت)
- ٤٣٦ (عفف)



- ٤٣٧ (عقب)
- ٤٤٠ (عقد)
- ٤٤١ (عقر)
- ٤٤٢ (عقل)
- ٤٤٤ (عقم)
- ٤٤٥ (علم)
- ٤٤٦ (علو)
- ٤٤٩ (عمد)
- ٤٥٠ (عمر)
- ٤٥٦ (عمل)
- ٤٥٦ (عمى)
- ٤٥٧ (عنب)
- ٤٥٩ (عنت)
- ٤٦٠ (عند)
- ٤٦٢ (عنق)
- ٤٦٤ (عهد)
- ٤٦٦ (عود)
- ٤٦٩ (عوذ)
- ٤٧٠ (عون)
- ٤٧١ (عير)
- ٤٧٢ (عيش)
- ٤٧٣ (عين)
- ٤٧٥ (عبي)

حرف الغين

- ٤٧٧ (غبين)
- ٤٧٩ (غدر)
- ٤٨١ (غدق)
- ٤٨٢ (غدو)
- ٤٨٣ (غرب)
- ٤٨٤ (غرر)
- ٤٨٦ (غرف)
- ٤٨٨ (غرق)
- ٤٩١ (غرم)
- ٤٩١ (غرو)
- ٤٩٣ (غزل)
- ٤٩٤ (غزو)
- ٤٩٥ (غسق)
- ٤٩٧ (غسل)
- ٤٩٨ (غشى)
- ٥٠٣ (غصب)
- ٥٠٤ (غضب)
- ٥٠٦ (غطش)
- ٥٠٧ (غفر)
- ٥٠٨ (غلب)
- ٥١١ (غلظ)



٥١٢	(غلق)
٥١٣	(غلل)
٥١٤	(غلم)
٥١٥	(غلو)
٥١٦	(غم)
٥١٧	(غمر)
٥١٩	(غمض)
٥١٩	(غنم)
٥٢٠	(غني)
٥٢٣	(غوث)
٥٢٥	(غوص)
٥٢٥	(غوى)
٥٢٧	(غيب)
٥٢٨	(غيث)
٥٣٠	(غير)
٥٣٠	(غيض)
٥٣١	(غيظ)

حرف الفاء

٥٣٣	(فأد)
٥٣٤	(فأور)
٥٣٥	(فتح)



- ٥٤٠ (فتر)
- ٥٤١ (فتق)
- ٥٤٦ (فتن)
- ٥٤٧ (فتى)
- ٥٤٨ (فجج)
- ٥٤٩ (فجر)
- ٥٥٢ (فجو)
- ٥٥٣ (فخر)
- ٥٥٤ (فدى)
- ٥٥٥ (فرت)
- ٥٥٦ (فرج)
- ٥٥٧ (فرح)
- ٥٥٨ (فردوس)
- ٥٥٩ (فرر)
- ٥٦٠ (فرش)
- ٥٦٣ (فرض)
- ٥٦٤ (فرط)
- ٥٦٥ (فرع)
- ٥٦٦ (فرعن)
- ٥٦٧ (فرغ)
- ٥٦٩ (فرق)
- ٥٧٣ (فره)
- ٥٧٣ (فرى)



- ٥٧٦ (فزز)
- ٥٧٧ (فزع)
- ٥٧٧ (فسح)
- ٥٧٨ (فسد)
- ٥٧٩ (فسر)
- ٥٨٠ (فصح)
- ٥٨١ (فصل)
- ٥٨٣ (فصم)
- ٥٨٣ (فضض)
- ٥٨٤ (فضل)
- ٥٨٦ (فطر)
- ٥٨٩ (فعل)
- ٥٩١ (فقد)
- ٥٩٢ (فقر)
- ٥٩٣ (فقه)
- ٥٩٤ (فكر)
- ٥٩٥ (فكك)
- ٥٩٦ (فكه)
- ٥٩٧ (فلح)
- ٥٩٨ (فلق)
- ٦٠٣ (فلك)
- ٦٠٤ (فَلَنَ)
- ٦٠٤ (فنن)



- ٦٠٥ (فهم)
- ٦٠٦ (فوت)
- ٦٠٧ (فوج)
- ٦٠٨ (فور)
- ٦٠٨ (فوز)
- ٦١٠ (فوض)
- ٦١١ (فوق)
- ٦١٢ (فوه)
- ٦١٣ (فياً)
- ٦١٥ (فيض)
- ٦١٦ (فيل)